

الجزء الأول

صالح محمد عبد الله الزمام

العبيكان
Obeikan

ح صالح محمد عبدالله الزمام، ١٤٣٨هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزمام، صالح محمد عبدالله

نوادر من التاريخ./ صالح محمد عبدالله الزمام - ط٢.- الرياض، ١٤٣٨هـ

٤ مج

٤٤٠ ص؛ ١٦,٥ × ٢٤ سم.

ردمك: ٩ - ٤٨٠٤ - ٠٢ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

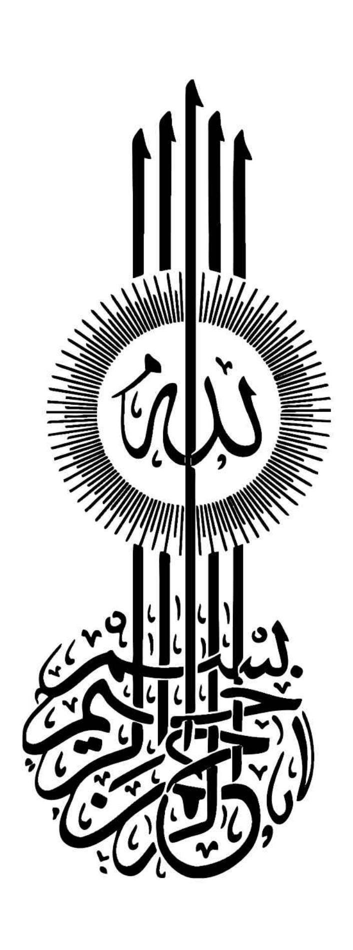
٩٧٨ - ٦٠٣ - ٠٢ - ٤٨٠٥ - ٦ (ج١)

١. الأدب العربي - مجموعات أ. العنوان

ديوي ٨١٠,٨ ٨٩٦٣ / ١٤٣٨

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م


الله
بسم الله الرحمن الرحيم

صالح بن محمد الزمام
مؤلف سلسلة كتاب
نوادر من التاريخ



الرياض - الربوة
ص . ب : ٢٦٠٢٥٧
الرمز : ١١٣٤٢
تليفون : ٤٩٣٣٤٣٧
جوال : ٠٥٤٥١٨٧٧٧٧

برقيه من ابن القيم

نقول لقارئ النوادر كما قال الإمام الحبر الجليل
ابن القيم رحمه الله في مقدمة أحد كتبه
لك أيها القارئ صفوه ولمؤلفه كدره وهو
الذي تجشم غراسه وتعبه ولك ثمره وها
هو قد استهدف لسهام الراشقين. وأستغفر
إلى الله من الخطأ والزلل .

صالح الزمام .

٥/٥/١٤٣٦هـ

بسم الله الرحمن الرحيم





الرقم: ١٥٠١/١/١
التاريخ: ١٤٢٥/٧/١
المشفوعات: ______

سعادة الأخ الأديب الأريب الأستاذ صالح بن محمد الزمام وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته . أما بعد :

فأسأل الله تعالى لكم مزيداً من التوفيق والصحة والعافية .

ووصلني . وصلكم الله ببره وهداه . كتابكم المؤرخ في ١٤٢٥/٦/٢٢هـ المرافق له نسخة من الجزء التاسع من كتابكم (نوادر من التاريخ)

وإذ أشكر لكم كريم مشاعركم ، وجميل إهدائكم ، فقد سعدتُ بتواصلكم ، وسررت بما أنتم عليه من وافر الصحة والعافية .

وقد اطلعت على الكتاب فألفيته كتاباً رشيقاً في عبارته ، سهلاً في أسلوبه ، قريباً في لغته ، متنوعاً في مادته ، بما اشتمل عليه من القصص الهادفة ، والحكم اللطيفة ، والأخبار الطريفة ، مع ما يتميز به من إسناد جميع الأخبار والنوادر إلى أهلها .

حفظكم الله وسدد خطاكم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بسم الله الرحمن الرحيم

عثمان الصالح

الأخ صالح بن محمد الزهراني المحترم

بعد التحية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد

أهنئكم بحلول عيد الفطر السعيد داعياً لكم بالخير والبركة والسداد وأشكركم على ما حبوتموني به من هدية لطيفة طيبة الحكمة البالغة والكلمة الهادفة .. والقصة الطريفة .. والنصيحة اللطيفة .. شكراً لك وأنت تكتبه للأمة الفاضلة .. والمثل الكريمة مؤتسياً ومقتدياً بما وصف الله به نبينا الكريم محمداً صلى الله عليه وسلم من أنه قال في كتابه الكريم - محمد نبيه ورسوله - وإنك لعلى خلق عظيم وما قاله رسولنا العظيم - بعثت لأتمم مكارم الأخلاق من هنا أجد كتابك الجزء الخامس من - النوادر - تجسيداً لذلك ودعوة ونصيحة. فيها الخير والهدى يحبه المتقون والدعوة بها والعمل بها كل ... تشكر لك الرحمة والإنسانية لما سبق وشكراً لك لوقتك .. والدعوة إلى الخير والهدى هي سبيل المرسلين ودعوة الصالحين ومقصد المصلحين. إن كتابك - الجزء الخامس - ينبوع هدى ونظرة صحيحة وعبرة وحكمة وشعور - وقد نفحت بالكتاب إلى أخي ... تم شكري لكم

أخوكم

[توقيع]

٦-١٠-...

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة الأخ الفاضل / صالح بن محمد الإمام — سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

من حسن الحظ حينما زرتكم في منزلكم العامر لغرض انهاء بعض الأعمال التجارية معكم انني كنت أحد أصحاب عقارات أهل معي، وقد أهديتموني نهاية تلك الزيارة نسخة من الجزء السابع من كتابكم نوادر من التاريخ. وكان ذلك في منتصف شهر سبتمبر ٢٠٠٢م.

وقد حفظت الكتاب في تلك الحقيبة ونسيته، إلا انني في رحلة عمل الى مدينة جدة فتحت حقيبتي فوجدت ذلك الكتاب وكان ان بدأت قراءة أوله ليلة الثلاثاء ٧/١١/١٤٢٤ الموافق ٣٠/١٢/٢٠٠٣م فوجدت الكتاب خصباً نافعاً مغنياً أعادني الى نجد ومنها الى العالم، حيث احتوى على كثير من القصص الواقعية، ووجدت تعليقاتكم خفيفة الظل لتقرير معلومة، أو التعليق على النادرة ...

بدون مبالغة كنت بشغف أقرأ الصفحة تلو الصفحة، والنادرة تلو النادرة، حتى نسيت نفسي وطوال كتابكم من ساعتين ونصف تقريباً أطلعني في أجواء ما احتواه حتى قراءته من آخره.

فأهنئ نفسي بحصولي على الكتاب، وصحبتي إياه في هذا السفر لأجده صديقاً ودوداً قريباً من النفس، وأهنئكم على هذا العطاء المثمر الذي لا يصدر إلا عن ذواقه لبيب، وأديب أريب يعرف المرامي من المكتوب، فينتقل حسب المطلوب، ويعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يحرك داخل النفس فيجعلها كأنها تحدث التاريخ بسبب الإستبشار حضيناً، فهنيئاً لنا بلده كاتباً وناقلاً وراوياً شاكراً الله من أمثالكم، وزادكم من العلم النافع ونفعنا بعلمكم انه جواد كريم.

وإن ما أندم عليه هو عدم حصولي على الأجزاء الستة من الكتاب من نوادر من التاريخ، فلعلكم تتكرمون بفضلكم وترسلونها بما تيسر منها الحي/ أو تدلوني على مصدرها أو مكان بيعها لأحصل عليها مع جزيل الشكر والتقدير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم الصغير

محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز بن عقيل

حرر في جدة - ٧/١١/١٤٢٤هـ

جوال ٠٥٤٢٨٢١٥٥

ملاحظة: لقد وجدت الكتاب سهل الحمل، جيد الطباعة جميل الغلاف، قليل الأخطاء المطبعية، كثير الفائدة تحلو قراءة نوادره في مجالس الرجال، أسلوبه يمتاز بالسلاسة، وتعرضه يتميز من نباهة مليئة بالحكم، تحكي واقعنا، وتؤسس تاريخنا مدعم بالدلائل، مشار في تعليقه الى المراجع حروفه واضحة، مرتب بطريقة مناسبة سهل القراءة والفهرسة، يحتوي على أخبار لعباقرة الفضل، مقتبس لحكمتهم، وتواضعهم جاعلاً منهم قدوة، يحتوي على جرأة وشجاعة أدبية متضمنة تعريفاتكم الحسنة، ولا تخلو هذه التعريفات من التعليقات اللطيفة، والتفسيرات المنصفة، والنظرات البعيدة، والإلمام على الأمة والأمر بأخذ القدوة الصالحة والإعتبار بما جاء في أيام الحالية .....

ولقد سهبت في وصف هذا الكتاب الطال المقام ولكنه كما قال الشاعر: ومن الجراءة احتراز بالوشل من يلامني ابن الورد لكن مخلصاً اعترف ذكر الغاية بالمثل...

ودمتم

بسم الله الرحمن الرحيم

الدكتور مرزوق بن صنيتان بن تنباك

الرياض ١١٤٤٣

ص. ب ١٠٨١٢

هاتف { منزل ٤٦٨٣٢٩٨
جوال ٤٦٧٥١٠٠

المملكة العربية السعودية

التاريخ ١٢/ ١ /١٤١٩هـ

الموافق ٨ / ٥ /١٩٩٨م

الأخ الأستاذ العزيز صالح بن محمد الزمام حفظه الله

تحية طيبة:

اطلعت على كتابكم «نوادر من التاريخ» الجزء السادس،
وقد كنت أتابع ما تكتبونه من نوادركم الشائقة، ويعجبني اهتمامكم
بتراث قومكم وتتبعكم لأخبارهم، وهو جهد يدل على تقديركم للتراث
واهتمامكم بنوادره، ووضعها للناشئة لتكون قريبة منهم، بارك
الله بجهودكم. وقد ذكرتني في صفحات ذلك الجزء، ذكرك الله
فيمن عنده، وقد سرني أن تنقل عني شيئًا ولو قل. إلا أن
لي ملاحظة بسيطة وهو أنني من قبيلة «حرب». أما عتيبة القبيلة
العزيزة ففيها أسرة كريمة تشاطرنا الاسم، وهم ابن تنيبيك
تصغير تنباك وهم من المراشدة من الروقة ولعل اللبس جاء من هذا
التقارب بالأسماء. وحرب وعتيبة يجمعهم اتحاد قبلي كبير مع ما بينهم من تشابه.
وعلى كل حال فأنا أعتز بكل أبناء هذا الوطن حاضرة وبادية وأنا منهم
جميعًا، ويعلم الله أنني لست مستعربًا ولا متعصبًا وإنما ولائي للعمل الطيب الذي
ينفع الجميع والأهم أن تكون النوادر من أي قبيلة كانت. إلا أنني أحببت
تصحيح الاسم، فاعذرني لاعتراضي.

أرجو أن يوفقك الله للمزيد من العطاء المثمر. تقبل شكري أولًا
على ما نقلت عني، وتقديري لجهدك رعاك الله.

أخوك

مرزوق

عدد ١١١٩٧ هـ ١٩٩٨/٥/١٨

الوالد الكريم الشيخ صالح بن محمد الزمـام حفظه الله

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

نوادر من التاريخ سلسلة عرفتها ولعت بها وكان لها أثراً في مسيرة حياتي أقرأها من حين لآخر وأشتاق للجديد..

لقد جمعت بين سهولة الطرح وجمال العرض وندرة المعلومة والتعليق الفذ والدعابة المفرحة، كل هذا يجعل هذه السلسلة جديرة بأن تكون في كل بيت وجبة علمية فكرية تراثية تربوية توثيقية رائعة.

إنها السلسلة التي كلما قرأتها وأعدت قراءتها كأنك تقرأها لأول مرة شكراً لكم على هذا العطاء وستذكر لكم الأجيال هذا الصنيع الخير المبارك وأدعو الله لكم بطول العمر على طاعته ولنسعد برؤية الجديد من هذه السلسلة المباركة.

محبكم خلوفة بن محمد الأحمري

المرشد بجهاز الحرس الوطني

١٤٣١/١٢/٢١هـ

تقريظ من المجلة الرصينة
جزاهم الله خيراً*

قدم المؤلف (صالح محمد الزمام) كتابه (نوادر من التاريخ) بأربعة أجزاء أعيدت طباعة الأجزاء الثلاثة أكثر من مرة . وقد اشتمل الكتاب ــ بأجزائه الأربعة ــ على (١٣٦٧) نادرة ، أو خبراً ، أو قصة ، أو حدثاً ، أو مثلًا ، أو حكمة ، أو غيرها من المعلومات المنتزعة من كتب التاريخ القديمة أو المعاصرة ، أو الصحف العربية المختلفة التي تعير أهمية لميادين الحياة وأحداثها الشائقة والمثيرة في شؤون المجتمع والعلم والدين والأخلاق والسياسة وغيرها من المثيرات .. وكثيراً ما تكون الكتابة عنها بأقل من صفحة .. والقليل القليل الذي تعداها وبخاصة في الجزء الرابع من الكتاب .

وإذا كان الجزء الأول غنياً بالطرف والنوادر والمرح والهزل التي امتلأ بها الكتاب التراثي الرصين وأحسن المؤلف استحضارها بذوقه التاريخي وحسه الأدبي .. فإن الأجزاء الأخرى أخذت تميل إلى الجد والاتزان والمعلومات والأخبار الهادفة والملتزمة بقضايا العروبة والإسلام ، ومواقف دعاة المسلمين المعاصرين .. وعلى رأسهم : محمد الغزالي ، وعمر التلمساني ، وعلي الطنطاوي ، وغيرهم . فضلًا عما كتبه أعلام الفكر الإسلامي والأدبي في داخل المملكة وخارجها .

وكذلك ازدحم الكتاب ، وبخاصة الجزء الأول ، بالأخبار والنصوص المنتقاة بعناية من الكتب التراثية ، والتي يجد فيها القارىء الكثير مما يروح عن النفس ــ عملًا بالأثر : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلّت عميت ــ كما أنه قد يتخلل الكتاب من آن لآخر شؤون معاصرة محلية وعربية وإسلامية وعالمية .. وكلها مهمة ومثيرة وتدل على أن المؤلف لصيق ومخلص لقضايا أمته ودينه والدعوة الإسلامية .

* من المجلة العربية عدد رجب ١٤١٠ هـ رقم ١٥٠ .



عبدالله محمد الفرعاوي

الرياض في ٢٠ /٤ /١٤١٠ هـ
١٩ /١١ /١٩٨٩ م

الأخ الكريم الأستاذ / صالح بن محمد الزمام المحترم
الرياض : ١٤٣١ هـ ـ ص . ب ١٤٠٥ ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

كتابكم ـ مؤلفكم ـ [نوادر من التاريخ] الجزء الرابع .. وجدته أمامي في مكتبة الوزارة يوم الأربعاء ١٧ /٤ /١٤١٠ هـ وعليه إهداؤكم الكريم لي .. وحين اطلعت عليه سألت الأخ المسئول في المكتبة ، متى وصلكم هذا الكتاب ؟ .. فقال : لا أدري ! وخجلت من نفسي كثيراً أنني لم أبادلكم بتحية شكر على الأقل في وقتها .. وقصة هذا الإهمال يا أخي العزيز هي أن الكتاب فيما يبدو لي وصل إلى مكتبي وأنا غائب فأرسله أحد الزملاء إلى المكتبة ـ مباشرة ـ دون أن أطلع عليه .. وحاولت أن استكشف متى وصل ؟ فلم أجد تاريخاً على الكتاب مع كلمة الإهداء .. ولم أجد على الكتاب نفسه تاريخ الشهر .. ولكنني رأيت تاريخ السنة ١٤١٠ (الطبعة الأولى) على الصفحة الداخلية .

أكرر اعتذاري وخجلي منك ـ بسبب هذا الإهمال الذي لم يكن لي فيه يد ـ يعلم الله ـ وأرجو لك التوفيق الدائم في هذه الأعمال الطيبة .. لقد بدأت أقرأ من بدايته على صفحة (٥) بعنوان ـ تنويه وشكر ـ بعد البسملة لأكتشف ما هو هذا الكتاب ، وفي أي صنف أصنفه .. وصدقني ـ أيها الأخ الكريم ـ أنني لم أنو أن أتجاوز الصفحات الثلاث ، ولكن يعلم الله .. أنني قرأت معظم الكتاب في جلسة واحدة ..

ص . ب : ٢٢٠٨ ـ الرياض ١١٤٥١ ـ المملكة العربية السعودية P.O.Box 2208 - Riyadh 11451 - SAUDI ARABIA

الكاتب
عبد المحسن بن علي المطلق

التاريـــخ : ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ
المحتـــوى : (خطاب/ شكر)

(١)

صنيعٌ(*) نادر.. يا صاحب (النوادر)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد.

كم سررت بهدية جليلة إزدانت بها مكتبتي من الأستاذ الباحث لجامع ماتع "**صالح بن محمد الزمام**" أحد أبناء الأسر العزيزة على أبي يرحم الله، ووآلدينا جميعاً (وأصدقائهم).

ولطالما.. رأيت جزء أو آخر (على تفرّق) لعطائه (نوادر من التاريخ) - ١٢ جزاء - ، حتى أتت لي مجتمعة مرتبة بإخراج بهيٍّ سهل الفتح، ونديّ الطباعة.. أَنيقة متأنّقة، قامت مؤسسة (تاج) على تتويجها بإخراج بديع، يُشكر الطرفين المؤلّف والمؤسسة، على جليل وإحسانٍ من الأول، جمع – تأليف- ، والطرف الآخر .. لجمال مظهر وحُسن إخراج.

المهم.. كم أشكر المصنّف للاهتمام بي، ومن ثمّ الانتظار من شخصي الصغير أمام عمله الكبير، إذ عهد إلي ، أو هو أستشرف أن أُبدي نحو عطائه ما يمكن أن يبلْغ مقام التقييم.

أبا محمد، ما كان لهذا البديع الذي أخذ منك سنين وتجشّم عناء بحثٍ، أن ينظر أو ينتظر لإزجاء من ذي بضاعة مُزجاة يحملها مثلي، لولا توآضع الكبار، الذين

(*) لا غرو، فالصناعة إبداع، وفي الآية رافداً:﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[النمل : ٨٨] لاحظ أين أتى طلب الإتقان مع (صنع).

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب : ٢٥٩٨٥ الريــــاض : ١١٤٦٧
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

(٢)

عُهد منهم التلطّف، من حيث لا يشعرنّ بحُسن التفاتهم أن هناك من دونهم (وهم كثيرون جداً).

ثانياً: أحسنت اختياراً بالصفحة الثالثة – من كلّ جزء- ما أوردته لإبن القيم: (لك أيها القارىء صفوه، وللمؤلف كدره)، لكن أينك من دفع رزق بن عبد الوهاب: (لا يَحسن بكم أن تستفيدوا منّا، ثم تذكرونا ولا تترحموا علينا)، كأنه يومىء لتلاميذه من بعده/

أجزيــه، أو أثــني عليــه، وإن مَــن (أثنــى عليــك) بمــا فعلــت فقــد جــزى

ثم لا عليك أُخرى، أن قال الجاحظ (من ألّف فقد استهدف) أي: أمسى مرمى للسهام، ثم قال (فإن أحسن فقط استعطف، وإن أسأ فقد استقذف) فإني – ومن تقيمي المتواضع- أبشّرك بالأولى، فقليلٌ (اليوم بخاصة):

من ترك دويّاً في الدنيا، وجماليات ما أفائت به قريحة عطائه، وما جدّل.. على كل متلقي، وفوّتت به لأي متربص امتاعاً.. أن يدع ذاك ليغيص في أُتون الكنوز التي تركها السلف، وقد جدّوا فيها.. عسى أن يضع مِن الخلف (ممن يقدّر) كمثلكم، فيقطف من بهيّ ثمارها، وينتقي بين جليل غمارها/

ما يُحسب أن يوضع في اطروحات سهلة التحصيل بين يدي أي مُستْشفٌ منها (الأفكار) والآداب والتربية وحُسن التوجيه..

ويكفيك لنفس مثالهُ (شعر) الشافعي:

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب : ٢٥٩٨٥ الريــــــاض : ١١٤٦٧
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

الكاتب
عبدالمحسن بن علي المطلق

التاريــخ : ٥ / ٥ /١٤٣٧هـ
المحتــوى : (خطاب/ شكر)

(٣)

مــن وعــى التــاريخ في صــدره أضــاف أعمــاراً إلى عمـــره

.. فكيف وأنت مع (الوعي) تدوّن، فتبرُز ما يستحق أن يُملاء على الملاء، ليكون في ميزانكم، مُثقلاً يوم تخفّ أوزان من أسرفوا على أنفسهم، وضيّعوا جملة (أعظم ما يملكون: (الوقت).. من أعمارهم.

.. كما وهو (بإذن الله) دفاع تعذيرٍ لكم وشافع يوم لا تزول به القدم حتى تُسأل به { .. عن علمه ماذا عمل به} ، أنّك حفظته، ومن ثمّ نخلته، فقدّمت – به- ما يستحق أن يُنشر.

.. ويكفيكم ذا العطا الذي تطاول واشمخرّ حتى بلغ اثنا عشر قناً، كل منها حلو عذب النهل فهو كالنخل علوّ القدر، فيما ثمره قريب- سهل- ، كقطوف دانية المُبلّغ من المدارك.

.. أخيراً (إذا.. لو سرحت وراء نيل بغيتي، لم أبلغ ساحل ما يستحق جهدك من ..)، ولو أننا نُهينا عن الإطالة بالمدح، ولكن ببعضه، كي يُعلم أنّنا أُمّة الشكر..

وإلا ما حُمد هذا، ولا ندبنا لذاكا، لولا نصوص، أجلاها { لا يشكر الله من لا يشكر الناس} ، والله أعلم/أن هذا لحكمٍ، أهمها: كي يستمر العطاء، ويزيد النماء.

فـ.. لك من أخيك المحبّ المقدّر لك الجهد ، وكذلك الهدية (الثمينة):

المملكة العربيـة السعودية ـ الرياض
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨

الكاتب
عبد المحسن بن علي المطلق

بسم الله الرحمن الرحيم

التاريـــخ : ٥ / ٥ / ١٤٣٧هـ

المحتــوى : (خطاب/ شكر)

(٤)

الثناء البالغ مما أنتم له أهلٌ، بل أُزجي لك مما هو جميل يسند، في قول د. سعاد الصباح:

" هناك من هم كالورود.. لا يحتاجون عطراً، وكالعيون السود.. لا يحتاجون كحلاً!

.. ولا يضيف لهم الثناء.. مهما كان (مُستطاباً) قيمة أو مقاماً.

إنهم حقاً أكبر من الثناء..

وأسمى من كل كلمات الإطراء..!".

بالذات أن أتى من مثل قلمي، لكنّي .. استلحق/

أن أهم شيء النية - في العمل- ، قال أبو داود الطيالسي: (ينبغي للعالم إذا حرر كتابه أن يكون قصدهُ بذلك نصرة الدين، لا مدحه بين الأقران لحسن التأليف).

ولا أظنكم – حبيبنا، تخفاكم هذه..

ملحظ.. لابد من بسط بعضه/

عالمنا (اليعربي) فيه من الجفاف والغلظة ما يجعل الشكر لا يأتي منه إلا ربما بشقّ الأنفس!، حتى لقد قيل :

مــا قــلّ فينــا النــابغون، وإنمــا عـــدد الأولى قـــدروا النبـــوغ قليــل

المملكة العربية السعودية ـ الرياض
ص.ب : ٢٥٩٨٥ الريـــاض : ١١٤٦٧
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الكاتب
عبد المحسن بن علي المطلق

التاريـــخ: ٥ / ٥ /١٤٣٧هـ

المحتـــوى: (خطاب/ شكر)

(٥)

فـ (لفظة: قليل) لها شاهد، ومن كتاب ربنا رافداً، بل غزير الدلالة حين أنبأ ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ : ١٣] صدق الحق.. سبحانه.

.. وأما التوقير- التقدير- لمن يبذل فهذا بعيد شقته إلا على نزر، نحو ما جاء في قوله تعالى ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] هذا فضلاً أن ينجو الباذل من ألسنتهم الحداد، أقصد من يعمل، وفيما الخامل بنأي عن.. مجمل خطابهم.

ولهذا فصاحب (المعروف) العطاء لا ينجو .. من نقدٍ عام، وإن خلا من نقص (ظاهر شاهر) عند من ينتقد عليه من الله برهان (حجة) في تصويب أو تصحيح، حتى نُسب للغزالي مقالة (نصف الشعب أعداء للحاكم إذا عدل)، يقصد فكيف لو طالهم منه بعض تضعضع عن إيصال الحق؟!

.. أخوكم/

عبد المحسن بن علي المطلق

المملكة العربية السعودية – الرياض
ص.ب: ٢٥٩٨٥ الريـــاض: ١١٤٦٧
جـــوال : ٠٥٥٥٤٥٥٢٩٨
البريد الالكتروني : Mohsn222@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أخي الكريم الاستاذ الأديب / صالح بن محمد الزمام أدام الله توفيقه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

أرجو المولى أن تكون بخير وكافة أفراد الأسرة الفاضله .

تكرمت حفظك الله وأتحفتني بهديتك الثمينه ومؤلفك القيم (نوادر من التاريخ) ويالها من نوادر نادرة بما إشتملت عليه من قصص وحكم وأمثال وطرائف تشجع القارئ وتدفعه لقرائتها ناهيك عن ما تميزت به من طباعة فاخره وأحرف بارزه - ولقد قرأت الأجزاء جميعها فألفيتها أشبه ما تكون بحديقة غناء وواحة فيحاء يجد فيها مرتادها ما يسر ناظره ويريح خاطره ويبهج فؤاده -

ختاماً لك خالص محبتي وصادق مودتي لاعدمتك أباعبد الله ولا عدمك محبوك - دمت هانئاً سعيداً في أمان الله وحفظه ورعايته - والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته مع

أخوك محبك

عبد الرحمن بن ناصر الوهيبي

هاتف / ٠٥٥٦١١٣٣٥٥

الرياض / الجمعه ٢١ ربيع الأول ١٤٣٧هـ

١ / يناير / ٢٠١٦م

وعليك السلام ورحمة الله وبركاته . أبعث للواء الأديب رسالتك هذه حول نوادرك للأديب الأخ محمد الزبحي ليبرزها في الطبعة القادمة وهو المسؤول في مكتبة السادة العبيكان وهذا اللواء المتقاعد قارب الثمانين ويتدفق حيوية ونشاط وسلطانه يده وقلبه ولسانه ودليل نظافة يده خروجه من بيع مشترياته ونزاهة يده وهو حتى اليوم ساكن فلة عادية هنيئاً لنا يا الفلاليح اني به فخور

١ اختبار

أرسل عمر بن هبيرة إلى إياس بن معاوية، فأتاه، فقال له: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، قال: أتفرض الفرائض؟ قال: نعم، قال: أتعرف من أيام العجم شيئًا؟ قال: نعم، قال: أتعرف من أيام العرب شيئًا؟ قال: نعم، أنا بها أعرف، قال: أريد أن أستعين بك على عملي، قال: إن فيَّ خلالًا ثلاثًا لا أصلح معها للعمل، قال: وما هي؟ قال: أنا دميم كما ترى، وأنا حديد، وأنا عيي، قال: أما دمامتك فإني لا أريد أن أحاسن الناس بك، وأما العي، فإني أراك تعبر عن نفسك، وأما الحدة، فإن السوط يقومك، قم قد وليتك، قال: فولاني، وأعطاني مئة درهم، فكانت أول ما تمولته.

٢ الناس والحسد

عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ما من أحد عنده نعمة إلا وجدت له حاسدًا، ولو كان المرء أقوم من القدح لوجدت له غامزًا؛ أي من المستحيل ألا يكون له خصم، فأنت وطِّن نفسك، فلا بد لك من خصوم، ولا بد لك من حساد، حتى إن سيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في المناجاة قال: يا ربِّ، لا تبقِ لي عدوًّا، فقال له: هذه ليست لي يا موسى، أفتطمع ألا يكون لك أي عدو، هذا الطمع في غير محله، لك عدو ولك خصم، ولك حاسد، ولك مبغض، ولك من يطعن بعلمك، ولك من يبخس عملك.

هذا شيء طبيعي جدًّا من أجل أن يكثر أجرك، واعلم أن كل نبي له أعداء، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام:١١٢].

٣ يحسدونه على الصَّلْب

حكى الأحمص قال: كان رجل من أهل البصرة بذيئًا شريرًا، يؤذي جيرانه، ويشتم أعراضهم، فأتاه رجل، ونصحه، فقال له: ما بال جيرانك يشكونك؟ قال:

إنهم يحسدونني، قال له: على أي شيء يحسدونك؟ قال: على الصلب، قال: وكيف ذاك؟ قال: أقبلْ معي، فأقبلَ معه إلى جيرانه، فقعد متحازنًا، فسأله عن سبب حزنه؟ فقال: طرق الليلة كتاب معاوية أن أُصلَب أنا ومالك بن الحذر وفلان وفلان، وذكر رجالًا من أشراف البصرة، فوثبوا عليه، وقالوا له: يا عدو الله، أنت تُصلَب مع هؤلاء لا كرامة لك؟ والتفت إلى الرجل، وقال: أما تراهم قد حَسَدُوني على الصلب، فكيف لو كان خيرًا؟!

٤ يتماوت من أجل لبن

روى الأصمعي قال: كنت عند رجل من ألأم الناس وأبخلهم، وكان عنده لبن كثير، فسمع به رجل ظريف، وقال: لأموت أو أشرب من لبنه، فأقبل مع صاحب له، حتى إذا كان بباب صاحب اللبن تغاش، وتماوت، فقعد صاحبه عند رأسه يسترجع، فخرج إليه صاحب اللبن، فقال: ما باله يا سيدي؟ قال: هذا سيد بني تميم أتاه أمر الله ها هنا، وكان قد قال لي: اسقِني لبنًا.

قال صاحب اللبن: هذا هيّن موجود، ائتني يا غلام، بعلبة من لبن، فأتاه بها، فأسنده صاحبه إلى صدره، وسقاه حتى أتى عليها، ثم تجشأ، فقال صاحبه لصاحب اللبن: أترى هذه الجشأة رائحة الموت؟! قال له: أماتك الله وإياه، وفطن إلى أنها خدعة.

٥ قد أجزت، قد أجزت

كان لرجل أربع نسوة، فدخل عليهن يومًا، فوجدهن متلاحيات متنازعات، فقال: إلى متى هذا التنازع؟ ما أخال هذا الأمر إلا من قِبَلك، يقول ذلك لامرأة منهن: اذهبي، فأنت طالق، فقالت له صاحبتها: عجّلت عليها الطلاق، ولو أدبتها بغير ذلك لكنت حقيقًا، فقال لها: وأنت طالق، فقالت الثالثة: قبحك الله، فوالله

لقـد كانتا إليك محسـنتين وعليك مفضـلتين، فقـال: وأنت أيتهـا المعددة، طالق أيضًا، فقالت له الرابعة، وكانت هلالية وفيها أناة شديدة: ضاق صدرك على أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق؟ فقال لها: وأنت أيضًا طالق.

وكان ذلك بمسمع جارة له، فأشرفت عليه، وقد سمعت كلامه، فقالت: والله ما شـهدت العرب عليك وعلى قومك بالضـعف إلا لما بلـوه منكم، ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نسـائك في سـاعة واحدة، فقال: وأنت أيتها المؤنبة المتكلفة، طالق إن أجاز زوجك، فأجابه من داخل بيته: قد أجزت، قد أجزت.

٦ حلم لم يتحقق

حُكِي أن ناسـكًا كان له سـمن في جرة معلقة على سـريره، ففكر يومًا، وهو مضـطجع على السـرير وبيده عكاز، فقال: أبيع الجرة بعشـرة دراهم، وأشتري بها خمس عنزات، فأولدهن بكل سـنة مرتين، فيبلغ النتاج في عشر سنين مئتين، فأبيعهـن، فأبتاع بكل عشـر بقـرة، ثم ينمو المال بيـدي، فأبتاع العبيـد والإماء، ويولد لي ولد، فإن عصاني ضربته بهذه العصا، وأشار بالعصا، فأصاب الجرة، فانكسرت، وصبّ السمن على وجهه ورأسه.

٧ ميزان الله

عـن أبـي العباس سـهل بن سـعد السـاعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: مر رجـل على النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقـال لرجل عنده جالس: «**ما رأيك في هـذا؟**» فقال: رجل من أشراف الناس، هذا والله حريّ إنْ خَطَبَ أن يُنكح، وإن شَفَعَ أن يُشفّع. فسكت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثـم مر رجل آخر، فقال له رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما رأيك في هذا؟**» فقال: يا رسول الله، هذا رجل من فقراء المسلمين، هذا حريّ إن خطب ألا

يُنكح، وإن شُـفّع ألا يُشفّع، وإن قال ألا يسمع لقوله، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا خير من ملء الأرض مثل هذا**»[1]. متفق عليه.

٨ أعرابية تنصح ابنًا لها مسافرًا

قال أبان بن ثعلب: شـهدت أعرابية توصـي ولدًا لها أراد السفر، وهي تقول: أي بني، اجلس أمنحك وصيتي، وبالله توفقيك، قال أبان: فوقفت مستمعًا لكلامها مستحسنًا لوصيتها، فإذا هي تقول: أي بني، إياك والنميمة؛ فإنها تزرع الضغينة، وتفرّق بين المحبين، وإياك والتعرض للعيوب، فتتخذ غرضًا، وإياك والجود بدينك والبخل بمالك، وإذا هززت فاهزز كريمًا يلن لهزتك، ولا تهزز اللئيم، فإنه صخرة لا ينفجر ماؤها، ومثل بنفسـك مثل غيرك، فما استحسـنت من غيرك فاعمل به، وما استقبحت من غيرك فاجتنبه، فإن المرء لا يرى عيب نفسه.

٩ الإمام علي يصف القرآن الكريم

«اعلمـوا أن هذا القرآن هو الناصـح الذي لا يغشّ، والهادي الذي لا يضـل، والمحـدث الـذي لا يكذب، ومـا جالس هـذا القرآن أحـد إلا قام عنـه بزيادة أو نقصـان، زيادة في هدى ونقصـان من عمى، اعلمو أنه ليس على أحد بعد القرآن مـن فاقـة، ولا لأحد قبل القرآن في غنى، فاستشـفوا من أدوائكم، واسـتعينوا به على لأوائكم، فإن فيه شـفاءً من أكبر الداء، وهو الكفر والنفاق والغي والضلال، فاسـألوا الله به، وتوجهوا إليه بحبه، ولا تسـألوا به خلقه إنه ما توجه العباد إلى الله تعالى بمثله، واعلموا أنه شافع مُشفّع، وقائل مصدق، وأنه من شفع له القرآن يوم القيامة صُدّق عليه».

عن كتاب الإمام علي لمحمد رضا.

---

(١) أخرجه البخاري (٩٥/٨ رقم٦٤٤٧).

١٠ الجاحظ وابن أبي دؤاد

كان الجاحظ مائلًا عن ابن أبي دؤاد إلى محمد بن عبدالملك الزيات، فلما نكب محمد بن عبدالملك أدخل الجاحظ على ابن أبي دؤاد مقيدًا، فقال له ابن أبي داؤد: والله ما أعلمك إلا متناسيًا للنعمة كفورًا للضيعة معددًا للمساوئ، فقال الجاحظ: خفض عليك أصلحك الله، فوالله لأن يكون لك الأمر علي خَيْرٌ مِنْ أن يكون لي عليك، ولأن أسيء، وتحسن أحسن في الأحدوثة من أن أحسن فتسيء، ولأن تعفو عني على حال قدرتك علي أجمل بك من الانتقام، فعفا عنه.

١١ في أي شيء كنا منذ الصباح؟

كان في بغداد رجل قد ركبته ديون كثيرة وهو مفلس، فأشار القاضي بألا يقرضه أحد شيئًا، ومن أقرضه يصبر عليه، ولا يطالبه بدينه، وأمر القاضي أعوانه بأن يطوفوا بالرجل في الأسواق ليعرفه الناس، ويتحرزوا من معاملته، فاستأجر الرجل بغلًا يركبه لهذه المهمة، فلما فرغ من الطواف في البلد، ووصل إلى باب داره، وأراد أن ينزل، قال له صاحب البغل: أعطِني أجرة بغلي.

فقال له: يا أحمق، في أي شيء كنا منذ الصباح؟!

١٢ أطلق الظبية من أجل ليلى

دخل كُثيّر يومًا على عبدالملك بن مروان، فقال: نشدتك هل رأيتَ أعشقَ منك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لو سألتني بحقك لأخبرتك، نعم، بينما أنا أسير في بعض الفلوات إذا أنا برجل قد نصب حبائله، فقلت له: ما أجلسك ههنا؟ قال: أهلكني وأهلي الجوع، فنصبت حبائلي لأصيب لهم ولنفسي ما يكفينا

سحابة يومنا، قلت: أرأيتَ إن أقمتُ معك، فأصبنا صيدًا، أتجعل لي منه جزءًا؟ قال: نعم. فبينما نحن كذلك إذ وقعت ظبية، فخرجنا مبتدرين، فأسرع إليها، فحملها، وأطلقها: فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: دخلتني لها رِقّة لشبهها بليلى، وأنشد يقول:

أيا شبهَ ليلى لا تراعِي فإنَّني   لكِ اليومَ مِنْ وحشيّةٍ لصديقُ

أقولُ وقد أطلقتُها من وثاقِها   لأنتِ لليلى ما حييت طليقُ

١٣ اللذات ثمانٍ

قال المأمون للحسن بن سهيل: نظرت في اللذات، فوجدتها كلها مملولة سوى سبع. قال: وما هي يا أمير المؤمنين؟ قال:

خبز الحنطة، ولحم الغنم، والماء البارد، والثوب الناعم، والرائحة الطيبة، والفراش الوطيء، والنظر إلى الحَسَن. قال: فأين أنت يا أمير المؤمنين، من محادثة الرجال؟ قال: صدقت، وهي أولاهن!

١٤ من أمثال العرب وحكمهم

إنك لا تجني من الشوك العنب - إياك أن تضرب بلسانك عنقَك - الخيل أعرف بفرسانها - سبَّك من بلغَّك السبَّ - ظاهر العتاب خيرٌ من باطن الحقد - كل كلب ببابه نبّاح - كلب جوّال خيرٌ من أسد رابض - لكل صارم نَبْوَة ولكل جواد كَبْوة - رُبَّ عين أنمَّ من لسان - إذا أتاك أحد الخصمين وقد فُقِئَتْ عينه فلا تقضي له حتى يأتيك خصمه، فلعله فُقِئَتْ عيناه.

١٥ من أقوال الحكماء

إذا سألت كريمًا حاجة فدعه يفكر، فإنه لا يفكر إلا بخير، وإذا سألت لئيمًا حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ألا تفعل.

- مـن كـثرت نعم الله عليه كثرت حوائـج الناس إليه، فـإن قام بما يجب لله فيها عرضـها للدوام والبقاء، وإن لم يقم فيها بما يجب لله عز وجل عرضها للزوال ونفسه لمذمة الناس.
- خير ما اكتسب المرء الإخوان، فإنهم معونة على حوادث الزمان ونوائب الحدثان وعون في السراء والضراء.
- أحـق الإخـوان ببقاء المـودة من لا يملـك على القرب، ولا ينسـاك على البعـد، وإن دنوت منه دانـاك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن اسـتعنت به عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله.
- فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها.
- البراطيل تنصر الأباطيل (البرطيل الرشوة).
- العاقـل مـن عقله في إرشـاد ورأيه في إمداد فقوله سـديد وفعله حميد، والجاهل من جهله في إغراء، فقوله سقيم وفعله ذميم.

١٦ كرم حاتم الطائي

كانـت امرأة حـاتم بن عبدالله الطائي ماوية بنت عفـير، وكانت تلومه على إتـلاف المـال، فلا يلتفـت إليها وقولهـا، وكان لها ابن عم يقال لـه: مالك، فقال لهـا يومًا: ما تصـنعين بحاتم، فوالله إن وجد مالاً ليتلفنّـه، وإن لم يجد ليتكلفنّ،

ولئن مات ليتركنّ أولاده عالة على قومك، فقالت ماوية: صدقت إنه كذلك، وكانت النساء يطلقن الرجال في الجاهلية، وكان طلاقهن أن يكنّ في بيوت من شَعْر، فإن كان باب البيت من قبل المشرق حولته إلى المغرب وهكذا، فإذا رأى الرجل ذلك علم أنها طلقته، فلم يأتِها، ثم قال لها مالك ابن عمها: طلقي حاتمًا، وأنا أتزوجك، وأنا خير لك منه وأكثر مالًا، وأميل عليك وعلى ولدك، فلم يزل بها حتى طلقته، فأتاها حاتم، وقد حولت باب الخباء، فقال حاتم لولده: يا عدي، أما ترى ما فعلت أمك؟ فقال: قد رأيت ذلك، فأخذ ابنه، وهبط بطن وادٍ، فنزل فيه، فجاءه قوم، فنزلوا على باب الخباء كما كانوا ينزلون، وكان عدتهم خمسين، فضاقت بهم ماوية ذرعًا، وقالت لجاريتها: اذهبي إلى ابن عمي مالك، وقولي له: إن ضيوفًا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلًا، فأرسل إلينا بشيء نقريهم ولبن نسقيهم، فأيقظته الجارية، وأبلغته الرسالة، وقالت له: إنما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم، فلطم رأسه بيده، وضرب بلحيته، وقال: أقرئيها السلام، وقولي لها: هذا الذي أمرتك أن تطلقي حاتمًا من أجله، وما عندي لبن يكفي أضياف حاتم، فرجعت الجارية، فأخبرتها بما رأت، وبما قال لها، فقالت: اذهبي إلى حاتم، وقولي له: إن أضيافك قد نزلوا بنا الليلة، ولم يعلموا مكانك، فأتت الجارية حاتمًا، وصاحت به، فقال: لبّيك قريبًا دعوت، فأخبرته بما جاءت بسببه، فقال: حبًّا وكرامة، ثم قام إلى الإبل، فأطلق اثنتين من عقالهما، وصاح بهما حتى أتيا الخباء، ثم ضرب عراقيبهما، فطفقت ماوية تصيح: هذا الذي طلقتك بسببه تترك أولادنا، وليس لهم شيء، فقال: ويحك يا ماوية، الذي خلقهم، وخلق الخلق متكفل بأرزاقهم.

١٧ يسقط الراء في كلامه

كان واصل بن عطاء رئيس المعتزلة متكلمًا بليغًا، وكان يسقط الراء في جميع كلامه؛ لأنه كان ألثغ (لا يستطيع نطق الراء)، فلما سمع أن بشار بن برد قد هجاه في مجلس الخليفة المأمون قال: أما لهذا الأعمى الملحد المشنف المكتنى بأبي معاذ

مـن يقتله؟ والله لولا أن الغيلة من سـجايا الغالية لبعثت إليـه من يبعج بطنه في جوف منزله، ولا يكون إلا سدوسـيًّا أو عقيليًّا، فانظر إليه حيث قال الأعمى، ولم يقـل الضـرير، وقال الملحد ولم يقـل الكافر، وقال المشـنف لم يقل المرعث، وقال المكتنـى بأبي معاذ ولم يقل بشـارًا ولا ابن برد، وقـال الغالية ولم يقل المقيرية ولا المنصورية، وقال لبعثت ولم يقل لأرسلت، وقال يبعج ولم يقل يبقر، وقال في جوف منزله، ولم يقل في عقر داره، وقال بعض الشعراء في بلاغته:

ويجعل البر قمحًا في تصرّفه	**وخالفَ الراءَ حتى احتالَ للشعرِ**
ولم يطقْ مطرًا والقولُ يعجلُه	**فعاذَ بالغيثِ إشفاقًا منَ المطرِ**

١٨ تعدد الزوجات

سـئل المغيرة بن شـعبة عن تعدد الزوجات؟ فقال: صـاحب المـرأة الواحدة عليل، وإن مرضت مرض معها، وإن حاضت حاض معها، وإن صامت صام معها، أمـا صـاحب الاثنتين فهو بين جمرتـين أيتهما أدركته أحرقته، وصـاحب الثلاث يبيت كل ليلة في قرية، وصاحب الأربع عروس كل ليلة.

١٩ امتنعت لترعى أيتامها

ذكر أن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لو تزوجت أم هانئ بنت أبي طالب، فقد جعل الله لها قرابة، وتكون صـهرًا أيضًـا؟ فخطبها رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقالت: لهو أحب من سمعي وبصـري، ولكن حقه عظيم ولدي أيتام، فإن قمت بحقه خفت أن أضيّع أيتامي، وإن قمت بحقهم قصرت عن حقه، فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناها على ولد في صغره، وأرعاها على بعل في ذات يده**»[١].

(١) أخرجه البخاري (٦٦/٧ رقم٥٣٦٥)، ومسلم (١٩٥٨/٤ رقم٢٥٢٧).

٢٠ جواب شافٍ

قدم هشــام بن عبدالملــك حاجًّا في أثناء خلافته، فقــال: ائتوني برجل من الصحابة، فقيل: قد تفانوا، قال: فمن التابعين، فأتوا بطاوس اليماني، فلما دخل عليه خلع نعله بحاشــية بساطه، ولم يســلم عليه بإمرة المؤمنين، بل قال: السلام عليك، ولم يكنّه، وقال: كيف أنت يا هشــام؟ فغضــب هشام غضبًا شديدًا، وقال: يا طاوس، ما الذي حملك على ما صــنعت؟ فقال: وما صــنعت؟ فازداد غضــبه، وقال: خلعت نعلك بحاشــية بســاطي، ولم تســلم علي بإمرة المؤمنين، ولم تكنّني، وقلت: كيف أنت يا هشــام؟ فقال طاوس: أما خلع نعلي بحاشــية بســاطك، فإني أخلعهــا بــين يدي رب العــزة كل يوم خمس مرات، فلا يغضــب علــي لذلك، وأما قولك لم تسلم عليَّ بإمرة المؤمنين، فليس كل الناس راضين بإمرتك، فكرهت أن أكذب، وأما قولك: لم تكنني، فإن الله سمى أولياءه، فقال: يا داود، ويا يحيى، ويا موسى، وكنى أعداءه، فقال: تبت يدا أبي لهب.

٢١ حسن تصرف

كان أبوبكر محمد بن العباس الخوارزمي شاعرًا مجيدًا وكاتبًا لامعًا، وكانت بينه وبين الصاحب بن عباد جفوة؛ لأن الخوارزمي قد هجاه، حيث قال:

لا تمدَحنَّ ابنَ عبّادٍ وإنْ مَطرتْ ... كفّاه جُوداً ولا تذمُمهُ إنْ زَرِما

كلاهُما خطراتٌ من وساوِسه ... يُعطي ويمنعُ لا بخلاً ولا كَرما

وفي بعض الأيام قصــد الخوارزمي الصــاحب بن عباد وهــو بأرجان، فلما وصــل إلى بابه قال لأحد أصــحابه: قل للصــاحب: على الباب أحد الأدباء، وهو يســتأذنك بالدخول، فدخل الحاجب، وأعلمه، فقال الصاحب: قل له: قد ألزمت

نفسي ألّا يدخل علي من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب، فخرج إليه الحاجب، وأعلمه بذلك، فقال له الخوارزمي: ارجع إليه، وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ ودخل عليه الحاجب، وأعاد عليه ما قاله، فقال الصاحب: هذا لا يكون إلا أبا بكر الخوارزمي، فأذن له بالدخول.

٢٢ عمر وتخصيص المسؤولية

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرة: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأتِ أبيّ بن كعب، ومن أراد أن يسأل عن الفرائض فليأتِ زيد بن ثابت، ومن أراد أن يسأل عن الفقه فليأتِ معاذ ابن جبل، ومن أراد أن يسأل عن المال فليأتني. فإن الله قد جعلني له خازنًا وقاسمًا[1].

٢٣ ثالثهم أشعرهم

اجتمع جرير والفرزدق والأخطل وهم ثلاثة من رؤساء الشعر في مجلس عبدالملك بن مروان، فأحضر لهم رهانًا من المال، وقال: ليقل كل واحد منكم بيتًا في مدح نفسه، وأيكم غلب، وظفر فله هذا الرهان، فبادر الفرزدق، وقال:

أنا القطرانُ والشعراءُ جَرْبَى ... وفي القطرانِ للجَرْبَى شفاءُ

وقام الأخطل، وقال:

فإنْ تكُ زِقَّ زاملةٍ فإنِّي ... أنا الطاعونُ ليسَ له دواءُ

ثم نهض جرير، وقال:

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (٦/٢١٠ رقم١٢٥٥١)، والحاكم (٣/٢٧٢-٢٧٣ رقم٥١٩١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

أنـا المـوتُ الَّـذي آتٍ عليكمْ فـليسَ لـهـاربٍ مـنـكمْ نَجـاءُ

فقال له عبد الملك: لك الرهان غلبت خصميك، فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء.

٢٤ أب يعظ ابنه

كان صالح اللخمي الدمشقي شاعرًا وحكيمًا، وقد ذكر عنه أنه وعظ ابنه مرة، وقال:

«يا بني، إذا مر بك يوم وليلة قد سلم فيهما دينك وجسمك ومالك فأكثر الشكر لله تعالى، فكم من مسلوب دينه، ومنزوع ملكه، ومهتوك سره، ومقصوم ظهره في ذلك اليوم، وأنت في عافية».

٢٥ غلام يخدع المغيرة بن شعبة

قال المغيرة بن شعبة: ما خدعني أحد قط غير غلام من بني كعب، فقد ذهبت لخطبة امرأة منهم، فقال لي: أيها الأمير، لا خير لك فيها، إني رأيت رجلًا قد خلا بها يقبلها، فلما سمعت هذا عدلت عن الخطبة، ثم بلغني بعد ذلك أنه تزوجها، فأرسلت إليه، فقلت: ألم تقل لي: إنك رأيت رجلًا يقبّلها؟ فردّ عليَّ: بلى، رأيت أباها يقبّلها![1].

---

(١) أخرجه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (٦/١٠٩ رقم٢٤٣٥)، وضعف سنده محققه: مشهور حسن.

٢٦ أهل الإلهام والمكاشفة

قال الإمام ابن تيمية: ليس في المحدثين الملهمين أفضل من عمر كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنه قد كان في الأمم قبلهم محدَّثون، فإن يكن في أمتي منهم أحد فعمر منهم**»[١].

وقد وافق عمر ربه في أشياء عدة، ومع هذا، فكان عليه أن يعتصم بما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يقبل ما يرد عليه حتى يعرضه على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا يتقدم بين يديَّ الله ورسوله، بل يجعل ما ورد عليه إذا تبين له من ذلك أشياء خلاف ما وقع له، فيرجع إلى السنة، وكان أبوبكر يبين له أشياء خفيت عليه، فيرجع إلى بيان الصديق وإرشاده وتعليمه، كما جرى يوم الحديبية، ويوم مات الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويوم ناظره في معاني الزكاة وغير ذلك. وكانت المرأة التي ترد عليه ما يقوله، وتذكر الحجة من القرآن، فيرجع إليها كما جرى في مهور النساء، ومثل هذا كثير، فكل من كان من أهل الإلهام والخطاب والمكاشفة لم يكن أفضل من عمر، فعليه أن يسلك سبيله في الاعتصام بالكتاب والسنة تبعًا لما جاء به الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يجعل ما جاء به الرسول تبعًا لما ورد عليه، وهؤلاء الذين أخطؤوا، وضلوا وتركوا ذلك، واستغنوا بما ورد عليهم، وظنوا أن ذلك يغنيهم عن اتباع العلم المنقول، وصار أحدهم يقول: أخذوا علمهم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت، فيقال له: أما ما نقله الثقات عن المعصوم فهو حق، ولولا النقل المعصوم لكنت أنت وأمثالك إما من المشركين، وإما من اليهود والنصارى، وأما ما ورد عليك فمن أين لك أنه وحي من الله؟ ومن أين لك أنه ليس وحيًا من الشيطان؟ والوحي وحيان: وحي من الرحمن، ووحي من الشيطان، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ [الأنعام:١٢١]، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/١٨٦٤ رقم٢٣٩٨).

إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾، [الأنعام:١١٢] وقال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء:٢٢١]وقد كان المختار بن أبي عبيد من هذا الضرب، حتى قيل لابن عمر وابن عباس، قيل لأحدهما: إنه يقول: إنه يوحى إليه، فقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام:١٢١] وقيل للآخر: إنه يقول: إنه ينزل عليه، فقال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ [الشعراء:٢٢١].

٢٧ رد مقنع

كان بعض السقائين ينشد في أثناء سيره وهو حامل قربته قول الشاعر:

وأكـرمُ نفسِي إنَّنِي أهنتُها وحقّكَ لم تُكرمْ علَى أحدٍ بعدِي

وسمعه الأصمعي، وأراد المزاح معه، فقال له: وعن أي شيء أكرمت نفسك وهذه حرفة دنيئة؟ فأجاب السقاء في الحال: إنني أكرمتها عن ذل السؤال وعن الوقوف على باب لئيم مثلك... فأسكته بجوابه هذا.

٢٨ صفات الرجل الحق

قال الإمام الجرجاني:

يقولون لي فيك انقباض وإنما رأوا رجلًا عن موقف الذُّل أحجما

أرى الناسَ من داناهُمُ هانَ عندهمْ ومَنْ أكرمَتْه عزةُ النفسِ أُكرِما

وما زلتُ منحازًا بعرضيَ جانبًا من الذمِّ أعتدُّ الصيانةَ مَغنما

إذا قيل هذا منهلٌ قلتُ قد أرى ولكنَّ نفسَ الحرِّ تحتملُ الظَّما

وما كلُّ برقٍ لاحَ لي يستفزُّني ولا كلّ أهلِ الأرضِ أرضاه منعما

وأقبضُ خطوي عن حظوظٍ كثيرةٍ إذا لم أنلْها وافرَ العرضِ مُكرما

وأكـرمُ نفسي أن أضاحِكَ عابسًا ... وأنْ أتـلـقَّـى بـالمديـحِ مُـذمَّمـا
ولم أقضِ حقَّ العلمِ إنْ كانَ كلَّما ... بـدا طـمـعٌ صـيّرتُـه لي سُـلّـمًا
ولم أبتذلْ في خدمةِ العلمِ مهجتي ... لأخـدمَ مَـنْ لاقيتُ لكنْ لأُخدما
أأشـقـى بـه غـرسًـا وأجـنـيـه ذلَّـةً ... إذن فاتباعُ الجهلِ قد كانَ أحزما
ولـو أنَّ أهلَ العلمِ صانوه صانَهم ... ولـو عظَّـمُوه في النفوسِ لعُظِّما
ولـكـنْ أهـانُـوه فـهـانُـوا ودنَّـسُـوا ... مُحيّاه بالأطمـاعِ حتّـى تجهَّما

٢٩ العفة في المحبة

خرج عثمان الضحاك يريد الحج، فنزل بخيمة، فإذا بجارية جالسة على باب الخيمة، فأعجبه حسنها، فتمثل بقول نصيب:

بزينبَ أُلمُ قبلَ أنْ يرحلَ الرَّكبُ ... وقلْ: إنْ تملِّينا فَما ملكَ القلبُ

فقالت: يا هذا، أتعرف قائل هذا البيت؟ قال: بلى، وهو نصيب، فقالت: أتعرف زينبه؟ قال: لا. قالت: أنا زينبه، قال: حياك الله، قالت: أما والله إن اليوم موعده، وعدني العام الأول بالاجتماع في هذا اليوم، فلعلك لا تبرح حتى تراه.

قال: فبينما هي تكلمني إذا أنا براكب.. قالت: ترى ذلك الراكب؟ قلت: نعم، قالت: لأحسبه إياه.. فأقبل، فإذا هو نصيب، فنزل قريبًا من الخيمة، ثم أقبل فسلم، ثم جلس قريبًا منها، فسألته أن ينشدها فأنشدها، فقلت في نفسي: محبان قد طال التنائي بينهما، فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة، فقمت إلى بعيري لأشد عليه، فقال نصيب: على رسلك – أي على مهلك – إني معك. فجلست حتى نهض معي، فسرنا، وتسامرنا، فقال لي: أقلت في نفسك محبان التقيا بعد طول تناءٍ، فلا بد أن يكون لأحدهما إلى صاحبه حاجة؟

قلت: نعم، قد كان ذلك. قال: ورب هذا البيت منذ أحببتها ما جلست منها مجلسًا أقرب مني إليها من مجلسي هذا، فتعجبت لذلك، وقلت: والله هذه هي العفة في المحبة.

٣٠ تكره منه مثل ما يكره منها

مر رجل أشمط بامرأة عجيبة في الجمال، فقال: يا هذه، إن كان لك زوج فبارك الله لك فيه وإلا فأعلمينا، فقالت: كأنك تخطبني؟ قال: نعم، فقالت له: إن فيَّ عيبًا، قال: وما هو؟ قالت: شيب في رأسي، فثنى عنان دابته، فقالت: على رسلك، فلا والله ما بلغت عشرين سنة، ولا رأيت في رأسي شعرة بيضاء، ولكني أحببت أن أعلمك أني أكره منك مثل ما تكره مني، فأنشد يقول:

رأينَ الغواني الشيبَ لاحَ بمَفْرِقي   فأعرضنَ عنِّي بالخدودِ النواضرِ

٣١ بين هرقل ومعاوية

يُروى أن هرقل ملك الروم كتب إلى معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسأله الشيء ولا شيء، وعن أربعة فيهم الروح، ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء، وعن رجل لا أب له، وعن رجل لا أم له، وعن قوس قزح ما هو، وعن شجرة تنبت من غير ماء، وعن شيء تنفس ولا روح له، وعن اليوم وأمس وغد؟ فأجاب معاوية بعد أن حصل على رد ابن عباس عن (هذه الأسئلة) قال: أما الشيء فالماء، إذ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء:٣٠] وأما لا شيء فإنما الدنيا تبيد وتفنى، وأما الأربعة الذين فيهم الروح، ولم يركضوا في أصلاب الرجال وأرحام النساء فآدم وحواء وناقة صالح وكبش إسماعيل، وأما الرجل الذي لا أب له فالمسيح، وأما الرجل الذي لا أم له فآدم، وأما قوس قزح

فأمان من الله لعباده من الغرق، وأما الشجرة التي تنبت من غير ماء فشجرة اليقطين التي أنبتها الله تعالى على يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأما الشيء الذي تنفس بلا روح فالصبح، وقد قال تعالى: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير:١٨]، وأما اليوم فعمل وأمس فمثل وغد فأجل، وبعد غد فأمل.

٣٢ كيف ينقلب مديح الناس ذمًّا؟

قال بعض الحكماء: ما من خلّة هي للغني مدح إلا وهي للفقير ذم وعيب، فإن كان الفقير شجاعًا سُمي أهوج، وإن كان مؤثرًا سُمي مفسدًا، وإن كان حليمًا سُمي ضعيفًا، وإن كان وقورًا سُمي بليدًا، وإن كان صموتًا سُمي عييًّا، قال عبدالله ابن كثير:

النـاسُ أتبـاعُ مَـنْ دامـتْ لَـه نِعمٌ   والـويـلُ للمرءِ إنْ زلَّـتْ به القَـدَمُ

وقال آخر:

أرَى الـنّـاسَ قـدْ ذهـبُـوا   إلَـى مَـنْ عـنـدَه ذهـبُ

أرَى الـنـاسَ قـدْ مـالُـوا   إلَـى مَـنْ عـنـدَه مـالُ

٣٣ لا تتسرّع في الحكم

قال الشعبي: كنت جالسًا عند شريح القاضي، إذ دخلت علينا امرأة تشتكي زوجها وهو غائب، وتبكي بكاءً شديدًا، فقلت: أصلحك الله ما أراها إلا مظلومة مأخوذًا حقها، قال: وما علمك؟ قلت: لشدة بكائها وكثرة دموعها، قال: لا تفعل إلا بعد أن تتبيّن الأمر، فإن إخوة يوسف جاؤوا أباهم يبكون وهم له ظالمون.

٣٤ أفضل الخيل

سأل معاوية بن أبي سفيان صعصعة بن ضوحان: أي الخيل أفضل؟ فقال: الطويل الثلاث والعريض الثلاث والصافي الثلاث قال: فسِّر لنا هذا؟ قال: أما الطويل الثلاث: فالأذن والعنق والحزام، والعريض الثلاث: فالجبهة والمنخر والورك، والصافي الثلاث: فالأديم والعين والحافر.

٣٥ فضح نفسه

قال أبودلامة: كنت مع مروان بن محمد أيام الضحاك الحروري، فخرج فارس منهم، فدعا إلى المبارزة، فخرج إليه رجل فقتله، ثم ثانٍ فقتله، ثم ثالث فقتله، فانقبض الناس عنه، وجعل يدنو، ويهدر كالفحل، فقال مروان: من يخرج إليه وله عشرة آلاف؟ قال: ولما سمعت العشرة آلاف هانت عليَّ الدنيا، وسخوت بنفسي في سبيل عشرة آلاف، وبرزت إليه، فإذا عليه فرو قد أصابه المطر، فابتل، ثم أصابته الشمس، فانقبض، وله عينان تتقدان كأنهما جمرتان، فلما رآني فهم الذي أخرجني، فأقبل نحوي وهو يرتجز، ويقول:

وخارج أخرجه حب الطمع

فرّ من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجع

فلما رأيته قنعت برأسي، ووليت هربًا، فقال مروان: من هذا الفاضح نفسه؟ فدخلت في غمار الناس.

٣٦ أجاره وأجزل له في العطاء

أهدر المهدي دم رجل من أهل الكوفة كان يسعى في فساد دولته، وجعل لمن دله عليه أو جاء به مئة ألف درهم، فاستجار الرجل بمعن بن زائدة، فعلم المهدي أنه عند معن، فأرسل في طلبه، فلما مثل بين يدي المهدي قال: يا معن، تجير عليَّ؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: ونعم، أيضًا؟ اشتد غضبه، وزمجر، فقال معن: يا أمير المؤمنين، قتلت في طاعتكم باليمن في يوم واحد خمسة عشر ألفًا، ولي أيام كثيرة قد تقدم فيها بلائي، فما رأيتموني أهلًا أن تهبو إليّ رجلًا واحدًا، قال معن: فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله، فيكون قد أحياه وأغناه، قال: أمرنا له بخمسة آلاف درهم، قال معن: يا أمير المؤمنين، أن يصله فيكون قد أحياه وأغناه، قال: قد أمرنا له بخمسة آلاف درهم، قال معن: يا أمير المؤمنين، إن صلات الخلفاء تكون على قدر جنايات الرعية، وإن ذنب الرجل عظيم، فأجزل له الصلة، قال: قد أمرنا له بعشرة آلاف، قال: فتعجلها يا أمير المؤمنين، فإن خير البر عاجله.

٣٧ البر يبقى لك ولولدك

روى لنا ابن عمنا الأستاذ أيوب بن فهد الزمام فيما يرويه عن العم عبدالرحمن يقول: إن الجد سالم الزمام - قدس الله روحه، ونوّر ضريحه - ذهب ذات يوم إلى مرعى إبله خارج بلدتنا الربيعية، ولم يجد الإبل في مرعاها، وتتبع أثرها وجَدّ به السير وهو في يوم قائظ، وغرّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوته وفتوته، ولكن الأمر طال عليه، وأخذ منه التعب كل مأخذ قبل أن يجد الإبل، يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كدت أهلك من العطش، أما الجوع فكان جسمي يتحمله، فسلمت أمري إلى الله، واضطجعت تحت ظل شجرة لا أقدر على شيء، ودعوت الله وأنا مضطر إلى

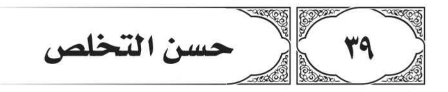
رحمــة اللطيــف الخبير، وبينمــا أنا بين اليقظــة والمنام إذا بإنــاء يُمدّ لي مملوء باللــبن، ولا أتبين مَــنْ مدّه، ولكن رأيت الإناء، وإذا هو شــبيه بإنــاء والدتي التي تملؤه لنا نتصــدق به على المحتاج، والله والقســم للجد سالم يقول: إنني أخذته، وشــربته كله حتى تجشــأت اللبن، وقمت من فوري بأقوى قوتــي، وتتبعت أثر إبلي حتى وجدتها، وأعدتها إلى مزرعتي بالربيعية، وما أحسست بالجوع بعدها أبدًا.

أقول:

الجد ســالم الزمام أعطاه الله بســطة في الجســم، يروي لي الصــديق علي العليان أنه يتجاوز المترين طولاً، وأنه يمشــي وكأنه راكب من طوله، وبلغ عمره مئة وأربعين عامًا، ذكر ذلك الخال محمد العبدالرحمن البازعي، ويقول العم إبراهيم: إنــه غرس النخل وهو في الســبعين، وقال له الأمير حســن المهنــا، وكان من أقرب أصــدقائه: بعد الســبعين غرس يا أبو زمام؟، قال: أرجــو الله أن يمد لي في العمر المقبل مثل الذي مضى لي، وأعطاه الله ذلك، رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وجمعنا به في دار كرامته.



امتدح ابنُ قتادةَ جعفرَ بنَ ســليمانَ، فأمــر له بمئة ناقة، فقبّل يده، وقال: والله ما قبّلت يد قرشي غيرك إلا واحدًا، فقال: أهو المنصور؟ قال: لا، والله، قال: فمن هو؟ قال: الوليد بن يزيد، فغضب وقال: والله ما قبّلتها لله تعالى، فقال: ولا يدك قبّلتها لله تعالى، ولكن قبّلتها لنفسي، فقال: والله لا ضرك الصدق عندي، أعطوه مئة أخرى.



تنبــأ رجــل في زمن المأمون، فقــال المأمون: أريد منك بطيخًا في هذه الســاعة، فقال الرجل: أمهلني ثلاثة أيام، قال: ما أريده إلا الساعة، قال: ما أنصفتني يا أمير

المؤمنين، إن كان الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ما يخرجه إلا بين ثلاثة أشهر، فما تصبر أنت على ثلاثة أيام؟ فضحك منه المأمون، ووصله.

٤٠ يكفي أهل البيت والعائلة أضحية واحدة

سألوا ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هل من الأفضل أن تضحي المرأة عن نفسها مع أن زوجها يضحي عنه وعن أهل بيته وهي منهم؟ فأجاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن هذا غير مشروع وخلاف السنة، وأنه يكفي للبيت أضحية واحدة تشمل أهل البيت الواحد كلهم، ويقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فنجد أحيانًا الزوج يضحي عنه وعن أهل بيته، فتأتي الزوجة، وتقول: أريد أن أضحي أيضًا، ثم تأتي أخته، وتقول: أريد أن أضحي، ثم تأتي البنت، وتقول: أريد أن أضحي، فتجتمع في البيت الواحد ضحايا متعددة، وهذا خلاف ما عليه السلف الصالح.

فإن أكرم الخلق محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يضحي إلا بواحدة عنه وعن أهل بيته، ومعلوم أن له تسع نساء - يعني تسعة بيوت - ومع ذلك ما ضحى إلا بواحدة عنه وعن أهل بيته، وضحى بأخرى عن أمته، وكان الصحابة يضحي الرجل منهم بالشاة الواحدة عنه وعن أهل بيته، فما عليه كثير من الناس اليوم فهو (إسراف) ونقول لهؤلاء الذين يضحون بهذه الضحايا: إن كان عندكم فضل مال فهناك أناس محتاجون لهذا المال من المسلمين.

عن لقاء باب الفتوح (٣/٩٢) فتاوى الشيخ (١٧٥/٢٥/ج).

٤١ سباق إلى الفضل

يُحكى أنه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه محمد ابن الحنفية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا كلام، فانصرفا متغاضبين، فلما وصل محمد إلى منزله أخذ رقعة، وكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد بن علي بن أبي طالب إلى أخيه الحسين أما بعد، فإن لك شرفًا لا أبلغه، وفضلًا لا أدركه، فإذا قرأت رقعتي هذه فالبس رداءك ونعليك، وسرّ إليّ فترضني، وإياك أن أكون سابقك إلى الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام».

فلما قرأ الحسين رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الرقعة لبس رداءه ونعليه، ثم جاء إلى أخيه، فترضّاه.

٤٢ وافق شنٌّ طبقة

كان شنٌّ من دهاة العرب، فقال: والله لأطوفنّ حتى أجد امرأة مثلي، فأتزوجها، فسار حتى لقي رجلًا يريد قرية يريدها شنٌّ، فصحبه، فلما انطلقا قال له شنٌّ: أتحملني أم أحملك؟ فقال الرجل: يا جاهل، كيف يحمل الراكب الراكب؟ فسارا حتى رأيا زرعًا قد استحصد، فقال شنٌّ: أترى هذا الزرع قد أُكل أم لا؟ فقال: يا جاهل، أما تراه قائمًا؟ فمرّا بجنازة، فقال: أترى صاحبها حيًّا أم ميتًا؟ فقال: ما رأيت أجهل منك، أتراهم حملوا إلى القبور حيًّا؟ ثم سار به الرجل إلى منزله، وكانت له ابنة تُسمى (طبقة) فقص عليها القصة، فقالت: أما قوله: أتحملني أم أحملك، فأراد تحدثني أم أحدثك حتى نقطع طريقنا، وأما قوله: أترى هذا الزرع قد أُكل أم لا؟، فأراد باعه أهله، فأكلوا ثمنه أم لا، وأما قوله: في الميت، فأراد أترك عقبًا يحيا به ذكره أم لا.

فخرج الرجل، فحادثه، ثم أخبره بقول ابنته، فخطبها إليه، فزوجه إياها، فحملها إلى أهله، فلما عرفوا عقلها ودهاءها، قالوا: «وافق شنٌّ طبقة».

٤٣ قد ضلّ من كانت العميان تهديه

لقى بشار بن برد رجلًا غريبًا يسأل عن منزل أحد سكان البصرة؟ فقال له بشار: سرْ في هذا الطريق، فإن صاحبك ينزل في البيت الأخير منه، فقال: لكن ألا ترشدني؟ فقال بشار: أتريد من الأعمى الإرشاد؟ قال: إني أمسك بيدك وأنت تقودني، ففعل بشار، ثم أنشد يقول:

أَعمَى يَقودُ بَصيرًا لا أبًا لكُمُ قَدْ ضلَّ مَنْ كانتِ العُمْيانُ تَهْديه

٤٤ ابن عباس يحفظ شعر عمر بن أبي ربيعة

كان عبد الله بن عباس يقول: ما سمعت شيئًا قط إلا رويته، وإني لأسمع صوت النائمة، فازدادني كراهية أن أحفظ ما تقول، وبينما هو في المسجد الحرام ذات مرة وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبي ربيعة، وجلس، فقال له ابن عباس: أنشدنا، فأنشده:

أمِنْ آل نعمٍ أنتَ غادٍ فمُبكرُ غداةَ غدٍ أو رائحٌ فمهّجرُ

واستمر ينشد حتى فرغ من قصيدته وابن عباس يسمع مقبلًا عليه، فقال له نافع بن الأزرق: الله الله يا ابن عباس، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصي البلاد نسألك عن الحلال والحرام، وتتثاقل عنا، ويأتيك مترف من مترفي قريش، فينشدك:

رأتْ رجلًا أما إذا الشمسُ عارضتْ فيضحَى وأمّا بالعشي فيخسرُ؟

قال ابن عباس: ليس كهذا، بل قال:

رأتْ رجلًا أمّا إذا الشمسُ عارضتْ فيضحَى وأمّا بالعشيِّ فيخصرُ؟

فقـال نافـع: الله الله مـا أراك إلا قد حفظت، قال: أجل، وإن شـئت أنشـدتك القصـيدة، قال: فإني أشـاء، فأنشده القصـيدة حتى أتى على آخرها، قال له بعضـهم: ما رأيت أذكى منـك، قال: لكني لم أرَ أذكى من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

٤٥ الزم الطريق

عن أبي البحتري قال: أخبر رجل عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن قومًا يجلسون في المسـجد بعـد المغرب وفيهم رجل يقـول: كبّروا الله كذا وكـذا، فقال عبدالله: فيقولـون؟ قال: نعم، قال: فـإذا رأيتهم فعلوا ذلك فائتني فأخبرني بمجلسـهم، فأتاهـم وعليه برنس، فجلس، فلما سـمع ما يقولون قـام - وكان رجلًا حديدًا - فقـال أنـا عبدالله بن مسـعود، والذي لا إله غـيره، لقد جئتم ببدعـة ظلماء، أو لقد فضلتم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا؟ فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلماء، ولا فضـلنا أصـحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علمًا، فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبدالرحمن نسـتغفر الله، قال: عليكم بالطريق، فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، وإن أخذتم يمينًا وشمالًا لتضلّوا ضلالًا بعيدًا[١].

٤٦ عبدالناصر والتعذيب

قال الإمام عمر التلمساني رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الأدلة قاطعة في إثبات علم عبدالناصر بكل ما يحدث في السجن الحربي من تعذيب وإيذاء؛ ذلك أن له من العيون ما هو فوق عيون المباحث والمخابرات، وهذه العيون كانت تنقل إليه كل صـغيرة وكبيرة، هـذا إلـى ما كان يحدث في السـجن الحربي الذي كان يشـهده أحمد أنور رئيس البوليـس الحربـي، وعبدالحكيم عامر الذي زار السـجن في ذلـك الوقت مرات

---

(١) أخرجه أحمد في الزهد (ص٣٥٨).

عـدة، ولم ننسَ أن أحمد أنور قال مرة لحمزة البسـيوني مدير السـجن الحربي على مرأى ومسـمع مـن آلاف الإخوان والضـباط والجنود: «أيوه يـا حمزة هبله ومسكوها طبلة»، فردّ حمزة البسيوني في أدب وخضوع: أيوه يا فندم.

يضـاف إلى ذلك أن ما حدث في السجن الحربي ما كان يقصد به التعذيب فقـط، ولكـن كان فيه من الإذلال الشـيء الكثير، وفكـرة الإذلال لا ترد على بال القائمـين بالتعذيب؛ لأنهم لا يهمهـم إلا المبالغة في الإيذاء والتنكيل، أما الإذلال، فـكان وليد فكرة في رأس إنسـان ذاق مرارة الذل، فأراد الانتقام لنفســه من كل عزيز كريم عندما وأَتَتْهُ السلطة المطلقة، ما كان يبعث في نفسه الارتياح، إذ ينتقم ممن كانوا يظنون بالأمس أنهم سادة كبراء، ولست أقطع أهي عقدة التعويض أو أي معنى يعفّ عن كتابته قلمي.

إذا نظرنـا إلـى عبدالناصـر – بكونـه حاكمًا يجب أن يعـرف ما يحدث في البلـد الـذي يحكمـه – فلا يمكن القول: إنـه لم يكن يعلم بما يحدث في السـجن الحربـي، وإلا لم يكن عبدالناصـر هذا مـع العلم أن ما كان يفعله الضـباط من تعذيـب الإخوان جريمة لا تخفى عواقبهـا على أمثالهم، فلو لم تكن تحت أيديهم مـن الوعود والمواثيق مـا يكف عنهم المسـؤولية، لما أقدموا عليهـا، وهذه الوعود والمواثيق لا يؤخذ بها إلا إذا كانت صـادرة من عبدالناصـر نفسه، وإذا قلنا: إنها من باب إتقان المهمة، فمن الذي كان يعنيه أن يعرف أنهم أتقنوا مهمتهم؟ أليس بيـده المكافـآت والترقيات؟ وهـل تتم من غير علمـه؟ هذا إلى جانـب أنه كانت حوافز مالية تسـمى (بدلات تعذيب) من الذي كان يصـرفها؟ وتحت أي بند من بنود ميزانيات الجيش كانت تدرج؟ إن علم عبدالناصـر بكل ألوان التعذيب أمر مقطوع به؛ لأن الخاص والعام في مصر كان يعرف ما يحدث في السجن الحربي، حتـى غدا اسـمه هولًا ورعبًا في قلوب المصـريين جميعًا حتـى المقربين منه، فقد نـكل بكل من تعـاون معه في هذا الانقلاب، فكيف إذن لا يعلم عبد النـاصـر بهذه

الإجراءات خاصة بعدما أذيع أن الأشرطة كانت تنقل إليه أولًا بأول، يستعرضها في صالون منزله مع زواره؟

- عن كتاب (ذكريات لا مذكرات) لعمر التلمساني -.

٤٧ مدير المكتب

جاء في كتاب (محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء)

للراغب الأصفهاني، قال ميمون بن مهران: كنت عند عمر بن عبدالعزيز، فقال لآذنه: مَنْ بالباب؟ قال: رجل أناخ الآن زعم أنه بلال مؤذن الرسول ﷺ فأذن له، فلما دخل قال: حدثني، فقال: حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**من ولي شيئًا من أمور الناس، ثم حجب عليه حجب الله عنه يوم القيامة**»[1] فقال عمر رضي الله عنه لحاجبه: الزم بيتك، فما رُئي بعدها على بابه حاجب، وقال: لا شيء أضيع للمملكة وأهلك للرعية من شدة الحجاب للوالي، ولا أهيب للرعية والعمال من سهولة الحجاب؛ لأن الرعية إذا وثقوا بسهولة الحجاب أحجموا عن الظلم، وإذا وثقوا بصعوبته هجموا على الظلم. وقيل: يحجب الوالي لسوء فيه أو لبخل منه.

٤٨ اغرب إلى لعنة الله

دخل يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج على سليمان بن عبدالملك، فازدراه، ونبت عينه عنه، فقال: ما رأيت عيني كاليوم قط، لعن الله امرأً أجرك رسنه وحكّمك في أمره. فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل ذلك، فإنك رأيتني والأمر عني

---

(١) أخرجه الحاكم (٤/٩٣-٩٤ رقم٧٠٢٧)، ولفظه: «من ولي من أمر المسلمين شيئًا، فاحتجب دون خلتهم وحاجتهم وفقرهم وفاقتهم، احتجب الله عز وجل يوم القيامة دون خلته وفاقته وحاجته وفقره»، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وإسناده شامي صحيح، وله شاهد بإسناد البصريين صحيح.

مدبـر وعليك مقبل، فلـو رأيتني والأمر عليّ مقبل وعنك مدبر لاسـتعظمت مني ما استصـغرت، واسـتكبرت ما اسـتقللت، قال: عزمت عليك يا ابن أبي سلمى، لتخـبرنّي عن الحجاج، أتراه يهوي في جهنم؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لا تقل هذا بالحجاج، فقد بذل لكم النصـيحة، وأمّن دولتكم، وأخاف عدوك، وكأني به يوم القيامة وهو عن يمين أبيك ويسـار أخيك، فاجعله حيث شـئت، فصـاح سليمان: اخرج عني إلى لعنة الله، ثم التفت إلى جلسائه، فقال: قبّحه الله، ما كان أحسن ترتيبه لنفسه ولصاحبه، ولقد أحسن المكافأة، أطلقوا سبيله.

٤٩ تطيّر وربح

ركـب طاهر بن الحسـين أحد قادة المأمون العباسـي ذات يوم إلى الصـيد والقنص، وكان طاهر بن الحسـين أعور العين، فلما مـر بباب المدينة وهو خارج تلقاه حطّاب أعور وهو داخل المدينة، فتطيّر منه طاهر بن الحسين، وأمر بحجزه قرب باب المدينة إلى حين رجوعه من الصـيد، فلما كان المسـاء رجع ومعه صيد كثـير، فلمـا دنا من باب المدينة نـاداه الحطّاب، وقال: يا طاهر، أيُّنا أشـأم على صـاحبه، أصـبحت بوجهك، فحُجِزت، وأصـبحتَ بوجهي، ففتح الله عليك هذا الرزق؟ فضحك منه، وأنعم عليه.

٥٠ خابية تمشي

وهب أحد الموسرين إلى الكتاني المغني خابية فارغة، فلما كان عند انصرافه وضعوها له على الباب، ولم يكن عنده كراء حمالها، وأدركه ما يدرك المغنين من التيه، فلم يحملها، فكان يركلها ركلةً، فتتدحرج بمبلغ قوة هذه الركلة، ثم يختفي هو بين حيطان المنازل حتى لا يراه إنسـان، فيشمت به، ويرى ما يصنع، حتى إذا وجـد الطريق خاليًا دنا منها مرة ثانية، وركلها بقدمه لمسـافة أخرى، فتتدحرج، وتدور، ويتوارى عن الأنظار، فلم يزل يفعل ذلك حتى بلغ بها المنزل.

٥١ مخايل السيادة

مر المهلب بن أبي صفرة بحي من أحياء همدان، فرآه شاب من أهل الحي، وقال: هذا المهلب؟ فقالوا: والله ما يساوي خمس مئة درهم، وأتى إلى الحي، فراقب الشاب إلى أن رآه، فأتى إليه، فقال: افتح حجرك، ففتح الشاب حجره، فسكب خمس مئة درهم، وقال: خذ قيمة المهلب، ووالله يا بن أخي، لو قومتني بخمسة آلاف دينار لأتيتك بها، فسمعه شيخ الحي، وقال: والله ما أخطأ من جعلك سيدًا.

٥٢ ما أرانا إلا كما كنّا

كان موسى بن عبد الملك قد قتل نجاح بن سلمة بسمٍّ وضعه له في شراب شربه عنده، فقال المتوكل بعد ذلك لأبي العيناء: ما تقول في نجاح بن سلمة؟ قال: ما قال الله تعالى: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص:١٥] فاتصل ذلك بموسى، فلقي الوزير ابن خاقان، فقال: أيها الوزير، أردت قتلي، فلم تجد إلى ذلك سبيلًا إلا بإدخال أبي العيناء إلى أمير المؤمنين مع عداوته لي؟ فعاتب ابنُ خاقان أبا العيناء في ذلك، فقال: والله ما استعذبتُ الوقيعة فيه حتى ذممتُ سريرته لك، فأمسك عنه، ثم دخل بعد ذلك أبو العيناء على المتوكل، فقال: كيف كنت بعد؟ قال: في أحوال مختلفة، خيرها رؤيتك وشرها غيبتك، فقال: قد والله اشتقتك! قال: إنما يشتاق العبد؛ لأنه يتعذر عليه لقاء مولاه، وأما السيد فمتى أراد عبده دعاه. فصار إلى موسى، فاعتذر كلٌّ واحد منهما إلى صاحبه، وافترقا عن صلح، فلقيه بعد ذلك بالجعفري، فقال: يا أبا عبد الله، قد اصطلحنا، فما لك لا تأتينا؟ قال: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقۡتُلَنِي كَمَا قَتَلۡتَ نَفۡسَۢا بِٱلۡأَمۡسِۖ﴾ [القصص:١٩]، فقال موسى: ما أرانا إلا كما كنا.

٥٣ الهجاء والذم

دخل شاعر على عبد الملك بن مروان، فقال له: بلغني أنك لا تحسن الهجاء، فقال: يا أمير المؤمنين، من قدر على تشييد الأبنية أمكنه خراب الأخبية، قال: ما يمنعك من ذلك؟ قال: إن لنا عزًّا يمنعنا من أن نظلم، قال: لكلماتُك أحسن من شعرك، فما العز الذي يمنعك أن تظلم؟ قال: الأدب المستطرف والطبع التالد، قال: لقد أصبحت حكيمًا، قال: وما يمنعني من ذلك، وأنا نَجِيّ أمير المؤمنين؟

٥٤ السياسة الحكيمة

قيل لبعض الأمراء: ما بلغ بك هذه المنزلة؟ قال: عفوي عند قدرتي، وليني عند شدتي، وبذلٌ عند الإنصاف، ولو من نفسي، وإبقائي في الحب والبغض مكانًا لموضع الاستبدال.

٥٥ الناس ثلاثة

قال الحسن بن علي: الناس ثلاثة: فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل. فأما الرجل الرجل فذو الرأي والمشورة، وأما الرجل نصف الرجل فالذي له الرأي ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له رأي ولا يشاور.

٥٦ لكل شيء زكاة

قال أحد الحكماء: إن لكل فضل زكاة، وإن زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج، وإن زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم، وإن زكاة البلاغة القيام

بحجة من قد عجز عن حجته، وإن زكاة الجاه أن يُجاد به لمن لا جاه له، وإن زكاة العلم التعليم لمن قصر.

عرضت علي زكاة ما ملكت يدي   وزكاة جاهي أن أُعين وأشفعا

٥٧ حسنة لم تقبل

حكى الأصمعي قال: كنت أساير رجلًا من وجوه أهل الشام، إذ مر بحمّال يحمل سلة بها رمان، فناول منه واحدة، وجعلها في كمه، فعجبت من ذلك، ورجعت إلى نفسي، وكذبت بصري، حتى مر بسائل، وأخرج الرمانة من كمه، وناولها إياه، فقلت له: رأيتك قد فعلت عجبًا! فقال الشامي: ما هو؟ قلت: رأيتك أخذت رمانة من حمّال، وأعطيتها سائلًا، فقال الشامي: وكيف تقول هذا القول، أما علمت أني أخذتها، وكانت سيئة واحدة، وأعطيتها، وكانت عشر حسنات؟ فقال الأصمعي: أما علمت أنك أخذتها سيئة، وأعطيتها، فلم تقبل منك لأنها حرام؟

٥٨ المال والعلم والشرف

قيل: إن العلم والمال والشرف اجتمعوا مرة، وحين أرادوا أن يفترقوا قال المال: إنني ذاهب يا إخواني، فإذا أردتم أن تجدوني فابحثوا عني في ذلك القصر العظيم، وقال العلم: أما أنا فابحثوا عني في تلك الجامعة الكبرى، وظل الشرف ساكتًا، فسأله زميلاه؟ فقال: أما أنا فإنني إذا ذهبت فلن أعود قط.

٥٩ فطنة وعلم

جلس المأمون وفي مجلسه الأمراء والعلماء، فجاءت امرأة تتظلم إليه، فذكرت له أن أخاها توفي، وترك ست مئة دينار، فلم يقسم لها إلا دينارٌ واحدٌ،

فقـال لهـا المأمون على البديهة: قد وصـلك حقك؛ لأن أخاك تـوفي، وترك بنتين وأمًّا واثنا عشر أخًا وأختًا واحدة وهي أنت، فقالت: نعم، يا أمير المؤمنين، فقال: للبنتـين الثلثـان أربع مئة، وللأم السـدس مئة، وللزوجة الثمن خمسـة وسـبعون دينارًا، وبقي خمسـة وعشرون دينارًا لكل أخ ديناران، وبقي دينار واحد وهو لك، فعجب الحاضرون من فطنته وذكائه، وتُروى عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

٦٠ العاقل كالجبل

قيل: لا يبطر العاقل لمنزلة أصابها، كالجبل الذي لا تزلزله الرياح الشديدة، والسخيف تبطره أدنى منزلة، كالذي تحركه أدنى الرياح. وقيل: حمل الغنى أشد من حمل الفقر، ومؤنة الشكر أصعب من مشقة الصبر.

أقول:

روى لي والدي - قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه - قال: كان المرحوم الوجيه فهد الرشـودي جالسًـا في متجره وعنده بعض تجار بريدة، فـإذا هو يرى تاجرًا كفيف البصـر يقوده رجلان قويان شـابان ليذهب معهما لكتابة دين له عليهما، وهما معروفان من أهل بلدة الربيعية والشماسية، ويعملان في نقل الأخشاب على الإبل من بريدة إلى الرياض، قال الرشـودي: انظروا أيها القوم، ذيابة المسـتوى يتلطفون بهذا الأعمى لكي يستدينوا منه، هذا والله العجب.

٦١ الشيطان يغني

قال إبراهيم الموصلي: عشقت جارية، فهجرت اللذات من أجلها، فبينما أنا جالس إذ اسـتؤذن عليَّ لشـيخ معه جارية، فأذنت له فدخل، فإذا هي صاحبتي، فجلس الشيخ، وقال: اشرب، فدعوت بالنبيذ، فشرب ثلاثة أقداح، وقال لي: غنِّ

يا إسحاق، فتعجبت من جراءته عليَّ، وذلك أن الخليفة كان ينزهني عن ذلك، ثم غنيت، فأخذ العود، واندفع يغني:

سرى يخبطُ الظلماءَ والليلُ عاكفٌ غـزالٌ بأوقـاتِ الـزيـارةِ عـارفُ
فما راعـني إلا سـلامٌ عليكمُ أأدخـلُ قلتُ ادخـلْ لمَ انْتَ واقفُ

فتزعزت الحيطان وأغمي عليَّ وعلى الحاضرين من الغلمان، فلما أفقت إذا بجارية جالسة والشيخ لم أرَه، فسألت البواب؟ فقال: لم أرَه، وسألت الجارية؟ فقالت: لا أدري إلا أنه جاءني على لسانك، فلم أجسر على مخالفته، فعلمت أنه أبو مرة، وقيل: لم يكن في الإسلام أحسن صوتًا من مخارق، غنى يومًا في منتزه وقد سنحت ظباء، فجاءت إعجابًا بغنائه، وتوسط دجلة يومًا، وغنى فلم يبقَ أحد إلا بكى.

٦٢ يغفر الله لأهل الجمال

خرج أبوحازم يومًا للحج، وأخذ يرمي الجمار، فإذا بامرأة ليس على وجهها قناع قد فتنت الناس بحسن وجهها، وألهتهم بجمالها، فقال لها: يا هذه، إنك بمكان حرام، وقد فتنت الناس وشغلتهم عن مناسكهم، فاتقي الله واستتري، فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، قالت: إني من اللاتي قيل فيهن:

أماطتْ كساءَ الخزِّ عنْ حرِّ وجهِها وأرختْ على المتنينِ بردًا مهلَّلا
منَ اللاءِ لم يحججْنَ يبيغينَ حسبَه ولكنْ ليقتلنَ البريءَ المُغفَّلا

والشعر للحارث بن خالد المخزومي، فقال أبوحازم لأصحابه: تعالوا ندعو الله لهذه الصورة الحسنة ألا يعذبها الله تعالى بالنار، فجعل أبوحازم يدعو

وأصحابه يؤمنون، فبلغ ذلك الشعبي، فقال: ما أرقّكم يا أهل الحجاز وأظرفكم، أما والله لو كان من قرى العراق لقال: اُغرُبي، عليك لعنة الله.

٦٣ اختمها بختمك

دعا المنصور طبيبًا للخيزران، وكانت قد اشتكت عينها، فقال: إن هذه في عينها شوكة سنبل، فانتزع من عينها، فإذا هو شيء طار من السنبل، ولصق بعينها، وتراكبت الأكحال التي تعالج بها، فزال الألم في الوقت، فأعطاه عشرة آلاف درهم، فلما دفعها إليه ندم، فأوصاه، فقال: احفظها؛ فإنها مال له خطر. فقال: إن رأيت يا أمير المؤمنين، فاختمها بختمك حتى ألقاك بها يوم الصراط بختمك، فضحك، وخلاه.

٦٤ صبي ومعلمه

قال الجاحظ: مررت على خربة، فإذا بها معلم وهو ينبح نباح الكلاب، فوقفت أنظر إليه، وإذا بصبي قد خرج من دار، فقبض عليه المعلم، وجعل يلطمه ويسبه، قلت له: عرفني خبره، فقال: هذا صبي لئيم يكره التعليم، ويهرب، ويدخل الدار، ولا يخرج، وله كلب يلعب به، فإذا سمع صوتي ظن أنه صوت الكلب، فيخرج، فأمسكه.

٦٥ بخيل... بخيل

قال الجاحظ: استلف زبيدة بن حميد من بقال كان على باب داره درهمين وأربع حبات شعير، فلما قضاه بعد ستة أشهر قضاه درهمين وثلاث حبات شعير، فاغتاظ، وقال البقال: سبحان الله أنت رب مئة ألف دينار، وأنا بقال لا أملك

مئة فلس وإنما أعيش بكدّي، وباستفضال الحبة والحبتين، سلفتك درهمين وأربع حبات شعير، فقضيتني بعد ستة أشهر درهمين وثلاث حبات شعير؟ فقال زبيدة: يا مجنون، أسلفتني بالصيف، فقضيتك في الشتاء، وثلاث شعيرات شتوية ندية تزن أربع شعيرات يابسة صيفية، ولا أشك أن معك فضلًا؟

٦٦ الشرف الحقيقي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] روي أن عمر بن الخطاب رأى رجلًا يقول: أنا ابن بطحاء مكة، فتوقف عليه، فقال: إن كان لك دين فلك شرف، وإن كان لك عقل فلك مروءة، وإن كان لك علم فلك شرف، وإلا فأنت والحمار سواء.

وقيل: كان الشرف في الجاهلية بالبيان والشجاعة والسماحة، وفي الإسلام بالدين والتقى.

وقال الشاعر:

لعمرُكَ ما الإنسانُ إلا بدينِه ... فَلا نترك التقوى اتِّكالًا علَى النسبْ
فقدْ زيّنَ الإيمانُ سلمانَ فارسٍ ... وقدْ وضعَ الشركُ الشريفَ أبا لهبْ

٦٧ بين النبوة والخلافة

قال عبدالله بن عباس: ماشيت عمر بن الخطاب يومًا، فقال لي: يا بن عباس، ما يمنع قومكم منكم، وأنتم أهل البيت خاصة؟ قلت: لا أدري؟ قال عمر بن الخطاب: لكني أدري، إنكم فضلتموهم بالنبوة، فقالوا: إن فضلوا بالخلافة مع النبوة لم يبقوا لنا شيئًا، وإن أفضل النصيبين بأيديكم، بل ما أخالها إلا مجتمعة لكم، وإن نزلت على رغم أنف قريش.

٦٨ اختار الآخرة

دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرض الذي مات فيه، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنك قطعت أفواه ولدك عن هذا المال، وتركتهم عالة، ولا بد لهم من شيء يصلحهم، فلو أوصيت بهم إليَّ أو إلى نظرائك من أهل بيتك لكفيتك مؤونتهم، فقال عمر: اجلس وأجلسوني، وادعوا إليَّ أبنائي، فدعوهم وهم يومئذ اثنا عشر غلامًا، فجعل يصعد بصره فيهم حتى اغرورقت عيناه بالدمع، ثم قال: بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم، يا بَنيّ، إني تركتكم من الله بخير، إنكم لا تمرون على مسلم أو معاهد إلا ولكم عليه حق واجب، يا بنيّ، مثلت رأيي بين أن تفتقروا في الدنيا إلى آخر الأبد خيرًا من دخول أبيكم يومًا واحدًا في النار، قوموا يا بَنيّ، عصمكم الله، ورزقكم. فقال مسلمة: إنه ما احتاج أحد من أولاد عمر، ولا افتقر.

٦٩ باختصار

قال لقمان لابنه: يا بني، إن كنت تشك في الموت فلا تنم، فكما أنك تنام، كذلك تموت، وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه، فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تُبعَث بعد موتك.

٧٠ الملك والعدل

قال هارون الرشيد لابنه الأمين: يا بني، إن الملك والعدل أخوان لا غنى بأحدهما عن الآخر، فالملك أساس والعدل حارس، والبناء ما لم يكن له أساس فمهدوم، والملك ما لم يكن له حارس فضائع، يا بني، اجعل حديثك مع أهل

المراتب، وعطيتك لأهل الجهاد، وبشـرك لأهل الدين، وسـرك لمن عناه من ذوي العقول.

٧١ إيمان قوي

ذكر عبدالله بن مسـلمة قال: رأيت عمارًا يوم صفين شيخًا آدم طوالًا آخذًا الحربة بيده، ويده ترعد، وهو يقول: والذي نفسي بيده لقد قاتلت بهذه الحربة مع رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثلاث مرات وهذه الرابعة، والذي نفسـي بيده لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفت أنّا على حق، وأنهم على باطل، ثم جعل يقول: صبرًا عباد الله، الجنة تحت ظلال السيوف.

٧٢ عدل

كان لعمر بن عبدالعزيز غلام يقال له درهم يحتطب له، ويرعى أغنامه، فقال له يومًا: ما يقول الناس يا درهم؟ قال: وما يقولون؟ كلهم بخير وأنا وأنت بشرّ، قال: وكيـف ذلك؟ قال: إني عهدتك قبل الخلافة لبّاسًـا فارهَ الركب طيبَ الطعام، فلما وليت رجوت أن أسـتريح، وأتخلص، فزاد عملي شـدة، وصـرت أنت في بلاء، قال: فأنت حر، واذهب عني، ودعني، وما أنا فيه حتى يجعل الله لي منه مخرجًا.

٧٣ حلم قتيبة

خـرج قتيبة بن مسـلم الباهلـي القائد الظافر الصـالح المشـهور متنزهًا، فلقـي أعرابيًّا، فقال له: ممـن الرجل؟ قال: من عبد قيس، قال: نسـب مهزول، فقـال الأعرابي: ممن أنت؟ قال: من باهلة، قـال: وا ويلاه وا هولاه، أمثلك يقول نسبي مهزول، وأنت بين الدعة والخمول؟ فقال له قتيبة: يا أعرابي، أيسرك أنك

أمـير وأنـك باهلي؟ فقـال: لا، ولا خليفة الله في أرضـه، قال: ولـك حمر النعم؟ قال: لا، ولا طلعت عليه الشمس، فقال: وأنك تدخل الجنة؟ فأطرق، ثم رفع رأسه، فقال: إن كان ولا بد فعلى ألا تعلم بذلك أهل الجنة. فضحك قتيبة ووصله، وسأله أعرابي عن نسـبه؟ فقال: من باهلة، فقال: أعيذك بالله، وقال آخر لأعرابي: أنا مولـى باهلة، فأخذ الأعرابي يتمسـح به، ويقول: مـا أبلاك الله بذلك إلا وجعلك من أهل الجنة.

٧٤ بين المهدي وعمارة بن حمزة

كان عمـارة بن حمزة مشـهورًا بالكبريـاء والاعتداد بالنفسـ، فدخل على المهـدي يومًا، ولما اطمأن به المقام نهض رجل كان المهدي أوعز إليه بالتهكم على عمـارة، وقـال: مظلوم يا أمير المؤمنـين! قال المهدي: ومن ظلمـك؟ قال الرجل: عمارة هذا غصبني ضيعتي، فقال المهدي: قم، واجلس مع خصمك يا عمارة. قال عمارة: يا أمير المؤمنين، ليس هذا خصـمي، فإن كانت الضـيعة له فلست أنازعه فيها، وإن كانت لي وهبتها له، ولا أقوم من مجلس شرفني به أمير المؤمنين.

٧٥ اكتم سرك

قال الشاعر:

إذا ما ضاقَ صدرُك عن حديثٍ	فأفشتْه الرجالُ فمَنْ تلومُ
إذا عاتبتُ مَنْ أفشَى حَديثي	وسِـرّي عندَه فأنا الظَّلُوم
وإنّي حينَ أسأمُ حملَ سِرّي	وقدْ ضمّنتُه صَدري سَؤومُ
ولستُ مُحدّثًا سرّي خليلًا	ولا عِرسي إذا خطرتْ هُمومُ
وأطوِي السرّ دونَ الناسِ إنّي	لما استودعتُ مِنْ سرٍّ كتومُ

وقيل لشيخ: ويحك ههنا ناس يسرق أحدهم خمسين سنة، ويزني خمسين سنة، ويصنع العظائم خمسين سنة، وهو في ذلك كله مستور جميل الأمر، وأنت إنما لُطْتَ منذ خمسة أشهر وقد شُهِرتَ به في الآفاق قال: بأبي أنت ومن يكون سره عند الصبيان أي شيء تكون حاله!



٧٦ في الحق

قال عبدالملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه: يا أبت، مالك لا تنفذ الأمور، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق، قال له عمر: لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون في ذلك فتنة.



٧٧ أقوال

معاشرة ذوي الألباب عمارة للقلوب، أَحْيِ معروفك بإماتة ذكره وعظّمه بتصغيرك إياه، وعد الكريم تعجيل ووعد اللئيم مطل وتسويف، لا يكن حبك كلفًا ولا بغضك تلفًا، القلم يخدم الإرادة، ولا يمل الاستزادة يسكت واقفًا، وينطق ساكتًا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء.



٧٨ كلمة صدق

دعا أعرابي، فقال: اللهم، إني أعوذ بك أن أفتقر في غناك، أو أضل في هداك، أو أذل في عزك، أو اضطهد والأمر إليك.

٧٩ حزم المهدي

قال رجل للمهدي: عندي نصيحة يا أمير المؤمنين، فقال: لمن نصيحتك هذه لنا، أم لعامة المسلمين، أم لنفسك؟ قال: لك يا أمير المؤمنين، قال: اعلم يا هذا بأن الساعي ليس بأعظم عورة، ولا أقبح حالاً ممن قبل سعايته، ولا تخلو من أن تكون حاسد نعمة، فلا تشفي غيظك أو عدوًّا، فلا نعاقب لك عدوك، ثم أقبل على الناس، فقال: لا ينصح لنا ناصح إلا بما فيه لله رضا وللمسلمين صلاح، فإنما لنا الأبدان وليس لنا القلوب، ومن استتر عنا لم نكتشفه، ومن بدأنا طلبنا توبته، ومن أخطأ أقلنا عثرته، فإني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة، والسلامة مع العفو أكثر منها مع المعالجة، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا يتعطف إذا استعطفت، ولا يعفو إذا قدر، ولا يغفر، ولا يرحم إذا استرحم.

٨٠ العاقل والقرائن الدالة عليه

قيل لبعض الحكماء: بماذا يعرف عقل الرجل؟ فقال: بقلة سقطه في الكلام وكثرة إصابته فيه، فقيل له: وإن كان غائبًا؟ فقال: بإحدى ثلاث: إما برسوله، وإما بكتابه، وإما بهديته، فإن رسوله قائم مقام نفسه، وكتابه وصف نطق لسانه، وهديته عنوان همته، فبقدر ما يكون فيها من نقص يحكم على صاحبها.

٨١ آراء في سلوك الإنسان ثاقبة

قالوا: المنفعة توجب المحبة، والمضرة توجب البغض، والمخالفة توجب العداوة، والمتابعة توجب الألفة، والعدل يوجب اجتماع القلوب، والجور يوجب الفرقة، وحسن الخلق يوجب المحبة، وسوء الخلق يوجب المباعدة، والانبساط

يوجب المؤانسة، والانقباض يوجب الوحشة، والكبر يوجب المقت، والتواضع يوجب الرفعة، والجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم، والتواني يوجب التضييع، والحزم يوجب السرور، والحذر يوجب السلام، والتدبير يوجب بقاء النعمة وبالتأني تسهل المطالب، وبحسن المعاشرة تدوم المحبة، وبخفض الجانب تأنس النفوس، وبسعة الخلق يطيب العيش، والاستهانة توجب النفور، وبالأخلاق تزكو الأعمال، وبالحلم على السفيه تكثر أنصارك عليه، وبالرفق تستحق اسم الكرامة، وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل.

٨٢ لكل سؤال جواب

حُكي أن صيادًا أتى أبرويز بسمكة، فأعجبه حسنها وسمتها، فأمر له بأربعة آلاف درهم، فخطأته سيرين زوجه، فقال لها: ماذا أفعل؟ قالت له: إذا جاء فقل له: أذكرًا كانت أم أنثى؟ فإن قال لك: ذكر، فاطلب منه الأنثى، وإن قال لك: أنثى، فاطلب منه الذكر. فلما أتى سأله؟ فقال: كانت أنثى، فقال أبرويز: ائتني بذكرها، قال: عمر الله الملك، فقد كانت بكرًا لم تتزوج، فقال: زه – وتعني كلمة تعجب – وأمر له بثمانية آلاف درهم.

٨٣ غلام صغير فصيح

في أيام هشام بن عبد الملك قدمت عليه العرب، فهابوا أن يكلموه، وكان فيهم درواس بن حبيب، وهو ابن ست عشرة سنة، له ذؤابه وعليه سملتان، فوقعت عليه عين هشام، فقال لحاجبه: ما شاء أحد أن يدخل عليّ إلا دخل حتى الصبيان... فوثب درواس حتى وقف بين يديه مطرقًا، فقال: يا أمير المؤمنين، إن للكلام نشرًا وطيًّا، وإنه لا يعرف ما بطيه إلا ينشره، فإن أذن لي أمير المؤمنين أن أنشره

نشرته، فأعجبه كلامه وقال له: انشره للّه درك، فقال: يا أمير المؤمنين، أصابتنا سنون ثلاث: سنة أذابت الشحم، وسنة أكلت اللحم، وسنة دقت العظم، وفي أيديكم فضول مال، فإن كانت هذه الفضول للّه ففرقوها على عباده، وإن كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم؟ وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم، فإن اللّه يجزي المتصدقين، فقال هشام: ما ترك الغلام لنا في واحدة من الثلاثة عذرًا، فأمر البوادي بمئة ألف دينار، وله بمئة درهم.

٨٤ التقليد الأعمى

كان لأعرابي ولد اسمه حمزة، فبينما هو يمشي مع أبيه إذا برجل يصيح بشاب: يا عبداللّه، فلم يجبه ذلك الشاب وقال: ألا تسمع؟ فقال: يا عم، كلنا عبيد اللّه، فأي عبداللّه تعني؟ فالتفت أبو حمزة لابنه، وقال: يا حمزة، إلا تنظر إلى بلاغة هذا الشاب؟ فلما كان الغد إذا برجل ينادي شابًّا: يا حمزة، فقال حمزة ابن الأعرابي: كلنا حماميز اللّه، فأي حمزة تعني؟ فقال: ليس يعنيك يا من أخمد اللّه به ذكر أبيه.

٨٥ فناء البشرية

في شهر ديسمبر من سنة ١٩٨٣م نشر فريق من العلماء الأمريكان في جريدة (سنيس) تقريرًا عن الآثار المترتبة على حرب ذرية بالنسبة للجو، العلماء لم يتعرضوا للآثار الأخرى المخلفة عن الحرب الذرية، بل ركزوا البحث على أثرها في الجو، قال العلماء في تقريرهم: «هذه الحرب ستخلف شتاءً قاتلًا يقضي على كل ما تبقى على وجه الأرض من أحياء، سواء كانوا الآدميين أو الحيوانات أو النباتات» قال العلماء: «إن الآثار التي ستتخلف من حرب ذرية حتى ولو كانت

محدودة، أي ليست حربًا شاملة طويلة، بالنسبة للجو، ستكون أفدح وأشد ضررًا من القتل والتخريب الذي ستتسبب فيه هذه الحرب، يقول العلماء: «إن الإبحاث الدقيقة قد دلت على أن العواصف الحارقة التي تسببها الأسلحة الذرية والدخان الكثيف إلى عنان السماء، هذه الملايين من أطنان الأتربة والدخان الكثيف ستؤدي إلى تغطية الكرة الأرضية بستار سميك يحجب أشعة الشمس حجبًا كاملًا من الوصول إلى الأرض، وسيستمر ذلك أسابيع عدة، ما ينتج عنه تجميد الأرض وسيطرة الصقيع على قشرتها وعلى كل ما عليها. البحار ستتجمد، وكذلك البحيرات، ولن تفلح التدفئة في حماية الإنسان أو الحيوان، وسينتهي الحال إلى القضاء الكامل على الحياة على سطح الأرض، هذا ما قاله العلماء في نهاية سنة ١٩٨٣م وهم يسخرون في أبحاثهم جميع وسائل المخترعات العلمية الكمبيوتر وغيره، هذا التقرير أثار الرعب، إذ من لم يمت في أثناء الحرب الذرية فلن ينجو من الموت من هذا الصقيع القاتل الذي سيتسبب في القضاء على الحياة، بل على البشرية جمعاء.

٨٦ الخلق الحسن

الخلق الحسن مشتق من الخلق، فكما لا سبيل إلى تبديل الخلق كذلك لا قدرة على تحويل الخلق، لكن الحض على إصلاح الخلق وتهذيب النفس لم يقع من الحكماء بالعبث والتجزيف، بل لمنفعة عظيمة موجودة ظاهرة، ومثاله أن الأسود يتدلك بالماء والغسول لا ليستفيد بياضًا، ولكن ليستفيد نقاءً شبيهًا بالبياض، ويقال للمهذار: اكفف لا ليكف عن النطق ولكن ليؤثر الصمت، ويقال للموتور: لا تحقد لا ليزول عنه ما حنق عليه، ولكن ليكلف الصبر، ويتناسى الجزاء على هذا أبدًا.

٨٧ الغني

قيـل للقمان: أي الناس أصـبر؟ قال: صـبر لا يتبعه أذى، قـال: فأي الناس أعلـم؟ قـال: من ازداد مـن علم الناس إلـى علمه، قيل: فـأي الناس خير؟ قال: الغنــي، قيـل: الغَناء من المال؟ قـال: لا، ولكن الغني الـذي إذا التُمِس عنده خير وُجِد، وإلا أعفى الناس من شرّه.

٨٨ لباقة أو نفاق

سـأل زيـادٌ حارثةَ بن بدر: من أخطب أنا أم أنـت؟ فقال: الأمير أخطب إذا توعد أو أوعد وبرق ورعد، وأنا أخطب في الوفادة والثناء والتحبير، وأنا أكذب إذا خطبت والأمير يقصد الحق، ولا يزيد إلا في العطاء.

٨٩ شروط المنادمة

قـال بعض الظرفاء: شـرط المنادمـة: قلة الخلاف، والمعاملة بالإنصـاف، والمسـامحة في الشـراب، والتغافل عن رد الجواب، وإدمان الرضـى، واطراح ما مضى، وإسقاط التحيات، واجتنب اقتراح الأصوات، وأكل ما حضر، وإحضار ما تيسر، وستر العيب، وحفظ الغيب.

٩٠ المسافر وما يلزمه

قـال لقمـان لابنه: يا بني، إذا سـافرت فلا تنم على راحلتـك، وإذا نزلت بها أرضًـا مكلئة فأعطها حظها من الكلأ، وابدأ بعلفها وسقيها قبل نفسك، وإذا أردت

النزول فلا تنزل على قارعة الطريق، فإنها مأوى الحيات والسباع، ولكن عليك من بقاع الأرض بأحسنها لونًا وألينها تربة، وسافر بسيفك وقوسك وجميع سلاحك، وخفك وحمامتك وإبرتك وخيوطك، وتزود معك بالأدوية تنتفع بها، وتنفع من صحبك من المرضى والزمنى، وكن لأصحابك موافقًا في كل شيء يقربك إلى الله، ويباعدك من معصيته، وأكثر التبسم في وجوههم، وكن كريمًا على زادك بينهم، وإذا دعوك فأجبهم، وإذا استعانوك فأعنهم، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم واجهد رأيك، وإذا رأيتهم يمشون فامشِ معهم أو يعملون فاعمل معهم، واستمع لمن هو أكبر منك، وإن تحيرتم في طريق فانزلوا، وإن شككتم في المقصد فتثبتوا وتشاوروا، وإذا رأيتم خيالًا واحدًا فلا تسألوه عن طريقكم، فإن الشخص الواحد في الفلاة هو الذي يحيركم، واحذروا الشخصين أيضًا إلا أن تروا ما لا أرى، فإن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، وإن العاقل إذا أبصر شيئًا يعنيه عرف الحق بقلبه.

أقول:

الراحلة اليوم هي السيارة، وإكرامها فحصها وملاحظة زيوتها وشحومها وجميع محركاتها.

٩١ ما هدفك؟

على قدر الهدف تكون سرعة الانطلاق، ففي طلب الرزق قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ﴾ [الملك:١٥]، وللصلاة قال: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ﴾ [الجمعة:٩]، وللجنة قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ﴾ [آل عمران:١٣٣]، وأما إليه فقال: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠].

٩٢ أوفت بعهدها

ذُكِر أن فتى من العرب يسمى مالك بن نصر كانت له بنت عم يحبها، وتحبه يقال لها: الرباب، وكانت ذات جمال وظرف، فبينما هو يومًا معها إذ بكى،

فقالـت: ما يبكيك؟ قال: إني نظرت إليك، فقلت: أموت، فتتزوجين بعدي، قالت: فلعلك أن تبقى بعدي، قال: إن بقيت بعدك فلك عهد أني لن أتزوج ما حييت، ثم تعاهـدا، وتوثقا لذلك، ثم إن الفتى خرج مع قتيبة بن مسـلم إلى خراسـان، فلم يزل يقاتل بين يديه حتى طعن، فسقط عن فرسه، وهو يجود بنفسه، ويقول:

أَلا ليتَ شِعْري عنْ غزالٍ تركتُه ... إذا ما أتاه مَصْرَعي كَيفَ يَصْنعُ

أيلبسُ أثـوابَ الـسَّـوادِ تسلِّيًا ... علَى مالكٍ أمْ فِيه للبعلِ مَطْمَعُ

ثـم مات، فبلغ الرباب ذلك، فكاد الحزن يقتلهـا، وكانت لا تهدأ من البكاء والنحيب، فتشاور أهلها في تزويجها؛ كي تسلّى، فزوجوها كرهًا منها، فلما كانت الليلـة التي أرادت أن تُزفّ فيها إلى زوجهـا الثاني نامت، فرأت في منامها مالك ابن نصر يقول:

حُيِّيتَ ساكنَ هذي الـدارِ كلَّهُمُ ... إلّا الـربـابَ فـإنِّي لا أُحيِّيـها

استبدلَتْ بدلًا غَيري وقد علمتْ ... أنَّ القبورَ تُواري مَنْ ثوَى فيها

فقامت مذعورة، وأقسمت ألا يمسها أحد حتى الموت؛ أي لا تتزوج.

٩٣ وصية ومشورة

أراد أحد القضـاة في مدينة خراسـان أن يزوج ابنه، فشاور مجوسيًا، فقال: الناس يستفتونك وأنت تستفتيني؟ قال: لا بد أن تشير عليّ، قال: إن رئيسنا كسرى كان يختـار المال، ورئيس النصـارى قيصـر كان يختار الجمـال، وجاهلية العرب كانت تختار الحسب والنسب، ونبيكم كان يختار الدين، فانظر أنت بأيهم تقتدي؟

وأوصـى أكثم بن صيفي ناسًا استشاروه بالحرب، فقال: أقلوا الخلاف على أمرائكم، واعلموا أن كثرة الصـياح من الفشل، والمرء يعجز لا محالة، تثبّتوا فإن

أحــزم الفريقين الركين، ورب عجلــة تهب ريثًا، وَأْتَزِروا للحــرب، وادرعوا الليل؛ فإنه أخفى للويل، ولا جماعة لمن اختلف عليه.

٩٤ كتمان السر

قــال الوليــد بن عتبة لأبيــه: إن أمير المؤمنين قد أســرّ إليَّ حديثًــا، ولا أراه ينخفي عنك ما يبسطه لغيرك، أفلا أحدثك به؟ قال: لا، يا بني، إن من كتم سره كان الخيــار عليه، فلا تكونــنّ مملوكًا بعد أن كنت مالكًا. قلــت: وإن هذا ليجري بين الرجل وأبيه؟ قال: لا، ولكنني أكره أن تذلل لســانك بأحاديث الســر، فحدث به معاوية، فقال: يا وليد، أعتقك أخي من رقّ الخطأ.

٩٥ معرفة

دخل شــريك الحارثي على معاوية، فقال له معاوية: من أنت؟ فقال: يا أمير المؤمنــين، ما رأيت لك هفوة قبل هذه، مثلك ينكر مثلي من رعيته؟ فقال معاوية: إن معرفتــك متفرقة، أعرف وجهك إذا حضــرت في الوجوه، وأعرف اســمك في الأســماء إذا ذكرت، ولا أعلم أن ذلك الاســم هو هذا الوجه، فاذكر لي اســمك تجتمع معرفتك.

٩٦ أسير لبق

أمر معاوية يوم صــفين رجلًا من أصــحاب علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فلمــا مثل بين يديه قــال: الحمــد الله الــذي أمكنني منــك، قال: لا تقل ذلــك، فإنها مصــيبة، قال: وأي نعمــة أكبر من أن يكون الله أظفرني برجل قتل في ســاعة واحدة جماعة من أصــحابي؟ اضــربوا عنقه، فقال الأسير: اللهم، اشهد أن معاوية لم يقتلني فيك،

ولا لأنك ترضى قتلي، ولكن قتلني على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، وإن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله، فقال معاوية: قاتلك الله لقد سببت، فأوجعت في السب، ودعوت، فأبلغت في الدعاء، خلّوا سبيله.

٩٧ وذو الوجد القديم وإن تعزى

بينما كان عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت بعد أن تنسَّك في أخريات حياته، إذ نظر إلى فتى من نمير يلاحظ جارية في الطواف، فلما رأى ذلك منه مرارًا أتاه، فقال له: يا فتى، أما رأيت ما تصنع؟ فقال له الفتى: يا أبا الخطاب، لا تعجل علي، فإن هذه بنت عمي، وقد سُمّيت لي، ولا أقدر على صداقها، ولا أظفر منها إلا بما ترى، وأنا فلان ابن فلان وهذه فلانة بنت فلان، فعرفها عمر، ثم قال له: اقعد يا بن أخي، عند هذه السارية حتى يأتيك رسولي. ثم ركب دابته حتى أتى منزل عم الفتى، فقرع الباب، وخرج عليه الرجل، وقال له: ما جاء بك يا أبا الخطاب، في مثل هذه الساعة؟ قال: حاجة عرضت لي في هذه الساعة، قال: هي مقضية؟ قال عمر: فإني قد زوجت ابنتك فلانة من ابن أخي فلان، قال: فإني قد أجزت ذلك، ثم أرسل عمر غلامًا إلى داره، فأتاه بألف درهم، فساقها عن الفتى، ثم أرسل إلى الفتى، فأتاه فلما أدخلت الفتاة على الفتى انصرف عمر مسرورًا بما فعل، وهو يتغنى بهذا البيت:

وذُو الشَّوقِ القديمِ وإنْ تعزَّى ... مَشُوقٌ حينَ يلقَى العاشِقينا

٩٨ شهادة حمار

كان بمكة رجل يملك خمّارة، وكان يجتمع فيها عدد من المجان والخلعاء، فشكاه القوم إلى عامل مكة، فغرّبه إلى الصحراء، فبنى بها منزلًا هناك، وأرسل إلى إخوانه قال: ما يمنعكم أن تعاودوا ما كنتم فيه؟ قالوا: وأين بك وأنت بعيد

المنال؟ فقال: تكترون حُمُرًا بدراهم معدودة، ففعلوا، فكانوا يركبون إليه حتى فسدت أحداث مكة، فعاد القوم بشكايته إلى والي مكة، فأرسل الوالي في طلبه، فأُتي به، فقال: يا عدو الله، طردتك عن مكة، فصرت بفسادها في الصحراء؟ فقال: يكذبون علي أيها الأمير، فقال القوم: دليلنا أن تأمر بحمير مكة، فإن قصدن منزله كعادتها فنحن غير مبطلين، فقال الوالي: إن في هذا الدليل شاهدًا عدلًا، فأمر بحمير من حمير الكراء، فجمعت، وأرسلت من غير دليل، فصارت إلى منزله، فأعلمه بذلك أمناؤه، فقال: ما بعد ذلك شيء، أقيموا عليه الحد، فلما نظر إلى السياط قال: لا بد أصلحك الله من ضرب؟ قال: نعم، يا عدو الله، قال: ما في ذلك شيء هو أشد من أن يشمت بنا أهل العراق، ويضحكوا منا، ويقولوا: إن أهل مكة يجيزون شهادة الحمير، قال: فضحك الوالي، وخلى سبيله.

٩٩ الدواء الذي لا داء معه

قال الأصمعي: جمع هارون الرشيد من الأطباء أربعة: عراقيًّا، وروميًّا، وهنديًّا، ويونانيًّا، فقال: ليصف كل واحد منكم الدواء الذي لا داء معه؟ فقال العراقي: الدواء الذي لا داء معه حب الرشاد الأبيض، وقال الهندي: الأهليلج الأسود، وقال الرومي: الماء الحار، وقال اليوناني وكان أطبهم وأعرفهم: حب الرشاد الأبيض يولد الرطوبة، والماء الحار يرخي المعدة، والأهليلج الأسود يرقّ المعدة، لكن الدواء الذي لا داء معه أن تعمد إلى الطعام، وأنت تشتهيه، وتقوم عنه، وأنت تشتهيه.

١٠٠ الأغنياء والعلماء

قيل لأحد الحكماء: الأغنياء أفضل أم العلماء؟ قال: العلماء؟ قيل له: فما بال العلماء يأتون أبواب الأغنياء أكثر مما يأتي الأغنياء أبواب العلماء؟ قال: ذلك لمعرفة العلماء بفضل المال، وجهل الأغنياء بحق العلم.

١٠١ مساجلة

قال هارون الرشيد للمفضّل الضبيّ: أنشدنا بيتًا أوله أعرابي في شملته هب من نومته، وآخره مدني رقيق غُذي بماء العقيق، فقال المفضل: هولت علي يا أمير المؤمنين، ذلك مما لا أعرفه، قال هارون الرشيد: بيت جميل بثينة، حيث يقول:

أَلا أيُّها النُّوامُ وَيْحَكُمُو هُبُّوا ... أسائِلُكم هلْ يقتلُ الرجلَ الحبُّ

فقال له المفضل: فأخبرني يا أمير المؤمنين، عن بيت أوله أكثم بن صيفي في إصابة الرأي، وآخره بقراط الطبيب في معرفة الداء والدواء. قال له هارون الرشيد: ما هو؟ قال بيت الحسن بن هانئ، حيث يقول:

دعْ عنكَ لَومي فإنَّ اللومَ إغراءُ ... وداوِني بالَّتي كانتْ هيَ الدّاءُ

١٠٢ القوي المسلم

قدم رجال من أهل الكوفة على عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشكون سعد بن أبي وقاص، فقال عمر: لقد أعياني أهل الكوفة، إن وليت عليهم التقي ضعفوه، وإن ولي عليهم القوي فجروه، فقال له المغيرة: يا أمير المؤمنين، إن التقي الضعيف له تقواه وعليك ضعفه، والقوي الفاجر لك قوته وعليه فجوره، قال عمر: صدقت أنت القوي الفاجر، فاخرج إليهم، فخرج إلى الكوفة واليًا أيام عمر وصدرًا من أيام عثمان وأيام معاوية حتى مات.

١٠٣ ما عاب هذا المسلم

قال الحسن البصري لفرقد السنجي: بلغني أنك لا تأكل الفالوذج، قال: يا أبا سعد، أخاف ألّا أؤدي شكره، قال: يا لكع، وهل تؤدي شكر الماء البارد في اليوم

الصائف، والماء الحار في الشتاء القارس؟ أما سمعت قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٧٢]. ثم قال: لُبَابُ الْبُرِّ بِلُعَابِ النَّحْلِ بِخَالِصِ السَّمْنِ، مَا عَابَ هَذَا مُسْلِمٌ.

١٠٤ الطاعة للآباء والرزق للأبناء

قال أبوالعيناء: أنا أول من أظهر العقوق لوالديه بالبصرة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: قال أبي: إن الله قد قرن طاعته بطاعتي. فقلت: بماذا؟ فقال: بقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان:١٤] فقلت: يا أبي، إن الله أمنني عليك، ولم يؤمنك علي، إذ قال: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ﴾ [الأنعام:١٥١].

١٠٥ عمر ومحاسبة المسؤولين

قيل لأحدهم: إنه فشت لك فاشية في هيئتك ولباسك ومطعمك ومركبك ليست للمسلمين. فإياك يا عبدالله، أن تكون كالبهيمة مرت بوادٍ خصيب، فجعلت همّها في السمن، وفي السمن حتفها. الإنسان أحيانًا يكون حتفه في مكاسبه، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر، خذ من الدنيا ما شئت. خذ بقدرها همًّا. فالإنسان يجب أن يعتدل في مطالبه، وإلا كان عندئذٍ ضحية مطالبه.

١٠٦ ظرف أهل المدينة

روى أبوالعيناء عن الأصمعي قال: مررت بدار الزبير بالبصرة، فإذا بشيخ قديم من أهل المدينة من ولد الزبير يكنى أبا ريحانة جالس بالباب عليه شملة تستره، فسلمت عليه، وجلست إليه، فبينما أنا كذلك إذ طلعت علينا سويداء تحمل قربة، فلما نظر إليها لم يتمالك أن قام إليها، وقال لها: بالله غنّي صوتًا.

فقالـت: إن موالي أعجلوني، فقال: لا بد من ذلك، فقالت: أما والقربة على كتفي فلا، قال: أنا أحمل القربة، فأخذها منها، فاندفعت تغني، فطرب وصرخ، وضرب بالقربـة على الأرض فانشـقت، فقامـت الجارية تبكي، وقالت: مـا هذا بجزائي أسـعفتك بحاجتك، فعرضـتني لما أكره من موالي، قال: لا تغتمي، فإن المصـيبة حصـلت علي، ونزع الشـملة، ووضـع يدًا من خلف ويدًا من قدام، وباع الشـملة، وابتـاع لهـا قربة جديدة، وقعد بتلك الحال، فاجتـاز به رجل من ولد علي بن أبي طالـب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فعـرف حاله، وقال له: يا أبا ريحانة، أحسـبك من الذين قال الله تعالـى فيهم: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٦]. قال: لا، يا ابن رسـول الله، ولكني من الذين قال الله فيهم: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر:١٧-١٨] فضحك، وأمر له بألف درهم.

١٠٧ أعرابي لا يحسن القسمة

قال الجاحظ: قال أبوالحسن: حدثني أعرابي كان ينزل بالبصرة قال: قدم أعرابي من البادية، فأنزلته، وكان عندي دجاج كثير، ولي امرأة وابنان وابنتان، فلما حضـر الغداء جلسـنا جميعًا أنا وابنتاي وابناي والأعرابي قال: فدفعنا إليه الدجاجة، وقلنا له: اقسـمها بيننا، نريد بذلك أن نضـحك منه، فقال: لا أحسن القسمة، فإن رضيتم بقسمتي قسمتها بينكم، قلنا: نرضى، فأخذ رأس الدجاجة وقطعـة وناولني إيـاه، وقال: الرأس للرئيس، وقطـع الجناحين، وقال: الجناحان للابنين، ثم قطع المزمكي ذنب الطائر، وقال: العَجُز للعجوز، وقال: الزور للزائر، ثم أخذ الدجاجة، وسخر منا.

قـال: فلما كان الغد قلت لامرأتي: اشـوي لنا خمس دجاجات، فلما حضـر الغداء قلت: اقسـم بيننا قال: إني أظن أنكم وجدتم غضـبًا في أنفسكم، قلنا: لا، لم نجد في أنفسنا فاقسم، قال: أقسم وترًا أم شفعًا؟ قلنا: اقسم وترًا، قال: أنت

وامرأتـك ودجاجة ثلاثة، ثم رمى إلينا بدجاجة، ثم قال: وابناك ودجاجة ثلاثة، ثم قال: أنا ودجاجتان ثلاثة، وابنتاك ودجاجة ثلاثة، ثم أمسك دجاجتين، ورمى لبناتـي دجاجة، قال: فرآنا ننظـر إلى دجاجتيه، قال ما تنظـرون لعلكم كرهتم قسـمتي الوتر لا يكون إلا هكذا، هل لكم بقسمة الشفع، قلنا: نعم، فضمّهن إليه، ثـم قال: أنت وابنتاك ودجاجة أربعة، وامرأتك وأبناؤها ودجاجة أربعة، ثم قال: أنا وثلاث دجاجات أربعة، ثم رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم، لك الحمد أنت فهمتنيها!

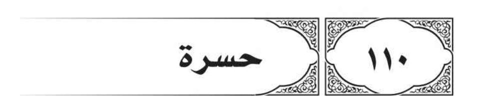
١٠٨ معمر يعطيك تجاربه

زعمـوا أن تبعًا الفزاري كان من المعمريـن، وأنه دخل على بعض خلفاء بني أميـة، فقيل له: أخبرنا عما رأيت في سـالف عمرك. قال: رأيت الناس بين جامع مـال مفرق، ومفـرق مال يجمع، وبين قوي يظلم، وضـعيف يظلم، وصـغير يكبر وكبير يهرم، وحي يموت وجنين يولد، وكلهم بين مسرور بموجود ومحزون بمفقود.

١٠٩ قبيح الفعل حسن الاعتذار

رُوي أن ملكًا من الملوك أمر أن يوضـع له طعام، وأحضـر قومًا من خاصته، فلمـا مد السـماط أقبـل الخادم وعلى كفه صـحن مـن الطعام، فلمـا قرب من الملـك أدركته الهيبة، فعثر فوقع من مرق الصـحن شـيء على طرف ثوب الملك، فاستشـاط غيظًا، وأمر بضـرب عنقه، فلما رأى الخادم العزيمة على ذلك صب ما كان قد بقي في الصحن على رأس الملك، فقال له: ويحك، ما هذا؟ فقال: أيها الملك، إنما صـنعت هذا شـحًا على عرضـك وغيرة عليك؛ لئلا يقول الناس: إن ذنبي الذي تقتلني فيه خفيف لم يضـره، وأخطأ فيه العبد، ولم يقصـده فتنسـب

إلى الظلم والجور، وصنعت ذلك لتعذر في قتلي، وترفع عنك الملامة، فأطرق الملك مليًّا، ثم رفع رأسه، وقال: يا قبيح الفعل، في حسن الاعتذار، قد وهبنا قبيح فعلك وعظيم ذنبك لحسن اعتذارك، اذهب فأنت حر لوجه الله.



١١٠ حسرة

قيل: إن أبا دلف سار يومًا مع أخيه معقل، فرأيا امرأتين تتماشيان، فقالت إحداهما للأخرى: هذا أبودلف؟ قالت: نعم، الذي يقول فيه الشاعر:

إنَّما الدُّنيا أبودُلَفٍ ... بينَ مَغْزاه ومُحْتَضَرِه

فإذا ولَّى أبودُلَفٍ ... ولَّتِ الدُّنْيا على أَثَرِه

فبكى أبودلف حتى جرت دموعه، فقال له معقل: مالك يا أخي، تبكي؟ فقال: لأني لم أقضِ حق الذي قال هذا، قال: أولم تعطِه مئة ألف درهم: قال: والله ما في نفسي حسرة إلا لكوني لم أعطِه مئة ألف دينار.

١١١ والكاظمين الغيظ

أمر مصعب بن الزبير بقتل رجل، فقال: ما أقبح أن أقوم يوم القيامة من مقامي، فأنظر إلى صورتك هذه الحسنة ووجهك الذي يستضاء به، فأتعلق بأطرافك.

وأقول:

أي ربِّ سلْ مصعبًا لمَ قتلني؟ فأطرق مصعب هنيهة، وقال: أطلقوا سراحه، فلما أطلقوه قال: أيها الأمير، اجعل ما وهبت من حياتي في خفض عيش، قال مصعب: قد أمرت لك بمئة ألف درهم.

١١٢ الناس على دين ملوكهم

كان الناس إذا أصبحوا في زمن الحجاج وعبد الملك يتساءلون إذا تلاقوا: من قتل البارحة، ومن صلب، ومن جلد؟ وكان الوليد بن عبد الملك صاحب ضِياع ومصانع، فكان الناس يتساءلون في زمانه عن البنين والمصانع وشق الأنهار وغرس الأشجار؟ ولما ولى سليمان بن عبد الملك كان صاحب طعام وقيان، وكان الناس يتحدثون، ويتساءلون في الأطعمة الرفيعة وفي أخبار القيان والسراري، ويعمر مجالسهم بذكرهن، ولما ارتقى عمر بن عبد العزيز الخلافة كان الناس يتساءلون كم تحفظ من القرآن، وكم وردك كل ليلة، وكم يحفظ فلان، وكم يصوم من الشهر؟

١١٣ تصدق بدرعه

أتى أعرابي إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فسأله شيئًا، وقال: والله ما أصبح في بيتي شيء فضل عن قوتي، فولى الأعرابي، وهو يقول: والله ليسألنّك الله عن موقفي بين يديك يوم القيامة، فبكى علي بكاءً شديدًا، وأمر برده، وقال: يا قنبر، ائتني بدرعي، فدفعها إلى الأعرابي، وقال: لا تخدعن عنها؛ أي لا يغشك أحد في ثمنها، فطالما كشفت بها الكروب عن وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال قنبر: يا أمير المؤمنين، يكفيه عشرون درهمًا، فقال علي: يا قنبر، والله ما يسرني أن لي زنة الدنيا ذهبًا وفضة، فتصدقت به، وقبل الله مني ذلك، وأنه يسألني عن موقف هذا بين يديّ.

١١٤ لا خير إلا مع...

ليس شيء أضر بالسلطان من صاحب يحسن القول، ولا يحسن الفعل، ولا خير في القول إلا مع الفعل، ولا في المال إلا مع الجود، ولا في الصدقة إلا مع

الوفاء، ولا في الفقه إلا مع الورع، ولا في الصدقة إلا مع حسن النية، ولا في الحياة إلا مع الصحة.

١١٥ نصائح فريدة

لما وجه عمر بن هبيرة مسلم بن سعيد إلى خرسان قال له: أوصيك بثلاث: حاجبك، فإنه وجهك الذي تلقى به الناس إن أحسن فأنت المحسن وإن أساء فأنت المسيء، وصاحب شرطتك فإنه سوطك وسيفك حيث وضعتهما فقدِّر موضعهما، ثم عمال القدر، قال: وما عمال القدر؟ قال: أن تختار من كل كورة رجلًا لعملك، فإن أصابوا فهو الذي أردت، وإن أخطؤوا فهم المخطئون وأنت المصيب.

١١٦ أصلح ثم أفسد

قدم ابن جامع مكة بمال كثير، ففرقه على ضعفاء أهلها، فقال سفيان بن عيينة: بلغني أن هذا السهمي قدم بمال كثير، قالوا: نعم، قال: فعلامَ يعطي؟ قالوا: يغني الملوك فيعطونه، قال: وبأي شيء يغنيهم؟ قالوا: بالشعر، قال: فكيف يقول؟ فقال له فتى من تلاميذه، يقول:

أطوفُ بالبيتِ معَ مَنْ يطوفُ ... وأرفعُ مِنْ مِئْزَري المُسبلِ

قال: بارك الله عليه ما أحسن ما قال! قال: ثم ماذا؟ قال:

وأَسجدُ بالليلِ حتّى الصَّباحِ ... وأتلو مِنَ المحكمِ المُنزَلِ

قال: وأحسن أيضًا أحسن الله إليه، ثم ماذا؟ قال:

عَسَى فارجُ الهَمِّ عَنْ يوسفٍ ... يسخرُ لي ربَّةَ المَحْملِ

قال: أمسك.. أمسك.. أفسد آخرًا ما أصلح أولًا.

١١٧ اختيار موفق

تقدم سهيل بن عمرو، وأبو سفيان بن حرب لخطبة هند بنت عتبة بن ربيعة، وكانت أجمل امرأة في زمانها، دخل عليها أبوها، وأخبرها الخبر، فقالت: يا أبت، فسِّر لي أمرهما، وبيِّن لي خصالهما حتى أختار لنفسي أشدهما موافقة لي، فبدأ بذكر سهيل بن عمرو، فقال: أما سهيل فهو من خيار العشيرة وفي ثروة من العيش، إن تابعته تابعك، وإن ملت عنه حط إليك تحكمين عليه في أهله وماله، وأما أبو سفيان بن حرب فموسع عليه منظور إليه في الحسب الحسيب والرأي الأريب مدره أرومته وعز عشيرته شديد الغيرة كثير الظَّهرة لا ينام على ضعة، ولا يرفع عصاه عن أهله، فقالت: يا أبتِ، الأول سيد مضياع للمرأة، فما عست أن تلين بعد إبائها، وتضع تحت جناحه، إذا تابعها بعلها فأشرت، وخافها أهلها فأمنت، فساءت عند ذلك حالها، وقبح عند ذلك دلالها، فإن جاءت بولد أحمقت، وإن أنجبت فمن خطأ ما أنجبت، فاطرد ذلك عني، ولا تسمِّه لي. أما الآخر فبعل الفتاة الخريدة الحرة العفيفة، وإني للتي لا أريب عشيرة، فتغيره ولا تصيّره بذعر فتضيره، وإني لأخلاق مثل هذا لموافقة فزوجنيه، فزوجها من أبي سفيان، فأنجبت له داهية دهاة العرب معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

١١٨ مداعبة

قال الوليد بن عبيد البحتري الشاعر المعروف: كنا عند المتوكل على الله يومًا وبين يديه عبادة المضحك، فأمر به، فألقي في بعض البرك أيام الشتاء، فابتل وكاد يموت بردًا، ثم أخرج من البركة، وكسي، وجعل في ناحية من المجلس، فقال له المتوكل: يا عبادة، كيف أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين، جئت من الآخرة، فقال له: كيف تركت أخي الواثق، قال: لم أمر بجهنم، فضحك المتوكل، وأمر له بصلة.

١١٩ من الهدي النبوي

قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يومًا لبعض جلسـائه: «**أيها الناس، ما الرقوب فيكـم؟**» قالوا: الرجل يمـوت، ولم يترك ولدًا، فقـال: «**بل الرقوب حق رجل مات، ولم يقدم من ولده واحدًا يحتسبه عند الله، وإن كانوا كثيرًا بعده**»، ثم قال: «**ما الصعلوك فيكم؟**» قالوا: الرجل الذي لا مال له، قال: «**الصعلوك حق الصعلوك مـن لم يقـدم من ماله شيئًا يحتسبه عنـد الله، وإن كان كثيرًا بعده**»، قال: «**ما الصرعة فيكم؟**» قالوا: الشـديد القوي الذي لا يوضع جنبه، فقال: «**بل الصرعة حـق الصرعـة رجل ما وكزه الشيطـان في قلبه، فاشتد غضبـه، وظهر دمه، ثم ذكر الله، فصرع بحلمه غضبه**»[1].

١٢٠ ذلة السؤال

قال أبوبكر الحنفي: حضرت مجلس الجماعة بالكوفة، وقد قام سائل يتكلم عند صـلاة الظهر ثم صلاة العصـر والمغرب، فلم يعطِ شيئًا، فقال: اللهم، إنك عالم بحاجتي غير معلم، وواسع غير مكلف، وأنت الذي لا يرزؤك نائل، ولا يخفيك سائل، ولا يبلغ مدحتك قائل، أنت كما قال المثنون وفوق ما يقولون، أسألك صبرًا جميلًا وفرجًا ونصـرًا بالهدى وقرة عين فيما تحب وترضـى، ثم ولى لينصرف، فابتدره الناس يعطونه، فلم يأخذ شيئًا، ثم مضى، وهو يقول:

ما اعتاضَ باذلُ وجهِه بسؤالِه ... عِوضًا ولَو نالَ الغِنَى بسؤالِ

وإذا السؤالُ معَ النوالِ وزنتَه ... رجحَ السؤالُ وخفَّ كلُّ نَوالِ

---

(١) أخرجه أبو يعلى مختصـرًا (١٣٣/٦ رقم٣٤٠٨)، ولفظه عن أنس بن مالك قال: وقف رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على مجلس بني سلمة فقال: «يا بني سلمة ما الرقوب فيكم؟» قالوا: الذي لا ولد له قال: «بل هو الذي لا فرط له» قال: «ما المعدم فيكم؟» قالوا: الذي لا مال له قال: «بل هو الذي يقدم وليس له عند الله خير». وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٥/٣ رقم٤٠٠١): رواه أبو يعلي والبزار باختصار، ورجال البزار رجال الصحيح.

١٢١ صدق الود

كتب بعض الكتّاب إلى أخ له: إن رأيت أن تحدد لي ميعادًا لزيارتك أتوق به إلى وقت رؤيتك، ويؤنسني إلى حين لقائك فعلت، فأجابه: أخاف أن أعدك وعدًا يعترضني دون الوقاية ما لا أقدر على دفعه، فتكون الحسرة أعظم من الفرقة، فأجابه: أنا أُسرّ بموعدك، وأكون جزلًا بانتظارك، فإن عاق عن الإنجاز عائق كنت قد ربحت السرور بالتوقع لما أحبه، وأصبت أجري على الحسرة فيما حرمته.

١٢٢ نصائح

قال وبرة المكي: كنت في مجلس ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال كلمات لهي أحب إليّ من الدُّهْم الموقّفة؛ أي الخيل المربوطة التي لونها أدهم، قال: لا تتكلمَنّ فيما لا يعنيك حتى ترى له موضعًا، فرُبّ متكلم بالحق في غير موضعه قد عيب، ولا تمارِيَنّ سفيهًا ولا حليمًا، فإن السفيه يؤذيك والحليم يقليك، ولا تذكرَنّ أخاك إذا غاب إلا بمثل ما تحب أن يذكرك به إذا غبت عنه، واعمل عمل رجل يعلم أنه مجزي بالإحسان، ومأخوذ بالإجرام، فقال رجل عنده: يا بن عباس، لهذه خير من عشرة آلاف، قال: كل كلمة منها خير من عشرة آلاف.

١٢٣ أولادنا

سأل معاوية بن أبي سفيان الأحنف بن قيس عن الولد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، نحن لهم أرض ذليلة وسماء ظليلة، وبهم نصول عن كل جليلة، فإن طلبوا فأعطِهم، وإن غضبوا فأرضِهم يمنحوك ودهم، ويحبوك جهدهم، ولا تكن عليهم عضلًا، فيتمنوا موتك، ويكرهوا قربك،

ويملوا حياتك، فقال معاوية: لله أنت لقد دخلت عليّ وأنا مملوء غيظًا على يزيد، وقد أصلحت من قلبي له ما كان فسد، فلما خرج الأحنف من عند معاوية بعث معاوية إلى يزيد بدراهم وهدايا، فبعث يزيد إلى الأحنف نصفها.

١٢٤ في صحبة الرسول

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أرحم أمتي أبوبكر، وأقواهم على دين الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقضاهم علي بن أبي طالب، وأقرؤهم أبيّ بن كعب، وأفْرَضُهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وما أظلت الخضراء، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر الغفاري، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة بن الجراح**»[١].

١٢٥ العاقل والجاهل

قيل: إن للعاقل خصالًا يعرف بها: يحلم عمن ظلمه، ويتواضع لمن هو مثله، ويسابق بالبر من هو فوقه، وإذا رأى باب فرصة انتهزها، لا يفارقه الخوف، ولا يصحبه العنف، يتدبر ثم يتكلم، فإن تكلم غنم، وإن سكت سلم، وإن عرضت له فتنة اعتصم بالله، ثم تنكبها. وللجاهل خصال يعرف بها: يظلم من يخالطه، ويتكلم من غير تدبر فيندم، فإن تكلم أثم، وإن سكت سها، وإن عرضت له فتنة أردته، وإن رأى باب فضيلة أعرض عنها.

١٢٦ خصال أربع

عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: من أُعطي أربع خصال فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، وفاز بحظه منها: ورع يعصمه عن محارم الله، وحسن خلق

(١) أخرجه الترمذي (٥/٦٦٤-٦٦٥ رقم ٣٧٩٠ و٣٧٩١)، وصححه.

يعيش به في الناس، وحلم يدفع به جهل الجاهل، وزوجة صالحة تعينه على أمر الدنيا والآخرة.

١٢٧ وشاية لم تتحقق

حكى ابن قتيبة قال: كان بين حاتم طيء وأوس بن حارثة ألطف ما يكون بين اثنين، فقال النعمان لبعض جلسائه: لأفسدنّ بينهما، فدخل على أوس، وقال: إن حاتمًا يزعم أنه أفضل منك، فقال: أبيت اللعن صدق! لو كنت أنا وولدي وأهلي لحاتم لوهبنا في يوم واحد، وخرج ثم دخل على حاتم، وقال له مثل ذلك، فقال: صدق! وأين أقع من أوس وله عشرة ذكور أدناهم أفضل مني، فقال النعمان: ما رأيت أفضل منكما وكفيتم العرب فخرًا.

١٢٨ جواب مقنع

روي أن الحجاج الثقفي أخذ أخا قطري بن الفجاءة، وقال: لأقتلنك؟ قال: لمَ؟ قال: لخروج أخيك عليّ، فقال: إن معي كتابًا من أمير المؤمنين ألا تأخذني بذنب أخي، فقال الحجاج: هاته؟ قال: ومعي كذلك رسالة من السماء علاوة على رسالة أمير المؤمنين، ثم قال: معي قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤] فتعجب من جوابه، وخلّى سبيله.

١٢٩ فرقة

لما حضر عبدالله بن علي العباسي دمشق - وكان يدعو إلى العباسيين سرًّا - اختلف اليمانية والمضرية من أهلها، اختلفوا، وتلاعنوا في المسجد، واقتتلوا بالأيدي والسباب، وفي حدة ذلك يخطبون لبني أمية، ويدعون لهم، فأقبل شيخ

لهـم يومًا، فقالوا لـه: قمْ واخطب وعـيرّ الناس بالفرقة، وحثهـم على الجماعة والألفة، وذكرهم بالله تعالى والإسـلام وصلة الرحم، فصعد الشيخ المنبر، وكان مغفـلًا، فأخذ يحضـهم علـى الألفة والصـلح والجماعة، ثم قـال: كما قال الله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى:٧] فتضاحكوا منه، وتفرقوا عنه.

١٣٠ أبيات أعجبتني لا أعرف قائلها

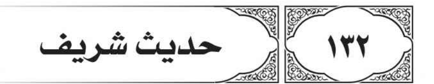
يا صاحبي لا صرت ضايق ومهموم ... ابحث عن أسباب الحياة السعيدة
حرر قيود الأمس وابدأ من اليوم ... افتح على دنياك صفحة جديدة
دايم تفاءل بالأمل واترك اللوم ... عش لحظتك واللي مضى لا تعيده
اعرف ترى ما أنت من الذنب معصوم ... الله هو الغفار وحنا عبيده
إن شانت الدنيا ترى العمر مقسوم ... ما أحد حياته جت على ما يريده
الحزن مهما طال لا يمكن يدوم ... بعد التجارب في حياتك مفيدة
وإن كنت من عزبات الأيام محروم ... ما أنت الوحيد اللي ظروفه عنيدة
ما دمت لا ظالم ولا أنت بمظلوم ... وقلبك بعد مازال ينبض وريده
انفض غبار الهم واصحَ من النوم ... واصبر على الشدات لو هي شديدة
عانق تباشير الزمن وابعد الحوم ... قدامك دروب الأماني عديدة

١٣١ وصية الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أخـرج ابـن أبي الدنيا، والبيهقي في شـعب الإيمان، وابن عسـاكر، عن أبي عبدالله – وأظنه الملطي – قال: لما أراد الخضر أن يفارق موسى قال له: أوصِني، قال: كن نفّاعًا ولا تكن ضـرّارًا، كن بشّاشًـا ولا تكن غضبان، ارجع عن اللجاجة

- أي التمادي في الخصـومة - ولا تمشِ من غـير حاجة، ولا تعيّر امرأً بخطيئته، وابكِ على خطيئتك يا ابن عمران.

- تفسير القرطبي: ج١١، ص٤٥ -



١٣٢ حديث شريف

قال رسـول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، وفسق شبابكم، ولم تأمروا بالمعروف، ولم تنهوا عن المنكر؟**» قيل له: ويكون ذلك يا رسول الله؟ قـال: «**نعم، وشـر من ذلـك، كيف بكـم إذا أمـرتم بالمنكر؟**» قيـل: ويكون ذلك يا رسـول الله؟ قـال: «**وشر من ذلـك، كيف بكـم إذا رأيتـم المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟**»[1].

١٣٣ حيلة صائبة

كان بالكوفة امرأة لها زوج قد عسر عليه المعاش، فقالت زوجته: لو خرجت، فضربت في البلاد، وطلبت من فضل الله رجوت أن ترزق شيئًا، فخرج إلى الشام، وكسـب ثلاث مئة درهم، فاشـترى بها ناقة فارهة، فركبها قاصـدًا إلى الكوفة، وكانت الناقة نافرة، فأضجرته، واغتاظ منها، فبدر لسانه فيها بأن حلف بطلاق امرأتـه أن يبيع الناقة يوم دخوله الكوفة بدرهم، فلما رجع إلى الكوفة ندم أشـد ندامة، واغتم لذلك، فقالت له زوجته: أي شيء جنيت معك؟ قال: لا شيء، قالت لـه: وهـذه الناقة لمن؟ قـال: لا أدري لمن تحصـل له، وحدّثها بحديثـه، وما جنى لســانه، فقالـت له: أنا أحتال لك حتـى لا تحنث، ولا تخيب، وعمدت إلى سـنور؛ أي قـط فأخذته، وعلقته في عنق الناقة، وقالت: أدخلها السـوق، ونادِ عليها: من يشـتري هذا السـنور بثلاث مئة درهم والناقة بدرهم، ولا أفـرق بينهما؟ فجعل

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١١/٣٠٤ رقم٦٤٢٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١١/٣٤٣ رقم٥٢٠٤).

أعرابـي يدور حـول الناقة، ويقول: ما أسـمنك، وما أفرهك، وما أحسـنك، وما أرخصك لولا هذا المشارك الذي في عنقك!

١٣٤ لا يستغني عن الشكر

أقبل أحد الأدباء على المأمون، وسـأله حاجـة وردّه ردًّا غير جميل، فقال له الأديـب: إني أدخر لك شـكرًا وثناءً حـرًّا ومدحًا بكرًا يا أمـير المؤمنين، فأجاب المأمون: وهل مثلي يحتاج إلى مثل شـكرك؟ فقـال الأديب: أيها الأمير، لا تحرك لسانك لتعجل به:

فلو كانَ يستغني عنِ الشكرِ مالكٌ ... لـكـثرةِ مــالٍ أو عـلـوٍّ مـكـانِ

لما نـدبَ اللهُ الـعـبـادَ لشكـرِه ... وقـالَ: اشكرُوني أيُّها الثَّقلانِ

فأعجب به المأمون، وقال له: صدقت، وأجازه.

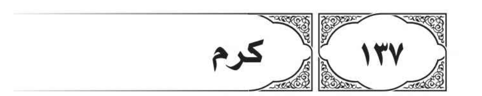
١٣٥ الحسنة والسيئة

قـال عبـد الله بن عباس: إن للحسـنة نورًا في القلب، وزينًـا في الوجه، وقوة في البدن، وسـعة في الرزق، ومحبة في قلوب الناس، وإن للسـيئة ظلمة في القلب، وشينًا في الوجه، وضعفًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق.

١٣٦ تواضعا لمعلمهما

كان الكسـائي يـؤدب الأمـين والمأمـون ابنـي هارون الرشـيد، فـأراد يومًا النهوض من عندهما، فابتدرا إلـى نعليه ليقدماهما له، فتنازعا أيهما يفعل، ثم

اصـطلحا على أن يقدم كل واحد منهما واحدة، فلما رفع الخبر إلى الرشيد وجه إلى الكسائي، فلما مثل بين يديه قال: من أعز النـاس؟ قال: لا أعلم أعز من أمير المؤمنين، قال: بلى، إن أعز النـاس من إذا نهض تقاتل على تقديم نعليه وليّا عهد المسـلمين حتى يرضى كل منهما أن يقدم له واحدة، فأخذ الكسائي يعتذر حسابًا أنـه أخطأ، فقال الرشـيد: لو منعتهمـا من تلك لأوجعتك لومًـا وعتبًا، ولألزمتك ذنبًا، فما وضـع ما فعلا من شـرفهما، بل رفع من قدرهما، وبيّن من جوهرهما، ولقـد تبيّنت مخيلة الفراسـة بفعلهمـا، فليس يكبر المـرء - وإن كان كبيرًا - عن ثلاث: تواضعه لسلطانه، ولمعلمه، ولوالديه.



١٣٧ كرم

قـال الأصـمعي: مـررت بأعرابي يصـلي بالناس، فصـليت خلفـه، فقرأ: «والشـمس وضـحاها والقمـر إذا تلاها كلمـة بلغت معناها لن يدخـل النار ولن يراها»، فقلت له: إن ما تقوله ليس من القرآن في شيء، قال: إذن علمني، فعلمته الفاتحة وسورة الإخلاص، ثم إنني مررت به بعد أيام عدة، فإذا هو يقرأ الفاتحة وحدها، فقلت: أين السورة الأخرى؟ فقال: وهبتها لابن عم لي، والكريم لا يرجع في عطائه!

١٣٨ نباهة أعرابي

قال الأصـمعي: كنت أقرأ: والسـارق والسـارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسـبا نكالًا مـن الله والله غفور رحيم، وبجانبي أعرابـي، فقال: كلام من هذا؟ فقلـت: كلام الله، قـال: أعدّ، فأعدت، فقال: ليس هـذا كلام الله، فقرأت: والله عزيز حكيم، فقال: أصـبت هذا كلام الله، فقلت: أتقـرأ القرآن؟ قال: لا، فقلت له: من أين علمت؟ فقال: يا هذا، عزّ، فحكم، فقطع، ولو غفر، ورحم لما قطع.

١٣٩ علام الهم؟!

مر إبراهيم بن أدهم على رجل ينطق وجهه الهم والحزن، فقال له إبراهيم: يا هذا، إني سائلك عن ثلاث، فأجبني؟ فقال له الرجل: نعم، فقال إبراهيم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريده الله؟ قال: كلا، قال إبراهيم: أفينقص رزقك شيء قدره الله؟ قال: كلا، قال: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله لك في الحياة؟ قال: كلا، فقال إبراهيم: فعلامَ الهم؟!

١٤٠ مقاضاة

كان أبوالأسود الدؤلي مزواجًا، وكانت له مع نسائه حوادث ظريفة، ومن أظرفها أنه كان له ولد من إحدى زوجاته، فأراد أن يضمه إليه، فاختصما إلى زياد بن أبيه في البصرة، فقالت المرأة: أصلح الله الأمير، هذا ابني، وكان بطني وحجري فناءه، وثديي سقاءه، أرعاه إذا نام، وأحفظه إذا قام، فلم يزل كذلك سبعة أعوام، حتى استوفى فصاله، وكملت خصاله، واشتدت أوصاله، وأملت نفعه، ورجوت دفعه أراد أن يأخذه مني كرهًا، فانصرني أيها الأمير، فقد رام شهري وأراد قسري، فقال زوجها أبوالأسود: أصلح الله الأمير هذا ابني حملته قبل أن تحمله، ووضعته قبل أن تضعه، وأنا أقوم عليه في أدبه، وأنظر في أوده، وأمنحه علمي، وألهمه فهمي وحلمي حتى يكمل عقله، ويستحكم فتله، فقالت المرأة: صدق أيها الأمير، حمله خفًّا، وحملته ثقلًا، ووضعه شهوة، ووضعته كرهًا، فقال زياد: ارددْ على المرأة ولدها، فهي أحق به منك، ودعني من سجعك.

١٤١ في الولاية

قال عدي بن أرطأة لإياس بن معاوية: دُلّني على قوم من القرّاء أوليهم حكم الأمصار، فقال له: القراء ضربان: ضرب يعملون للآخرة، ويطلبون الأمر لله، وقد زهدوا في مباهج هذه الحياة، وأولئك لا حاجة لهم في لقائك، وضرب يعملون للدنيا فما ظنك بهم إذا مكنتهم منها؟ قال: وما أصنع؟ قال: عليك بأهل البيوتات الذين يستحبون لأحسابهم، فولِّهم.

١٤٢ حكمة على لسان طائر

قال الشعبي: أخبرت أن رجلًا صاد قنبرة، فلما صارت بيده قالت له: ما تريد أن تصنع بي؟ قال: أذبحك وآكلك، قالت: ما أشفي من مرض، ولا أشبع من جوع، ولكن أعلمك ثلاث خصال خير لك من أكلي: أما الأولى فأعلمك بها وأنا في يدك، والثانية وأنا على الشجرة، والثالثة وأنا على الجبل، فقال لها: هاتِ الأولى، قالت: لا تتلهف على ما فاتك، قال: فلما صارت على الشجرة قال لها: هاتِ الثانية، قالت له: لا تصدق أن ما لا يكون يكون، فلما صارت على الجبل قالت: يا شقي، لو ذبحتني أخرجت من حويصلتي درّتين في كل واحدة عشرون مثقالاً، قال: فعض على شفتيه، وتلهف، ثم قال لها: هاتِ الثالثة، قالت له: أنت نسيت اثنتين فكيف أحدثك الثالثة، ألم أقل لك: لا تتلهف على ما فاتك، ولا تصدق أن ما لا يكون يكون، وأنا وريشي ولحمي لا أزن عشرين مثقالاً!

١٤٣ حط على قدره

دخل أحد الأعراب على الخليفة هارون الرشيد، فسأله الرشيد عن حاجته؟ فقال الأعرابي: مئة ألف درهم، فقال الرشيد: أسرفت يا أخا العرب، واحطط

منها – أي انقصنا – فقال الأعرابي: حططت ألفًا، فقال الرشيد: ما أعجب ما سألت، وما حططت! قال الأعرابي: لا يعجب أمير المؤمنين، سألته على قدره، وحططت على قدري.

١٤٤ طاعة الله مبتغانا

لما حضرت إسماعيل بن جعفر الصادق الوفاة نظر الناس إلى الصادق جزعًا يدخل مرة، ويخرج مرة، ويقوم مرة، ويقعد أخرى، فلما توفي إسماعيل دخل الصادق بيته، فلبس أنظف ثيابه، وسرح شعره، وجاء إلى مجلس، فجلس ساكتًا عن المصيبة كأنه لم يصب بمصيبة، فقيل له في ذلك، فقال: إنا أهل البيت نطيع الله فيما أحب، ونسأله ما نحب، وإذا فعل بنا ما نحب شكرنا، وإذا فعل بنا ما نكره رضينا.

١٤٥ كيف نواجه الصعاب؟

سئل أحد الأبطال عن سر قدرته على مواجهته الصعاب؟ فأجاب: هل شاهدت حجارًا، وهو يكسر الأحجار؟ إنه يظل يضرب الصخر بمطرقته ربما مئة مرة دون أن يبدو فيها أدنى أثر يبشر بكسر أو فلق، وفجأة في المرة الواحدة بعد المئة ينشطر الصخر إلى شطرين، ستقول: إن الضربة الأخيرة هي التي حققت شطر الصخرة، والحقيقة أنها هي التي شطرتها، ولكن بعد أن مهدت لذلك المئة التي سبقت.

١٤٦ أغبط الناس

قال زياد بن أبيه يومًا لجلسائه: من أغبط الناس عيشًا؟ قالوا: الأمير وجلساؤه، فقال: ما صنعتم شيئًا، إن لأعواد المنابر هيبة، وإن لفرع لجام البريد

لفزعـة، وإن أغبـط النـاس عندي، رجل لــه دار يجري عليه كراؤهــا، وله زوجة صــالحة قد رضيته، ورضــيها، فهما راضيان بعيشــهما لا يعرفنا ولا نعرفه، فإن عرفنا وعرفناه أتعبنا ليله ونهاره، وأفسدنا عليه دينه ودنياه.

١٤٧ فيها كلف وخنس

قال الأصـمعي: كنت عند أمير المؤمنين الرشـيد، إذ دخل رجل ومعه جارية للبيع، فتأملها الرشيد، ثم قال: خذ جاريتك فلولا كلف في وجهها - الكلف حمرة تعلــو الوجــه - وخنس في أنفهــا - الخنس تأخر الأنف عن الوجــه ارتفاع قليل في الأرنبة – لاشتريتها، فانطلق بها، فلما بلغت السر قالت: يا أمير المؤمنين، اردني إليك أنشدك بيتين حضراني، فردّها، فأنشدت تقول:

مـا سـلمَ الـظبـيُ علَـى حسـنه ... كـلا ولا الـبـدرُ الـذي يُوصـفُ

الـظـبـيُ فـيـه خـنـسٌ بـيِّنٌ ... والـبـدرُ فـيـه كَـلـفٌ يُـعـرفُ

فأعجبته بلاغتها، فاشتراها، وقرّب منزلتها، فكانت أحظى جواريه عنده.

١٤٨ الدماغ العظيم

حتى الآن لم يفهم علماء الأعصاب كيفية عمل (سور الدماغ العظيم) الذي يمنع البكتيريا والجراثيم في تيار الدم من الدخول إلى الدماغ حفاظًا على صحته وخوفًا من مرض أو تسمم. وبهذه الطريقة يعمل الدماغ بمعزل عن معظم أسباب العـدوى والأمراض، ولـو أتيح لبقية أعضـاء الجسـم مثل هذه الآليـة لما مرض الإنسان أبدًا!.

١٤٩ العدل المطلق عند الله

جاء في بعض الأثر أن موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام سأل ربه: أي ربّ، أرني عدلك، فأمره الله أن يذهب إلى نهر، فينظر ما يكون، فجاء فارس معه جرة فيها مال، فشرب من النهر، ثم مضى ونسي، الصرة، فأعقبه صبي على مكانه، فأخذ الصرة بمجرد أن رآها، ومضى. ثم جاء رجل أعمى للمكان نفسه ليشرب، فعاد الفارس يبحث عن الصرة، فسأل الأعمى؟ فأخبره بأنه لم يجد شيئًا، فاغتاظ الفارس منه، وقتله ومضى، فقال موسى: أي ربّ، أين عدلك؟ فأوحى الله إليه: أما الفارس فقد سرق الصرة من والد الصبي، فأعدتها إليه، وأما الأعمى فعندما كان مبصرًا قتل والد الفارس من قبل، فجعلت ابنه يقتص منه، فنال كل أحد في الدنيا حقه، ولا يظلم ربك أحدًا.

١٥٠ مكارم الأخلاق

خطب ثلاثة إخوة من العرب إلى عمهم ثلاث بنات له، فقال: مرحبًا بكم لا أذم عهدكم، ولا أستطيع ردكم، خبروني عن مكارم الأخلاق، فقال الأكبر: الصون للعرض، والجزاء بالفرض، وقال الأوسط: النهوض بالثقل والأخذ بالفضل، وقال الأصغر: الوفاء بالعهد والإنجاز للوعد، قال: أحسنتم للجواب ووفقتم للصواب.

١٥١ اشترى القتل لنفسه

قيل: إن بلال بن أبي بردة كان في حبس الحجاج، وكان كل من مات من الحبس رُفع خبره إلى الحجاج، فيأمرهم بإخراجه وتسليمه إلى أهله، فقال بلال

للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم، وأخرج اسمي إلى الحجاج، فأخرج السجان اسـمه، فلما رأى الحجاج اسمه قال: مثل هذا لا يجوز أن يخرج حتى أراه، هاته. فعاد السـجان إلى بلال، فقال: أوصِ بوصيتك، قال: ما الخبر؟ قال: إن الحجاج يقـول كـذا وكذا، فإن لم أحضـرك إليه ميتًا قتلني، وعلـم أني أردت الحيلة، فلا بـد أن أقتلك خنقًا، فتوسـل إليه ألا يفعل، ولكن لم يكـن إلى ذلك طريق، فأخذه السـجان، وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتًا سـلمه إلى أهله، فأخذوه، وقد قيل: إن بلالًا اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم، ورجعت الحيلة إليه!



١٥٢ العقل

- أربعة تؤدي إلى أربعة: العقل إلى الرئاسـة، والرأي إلى المشـورة، والعلم إلى التصدير، والحلم إلى التوقير.
- أفضل العقل معرفة العاقل بنفسه.
- العاقل المحروم خير من الجاهل المرزوق.

١٥٣ دفنتها في أكرم بقعة

نزل عبدالله بن جعفر إلى خيمة أعرابية، كانت عندها دجاجة وقد أمسـى عندها، فذبحتها، وجاءت بها إليه، وقالت: يا أبا جعفر، هذه دجاجة كنت أطعمها من قوتي، وألمسـها في آناء الليل، وكأنما ألمس بنتًا نزلت من جوفي، فنذرت لله أن أدفنهـا في أكرم بقعة، فلم أجد تلـك البقعة المباركة إلا بطنك، فأردت أن أدفنها فيه، فضحك عبدالله بن جعفر، وأمر لها بألف درهم.

١٥٤ ما أشبه ما بين الحيوان والإنسان!

قال الجاحظ: هناك صفات متماثلة بين الإنسان والحيوان، ويبدو هذا واضحًا في الأخلاق خاصة، فليس أحد من الخلق إلا وفيه خلق من أخلاق الحيوان، فإذا رأيت الرجل غليظًا في طباعه قويًّا في بدنه لا تؤمن بائقته فألحقه بعالم النمور، وإن رأيت إنسانًا يهجم على الأموال والأرواح فألحقه بعالم الأسود، وخذ حذرك منه، كما تأخذ حذرك من الأسد. وإذا بليت بإنسان خبيث كثير الروغان فألحقه بعالم الضربان - وهي دابة صغيرة تقول العرب عنها عند تفرق الجماعة: مشى بينهم الضربان، فتفرقوا - وإذا رأيت الرجل يصنع بنفسه كما تصنع المرأة لبعلها يبيض ثيابه، ويعدل عمامته، وينظر في عطفيه فألحقه بعالم الطواويس، وإذا بليت بإنسان حقود لا ينسى الهفوات، ويجازي بعد المدة الطويلة على السقطات فألحقه بعالم الجمال، وقد قيل: «أحقد من جمل».

١٥٥ سلك طريق الرسول

قيل: لما ولي عمر بن عبدالعزيز أخذ في رد المظالم، فبدأ بأهل بيته وأقرب الناس إليه، وحدث أن اجتمعوا إلى عمة له كان يعزها ويكرمها، وسألوها أن تكلمه فيما اعتزم، فقال لها: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سلك طريقًا، فلما قبض سلك أصحابه ذلك الطريق الذي سلكه الرسول، فلما أفضى الأمر إلى بعضهم جرّه يمينًا وشمالًا، وايم الله لئن مدّ في عمري لأردنّه إلى ذلك الطريق الذي سلكه رسول الله وأصحابه، فقالت له: يا ابن أخي، إني أخاف عليك منهم يومًا عصيبًا، فقال: كل يوم أخافه دون يوم القيامة، فلا أمّنني الله.

١٥٦ صحائف تمنع الغضب

قال المعتمر بن سليمان: كان رجل ممن كان قبلكم يغضب، ويشتد غضبه، فكتب ثلاث صحائف، فأعطى كل صحيفة رجلًا، وقال للأول: إذا اشتد غضبي فقم إلي بهذه الصحيفة، وناولنيها، وقال للثاني: إذا سكن بعض غضبي فناولنيها، وقال للثالث: إذا ذهب غضبي فناولنيه، وكان قد كتب في الأولى: اقصر مما أنت فيه أنك لست بإله إنما أنت بشر يوشك أن يأكل بعضك بعضًا، وفي الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء، وفي الثالثة: احمل عباد الله على كتاب الله، فإنه لا يصلحهم إلا ذاك.

١٥٧ الكلام لا يغني

قعد أبوالحارث جميز إلى قينة بالمدينة صدرَ نهاره، فجعلت تحدثه في مختلف الأمور، ولا تذكر له الطعام، فلما طال ذلك به قال: لا أسمع للطعام ذكرًا لديك، قالت: سبحان الله أما تستحي؟! أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ فقال: جعلت فداك، لو أن جميلًا وبثينة قعدا ساعة واحدة لا يأكلان لملّ كل واحد منهما صاحبه، وافترقا.

١٥٨ أفضل النساء

سئل أعرابي عن النساء، وكان ذا تجربة وعلم بهن، فقال: أفضل النساء أطولهن إذا قامت، وأعظمهن إذا قعدت، وأصدقهن إذا قالت، التي إذا غضبت حلمت، وإذا ضحكت تبسمت، وإذا صنعت شيئًا جوّدت، والتي تطيع وتلزم بيتها، العزيزة في قومها الذليلة في نفسها، الودود الولود، وكل أمرها محمود.

١٥٩ يشتري حُسن الجوار

حكـي أن جار أبي دلف ببغداد لزمه دين كبـير فادح، فاحتاج إلى بيع داره، فسـاوموه بها، فسـألهم ألفي دينار، فقالوا له: إن دارك تساوي خمس مئة دينار، قـال: وجواري من أبـي دلف بألف وخمس مئـة دينار، فبلغ قوله أبـا دلف، فأمر بقضاء دينه، وقال له: لا تبعْ دارك، ولا تنتقل من جوارنا.

أقول:

حدث مع المرحوم الشيخ علي المطلق أن عرض عليه جار له بيته للبيع، وقال له: لمَ تبيـع البيت؟ قـال: ماتت الزوجة، وأريد الزواج، ولا أقدر إلا بعد بيع البيت. قال: كَم تطلب فيه؟ قال: أطلب عشرين ألف ريال، قال له: خذ المبلغ، والبيت لك.

١٦٠ مديح خالٍ من الأسد والجبل

حدث الربيع صاحب المنصور العباسي قال: قلت يومًا للمنصور: إن الشعراء ببابك وهم كثيرون طالت أيامهم ونفدت نفقاتهم، فقال المنصـور: اخرج إليهم، وقل لهم من مدحني منكم فلا يصفني بالأسد، فإنه كلب من الكلاب، ولا بالحية فإنهـا دويبة تأكل التراب، ولا بالجبل فإنما هو حجر أصـم، ولا بالبحر فإنه ماء مالح، ومن ليس في شعره هذا فليدخل، ومن كان في شعره فلينصرف، فانصرفوا كلهم إلا إبراهيم بن هرمة، فإنه قال له: أنا له يا ربيع، ثم مثل بين يديه، وأنشده قصيدته التي يقول فيها:

له لحظاتٌ عن خفافي سريره ... إذا كرّها فيها عذابٌ ونائلُ
لهم طينةٌ بيضاءُ من آل هاشم ... إذا اسودَ من كوم الترابِ القبائلُ
إذا ما أبَى شيئًا مضى كالذي أبَى ... وإن قالَ إني فاعلٌ فهو فاعلُ

فقال المنصور: حسبك ها هنا بلغت عين الشعر، قد أمرت لك بخمسة آلاف درهم.

١٦١ ينصحان الخليفة

لما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إلى سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب، وكانا من أسياد العرب وحكمائها، فقال لهما: أشيرا عليَّ، فقال له سالم: اجعل الناس أخًا وأبًا وابنًا، فبرّ أباك، واحفظ أخاك، وارحم ابنك، ثم قال له محمد ابن كعب: أحبب للناس ما تحب لنفسك، واعلم أنك لست أول خليفة يموت.

١٦٢ عود بعد جفاء

قال إسحاق الموصلي: لما أفضت الخلافة إلى المأمون أقام عشرين شهرًا لم يسمع حرفًا من الغناء، ثم واظب على السماع، وسأل عني، فجرحني عنده بعض من حسدني، فأضرّ بي ذلك حتى جاءني يومًا علوية، فقال لي: أتأذن لي اليوم في ذكرك، فإني اليوم عنده؟ فقلت: لا، ولكن غنّه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك من أين هذا؟ فينفتح لك ما تريد، ويكون الجواب أسهل عليك من الابتداء، فمضى علوية إلى مجلس المأمون، فلما استقر به المجلس غناه الشعر الذي أمرته به، وهو:

يا مشرعَ الماءِ قد سُدّت موارِدُه ... أما إليكَ طريقٌ غيرُ مسدودِ؟

لحائمٍ حامَ حتَّى لا سبيلَ له ... مشرد عن طريقِ الماءِ مطرودِ

فلما سمعه المأمون قال: ويلك لمن هذا؟ قال: لعبد من عبيدك جفيته واطرحته، قل: إسحاق؟ قلت: نعم، ثم أمر بإحضاري، فمثلت بين يديه، فقال: اُدْنُ؟ فدنوت فاحتضنني بين يديه، وأظهر من كرمي وبرّي ما لو أظهره صديق لي لسرّني.

١٦٣ أعطى مديحًا وثناء

مدح نصـيبُ بن رباح عبدَالله بن جعفر، فأمر له بمال كثير وكسـوة شريفة ورواحل موقرة بُرًّا وتمرًا، فقيل له: أتفعل هذا بمثل هذا العبد الأسـود؟ قال: أما والله لئن كان عبدًا إن شعره لحر، وإن كان أسود إن ثناءه لأبيض، وإنما أخذ مالًا يفنى وثيابًا تبلى ورواحل تنضى، وأعطى مديحًا يُروى وثناء يبقى.

١٦٤ رباطة جأش

قـال الربيـع مولى الخليفة المنصـور: مـا رأيت رجـلًا أربط جأشًـا وأثبت جنانًا من رجل سـعى به إلى المنصـور بأن عنده ودائع وأموالًا لبني أمية، فأمرني بإحضاره، فأحضـرته إليه، فقال له المنصور: قد رفع إلينا خبر الودائع والأموال التي عندك لبني أمية، فأخرج لنا منها، وأحضـرها، ولا تكتم منها شـيئًا؟ فقال: يـا أمير المؤمنـين، أنت وارث بنـي أمية؟ قال: لا، قال: فوصـيّ لهـم في أموالهم ورباعهم؟ قال: لا، فما مسـألتك عما في يدي من ذلك؟ فأطرق المنصـور، وتفكر سـاعة، ثم رفع رأسـه، وقال: إن بني أمية ظلموا المسـلمين، وأنا وكيل المسـلمين في حقوقهـم، وأريـد أن آخـذ ما ظلموا المسـلمين، فأجعله في أموالهـم، فقال: يا أمير المؤمنين، فتحتاج إلى إقامة بينة عادلة أن ما في يدي لبني أمية مما خانوه، وظلمـوه، فإن بنـي أمية قد كانت لهم أمـوال غير أموال المسـلمين، قال: فأطرق المنصـور سـاعة، ثم رفع رأسـه، وقال: يا ربيع، ما أرى الشـيخ إلا قد صدق، وما يجـب عليه شـيء، وما يسـعنا إلا أن نعفو عما قيل عنه، ثم قـال: هل لك حاجة؟ قال: نعم، حاجتي يا أمير المؤمنين، أن تجمع بيني وبين من سعى بي إليك، فوالله الذي لا إله إلا هو ما في يدي لبني أمية مال ولا وديعة، ولكني لما مثلت بين يديك، وسألتني عما سألتني عنه، قارنت بين القول الذي قلته الآن وبين القول الذي قلته أولًا، فرأيـت ذلك أقرب إلى الخلاص والنجاة، فقال: يا ربيع، اجمع بينه وبين من

سعى به، فجمعت بينهما، فلما رآه قال: هذا غلامي اختلس ثلاثة آلاف دينار من مالي، وأبق مني، وخاف من طلبي له، فسعى بي عند أمير المؤمنين، قال: فشدد المنصور على الغلام، وخوّفه، فأقر بأنه غلامه، وأنه أخذ المال الذي ذكره، وسعى به كذبًا عليه وخوفًا من أن يقع في يده، فقال المنصور: سألتك أيها الشيخ، أن تعفو عنه؟ فقال: قد عفوت عنه، وأعتقته، ووهبته الثلاثة آلاف التي أخذها وثلاثة آلاف أخرى، فقال المنصور: ما على ما فعلت من مزيد، قال: بلى، يا أمير المؤمنين، إن هذا كله لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني، فقال المنصور: وهذه أعظم من التي قبلها، ما أجمل كلامك أيها الأعرابي، وما أقوى حجتك، وأمر له بصِلَة!

١٦٥ بين التطيّر والتفاؤل

قيل: إن المنصور بن أبي عامر الأندلسي كان إذا قصد غزاة عقد لواءه بجامع قرطبة، ولم يسر إلى الغزاة إلا من الجامع، فاتفق أنه في بعض حركاته للغزاة توجه إلى الجامع لعقد اللواء، فاجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة، فرفع حامل اللواء، فصادف ثُريًّا من ثريات الجامع، فانكسرت على اللواء، فتبدد الزيت، فتطيّر الحاضرون من ذلك، وتغير وجه المنصور، وقال رجل: أبشر يا أمير المؤمنين، بغزاة هينة وغنيمة سارة، فقد بلغت أعلامك الثُّريّا، وسقاها الله من شجرة مباركة زيتونة، فاستحسن المنصور ذلك، واستبشر به، وكانت الغزوة من أبرك الغزوات.

١٦٦ حسن التخلص

تنبّأ إنسان، فطالبوه بحضرة المأمون بمعجزة، فقال: أطرح لكم حصاة في الماء، فتذوب، قالوا: رضينا، فأخرج حصاة، وطرحها في الماء، وذابت، فقالوا:

هــذه حيلة، ولكن نعطيك حصــاة من عندنــا، واجعلها تذوب، فقال: لســتم أجلّ من فرعون، ولا أنا أعظم من موســى، لم يقل فرعون لموســى: لم أرضَ بما تفعله بعصاك حتى أعطيك عصا عندي تجعلها ثعبانًا، فضحك المأمون، وأجازه.

١٦٧ خذوا الحكمة من الألمان

يقول العميد م/ عبدالرحمن علي السعيد: كنت ألتقي أحد الألمان في أمريكا مدينــة دايتــون في ولاية أوهايو، وأخبرني أنه ترك عمله لســبب مضــطر، ولذا لا يخرج من بيته إلا في أوقات معينة. ويقول: قدم طلبًا لمكتب العمل في بلدته ليبحث له عن فرصــة عمل جديدة تناســب مؤهلاته، وعلمت أن ليس له مدخرات، قلت له: كيف ســتتدبر أمورك من معيشــة وإيجار الشقة، فتبســم، وقال: نظام العمل في ألمانيا كفل لكل شــخص قادر على العمل حقه في العمل والدولة ملزمة بصرف مرتب شــهري لأي عاطل بمســمى مقتضــى ضــرورة المعيشــة أو الحياة من دفع إيجار الســكن والماء والكهرباء والتأمين الصحي ومصروف معيشي وفق مقاييس معينة إلى أن تتوافر له فرصــة عمل. وهذا يريح العاطل نفســيًّا، يقول: قلت: إذن ممكن نبحث عن عمل آخر، وتســتفيد من راتب الدولة، فغضــب وقال: كلا، كلا، يربطونتــي بعمــل يومي لا يقل عن ثلاث ســاعات في أي جهة أو أي إدارة بحســب حاجة الجهة التي يوجهونني إليها.

أقول:

هذا في ألمانيا، ما المانع من تطبيقه على شبابنا رحمكم الله؟!

١٦٨ عالمة في الأنساب

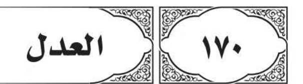
كان المأمــون في الكوفــة، فركب للصــيد ومعه ســرية من العســكر، فإذا هو بجارية عربية خماســية القد، وبعد أن حدثها قليلًا قالت: يا فتى، من أي الناس

أنت؟ فقال: أوعندك علم بالأنساب؟ قالت: نعم، قال لها: أنا من مضر الحمراء، قالــت: من أي مضــر؟ قال: من أكرمها نســبًا وأعظمها حســبًا وخيرهــا أمًّا وأبًا ممــن تهابه مضــر كلها، قالــت: أظنك من كنانــة، قالت: فمــن أي كنانة؟ قال: مــن أكرمها مولدًا وأشــرفها محتدًا وأطولها في المكرمــات يدًا ممن تهابه كنانة، وتخافــه، فقالــت: إذن أنت من قريش، قال: أنا من قريش، قالت: من أي قريش؟ قــال: من أجملهــا ذكرًا وأعظمها فخرًا ممن تهابه قريش كلها، وتخشــاه، قالت: أنت والله من بني هاشــم، قال: أنا من بني هاشــم، قالت: من أي هاشــم؟ قال: من أعلاها منزلة وأشــرفها قبيلة ممن تهابه هاشــم، وتخافه، فعند ذلك قبّلت الأرض، وقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين.

١٦٩ شركاء في السراء والضراء

حكي أن هارون الرشــيد أرق ذات ليلة أرقًا شــديدًا، فقال لوزيره جعفر بن يحيى البرمكي: إني أرقت في هذه الليلة، وضــاق صــدري، وما أدري ماذا أصنع، وكان خادمه مسرور واقفًا أمامه، فضحك، فقال له: ما يضحكك أستهزاء بي أم استخفافًا؟ فقال: «فعلت ذلك عمدًا، فقد تفكرت في شيء من حديث أبي الغزالي المضــحك، فضــحكت والعفو يا أمير المؤمنين، فقال له الرشيد: ائتني به الساعة، فخرج مسرور مسرعًا إلى أن أتى إلى أبي الغزالي، وقال له: أجب أمير المؤمنين، فقال: سمعًا وطاعة، فقال له: بشرط أنه إذا أنعم عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي، فقال له: اجعل لي النصف، ولك النصف، فأبى، وقال: الثلث لي ولك الثلثان، فأجابه إلى ذلك بعد جهد عظيم، ولما دخل أبوالغزالي على الرشيد سلم، فأبلغ، فقال له الرشيد: إن أضحكتني أعطيتك خمس مئة دينار، وإن لم تضحكني أضربك بهذا الجراب، وظن في نفسه أن الجراب فارغ، فوقف يتكلم، ويتمسخر، ويفعل أفعالًا عجيبة تضــحك الجلمود، ولم يضحك الرشيد، ولم يتبسم، فتعجب أبوالغزالي، وضــجر، فقال له الرشــيد: الآن اســتحققت الضــرب، ثــم إنه أخذ

الجـراب ولفه، وكان فيـه أربع زلطات زنـة كل واحدة منها رطـلان، فلما وقعت الضـربة الأولى في رقبته صـرخ صـرخة كبيرة، فافتكر الشرط الذي شرط عليه الخادم مسرور، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، اسمع مني كلمتين، قال: قل: ما بدا لك، قال: إن مسـرورًا شرط عليّ شـرطًا، واتفقت أنا وإياه على مصلحة، وهو أن ما حصـل لي من الصـدقات يكون له فيه الثلثان ولي فيه الثلث، وما أجابني إلى ذلك إلا بعد جهد عظيم، وقد شـرط عليّ أمير المؤمنين ثلاث ضربات، فنصيبي منها واحدة، وقد أخذت نصـيبي، وبقي نصـيبه اثنتان، وضـحك الرشيد، ودعا مسـرورًا، فضـربه وصـاح، وقال: يا أمير المؤمنين، قد وهبت له ما بقي، فضحك الرشيد، وأمر لهما بألف دينار، فأخذ كل واحد منهما خمس مئة.



١٧٠ العدل

كتب بعض عمّال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشـكو خراب مدينته، ويسـأله مالًا يحصـنها به، فكتب إليه عمر: قد فهمت كتابك، فإذا قرأت كتابي فحصّـن مدينتك بالعدل، ووثّق طرقها من الظلم، فإنه حرمتها والسلام.

ويقال: إن الحاصـل من خراج العراق في زمن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان مئـة ألف، ألف وسـبعة وثلاثين ألـف ألف، فلما ولى عمر بـن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ارتفع في السنة الأولى إلى ثلاثين ألف ألف، وفي الثانية إلى ستين ألف ألف، وقيل أكثر، وقد قيل: لا ملك إلا بالجند، ولا جند إلا بالمال، ولا مال إلا بالبلاد، ولا بلاد إلا بالرعايا، ولا رعايا إلا بالعدل.



١٧١ الشيوخ ستة

قالوا في الأمثال الشيوخ ستة:

الأول: شيخ شيَّخه الأقران؛ جماعته وربعه اعترفوا له بالطيب والكرم.

الثاني: شيخ شيَّخه الزمان؛ يعني كبر سنه.

الثالث: شيخ شيَّخه السلطان؛ جعله أميرًا وواليًا.

الرابع: شيخ شيّخه الإعلام.

الخامس: شيخ شيّخه الشيطان.

السادس: شيخ شيّخه الرحمن، جعلنا الله والقرّاء من الصنف السادس.

١٧٢ وصية أب لابنته

قال عبدالله بن جعفر لابنته: إياك والغيرة؛ فإنها مفتاح الطلاق، وإياك والمعاتبة فإنها تورث البغضة، وعليك بالزينة والطيب، واعلمي أن أزين الزينة الكحل، وأطيب الطيب الماء.

١٧٣ حديث شريف

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ثلاث لا يسلم منهن أحد: الطيرة، والظن، والحسد**» قيل: فما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: «**إذا تطيّرت فلترجع، وإذا ظننت لا تحقق، وإذا حسدت فلا تبغِ**»[1].

١٧٤ فصاحة غلام

دخل عمرو بن سعيد الأشدق بعد موت أبيه على معاوية، وعمرو يومئذ غلام، فقال له معاوية: إلى من أوصى بك أبوك يا غلام؟ قال: إن أبي أوصى إليّ، ولم

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بلفظ قريب (٢/٤٠٠ رقم ١١٣٠)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٩/٢٣ رقم ٤٠١٩).

يوصِ بي، قال: وبأي شـيء أوصاك؟ قال: أوصاني ألا يفقد إخوانه منه إلا وجهه، قال معاوية لأصحابه: إن ابن سعيد هذا لأشدق.

١٧٥ متاع الحياة

قيـل لعمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يا أمير المؤمنين، بيدك المال، ولسـنا نرى في بيتـك شـيئًا مما يحتاج إليـه ويحتاج إليه البيت، فقـال: إن البيت لا يتأثث في دار النقلة، ولنا دار نقلنا إليها خير متاعنا، وإنا عن قليل إليها لصائرون - يعني الآخرة -.

١٧٦ الجاحظ

قـال الجاحـظ: كنت جالسًـا عنـد أحـد الوراقين ببغـداد، فاقـترب مني أبوالعباسـ أحمد بـن يحيى، وكان من أئمة النحو في عصـره، فسـألني: الظبي معرفة أو نكرة يا جاحظ؟ فقلت: إن كان مشويًا على المائدة فمعرفة، وإن كان في الصحراء فهو نكرة، فقال العباس: ما في الدنيا أعرف منك بالنحو.

١٧٧ سهم الجود

دخل أعرابي على الفضـل بن يحيى، وسـأله أن يجود عليه بقليل من المال؟ فاقترح أحد الحاضرين أن يأخذ الفضل سهمًا من كنانته، ويركبه في كبد قوسه، ويومئ الأعرابي إيماءً، فإن رد على نفسـه ببيت من الشـعر فقد استحق العطاء، وإلا فـإن العطاء لم يصـادف محله، فوافق الفضـل على ذلك الاقـتراح بالفعل، بادر إلى السهم، وركبه في القوس، وأومأ إلى الأعرابي قائلًا: رد سهمي ببيت من

الشعر، فأنشد الأعرابي:

لقوسُك قوسُ الجودِ والوترُ النَّدى وسهمُك سهمُ العزِّ فارمِ به فَقْري

فهز هذا البيت من الفضل أوتار جوده، فضاعف له العطاء.

١٧٨ التجربة أولًا

قيل: إن رجلًا مدح رجلًا في وجهه، وقال له: يا عبد الله لم مدحتني؟ أجربتني عند الغضب، فوجدتني حليمًا؟

قال: لا، قال: أجربتني عند السفر، فوجدتني حسن الخلق؟ قال: لا، قال: أجربتني عند الأمانة، فوجدتني أمينًا؟ قال: لا، قال: لا يحل لأحد أن يمدح أحدًا حتى يجربه في هذه الأشياء الثلاثة.

١٧٩ من نوادر القضاة

قيل: إن إياس بن معاوية القاضي كان من كبار العقلاء، وكان عقله يهديه إلى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتدِ إليها، وكان من جملة الوقائع التي صدرت منه، وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح أنه كان في زمانه رجل مشهور بين الناس بالأمانة، فاتفق أن رجلًا أراد أن يحج، فأودع عند ذلك الرجل الأمين كيسًا فيه جملة من الذهب، ثم حج، فلما عاد من حجه جاء إلى ذلك الرجل، وطلب كيسه منه، فأنكره، وجحده، فجاء إلى القاضي إياس، وقص عليه القصة، فقال القاضي: هل أخبرت بذلك أحدًا غيري؟ قال: لا، قال: وهل علم الرجل أنك أتيت إليّ؟ قال: لا، قال: انصرف، واكتم أمرك، ثم عد إلي بعد غد، فانصرف، ثم إن القاضي دعا ذلك الرجل المستودع، فقال له: قد حصل عندي أموال كثيرة، ورأيت أن أودعها عندك، فاذهب وهيئ لها موضعًا حصينًا، فمضى

ذلك الرجل، وحضـر صاحب الوديعة بعد ذهاب الرجل، فقال له القاضي إياس: امضِ إلى خصـمك، واطلب منــه وديعتك، فإن جحدك فقل لــه: امضِ معي إلى القاضــي إياس نتحاكم أنا وأنت عنده، فلما جاء إليــه دفع إليه وديعته، فعاد إلى القاضي إياس، فنهره، وردّه.

١٨٠ من حلم معاوية

دخل شــريك بن الأعور على معاوية وهو يختال في مشــيته، فقال له معاوية: واللّه إنك لشــريك، وليس للّه من شــريك، وإنك ابن الأعور، والصــحيح خير من الأعــور، وإنــك لدميم، والوســيم خير من الدميم فيمَ ســوّدك قومــك؟ فقال له شــريك: واللّه إنك لمعاوية وما معاوية إلا كلبة عوت، واســتعوت، فســميت معاوية، وإنــك ابن حرب، والســلم خير من الحرب، وإنك ابن صــخر، والســهل خير من الصــخر، وإنك ابن أمية، وما أمية إلا أمة صُــغّرت، فســميت أمية، فكيف صرت أمير المؤمنين؟ ثم خرج من عنده، وهو ينشد:

أيشـتـمُـنـي مُـعـاويـةُ بـنُ حـربٍ وسَـيـفـي صـارمٌ ومَـعـي لِـسـاني
وحَـولي مِـنْ بَـنـي قَـومـي لُـيُـوثٌ ضَـراغِـمـةٌ تَـهـشُّ إلَـى الـطِّـعـانِ

فضحك معاوية وقال: واحدة بواحدة، والبادي أظلم.

١٨١ سدد الأفواه والأدبار

يــروي الكاتــب العراقــي الســاخر خالــد القشــطيني في كتابه (الســخرية السياسية العربية):

كانت عقيلة السادات في أحد المخازن الكبرى، فأفلت أحدهم ريحه أمامها، فصاحت به: قليل أدب. فأجابها: سيدتي، رفقًا بنا لقد سد زوجك أفواهنا، فهل تريدين أنت سد أدبارنا!

وفي موضع آخر من الكتاب يروى أن الدكتور قتيبة آل شيخ نوري بعد رجوعهم من مؤتمر طبي عقد في لندن أنه سئل في المؤتمر إذا كان أطباء العراق قد أضافوا شيئًا جديدًا في علم الطب، فأجاب: طبعًا لقد اخترعوا جهازًا يستطيع أن يمر من أسفل البدن عبر الأمعاء صعودًا إلى الحنجرة، مرورًا بالحلقوم، وصولاً إلى اللوزتين؛ ليستأصلهما بالكهرباء، فقال له أحد المستمعين: لماذا هذا الدوران، وهو يستطيع بلحظه عن طريق الفم؟ قال: صحيح، لكن من يستطيع أن يفتح فمه بالعراق؟!

١٨٢ الهم خير وسيلة

كان بعض ملوك الأرض قديمًا كثير الشحم، فجمع الحكماء، وقال: احتالوا إليّ بحيلة يخف عني لحمي قليلاً، فما قدروا له على شيء، وأخيرًا قال له أحدهم: إن أعطيتني الأمان وصفت لك دواء علتك، فلما أمنه قال له: رأيت طالعك يدل على أنه لم يبقَ من عمرك غير شهر واحد، فأمر الملك بحبسه، ورفع الملاهي، واحتجب عن الناس، وخلا وحده مغتمًّا، فكلما انسلخ يوم ازداد همًّا وغمًّا حتى هزل، وخف شحمه، وفي نهاية المدة أمر بإحضار الطبيب، وسأله: ما ترى؟ فقال: أعز الله الملك، والله إني لا أعلم الغيب، ولا أعرف عمري، فكيف أعرف عمرك؟ ولكن لم يكن عندي دواء مما أنت فيه إلا الهم، ولم أقدر على جلب الهم إلا بهذه الحيلة، فأجازه الملك على ذلك، وأحسن إليه!

١٨٣ هو مجنون

جاء رجل إلى ابن عقيل، فقال: إني كلما أنغمس في النهر غمستين وثلاثًا لا أتيقن أن الماء قد غمسني، ولا أني قد تطهرت، فكيف أصنع؟ قال له: لا تصلِّ، فقيل له: كيف قلت هذا؟ قال: لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**رفع القلم عن ثلاثة: عن الصبي حتى يبلغ، وعن النائم حتى يستيقظ، وعن المجنون حتى يفيق**»[1]، ومن يغمس نفسه في النهر مرة ومرتين وثلاثًا، ويحس أنه ما اغتسل فهو مجنون.

١٨٤ البلاغة أنجتهم

حكي أن الحجاج أمر صاحب حرسه أن يضرب كل من يلقاه يمشي في الكوفة بعد العشاء، فطاف ليلة، فوجد ثلاثة شبان يمشون وعليهم أثر الشراب، فقال لهم صاحب الحرس: من أنتم خالفتم الأمير، وخرجتم في هذا الوقت؟ فقال أحدهم:

أنا ابنُ مَنْ دانتِ الرقابُ له ... ما بينَ مخدومِها وخادمِها
تَأْتيه بالرغمِ وهيَ صاغرةٌ ... يأخذُ مِنْ مالِها ومِنْ دمِها

فسكت عنه، وقال: لعله من أقارب الخليفة، وقال الثاني:

أنا ابنُ الَّذي لا ينزلُ الدهرَ قدرُه ... وإنْ نزلتْ يومًا فسوفَ تَعودُ
ترى النّاسَ أفواجًا إلى ضوءِ نارِه ... قيامٌ لها مِنْ حولَها وقُعودُ

فسكت عنه، وقال: لعله من أشراف العرب، ثم سأل الثالث فأنشده يقول:

أنا ابنُ الَّذي خاضَ الصفوفَ بعزمِه ... وقوَّمَها بالسيفِ حتَّى استقامتِ
ركاباه لا تنفكُ رِجلاه عنْهما ... إذا الخيلُ في يومِ الكريهةِ ولّتِ

---

(١) أخرجه أبو داود (٤/٢٤٥ رقم٤٤٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٥٨٢٥).

فسكت عنه، وقال: لعله ابن أشجع العرب، فلما جاء الصباح جاء بهم إلى الحجاج، فكشف أمرهم، فإذا الأول ابن حجام، والثاني ابن طباخ، والثالث ابن حائك، فأعجب الحجاج ببلاغتهم، فأطلقهم، وقال لجلسائه: علموا أولادكم الأدب، فوالله لولا بلاغتهم لضربت أعناقهم، ثم أنشد يقول:

كنِ ابنَ منْ شئتَ واكتسبْ أدبًا ... يُغنيكَ محمودُه عَنِ النَّسبِ

١٨٥ الأعمى والأحوال الجوية

قال رجل من الأعراب ضرير البصر لابنته، وهي تقوده في المرعى: يا بنية، انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأنها قرون المعزى، قال: ارعي، فرعت ساعة، فقال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: كأن السحاب نعام تعلق بالأرجاء من السماء، قال: ارعي، ثم قال: انظري كيف ترين السماء؟ قالت: ابيضت، واسودت، ودنت، فكأنها عين نفس تطرف، قال: انجي، ولا أراك ناجية.

١٨٦ لا نكره البنية

كان لأبي حمزة الأعرابي زوجتان، فولدت إحداهما ابنة، فعزّ عليه ذلك، واجتنبها مدة، وكان في بيت ضرتها إلى جنبها، فأحسست به يومًا في بيت صاحبتها، فجعلت ترقص ابنتها الطفلة، وتقول:

ما لأبي حمزةَ لا يأتينا ... يظلُّ في البيتِ الَّذي يَلينا

غضبانَ ألا نلدُ البَنينا ... تاللهِ ما ذلكَ في أَيْدينا

وإنَّما نحنُ لزارِعينا كالأرضِ ... نحصدُ ما قدْ زرعُوه فينا

فعرف أبوحمزة ما فعل، وراجع امرأته، وندم على ما فعل.

١٨٧ أَمِن العقوبة

روي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ دعا غلامه قنبر، فلم يجبه، فدعاه ثانية وثالثة، فلم يجبه، فقام إليه، فرآه مضطجعًا، وقال: أما تسمع ندائي يا قنبر؟ فقال: بل أسمع، قال: ما حملك على ترك جوابي؟ فقال: أمنت عقوبتك، فتكاسلت، فقال: امضِ، فأنت حر لوجه الله.

١٨٨ أتيتك مستنجدًا لا مستفتيًا

اعترض رجلٌ عمرَ بن هبيرة يومًا في الطريق، فقال: يا أمير العرب، إني طالب الحجَّ؟ فقال: دونك الطريق – سهل الله لك – قال: إني عاجز عن المشي، قال: اعتقب يومًا، وامشِ يومًا، قال: لست أملك ما أشتري به، ولا ما أكتري، قال: فقد سقط عنك فرض الحج لفقرك، قال: يا أمير العرب، إني أتيتك مستنجدًا لا مستفتيًا، فضحك، وأمر له بخمسة آلاف درهم.

١٨٩ في الحرب والسلام

قال عمر بن الخطاب لعمرو بن معدي كرب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أخبرني عن السلاح، قال: سل ما شئت، قال: الرمح، قال: أخوك وربما خانك، قال: النبل، قال: منايا تخطئ، وتصيب، قال: الترس، قال: ذلك المجن، وعليه تدور الدوائر، قال: الدرع، قال: مشغلة للرجل متعبة للفارس، وإنها لحصن حصين، قال: السيف، قال: قارعتك أمك على الثكل، قال عمر: بل أمك، قال: أخبرني عن الحرب، قال: مرة المذاق إذا قلصت عن ساق، من صبر لها عرف، ومن ضعف عنها تلف، وهي كما قال الشاعر:

الحربُ أولُ ما تكونُ فتيةً ... تسعى بزينتها لكلِّ جَهولِ
حتَّى إذا اشتعلتْ وشبَّ ضرامُها ... عادتْ عجوزًا غيرَ ذات خليلِ
شمطاءُ جزَّتْ رأسَها وتنكرتْ ... مكروهةً للشمِّ والتَّقْبيلِ

١٩٠ مواعيد عرقوب

كان عرقــوب رجلًا مــن العمالقة، فأتاه أخ له يســأله شــيئًا يعطيه من ثمار نخله؟ فقال له عرقوب: إذا أطلع نخلي، فلما أتاه قال له: إذا أبلح، فلما أبلح أتاه، فقــال له: إذا زها، فلما زها أتاه، فقال له: إذا أرطب، فلما أرطب أتاه، فقال: إذا أثمر، فلما أثمر جزّه ليلًا، ولم يعطِه شيئًا، فضرب به العرب المثل في خلف الوعد.

قال الشاعر:

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلًا   وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

١٩١ دهاء وحزم

خــلا المنصــور يومًا مع يزيد بن أســيد، فقال: يا يزيد، مــا ترى في قتل أبي مســلم؟ فقال: أرى أن تقتله، فوالله لا يصــفو ملكك، ولا تهنأ بعيش ما بقي، فنفر منه المنصور، ثم قال: قطع الله لسانك أتشير عليّ بقتل أثقل الناس على عدونا؟ أما والله لولا حفظي لما ســلف منك لضــربت عنقك، فقام من مجلس المنصــور، وقد ضــاقت الدنيا به، وتمنى أن تســيخ الأرض به، فلما قتل المنصــور أبا مســلم الخراساني قال لي: يا يزيد، أتذكر يوم شاورتك؟ قال: نعم، قال: فوالله لقد كان رأيك صوابًا لا شك فيه، ولكن خشيت أن يظهر منك، فتفسد مكيدتي.

١٩٢ تهنئة وتعزية

كان عبدالله بن صــالح أميرًا من بني العباس، وقد ولي مناصب عدة، وكان مــن أفصــح الناس وأخطبهــم، وكان أن دخل دار الرشــيد، فلقيه إســماعيل بن

صبيح الحاجب، فقال له: اعلم أنه ولد لأمير المؤمنين ابنان عاش أحدهما، ومات الآخر، فيجب أن تخاطب بما عرفتك، فلما صار بين يديه قال: سرّك الله يا أمير المؤمنين، فيما ساءك، ولا ساءك فيما سرك، وجعلها واحدة بواحدة، وجعلها تستوجب من الله زيادة الشاكرين وجزاء الصابرين.

١٩٣ غرَّنا فسكبناه

دخل عمر بن عبدالعزيز المسجد، فرأى بلال بن أبي بردة منزويًا يصلي، ويحسن الركوع والخشوع، فقال: إن يكن سر هذا كعلانتيه فهو أفضل أهل العراق، فقال العلاء بن المغيرة، وكان خصيصًا بعمر: أنا آتيك بخبره، فاقترب منه، وقال: اشفع صلاتك، فإن لي حاجة، فلما سلم بلال قال له ابن المغيرة: تعرف منزلتي عند أمير المؤمنين، فإن أشرت إليه أن يوليك العراق فما تجعل لي؟ قال: عمالتي سنة، قال: فاكتب بذلك خطًّا، فقام من وقته، وكتب، فحمل العلاء الكتاب إلى عمر بن عبدالعزيز، فلما قرأ كتب إلى واليه في العراق: أما بعد، فإن بلالًا غرّنا بالله، وكدنا نغتر به، ثم سكبناه، فوجدناه خبيثًا كله.

١٩٤ طفيلي

حدّث أحمد بن الحسن القرى قال: مرَّ أحد الطفيليين بعرس، فأراد الدخول، فلم يقدر، فذهب إلى بقال، ووضع خاتمه عنده على عشرة أقداح عسل، وجاء إلى باب العرس، فقال: يا بواب، افتح لي، فقال له البواب: من أنت؟ قال: أراك لست تعرفني، أنا الذي بعثوني أشتري لهم أقداح العسل، ففتح له الباب، ودخل، فأكل وشرب مع القوم، فلما فرغ أخذ الأقداح، وقال: يا بواب، افتح لي، حتى أردّ هذه، إنهم يريدون عسلًا خالصًا، فخرج، فردّها على البقال، وأخذ خاتمه.

١٩٥ تظلّم أعرابية

خـرج المهدي بعـد هدأة من الليل يطوف بالبيت، فسـمع أعرابية من جانب المسـجد تقـول: قوم مقـترون نبت عنهـم العيـون وفدحتهم الديون، وعضـتهم السنون، باد رجالهم وذهب مالهم وكثر عيالهم، أبناء سبيل أنضاء طريق، وصية الله ووصـية رسـول الله، فهل آمر بخير كلأه الله في سـره، وخلفه في أهله؟ فأمر نصرًا الخادم، فدفع لها خمس مئة درهم.

١٩٦ أشهر قضايا العصر

(ووترجيت) هو اسم إحدى البنايات الضخمة الواقعة على نهر في واشنطن، وفي المبنـى تقع مكاتب اللجنة القومية للحـزب الديمقراطي الأمريكي، وفي يونيو ١٩٧٢م شعر الحارس الليلي للمبنى بحركة غير عادية في إحدى الغرف المخصصة لمكاتـب اللجنة القومية للحزب الديمقراطي، واقتحم الحارس الشـجاع الغرفة، ووجد عددًا من الشـبان يقومون بتركيب أجهزة للتجسـس وتصـوير المسـتندات الموجـودة في المكاتـب، وتم القبض عليهم، وكان من بينهـم جيمس ماكورد مدير الأمـن في لجنـة المواطنين لإعـادة انتخابـات الرئيس نيكسـون التابعـة للحزب الجمهوري، وبدأت الفضـيحة تتفجر، وخاصـة بعد أن قام صـحفيان يعملان في جريدة (واشـنطن بوست) بنشر سلسـلة من المقالات تبين علاقة البيت الأبيض الوثيقة، وأن نيكسون قد أصدر أوامره بتغطية القضية، وشيئًا فشيئًا بدأت دائرة الاتهام تتسـع لتشـمل عددًا كبيرًا من مساعدي نيكسون ومستشـاريه، وفي أثناء التحقيـق مع (جون دين) مستشـار نيكسـون القانوني في أواخر شـهر سـبتمبر ١٩٧٣م تفجرت قضـية تسـجيلات البيـت الأبيض، وطلب القاضـي التحقيق مع الرئيس نيكسـون وتسليم التسجيلات المتصلة بالقضـية، ورفض نيكسون تسليم

أشـرطة التسـجيل، وفي أكتوبر ١٩٧٣م قـررت اللجنة القضـائية التابعة لمجلس النواب الأمريكي البدء في إجراءات توجيه الاتهام الجنائي إلى نيكسـون نفسـه، وبعدها وافق نيكسـون على تسليم بعض الأشرطة، وشـغل الرأي العام الأمريكي بالقضية، وبدأت الأصوات تنادي باستقالة الرئيس أو إقالته عن طريق محاكمته في مجلس الشـيوخ، وفي يونيـو ١٩٧٤م أصـدرت لجنـة التحقيـق في القضـية تقريرهـا النهائي، ويقع في ٢٢١٦ صـفحة، وأعلنت فيه أن هذه القضـية توضـح بجلاء الفسـاد والخداع والاحتيال وسـوء استعمال السـلطة، وفي نهاية يوليو من العام نفسـه أصدرت اللجنة توصـية نهائية بتوجيه الاتهام الجنائي إلى الرئيس نيكسـون ومحاكمته أمام مجلس الشـيوخ وعزله من منصبه، بعد أن أقرت ثلاث تهم رئيسة موجهة إليه، وهي إساءة استخدام السلطة، وتغطية قضية ووترجيت، وتجاهل سلطة الكونغرس، واستقال نيكسون خوفًا من المحاكمة، بعد أن أذاع بيان الاعتراف بمسؤوليته الكاملة عن هذه القضية.

أقول:

مـا سـبق ورد في مجلة العربـي الكويتية عـدد ١٨٦ ص ١٢٧ - بتصـرف - والمسـلم حين يقرأ مثل ذلك يصـاب بالدهشـة مـن هؤلاء القوم وهـم روم هذا العصـر، وعشقهم للحرية، ولكن لأنفسهم فقط، فهم يقهرون الشعوب، ويؤيدون كل ظالم، مثل اليهود في فلسطين وجنوب إفريقيا، وكل ظلم في الأرض تجد لهؤلاء فيه يدًا وعونًا، إلا في أوطانهم وبلادهم، فلا يسـتطيع بعضـهم ظلم بعض، وهذه الأنانية بمعناها الواسع.

١٩٧ الكتاب والقلم

قـال ابن المعتز: الكتاب والج الأبواب، جريء على الحجاب، مفهم لا يفهم، وناطق لا يتكلم به، يشـخص المشـتاق، إذا أقعده الفـراق، والقلم مجهز لجيوش

الكلام يخدم الإرادة لا يمل الاستزادة، ويسكت واقفًا، وينطق سائرًا على أرض بياضها مظلم وسوادها مضيء، وكأنه يقبل بساط سلطان، أو يفتح نوار بستان.

١٩٨ نباهة جارية

جاءت جارية لمنصور بن مهران بمرقة، فهرقتها عليه، فلما أحس بحرّها نظر إليها، فقالت له: يا معلم الخير، اذكر قول الله تعالى، قال: وما هو؟ قالت: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾[آل عمران: ١٣٤] قال: كظمت، قالت: واذكر: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾[آل عمران: ١٣٤] قال: قد عفوت، قالت واذكر: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران: ١٣٤] قال: اذهبي، فأنت حرة.

١٩٩ المروءة والكرم والنجدة

سئل عبدالله بن عمر عن المروءة والكرم والنجدة؟ فقال: أما المروءة فحفظ الرجل نفسه، وإحرازه دينه، وحسن قيامه بصنعته، وحسن المنازعة، وإفشاء السلام، وأما الكرم: فالتبرع بالمعروف، والإعطاء قبل السؤال، والإطعام في المحل، وأما النجدة: فالذبّ عن الجار، والصبر في المواطن، والإقدام على الكريهة.

٢٠٠ ثاني اثنين

كان الوزير محمد بن عبدالملك الزيات كاتبًا شاعرًا أديبًا طموحًا، به ميل إلى العنف والقسوة، وكان يقول: الرحمة خور الطبيعة، وقد بلغ من عنفه أنه اتخذ تنورًا به رؤوس حديدية من الداخل يعذب فيها من يوقع بهم، ومن الغريب أن نهاية ابن الزيات كانت في هذا التنور عندما نكبه الخليفة المتوكل، ونكل به،

وكان الجاحظ صـديقًا ملازمًا لابن الزيات، وكان في داره عندما كبسـهما رجال المتوكل، فقفز الجاحظ من فوق الدار، فأصـيبت سـاقه إصـابة ظل يشـكو منها بقية حياته، وهرب إلى البصرة، فقيل له: لمَ هربت يا أبا عثمان، وهم إنما كانوا يطلبون ابن الزيات؟ فقال: خفت أن أكون ثَاني اثنين إذ هما في التنور.

٢٠١ أشأم من طويس

طويس تضـرب به العرب المثل في الشـؤم، وهو رجل من أهـل المدينة مولى لبني مخزوم، واسـمه عيسـى بن عبدالله، وهـو أول من أظهر المجـون بالمدينة، وكان مغنيًّـا يضـرب بالدف، فسـئل عـن مولده؟ فقـال: ولدت يوم مات رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفطمـت يـوم مـات أبوبكـر الصـديق، وختنـت يوم قتـل عمر، وتزوجـت يـوم قتل عثمان، وولد لي ولد يوم قتل علي ابـن أبي طالب، فيقولون في أمثالهم السائرة: أشأم من طويس.

٢٠٢ صلى الله عليك وسلم

جاء في كتاب الجمانة الثانية من (العقد الفريد) أن ثمامة ابن أشرس قال: كنت في الحبس على النبيذ، فأدخل علينا في السـجن رجل ذو هيئة ومنظر وبزّة، وكانت في يدي كأس هربت لأشـربها، فلما رأيته أخذتني هيبته، وأخفيت الكأس، وأقبلت عليه قائلًا: من أنت جعلت فداك، وما ذنبك، وكيف أتوا بك إلى السجن؟ فقال: جاء بي هؤلاء السـفهاء؛ لأني جئت بالحق مـن عند ربي، أنا يا ولدي، نبي مرسل، فقلت له: جعلت فداك أمعك دليل؟ قال: نعم، معي أكبر الأدلة ادفعوا إلي امرأة، فأحبلها، فتأتي بمولود يشـهد بصدقي؟ قال ثمامة: فناولته الكأس، وقلت له: اشرب صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٠٣ نصائح ثلاث

قــال عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قال لي أبي: يا بني، إني أرى أمير المؤمنين عمــر بــن الخطاب يدنيك، ويقربــك، فاحفظ عني ثلاثًا: إيــاك أن يجرب عليك كذبًا، وإياك أن تفشــي له ســرًّا، وإياك أن تغتاب عنده أحدًا، ثم قال: يا عبدالله، ثــلاث وأي ثلاث، فقــال له رجل: يا ابن عباس كل واحدة خير من ألف، فقال: بل كل واحدة خير من عشرة آلاف.

٢٠٤ منطق

قالوا: بقدر ما يعطي الغني من الأيســار يعطي من الإجلال، وبقدر ما ينزل بالفقــير مــن الفقر يذهب بهاؤه، وتتضــع منزلتــه، حتى يتهمه مــن كان يأتمنه، ويســيء به الظن من كان يثق به، ومحاسن الغني مساوئ الفقير، إذا كان الفقير جوادًا قالوا: مبذر، وإن كان لسنًا قالوا: مهذار، وإن كان شجاعًا قالوا: أهوج، وإن كان حييًّا صموتًا قالوا: عيي بليد، وكل شيء هو للغني مدح هو للفقير ذم.

٢٠٥ فقه وإفتاء بالفطرة

نظــر رجل إلــى امرأته، وهي صــاعدة في الســلم، فقال لها: أنــت طالق إن صــعدت، وطالق إن نزلت، وطالق إن وقفت، فرمت نفسها إلى الأرض، فقال لها: فداك أبي وأمي، إن مات الإمام مالك احتاج إليك أهل المدينة في أحكامهم.

٢٠٦ لا تبالغون كما هو ديدن الشيعة

يــتردد بين النــاس كلام منســوب للإمــام أحمد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عندما يعدون فضــائل معاويــة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ويبالغــون في المــدح حتــى يقولــون أن الأمــام أحمــد قــال: غبــار في منخــر معاوية أفضــل من عمر بن عبدالعزيــز، وهذا حتى لو صــح أن قائله الإمام،

فهـو مرفوض عقـلًا وشـرعًا، لأن الأمـة مجمعـة علـى أن عمـر بـن عبد العزيـز الخليفة الراشـد الخامس أو السـادس بعد الحسـن بن علي، وأن كل مسـلم أفضـل مـن الـتراب أو الغبار، لحديـث: «أن المسـلم أكرم علـى الله من الكعبة المشـرفة»، لهـذا يجب التنبيـه على عدم تقليـد الروافض بالغلـو، وهناك ملحوظـة: أننا نحن السـنة أشـياع علي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وليسـوا هم، لأن عليًّا لا يرضـى أن يسـب أصـحاب رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وأن يهان عرضه الشريف في الصديقة بنت الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُم جميعًا.

٢٠٧ الأدب لا الحسب

قيل: إن رجلًا تكلم بين يدي المأمون، فأحسن، فقال: ابن من أنت؟ قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين، قال: نِعْم النسب انتسبت إليه، ولذلك قيل: المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت، ومن حيث يوجد لا من حيث يولد، وقد قيل:

كنِ ابنَ مَنْ شئتَ واكتسبْ أدبًا … يغنيكَ محمودُه عنِ النسبِ

إنَّ الفتى من يقولُ ها أنذا … ليسَ الفتى من يقولُ كانَ أبي

٢٠٨ ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ﴾ [الضحى: ١٠].

قيـل: إن رجلًا جلس يومًا يـأكل هو وزوجته، وبين أيديهما دجاجة مشـوية، فوقف سـائل ببابه، فخرج إليه، وانتهره، فذهب، ويشـاء الله بعد ذلك أن الرجل افتقـر، وزالت نعمته، وطلـق زوجته، وتزوجت بعده برجل آخر، فجلس يأكل معها في بعض الأيام، وبين أيديهما دجاجة مشـوية، وإذا بسـائل يطـرق الباب، فقال الرجـل لزوجتـه: ادفعي إليه هـذه الدجاجة، فخرجت بها إليه، فـإذا هو زوجها الأول، فدفعـت إليـه الدجاجـة، ورجعـت وهي باكية، فسـألها زوجها عن سـبب بكائها؟ فأخبرته أن السائل كان زوجها الأول، وذكرت له قصتها مع ذلك السائل الذي انتهره زوجها الأول، فقال لها زوجها: أنا والله ذلك السائل.

٢٠٩ أقوال وحكم

قال بعض الخلفاء:

- من أقعدته نكاية اللئام أقامته إعانة الكرام، قال بعض البلغاء: كدر الجماعة خير من صفو الفرقة.
- قال أبوالطيب: غضب الجاهل في قوله، وغضب العاقل في فعله.
- قيل لشيخ هرم: كم سنك؟ قال: إني أنعم بالعافية.
- قيل لرجل: ما الجود؟ فقال: الجود أن تجود بالموجود.
- قيل لتاجر: كم رأس مالك؟ فقال: إني أمين، وثقة الناس بي عظيمة.
- سئل أعرابي عن سبب اشتعال شيبه؟ فقال: هذا رغوة الشباب.
- وسئل آخر فقال: هذا غبار وقائع الدهر.

٢١٠ فطنة الرشيد

دخلت امرأة على هارون الرشيد، وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين، أقر الله عينك، وفرّحك بما آتاك، وأتم سعدك لقد حكمت فقسطت، فقال لها: من تكونين أيتها المرأة؟ فقالت: من آل برمك ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم، وسلبت نوالهم، فقال: أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله، ونفذ فيهم قدره، وأما المال فمردود إليك، ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ فقال: ما نراها قالت إلا خيرًا، قال: ما أظنكم فهمتم ذلك، أما قولها: أقر الله عينك؛ أي أسكنها، وإذا سكنت العين عن الحركة عميت، وأما قولها: فرحك بما آتاك، فأخذته من قول الله تعالى:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤] وأما قولها: وأتم الله سعدك، فأخذته من قول الشاعر:

إذا تمَّ أمـــرٌ بـــدا نقصُـه ... تـرقّـبْ زوالًا إذا قـيـلَ: تمّ

وأمــا قولها: لقــد حكمت، فقســطت، فأخذتــه من قــول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلۡقَٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبٗا﴾ [الجن: ١٥].

٢١١ سبق السيف العذل

كان لرجل من الأعراب اسـمه ضـبة ابنٌ يقال له: سـعيد، فلقيه الحارث بن كعـب، وكان على الغلام بردان، فسـأله الحارث أيهما؟ فأبى عليـه، وقتله، وأخذ برديه، فكان أن حج ضـبة، فوافى عكاظ، فلقي بهـا الحارث بن كعب، ورأى عليه بردي ابنه سعيد، فعرفهما، فقال: هل أنت مخبري ما هذان البردان اللذان عليك؟ قال: لقيت غلامًا هما عليه، وسألته أحدهما؟ فأبى عليّ، فقتلته، وأخذتهما، فقال ضـبة: بسـيفك هذا؟ قال: نعم، قال: أرنيه، فإني أظنه صـارمًا، فأعطاه الحارث سـيفه، فلما أخذه هزّه، وقال: الحديث ذو شجون، ثم ضربه به وقتله، فقيل له: يا ضبة، أفي الشهر الحرام؟ فقال: سبق السيف العذل، فذهبت مثلًا.

٢١٢ ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]

نظر طفيلي إلى قوم ذاهبين، فلم يشـك أنهـم في دعوة ذاهبون إلى وليمة، فتبعهم، فإذا هم شـعراء قصـدوا السـلطان بمدائح لهم، فلما أنشـد كل واحد شـعره، ولم يبقَ إلا الطفيلي وهو جالس سـاكت، قال له السـلطان: أنشد شعرك، فقال: لسـت بشـاعر، قال: فمن أنت؟ قال: من الغاوين الذين قال الله تعالى في

حقهـم: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤] فضـحك السـلطان، وأمر له بجائزة الشعراء، وقال لمن عنده: ما سرني الشعراء مثله.

٢١٣ على هامش الطب عند العرب

يروى عن يحيى بن إسحاق، وكان طبيبًا حاذقًا صانعًا بيده، أنه كان جالسًا في دكان، وقد مرت عليه جنازة، فلما نظر إليها صاح: يا أهل الميت، إن صاحبكم لم يمـت، ولا يحـل أن تدفنـوه، فقال بعضـهم لبعض: هذا الذي قوله لا يضـرنا، ويتعين علينا أن نمتحنه، فإن كان حيًّا فهو المراد، وإن لم يكن حيًّا فما يتغير علينا شـيء، فاسـتدعوه، وقالوا له: بـيّن لنا ما قلت، فأمرهم بالعـود إلى البيت، فنزع أكفانـه، وأدخله الحمام، وسـكب عليه الماء الحار، وأحمى بدنه ونطله؛ أي صـب عليه النطول؛ أي الماء الذي تغلي فيه الأدوية والحشـائش، ويُصـبّ فاترًا، فظهر به أدنى حس، وتحرك حركة خفيفة، فقال: أبشـروا بعافيته، ثم تمم علاجه إلى أن أفاق وصحا، فكان ذلك مبدأ اشتهاره بشدة الحذق والعلم، ولما سئل بعد ذلك في الأمـر قال: نظرت إلى قدميـه، فوجدتهما قائمتين، وأقدام الموتى منبسـطة، فحدست أنه حي، وكان حدسي صائبًا.

٢١٤ إن أباكما قتيل

قيل: إن شـاعرًا كان له عدو، فبينما هو سـائر ذات يوم في بعض الطرق إذا هو بعدوه، فعلم الشـاعر أن عدوه قاتله لا محالة، فقال له: يا هذا، أعلم أن المنية قد حضـرت، ولكن سـألتك بالله إذا قتلتني امضِ إلى داري، وقف بالباب، وقل: ألا أيهـا البنتان، إن أباكما، فقال: سـمعًا وطاعة، ثـم إنه قتله، فلما فرغ من قتله أتـى داره، وردّد مـا طلب إليه أن يـردده عند بابه، وكان للشـاعر بنتان تحفظان

الشـعر، فلما سـمعتا قول الرجل: ألا أيها البنتان، إن أباكما، أجابتاه بفم واحد: قتيـل خـذا بالثأر ممن أتاكما، وهـو عجز البيت الذي ردّد صـدره، فأقر بفعلته، واعترف بجريمته، وأوصلوه إلى السلطان، فقتله.

٢١٥ المهدي وأبودلامة

دخل أبودلامة على المهدي، وأنشـده قصـيدة، فقال: سـل حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين، هب لي كلبًا، فغضب الخليفة، قال: أقول لك سل حاجتك، فتقول: هـب لي كلبًـا؟ فقال: يـا أمير المؤمنـين، الحاجة لي أم لك؟ قال: بـل لك، فقال: إني أسـألك أن تهب لي كلب صـيد، فأمر له بكلب، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني خرجت للصـيد أعدو على رجلي. فأمر له بدابة، وقال له: يا أمير المؤمنين، فمن يقوم عليها؟ فأمر له بغلام، فقال: يا أمير المؤمنين، هبني صـدت صـيدًا، وأتيت بـه إلى داري، فمن يطبخه؟ فأمر له بجارية، فقال: يا أمير المؤمنين، وهؤلاء أين يبيتـون؟ فأمـر له بدار، فقال: يا أمير المؤمنين، قد صـيرت في عنقي عيالًا، فمن أيـن لي ما يقوت هؤلاء؟ فقال المهدي: أعطـوه جريب نخل ومالًا، ثم قال المهدي: هل بقيت لك حاجه؟ قال: نعم، أن تأذن لي أن أقبل يدك، قال: أما هذه فلا!

٢١٦ أساء الخليفة

كان أحـد الخلفاء يعسّ ليلة، فسـمع غنـاء رجل من بيت، فتسـوّر، فرآه مع امرأة يشربان الخمر، فقال: يا عدو الله، أرأيت أن يسترك الله سبحانه وتعالى، وأنـت في معصـيته؟ فقـال: يا أمـير المؤمنـين، لا تعجل إن كنت عصـيت الله في واحدة، فأنت عصيته في ثلاث، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢] وقد تجسسـت، وقال: ﴿وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] وقد تسورت،

وقال: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧] وقد دخلت بغير سلام، فقال الخليفة: أسأت، فهل تعفو؟ فقال: نعم، وعلى ألّا تعود لمثلها، غفر الله لك.

٢١٧ هيبة الخليفة

دخل رجل على المتوكل، فقال له: ما اسمك؟ قال: قطّان، قال وما صناعتك؟ قال: حمدان، قال: لعل اسمك حمدان، وصناعتك قطّان؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، ولكنني دهشت لهيبتك.

يماثلها قول أحدهم في العصر الحاضر للملك عبدالعزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا طويل الذلول، أريد عمر، يريد أن يقول: يا طويل العمر، أريد ذلولًا، وهي الناقة.

٢١٨ بديهة

اتهم أعرابي بأنه أطلق لسانه في الوالي في أحد المجالس، فسيق إلى الوالي لمحاكمته، وكان يعرف أن أتباع الوالي قد وجهّوا إليه طائفة أخرى من التهم التي لم يرتكبها كي يتخلصوا منه بسجنه، فأعد كتابًا رقيقًا يستعطف به الوالي، ويدرأ عن نفسه ما كان موجهًا إليه من التهم، حتى إذا ما دخل على الوالي في مجلس حكمه، وقرأ في وجوه الحاضرين ما يبيتون أخرج الكتاب من جيبه، وقدمه إلى الوالي، وهو يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] ولكن الوالي لم يقرأ الكتاب، وردّ على الرجل: إنما يقال هذا يوم القيامة، وليس هنا، وبسرعة قال الرجل: هذا يا مولاي، شر من يوم القيامة، فهناك يؤتى بحسناتي وسيئاتي معًا، أما رجالك فقد جاؤوا بسيئاتي، وتركوا حسناتي، فأعجب الوالي بردّه، وخلّى سبيله.

٢١٩ العلم

قال عروة بن الزبير لبنيه: تعلموا العلم، فإن تكونوا صغار قوم، فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين، فيا سوأتا ماذا أقبح من جهل بشيخ، وكان يقال: علّم علمك من يجهل، وتعلم ممن يعلم، فإنك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت، وحفظت ما علمت.

٢٢٠ من أمثلة الجود

حكى أشعب بن جبير أنه كان في بعض سكك المدينة، فلقيه رجل، وقال له: كم عيالك؟ قال: فأخبرته، فقال له: قد أمرت أن أجري عليك وعلى عيالك ما يكفيك، من الرزق ما كنت حيًّا، فقلت: من أمرك بورك فيك؟ قال: لا أخبرك، قلت: هذا معروف يشكر، قال: الذي أمرني لا يريد شكرك، قال أشعب بن جبير: فمكثت آخذ ذلك إلى أن توفي خالد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان، فحفل له الناس، فشهدته، فلقيني ذلك الرجل والدمع ليغلبه: يا أشعب، هذا والله صاحبك الذي كان يجري عليك ما كنت أعطيك.

٢٢١ اسكت فما معنا أحد

خرج الوليد بن يزيد حاجًّا، ومعه عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر، فكانا ببعض الطريق يلعبان بالشطرنج، فاستأذن عليه رجل من ثقيف، فأذن له، وستر الشطرنج بمنديل، فلما دخل سلم، وسأل حاجة، فقال له الوليد: أقرأت القرآن؟ قال: لا، يا أمير المؤمنين، شغلتني عنه أمور وهنات، قال: أفتعرف الفقه؟ قال: لا، قال: أفرويت من الشعر شيئًا؟ قال: لا، قال: أفعلمت من أيام العرب

شيئًا؟ قال: لا، عندها كشف الوليد المنديل عن الشطرنج، وقال: شاهك، فقال له عبدالله بن معاوية: يا أمير المؤمنين، قال: اسكت، فما معنا أحد.

٢٢٢ من الهدي النبوي

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزًّا فاعفوا يعزكم الله، وإن التصدق لا يزيد المال إلا نماءً، فتصدقوا يزدكم الله»**[١].

٢٢٣ وصية

قيل: إن أبا النجم العجلي كان يتردد على هشام بن عبدالملك ينشده من الشعر، وينادمه، وحدث أن أنشده أبياتًا لم تعجب هشامًا، فأمر حاجبه أن يمنعه من دخول القصر، فتنسك أبوالنجم، وأخذ يأوي إلى المسجد، ويصيب من فضول أطعمة الناس، وفي ليلة أرق هشام، وأراد محدثًا يحدثه، فقال لحاجبيه: ائتياني بمحدث أعرابي شاعر يروي الشعر، فخرج الحاجب إلى المسجد، ولقي أبا النجم، فاقتاده الحاجب إلى القصر، ووقف بين يدي هشام، فقال له: أبوالنجم هذا؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، طريدك، فسأله عن حاله، وكيف عمل به الزمان، فقال: لي من الأولاد ثلاث بنات وصبي اسمه شيبان، وقد زوجت ابنتين، وبقيت واحدة، فقال: وما وصيتك للأولى؟ وكانت تسمى برّة، فقال:

أوصيت برة قلبًا حرًّا ... بالكلب خيرًا والحماة شرّا

لا تسامي ضربًا لها وجرًا ... حتى ترى حلو الحياة مرّا

فضحك هشام، وقال: ما الذي قلت للأخرى؟ قال:

---

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٦٢٦٤).

سبى الحماة وافترى عليها | وإن دنت فازدلفي إليها
وأوجعي بالفهر ركبتيها | ومرافقيها واضربي جنبيها

قال: فضحك هشام حتى بدت نواجذه، قال: وما قلت في وصيتك للثالثة؟ وكانت دميمة عانسًا قال:

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب | أوصيك ألا تحمدك القرائب
والجار والضيف الكريم الساغب | لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا ثنى أظفارك السلاحب | في الزواج إن الزوج بئس الصاحب

٢٢٤ القلوب معك والسيوف عليك

قال الفرزدق: خرجت أريد مكة، فإذا بقباب مضروبة وفساطيط منصوبة، فقلت: لمن هذه؟ فقالوا: للحسين بن علي، فعدلت إليه، وسلمت عليه، فقال الحسين: من أين أتيت يا فرزدق؟ قال: من العراق، قال: كيف تركت الناس؟ قلت: القلوب معك، والسيوف عليك، والنصر من عند الله.

٢٢٥ التسليم لقضاء الله

مات لعلي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهم ولد فلم يحزن، ولم يجزع عليه، فقال له أحدهم: يا علي، أيموت ولدك وفلذة كبدك وأملك في الحياة وظهيرك فيها، ولم تأبه لموته، ولم تجزع؟ فأجاب علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نعم؛ لأنه أمر كنا نتوقعه، فلما وقع لم ننكره، وفي هذا تسليم لقضاء الله عَزَّ وَجَلَّ.

٢٢٦ هفوة شاعر

قال دعبل بن علي الخزاعي: اجتمعنا ثلاثة من الشعراء في قرية ذات بساتين وأشجار وارفة الظلال تسمى طهياثا، فشربنا، واستمتعنا بهذه البساتين والحدائق، ثم قلنا: ليقل كل واحد منا بيتًا من الشعر في يومنا هذا وفرحتنا تلك، فقال الأول:

نلْنا لذيذَ العيشِ في طهياثا

فقال الثاني:

لما حثثْنا أقدحًا ثلاثا

فارتج على الثالث، وأجلناه، فجاء على لسانه قوله:

وامْرأَتي طالقةٌ ثَلاثا

ثم قعد يبكي، وينتحب على تطليقه لزوجه، وقعدنا نضحك منه، ونتعجب مما اتفق.

٢٢٧ لو اتبع هذا الرأي

قال المأمون للفضل بن سهل: قد كان لأخي رأي لو عمل به لظفر، فقال له الفضل: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: لو كتب إلى أهل خراسان وطبرستان والري، أنه قد وهب لهم الخراج لسنة لم نتخلَّ نحن من خصلتين: إما رددنا فعله، ولم نلتفت إليه، فعصانا أهل هذه البلدان، وفسدت نياتهم، فانقطعوا عن معاونتنا، وإما قبلناه، وأمضيناه، فلا نجد من نعطي منه من معنا، وتفرق جندنا، ووهى أمرنا، فقال الفضل: الحمد لله الذي ستر هذا الرأي عنه وعن أصحابه.

٢٢٨ تفاحة القلب

دخل عمرو بن العاص على معاوية، وبين يديه بنته عائشة، فقال: من هذه يا أمير المؤمنين؟ قال: هذه تفاحة القلب، فقال له: انبذها عنك، فوالله إنهن ليلدن الأعـداء، ويقربن البعداء، ويورثن الضـغائن. فقال: لا تقل ذاك يا عمرو، فوالله ما مرَّض المرضـى، ولا ندب الموتى، ولا أعان على الأحزان مثلهن، ورب ابن أخت قد نفع خاله.

٢٢٩ نحن نلي أموركم وآدابكم

وقف الأحنف بن قيس ومحمد بن الأشعث بباب معاوية، فأذن للأحنف، ثم أذن لابن الأشعث، فأسرع الأخير في مشيته حتى تقدم الأحنف، ودخل قبله، فلما رآه معاويــة غمه ذلك، وأحنقه، فالتفت إلى الأحنف، وقال: والله إني ما أذنت له قبلك، وأنا أريد أن تدخل قبله، وإننا كما نلي أموركم كذلك نلي آدابكم، ولا يزيد متزيد في خطوة إلّا لنقص يجده من نفسه.

٢٣٠ حسن تخلص

دخــل عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعنده زياد، فرحب به معاوية، ووسـع له في محله، وأقبل عليه يسـأله، ويحادثه باهتمام، وزياد ساكت، فقــال لــه ابن عباس: كيف حالك أبا المغيرة؟ كأنــك أردت أن تحدث بيننا وبينك هجرة، فقال: لا، ولكنه لا يسلم على قادم بين يدي أمير المؤمنين، قال ابن عباس: ما أدركت النـاس إلا وهم يسـلمون على إخوانهم بين يدي أمرائهم، فقال معاوية: كف عنه يا ابن عباس، فإنك لا تشاء أن تغلب إلا غلبت.

٢٣١ نصائح للمعلم

قال عمر بن عتبة لمعلم ولده، ليكنْ أول إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك، فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحسن عندهم ما صنعت، والقبيح عندهم ما تركت، علمهم كتاب الله، ولا تكرههم عليه، فيملوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، علمهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفّه، ولا تنقلهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن ازدحام الكلام في القلب شغلة للفهم، علمهم سنن الحكماء، وجنبهم محادثة النساء، ولا تتكل على عذر مني لك، فقد اتكلت على كفاية منك.

٢٣٢ كرم الصحبة

قال يحيى بن أكثم: ماشيت المأمون يومًا من الأيام في بستان له، فكنت من الجانب الذي يستره من الشمس، فلما انتهى إلى آخره، وأراد الرجوع، وأردت أن أدور إلى الجانب الذي يستره من الشمس قال: لا تفعل، وكن بحالك حتى أسترك كما سترتني، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرت أن أقيك من حر النار لفعلت، فكيف الشمس؟ فقال: ليس هذا من كرم الصحبة يا ابن أكثم، ثم مشى ساترًا لي من الشمس كما سترته.

٢٣٣ الضرائر

قيل لرجل من العرب يجمع الضرائر: كيف تقدر على جمعهن؟ قال: كان لنا شباب يظأرهن علينا، ثم كان لنا مال يصيّرهن لنا، فلما ذهب الشباب والمال بقي لنا خلق حسن، فنحن نتعاشر به، ونتعايش.

٢٣٤ بين الرشيد والمأمون

دخل الرشيد على المأمون في مكتبه، فوجده وقد أمسك بكتاب يقلبه بين يديه، فقال له: ما هذا بيديك؟ فقال: بعض ما تشحذ به الفطنة، وينبه به من الغفلة، ويؤنس به من الوحشة، فقال له: ما تحب أهدي لك؟ قال: حسن رأيك، فقال الرشيد: الحمد لله الذي رزقني من ولدي من ينظر بعين عقله أكثر مما ينظر بعين جسمه وسنه.

٢٣٥ دعاء غير مستجاب

كان المنصور العباسي قبل أن يتولى الخلافة ينزل على أزهر السمان، وكان عالمًا بالحديث من أهل البصرة، فلما استخلف المنصور صار إليه أزهر، فقال له المنصور: ما أقدمك؟ قال: حاجة يا أمير المؤمنين، عَلَيَّ أربعة آلاف درهم، ولي دار متهدمة، وأريد البناء لابني محمد، فأمر له بأربعة آلاف درهم، وقال: يا أزهر، لا تأتِنا طالب حاجة، قال: أفعل، فلما كان بعد أيام عاد، فقال: يا أزهر، ما جاء بك؟ قال: جئت مُسلِّمًا يا أمير المؤمنين، قال: إنه ليقع في نفسي أن ما أتيت إلا لما أتيت له في المرة الأولى، وأمر له بأربعة درهم، وقال: لا تأتِنا طالب حاجة ولا مُسلِّمًا، قال: نعم، ثم ما لبث أن عاد فقال: يا أزهر، ما جاء بك؟ قال: دعاء كنت سمعت أمير المؤمنين يدعو به، فجئت مستمليًا لآخذه عنك، فقال: لا تكتبه؛ لأنه غير مستجاب؛ لأني دعوت الله به أن يريحني منك، فلم يستجب لي، ثم صرفه، ولم يعطِه شيئًا.

٢٣٦ من نوادر الفقهاء

وقع بين الأعمش وامرأته وحشة، فسأل بعض أصحابه من الفقهاء أن يرضيها، ويصلح بينهما، فدخل إليها، وقال: إن أبا محمد شيخ كبير، فلا يزهدنك فيه عمش عينيه، ودقة ساقيه، وضعف ركبتيه، ونتن إبطيه، وبخر فيه، وجمود كفيه، فقال له الأعمش: قم قبّحك الله، فقد أريتها من عيوبي ما لم تكن تعرفه.

٢٣٧ الكرم العربي

قيل لقيس بن سعد: هل رئي قط أسخى منك؟ قال: نعم، نزلنا البادية على امرأة، فجاء زوجها، وقالت له: إنه نزل بنا ضيفان، فجاء بناقة، فنحرها، وقال: شأنكم - أي عليكم بها - فلما كان الغد جاء بأخرى، فنحرها، وقال: شأنكم، فقلنا: ما أكلنا من التي نحرت إلا القليل، فقال: إني لا أطعم ضيوفي البائت، فبقينا عنده أيامًا والسماء تمطر، وهو يفعل ذلك، فلما أردنا الرحيل وضعنا مئة دينار في بيته، وقلنا لامرأته: اعتذري لنا إليه، ومضينا، فلما ارتفع النهار إذا برجل يصيح خلفنا: قفوا، فوقفنا، فلما دنا منا قال: خذوا دنانيركم، فإني لا آخذ على إكرامي ثمنًا، وإن لم تأخذوها طعنتكم برمحي هذا، فأخذناها، وانصرفنا.

٢٣٨ تفاوت في عمل الخير

قال حكيم من حكماء العرب: الناس في الخير أربعة أقسام: منهم من يفعله ابتداءً، ومنهم من يفعله اقتداءً، ومنهم من يتركه حرمانًا، ومنهم من يتركه استحسانًا، فمن يفعله ابتداءً فهو كريم، ومن فعله منهم اقتداءً فهو حكيم، ومن تركه حرمانًا فهو شقي، ومن تركه استحسانًا فهو دني.

٢٣٩ الغزال - القلم - الطاحونة

الغزال:

اسمُ منْ قدْ هويتُه ظاهرٌ في حروفِه
فإذا زالَ ربعُه زالَ باقي حروفِه

القلم:

بصيرٌ بما يوصي إليه وما لَه		لسانٌ ولا قلبٌ ولا هو سامعُ
كأنَّ ضميرَ القلبِ باحَ بسرِّه		إليه إذا ما حرّكته الأَصابعُ

الطاحونة:

ومسرعةٍ في سيرِها طولَ دهرِها		تراها مدى الأيامِ تمشي ولا تتعبْ
وفي سيرِها ما تقطعُ الأكلَ ساعةً		وآكلةٌ طولَ المدى وهي لا تشربْ
وما قطعتْ في السيرِ خمسةَ أذرعٍ		ولا ثلثَ ثمنٍ من ذراعٍ ولا أقربْ

٢٤٠ أحسن النساء

قال عبدالملك بن مروان لرجل من غطفان: صف لي أحسن النساء، قال: خذها يا أمير المؤمنين، ملساء القدمين ردماء الكعبين - أي ليس بهما شقوق -، ناعمة الساقين، ضخماء الركبتين، لفّاء الفخذين، ضخمة الذراعين، رخصة الكتفين، ناهدة الثديين، حمراء الخدين، كحلاء العينين، زجّاء الحاجبين، لمياء الشفتين، بلجاء الجبين، شماء العرنين، شنباء - أي بيضاء - الثغر، حالكة الشعر، غيداء العنق، مكسرة البطن، فقال: ويحك وأين توجد هذه؟! قال: تجدها يا أمير المؤمنين، في خالص العرب وفي خالص فارس.

٢٤١ لا عافاكم الله

لما قتل مصعب بن الزبير خرجت سكينة بنت الحسين تريد المدينة، فأحاط بها أهل الكوفة، وقالوا: أحسن الله صحابتك يا بنت رسول الله، فقالت: والله لقد قتلتم جدي وأبي وعمي وزوجي مصعبًا، أيتمتموني صغيرة، وأرملتوني كبيرة، فلا عافاكم الله من أهل بلد، ولا أحسن عليكم الخلافة.

٢٤٢ رجل بلغ السؤدد

كتب معاوية إلى يزيد: انظر رجلًا يصلح لثغر الهند فولِّه، فكتب إليه: إن لديّ رجلين يصلحان لذلك: الأحنف بن قيس وسنان بن سلمة الهذلي، فكتب إليه معاوية: بأي يومي الأحنف نكافيه: أبخذلانه أم المؤمنين، أم بسعيه علينا يوم صفين؟ فوجّه سنانًا، فكتب إليه يزيد: إن الأحنف بلغ من السؤدد ما لا تنفعه الولاية، ولا يضره العزل.

٢٤٣ الحكمة في الذباب

سأل محمد بن الجهم بعض جلسائه: هل تعرفون الحكمة التي استفدناها في الذِّبَّان؟ قالوا: لا، قال: بلى، إنها تأكل البعوض، وتصيده، وتلقطه، وتفنيه، وذلك أني كنت أريد القائلة، فأمرت بإخراج الذِّبَّان وطرح الستر وإغلاق الباب قبل ذلك بساعة، فإذا خرجن حصل في البيت البعوض، في سلطان البعوض وموضع قوته، فكنت أدخل إلى القائلة، فيأكلني البعوض أكلًا شديدًا، فأتيت ذات يوم المنزل في وقت القائلة، فإذا ذلك البيت مفتوح والستر مرفوع، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك في يومهم، فلما اضطجعت للقائلة لم أجد من البعوض شيئًا، وقد كان غضبي أشد على الغلمان، فنمت في عافية. فلما كان من الغد عادوا إلى إغلاق الباب وإخراج الذِّبَّان، فدخلت الشمس القائلة، فإذا البعوض كثير، ثم أغفلوا إغلاق الباب يومًا آخر، فلما رأيته مفتوحًا شتمتهم، فلما صرت إلى القائلة لم أجد بعوضة واحدة، فقلت في نفسي عند ذلك: أراني قد نمت في يومي الإغفال والتضييع، وامتنع مني النوم في أيام التحفظ والاحتراس، فلِمَ لا أجرب ترك إغلاق الباب في يومي هذا؟ فإن نمت ثلاثة أيام لا ألقى من البعوض أذى مع فتح الباب، علمت أن الصواب في الجمع بين الذِّبَّان وبين البعوض، فإن

الذِّبَّــان هــي التي تفنيه، وإن صــلاح أمرنا في تقريب ما كنــا نباعد، ففعلت ذلك فإذا الأمر قد تم، فصــرنا إذا أردنا إخراج الذِّبَّان أخرجناها بأيســر حيلة، وإذا أردنا إفناء البعوض أفنيناها، على أيدي الذِّبَّان بأيسر حيلة، فهاتان خصلتان من مناقب الذِّبَّان.

- عن كتاب الحيوان للجاحظ -

ونحــن نقــول: إن هذه المبيــدات الحشــرية كالبخاخــات المســتعملة لإبادة الحشــرات وغيرها ثبت ضررها ضعف ضــرر البعوض وصدق القائل: رُبّ ضارة نافعة، وحدثني بعض الأصــدقاء أنه أغلق منافذ مزرعته إغلاقًا تامًّا منع دخول القطــط والكلاب، فراعــه بعد أيام أن وجد الحيات تســرح، وتمرح بكثرة غريبة جعلته يفتح الأبواب كالعادة.

٢٤٤ كل جزور لمئة رجل

روى ابن الجوزي قال: لما سار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى بدر وجد المسلمون بالقرب من الماء رجلين، الأول من قريش والآخر مولى لعقبة بن أبي معيط، فأما القرشــي فأفلت من يد المســلمين، وهرب، وأما مولى عقبة فأمســكوا به، وجعلوا يســألونه عــن عدد القوم؟ فيقول: هم والله كثير عددهم شــديد بأســهم، فجعل المســلمون، إذ قال ذلك ضــربوه حتى انتهوا به إلى الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال له: «**كم القوم؟**» قال: والله كثير عددهم شديد بأسهم، فاجتهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يخبره فأبى، ثم إن النبي ســأله: «**كم ينحرون من الجزر؟**» قال: عشرًا لكل يوم، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل جزور لمئة رجل**»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/٢٥٩ رقم٩٤٨)، قال الهيثمي في المجمع (٦/٩٧-٩٩): رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح، غير حارثة بن مضرب، وهو ثقة.

٢٤٥ سدّ عليه السُّبل

دخل أحد الشعراء على عبدالملك بن مروان، فاستأذنه في الكلام، فقال له: لي شروط، فقال: وما هي؟ قال: ألا تمدحني في وجهي، فإني أعرف منك بنفسي، فإن قلت فيّ حقًّا فقد تقدمت فيه معرفتي، وإن قلت فيّ كذبًا كنت ساخرًا مني، وعلى ألا تكذبني على ضميرك، فإنه لا رأي لكذوب، وعلى ألا تغتاب عندي أحدًا، فإن الاغتياب لا يرضى به لنفسه إلا ذو النقص والامتهان، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، أتأذن لي بالانصراف؟ قال: إذا شئت.

٢٤٦ قرآن وشعر

قال الأصمعي: دخلت البادية، ومعي كيس به دنانير فأودعته عند أعرابية، فلما طلبته أنكرته، فقدمتها إلى شيخ منهم، فأصرت على إنكارها، فقال الشيخ: قد علمت أنه ليس عليها إلا اليمين، فقلت: أيها الشيخ، كأنك ما سمعت قوله تعالى:

ولا تقبل لسارقة يمينا ... ولو حلفت برب العالمينا

فقال: صدقت أيها الرجل، وهددها، فاعترفت، وردت إليّ مالي، ثم التفت الشيخ إليّ، فقال: في أي سورة تلك الآية؟ فقلت له: في قوله تعالى:

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ... ولا تبقي خمور الأندرينا

فقال الشيخ: يا سبحان الله! لقد كنت أظنها من: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح: ١]، والمعروف أنها شعر، وليست من القرآن.

٢٤٧ قوي الإيمان بالله

سـخط كسـرى علـى بوذرجمهـر، فحبسـه في بيت مظلـم، وأمـر أن يقيَّد بالحديـد، فبقي أيامًا على تلك الحال، فأرسـل إليه من يسـأله عـن حاله؟ فإذا هو منشـرح الصـدر مطمئن النفس، فقالوا له: أنت في هذه الحالة من الضـيق، ونراك ناعم البال؟ فقال: اصـطنعت سـتة أخلاط، فعجنتها، واسـتعملتها، وهي التي أبقتني على ما ترون، فقالوا له: صـف لنا هذه الأخلاط لعلنا ننتفع بها عند البلـوى، فقال: أمـا الخلط الأول فالثقة بالله، وأما الثـاني فكل مقدر كائن، وأما الثالـث فالصـبر خير ما يسـتعمله الممتحن، وأمـا الرابع فإذا لم أصـبر، فماذا أصـنع؟ وأما الخامس فقد يكون أشـد مما أنا فيه، وأما السادس فمن ساعة إلى ساعة فرج، فبلغ ما قاله كسرى، فأطلقه وأعزه.

٢٤٨ الأيام

الأيام خمسة: يوم مفقود وهو أمس، ويوم مشهود وهو يومك الذي أنت فيه، ويوم مورود وهو غدك، ويوم موعود وهو آخر أيامك من الدنيا، ويوم ممدود وهو يوم القيامة.

٢٤٩ أشركها معه في الهيبة

سمر عبدالملك بن مروان ذات ليلة وعنده كُثيّر عزة، فقال له: أنشدني بعض ما قلت في عزة، فأنشده حتى أتى على هذا البيت:

هممْتُ وهمَّتْ ثم هابَتْ وهِبْتُها ... حيـاءً ومِـثـلـي بـالـحـيـاءِ حقيقُ

قـال لـه عبدالملك: أمـا والله لـولا بيـت أنشـدتنيه قبل هـذا لحرمتك جائزتك، قال: لِمَ يا أمير المؤمنين؟ قال عبدالملك: لأنك أشركتها معك في الهيبة، ثم استأثرت بالحِياء دونها، قال: فأي بيت عفوت به يا أمير المؤمنين؟ قال: قولك:

دعُـوني هـائـمًـا فـيـمَـنْ يـهـيـمُ ... دعُـوني لا أريـدُ بـهـا سِـواهـا



٢٥٠ أكرم مولود

قال معاوية يومًا لجلسـائه: من أكرم الناس أبًا وأمًّا وجدًّا وجدة وعمًّا وعمة وخـالًا وخالة؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين، اعلم، فأخذ بيد الحسـن بن علي، وقال: هذا أبوه علي بن أبي طالب وأمه فاطمة بنت محمد وجده رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجدته خديجة، وعمه جعفر، وعمته أم هانئ بنت أبي طالب، وخاله القاسـم بن محمد، وخالته زينب بنت محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٢٥١ الوفاء نور أبلج

لما جيء بالهرمزان إلى عمر بن الخطاب أسـيرًا: دعاه إلى الإسـلام، فأبى عليـه، فأمر بقتلـه، ولما عرض عليه السـيف قال: لو أمرت لي يـا أمير المؤمنين، بشربة من ماء، فهو خير من قتلي على الظمأ، فأمر له بها، فلما صار الإناء بيده قال: أنا آمن حتى أشـرب؟ قال: نعم، فألقى الإناء من يده، وقال: الوفاء يا أمير المؤمنين، نور أبلج، قال: لك التوقف حتى أنظر في أمرك، ارفعا عنه السيف، قال: الآن أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فقال له عمر: ويحك أسلمت خير إسـلام، فما أخرك؟ قال: أخرني يا أمير المؤمنين، خشـية أن يقال: أسـلم جزعًا من الموت، فقال عمر: هذا والله أشجع الناس.

٢٥٢ أسودهم وأجودهم وأشعرهم

دخل الفرزدق على سليمان بن عبد الملك، فقال له: من أنت؟ وتجهم له وكأنه لا يعرفه، فقال له الفرزدق: أَوَما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، قال: أنا من قوم منهم أوفى العرب، وأسود العرب، وأجود العرب، وأحلم العرب، وأفرس العرب، وأشعر العرب، قال: والله لتُبيِّنَنَّ ما قلت أو لأوجعنَّ ظهرك ولأهدمنَّ دارك، قال: أما أوفى العرب فحاجب بن زرارة الذي رهن قوسه على جميع العرب، فوفى بها، وأما أسود العرب فقيس بن عاصم الذي وفد على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبسط له رداءه، وقال: هذا سيد الوبر، وأما أحلم العرب فعتاب ابن ورقاء الرياحي، وأما أفرس العرب فالحريش بن هلال السعدي، وأما أشعر العرب فأنذا بين يدك، فاغتم سليمان مما سمع من فخره ولم ينكره، فقال: ارجع على عقبيك، فما لك عندنا شيء، فرجع الفرزدق، وهو يقول:

أتيناكَ لا مِنْ حاجةٍ عرضتْ لنا … إليكَ ولا مِنْ قلةٍ في مجاشعِ

٢٥٣ صدق وهو كذوب

يقول الكاتب الدكتور محمد كامل حسين في طائفة الإسماعيلية عن محاورة جرت بينه وبين أحد زعماء الأغانجية في العصر الحاضر: ونصها قوله لأغا خان:

لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك، فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك إلهًا، فضحك طويلًا جدًّا، وعلت قهقهاته، ودمعت عيناه من كثرة الضحك. ثم قال: هل تريد الإجابة عن هذا السؤال: إن القوم في الهند يعبدون البقرة. لا يستغرب عبوديتهم لي.

أقول:

القرآن الكريم يصف من ضل عن سبيل الله بأنهم كالأنعام، يقول تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

٢٥٤ زوجه ابنته وساق عنه

خطب لقيط بن زرارة إلى قيس بن خالد الشيباني، فقال له قيس: ومن أنت؟ قال: لقيط بن زرارة، قال: وما حملك أن تخطب إليّ علانية؟ فقال: لأني عرفت أني إن عالنتك لم أفضحك، وإن ساررتك لم أخدعك، فقال: كفء كريم لا تبيت والله عندي عزبًا ولا غريبًا، فزوجه ابنته، وساق عنه.

٢٥٥ أشعرهم أمير المؤمنين

اجتمع جماعة من الشعراء عند عبد الملك بن مروان، فتذاكروا بيت نصيب، وهو قوله:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإنْ أمتْ ... أُوكِّلْ بدعدٍ منْ يهيمُ بها بَعْدي

فما في القوم إلا من عابه، وأزرى على نصيب فيه، فقال عبد الملك: فما كنتم تقولون أنتم؟ فقال الأقيشر، وكان أحد الحاضرين:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإنْ أمتْ ... فيا ليتَ شِعْري مَنْ يهيمُ بها بَعْدي

فقال له عبد الملك: أنت أسوأ رأيًا من نصيب، فقالوا: ما كنت تقول أنت يا أمير المؤمنين؟ قال: كنت أقول:

أهيمُ بدعدٍ ما حييتُ فإنْ أمتْ ... فلا صلحتْ دعدٌ لِذي خُلَّة بَعْدي

فقالوا: أنت والله أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين.

٢٥٦ عمود الجمال

قالت امرأة خالد بن صفوان له يومًا: ما أجملك! قال: كيف تقولين ذلك وما لي عمود الجمال، ولا علي رداؤه، ولا برنسه؟ قالت: ما عمود الجمال؟ وما رداؤه؟ وما برنسه؟ قال: أما عمود الجمال فطول القوام وفيّ قصر، وأما رداؤه فالبياض ولست أبيض، وأما برنسه فسواد الشعر وأنا أصلع، ولكن لو قلت: ما أحلاك! وما أملحك! كان أولى.

٢٥٧ رأي في المشورة

استشار هارون الرشيد وزراءه، فقال يحيى بن خالد البرمكي: لا ينبغي للخليفة أن يستشير منا أحدًا إلا خاليًا به، فإنه أموت للسر، وأحزم للرأي، وأجدر بالسلامة، وأعفى لبعضنا من غائلة بعض، فإن إفشاء السر إلى رجل واحد أوثق من إفشاؤه إلى اثنين، وإفشاءه إلى ثلاثة كإفشائه إلى العامة؛ لأن الواحد رهن بما أفشي إليه، والثاني مطلق عنه ذلك الرهن، والثالث علاوة فيه، فإذا كان سر الرجل عند واحد كان أحرى ألا يظهره رهبة منه ورغبة إليه، وإذا كان عند اثنين دخلت على الخليفة الشبهة، واتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد، وإن اتّهمهما اتّهم بريئًا بجناية مجرم، وإن عفا عنهما كان العفو عن أحدهما ولا ذنب له، وعن الآخر ولا حجة معه.

٢٥٨ يسره أن يكون أمه

كان غلام يستمع إلى الفرزدق، وهو ينشد قصيدة على جمع كبير، فكان هذا الغلام يصفق طربًا، فلما انتهى من إنشاده استدناه، وقال: أأعجبك شعري؟

قال الغلام: لم أسـمع مثله في الجودة والرصانة والمعنى، فداخل الفرزدق الزهو، وقـال للغلام: أيسـرك أن أكون أبـاك؟ فقال الغلام: أمّا أبي فـلا أبتغي به بدلًا، ولكن يسرني أن تكون أمي!

٢٥٩ الحلم والغضب

قال رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب**»[١] وروى أبوهريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن رجلًا قال: يا رسول الله، مرني بعمل، وأقلل، قال: «**لا تغضب**» ثم أعاد عليه، فقال: «**لا تغضب**»[٢].

٢٦٠ ذات الخمار الأسود

قدم إلى المدينة تاجر من أهل الكوفة معه خُمُر، فباعها كلها، وبقيت السود منها، فلم تبع، وكان صـديقًا للدارمي الشـاعر، فشـكا ذلك إليـه وكان الدارمي قد تنسـك، وترك الغناء وقول الشـعر، فقال له: لا تهتم بذلك سأنفقها لك حتى تبيعها أجمع، ثم وضع شعرًا للغناء:

قلْ للمليحةِ بالخمارِ الأسودِ ... ماذا صنعتِ براهبٍ متعبدِ
قد كانَ شمَّرَ للصلاةِ ثيابَه ... حتّى وقفتِ له ببابِ المسجدِ

فشـاع غناؤه بين الناس، ولم تبقَ في المدينة ظريفة إلا وابتاعت خمارًا أسود حتى نفد ما كان مع الكوفي منها.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨/٨ رقم٦١١٤)، ومسلم (٢٠١٤/٤ رقم٢٦٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (٢٨/٨ رقم٦١١٦).

٢٦١ مرض الحبيب

قال سحيم عبد بني الحسحاس:

مـاذا يـريـدُ الـسِّـقـامُ مـن قـمـرٍ	**كـلُّ جـمـالٍ لـوجـهـه تـبـعُ**
مـا يـبـتـغـي جـارَ في مـحـاسـنِـه	**أمـا لـه في الـقـبـاحِ مُـتـسـعُ**
غـيّرَ مـنْ لـونِـه وصـفّـرَ مـا	**وَرّدَ مـنـه الـجـمـالُ والـبـدعُ**
لـو كـانَ يـبـغـي الـفـداءَ قـيـلَ لـه:	**هـا أنـا دونَ الـحـبـيـبِ يـا وجـعُ**

٢٦٢ عُـرى الإيمان

قال البراء بن عازب: كنت جالسًا عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**أتدرون أي عُرى الإيمان أوثق؟**» قلنا: الصلاة، قال: «**إن الصلاة لحسنة، وما هي بها**» قلنا: الزكاة، قال: «**وهي كذلك حسنة وما هي بها**»، وذكروا شرائع الإسلام، فلما رآهم لا يصيبون قال: «**إن أوثق عُرى الإيمان أن تحب في الله، وتبغض في الله**»[1].

٢٦٣ الدماء لا تُسفك بالأحلام

كان شريك القاضي يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي، فحمل الربيع المهدي عليه، فدخل شريك يومًا على المهدي، فقال له المهدي: بلغني أنك ولدت في قوصرة، فقال: ولدت يا أمير المؤمنين، بخراسان والقواصر هناك عزيزة، قال: إني لأراك فاطميًّا خبيثًا، قال: والله إني لأحب فاطمة وأبا فاطمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال المهدي: وأنا والله أحبهما، ولكن رأيتك في منامي مصروفًا وجهك عني، وما

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣٠/٤٨٨ رقم ١٨٥٢٤)، وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب (٣/٩٤ رقم ٣٠٣٠).

ذاك إلا تبغيضك لنا، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق، قال: يا أمير المؤمنين، إن الدماء لا تسفك بالأحلام، وليست رؤياك رؤيا يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأما قولك: إني زنديق، فإن للزنادقة علامة يعرفون بها، قال: وما هي؟ قال: شرب الخمر، والضرب بالطنبور، قال: صدقت يا أبا عبدالله، وأنت والله خير من الذي حملني عليك.

٢٦٤ لا تبعد قلبي عن قلبك

خطب عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان إلى عتبة بن أبي سفيان ابنته، فأجلسه بجانبه، وأخذ يمسح على رأسه، ثم قال: أقرب قريب خطب أحب حبيب لا أستطيع له ردًّا، ولا أجد من إسعافه بدًّا، قد زوجتكها وأنت أعز عليّ منها، وهي ألصق بقلبي منك، فأكرمها يَعْذُب على لساني ذكرك، ولا تُهِنْها فيصغر عندي قدرك، وقد قربتك مع قربك، فلا تبعد قلبي من قلبك.

٢٦٥ يمين كاذبة

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى عدي بن أرطأة يطلب منه أن يجمع بين إياس بن معاوية والقاسم بن ربيعة الجوشني، فيولي القضاء أنفذهما، فجمع بينهما، فقال له إياس: سل عني وعن القاسم بن ربيعة الجوشني فقيهي البصرة الحسن البصري وابن سيرين، فعلم القاسم أن إياس يهرب من القضاء، وأنه ما أشار على عدي بسؤال فقيهي البصرة ليختاراه دون إياس، فقد كان إياس لا يأتيهما، فقال القاسم لعدي: لا تسأل عني ولا عنه، فوالله الذي لا إله إلا هو إن إياس بن معاوية أفقه وأعلم بالقضاء، فإن كنت كاذبًا، فقد حلفت، وما ينبغي لك أن توليني، وإن كنت صادقًا فينبغي لك أن تقبل قولي، فقال إياس متحرجًا متأثمًا:

أي عـدي، إنك جئت برجل، فوقفته على شـفير جهنم، فنجى نفسـه منها بيمين كاذبة يستغفر الله منها، وينجو مما يخاف، فقال له عدي: أما وقد فهمتها فأنت لها، فاستقضاه - أي ولاّه القضاء -.

٢٦٦ صفات المؤمن

قـال حكيم: المؤمن صـبور شـكور لا نمّـام ولا مغتاب ولا حقود ولا حسـود، يطلب من الخيرات أعلاها ومن الأخلاق أسـناها، لا يردّ سائلًا، ولا يبخل بمال، متواصـل الهمم مترادف الإحسـان، وزّان لكلامه خزّان للسانه، ليس بهيّاب عند الفزع ولا وثّاب عند الطمع، مواسٍ للفقراء رحيم بالضعفاء.

٢٦٧ ثقل على قريش

قال الشعبي: لما مات علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قام ابنه الحسن على قبره، فحمـد الله، وأثنى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واسـتغفر الله لأبيـه، ثم قال: نعم أخو الإسلام كنت يا أبي، جوادًا بالحق، بخيلًا بالباطل عن جميع الخلق، تغضب عند الغضـب، وترضى حين الرضا، عفيف النظر غضيض الطرف، لم تكن مادحًا ولا شـتّامًا، تجود بنفسـك في المواطن التي تبخل بها الرجال، صـبورًا على الضراء، مشاركًا النعماء، ولذلك ثقلت على أكتاف قريش.

٢٦٨ نار الله

شـرب أبودلامة، فأحضره الشـرطي إلى المهدي، فقال: استنكهوه، ففعلوا، فوجـدوا رائحـة الخمر، فأحـب المهدي أن يعبث بـه، فأمر الربيع أن يحبسـه في

بيت الدجاج، ويطبق عليه الباب، ففعل ثم أخلى سبيله بعد يومين، وأقيم بين يدي المهدي فقال: يا عدو الله، أتشرب الخمر، أما إني لأقيمنّ عليك الحد، ولا تأخذني فيك لومة لائم، فأنشأ أبودلامة يقول:

أميرَ المؤمنينَ فدتْكَ نفسي ... علامَ حبستَني وخرقتَ ساجي؟
أُقادُ إلى السجونِ بغيرِ جرمٍ ... كأنّي بعضُ عمالِ الخراجِ
ولو معهم حُبستُ لكان خيرًا ... ولكنّي حُبستُ معَ الدجاجِ
أمِنْ صهباءَ ريحُ المسكِ فيها ... ترقرقُ في الإناءِ لدَى المزاجِ
عقارٌ مثلُ عينِ الديكِ صرفٌ ... كأنَّ شعاعَها لهبُ السّراجِ
وقد طُبختْ بنارِ اللهِ حتّى ... لقد صارتْ من النطفِ النِّضاجِ

فسأل المهدي الحاضرين: ماذا يعني بنار اللّه؟ فقال الربيع: يعني بها الشمس، فقال أبودلامة: لا، يا أمير المؤمنين، ولكن نار الله الموقدة التي تطلع على فؤاد الربيع مؤصدة، وعلى من أخبرك بأني عنيت بها الشمس مطبقة، فضحك المهدي وجلساؤه، وعفا عنه.

٢٦٩ كمال العقل

قال عمر بن عبدالعزيز لمزاحم مولاه: إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعت مني كلمة تربأ بي عنها أو فعلًا لا تحبه، فعظني عنه، وأمرني بتركه.

٢٧٠ استراح

سمع الأحنف رجلًا يقول: ما أبالي أمدحت أم هجيت، فقال الأحنف: استرحت من حيث تعب الكرام.

٢٧١ يحب المجد

قال عبدالرحمن بن أم الحكم بنت أبي سفيان: لولا ثلاث ما باليت متى مت: تزاحم الأحرار إلى طعامي، وبذل الأشراف وجوههم إلى أمر أجد السبيل إليه، وقول المنادي: الصلاة أيها الأمير.

٢٧٢ صفات قارئ القرآن

قال رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة ريحها طيب وطعمها طيب، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن مثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها**»[١].

٢٧٣ يثقب اللؤلؤ

كان بشار بن برد أحد فحول الشعراء في الدولة العباسية، وكان أعمى، وروي أنه دخل على المهدي ذات يوم وعنده يزيد بن منصور الحميري، فأنشده قصيدة يمدح بها الخليفة، فلما أتمها قال له يزيد: ما صناعتك أيها الشيخ؟ فقال له بشار: أثقب اللؤلؤ، فقال له المهدي: أتهزأ بخالي؟ قال: يا أمير المؤمنين، ما يكون جوابي له وهو يراني شيخًا أعمى ينشد الشعر؟ فضحك المهدي، وأجازه.

٢٧٤ ابدأ بنفسك

جاء رجل إلى ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمَا، وقال: يا ابن عباس، إني أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، قال: وبلغت ذلك؟ قال: أرجو ذلك، قال: إن لم تخشَ

---

(١) أخرجه البخاري (٧/٧٧ رقم٥٤٢٧)، ومسلم (١/٥٤٩ رقم٧٩٧).

أن تفتضح بثلاث آيات من كتاب الله فافعل، قال: وما هن؟ قال: قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[البقرة: ٤٤] أحكمت هذه الآية: قال: لا، قال: أما الآية الثانية فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ١-٢] أحكمت هذه الآية؟ قال: لا، قال: أما الثالثة فقول شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨] أحكمت بهذه الآية؟ قال: لا، قال: فابدأ بنفسك[1].

٢٧٥ الهجاء والذم

روي أن إبراهيم المهدي دخل على المأمون وعنده جماعة من العلماء يتناقشون في مسائل العلم والكلام، فقال المأمون: يا مهدي، هل لك معرفة بما يقول هؤلاء؟ فقال المهدي: يا أمير المؤمنين، شغلونا في الصغر، واشتغلنا في الكبر، فقال المأمون: لمَ لا تتعلم اليوم؟ فقال: أَوَيحسن بمثلي طلب العلم؟ فقال المأمون: نعم، والله لأَن تموت طالبًا للعلم خير من أن تعيش قانعًا بالجهل، فقال المهدي: وإلى متى يحسن بي طلب العلم؟ قال: ما دامت بك الحياة.

٢٧٦ ابن تجربة الدهر

قال إياس بن معاوية: خرجت في سفر، ومعي رجل من الأعراب، فلما كنا ببعض المناهل لقيه ابن عم له، فتعانقا، وتعاتبا وإلى جانبهما شيخ من الحي، فقال لهما الشيخ: أنعما عيشًا إن المعاتبة تبعث التجني، والتجني يبعث المخاصمة، والمخاصمة تبعث العداوة، ولا خير في شيء ثمرته العداوة، فقلت للشيخ: من أنت؟ قال: أنا ابن تجربة الدهر، ومن بَلا تلّونه، فقال له: ما أفادك الدهر؟ قال: العلم به، قلت له: فما أحسن ما رأيت؟ قال: أن يبقى المرء أحدوثة حسنة بعده.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٦٠ رقم٧١٦٢).

٢٧٧ حيلة بارعة

بلغ عضـد الدولة أن قومًا يقطعون الطريق، ويقيمون في جبال شـامخة، ولا يقدر عليهم أحد، فاسـتدعى أحد التجار، ودفع إليه بغلًا عليه صـندوقان فيهما حلوى مسـمومة كثيرة الطيب في ظروف فاخرة، وأمره أن يسير مع القافلة يظهر أن هذه الهدية لإحدى نساء الأمراء، ففعل التاجر ذلك، وسار أمام القافلة، ونزل القوم، وسـطوا على الأمتعة والأموال، ثم انفرد أحدهم بالبغل، وصعد به الجبل، فوجد به الحلوى، فقبح على نفسـه أن ينفرد به، فاستدعى أصحابه، فأكلوا على مجاعة، فماتوا عن آخرهم، فأخذ أصحاب المال أموالهم.

٢٧٨ صياد دراهم الملوك

قال الأصمعي: كنت عند الرشيد، إذ دخل عليه إسحاق الموصلي، فأنشده:

وآمـرةٌ بالبخلِ قلتُ لها اقْصِري — فـذلـك شـيء مـا إلـيـه سبيـلُ

فِعـالي فِـعـالُ المكثريـنَ تـكرُّمًـا — ومـالي كما قـد تـعلمينَ قليلُ

فكيفَ أخافُ الفقرَ أو أحرمُ الغِنى — ورأيُ أمـيـرِ المؤمـنـينَ جـميـلُ

فقال الرشـيد: لله در أبيات تأتينا بها ما أحسـن أصولها وأبين فصولها! يا غلام، أعطِه عشـرين ألفًا، قال: والله لا أخذت منها درهمًا واحدًا، قال الرشيد: ولمـاذا؟! قـال: لأن كلامـك والله يا أمير المؤمنين، خير من شـعري، قـال: أعطِه أربعين ألفًا، قال الأصمعي: فعلمت والله أنه أصيد لدراهم الملوك مني.

٢٧٩ كم في السجون من مظلوم!

قال بعض جلساء المعتمد: كنا بين يديه ليلة، فخفق رأسه بالنعاس، فقال: لا تبرحوا حتى أغفي سويعة، فغفا ساعة، ثم أفاق جزعًا مرعوبًا، وقال: امضوا إلى

السـجن، وأتوني بمنصور الجمال، فجاؤوا به، فقال له: كم لك في السجن؟ قال: سـنة ونصـف، قال: على ماذا؟ قال: أنا جمّال من أهل الموصل ضاق عليّ الكسب ببلـدي، فأخذت جملي، وتوجهت إلى بلد غيره لأعمل، فوجدت جماعة من الجند قد ظفروا بقوم غير مسـتقيمي الحال كانوا يقطعـون الطريق، فدفع واحد منهم شـيئًا للجند، فأطلقوه، وأمسكوني عوضه، وأخذوا جملي، فناشدتهم الله، فأبوا، وسجنت أنا والقوم، فأطلق سراح بعضهم، ومات بعضهم، فدفع له المعتمد خمس مئـة دينار، وأجرى له ثلاثين دينارًا في كل شـهر، وقـال: اجعلوه على جمالنا، ثم قال: أتدرون ما سـبب فعل هذا؟! قلنا: لا، قال: رأيت رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا مغفٍ يقول لي: أطلق منصورًا الجمّال من السجن، وأحسن إليه.

٢٨٠ طبيب وحفّار

كان لرجـل غلام من أكسـل الناس، فأرسـله يومًا يشـتري له عنبًـا وتينًا، فأبطـأ عليـه حتى عيل صـبره، ثـم جـاء بأحدهما، فضـربه، وقـال: ينبغي لك إذا استقضـيتك حاجـة أن تقضـي حاجتـين، فمرض الرجل، فأمـر الغلام أن يأتيـه بطبيـب، فغـاب، ثم جاء بالطبيـب، ومعه رجل آخر، فسـأله عنـه، فقال: أما ضربتني، وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة، فجئتك بالطبيب، فإن شفاك الله تعالى، وإلا حفر لك هذا قبرك، فهذا طبيب، وهذا حفّار.

٢٨١ ليس بعد ملكهم ملك

قال معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يومًا لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: إذا جاءت بنو هاشـم بقديمها وحديثها، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها، وبنو أسد بن عبد العزى بوافدها ودياتها، وجاءت بنو عبد الدار بحجابتها ولوائها، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها، وبنـو تيّم بصـديقها وجوادها، وبنو عدي بفاروقها ومتفكرها، وبنو سـهم بآرائها

ودهائهـا، وبنـو عامـر بن لؤي بفارسـها وقريعهـا، فمن ذا يجلي في مضـمارها، ويجري إلى غايتها؟ فأطرق عبدالله بن عباس سـاعة، ثم قال: ليس حي يفخرون بأمر إلا وإلى جنبهم من يشـركهم فيه إلا قريشًـا، فإنهم يفخرون بالنبوة التي لا يشـاركون فيها، ولا يساوون بها، ولا يدفعون عنها، وأشهد أن الله لم يجعل محمدًا في قريشـ إلا وقريش خير الناس، ولم يجعله من بني هاشـم إلا وهم خير قريش، ولم يجعله من بني عبدالمطلب إلا وهم خير بني هاشم، ما نريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به، إن بنا فتح الأمر وبنا يختم، ولك ملك معجل ولنا ملك مؤجل، فإن يكن ملككم قبل ملكنا فليس بعد ملكنا ملك، لأنا أهل العاقبة، والعاقبة للمتقين.

أقول:

عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول غير هذا القول، يقول وهو أفقه وأعلم وأفضل من معاوية وابـن عباسـ: لو كان سـالم مولى أبي حذيفة حيًّـا لوليته، ولـو كان أبوعبيدة بن الجراح حيًّا لوليته، والإسلام يقدم الأصلح للناس من أي قبيلة كان.

٢٨٢ لن تعذّب عينين نظرتا إلى سُعدى

كان الوليد بن يزيد بن عبدالملك مشـهورًا بحب القيان والملاهي ومعاشـقة النسـاء، فعشـق سُـعدى بنت سـعيد بن عمرو ابن عثمان، فتزوجها، ولبث معها سـنوات، ثم طلقها، وتزوج سـلمى أختها، فرحلت سـعدى إلى المدينة، وتزوجت آخـر، فندم الوليد على طلاقها أشـد الندم، وفي بعض الأيام دخل عليه أشـعب، فقال له الوليد: هل لك أن تبلغ سُعدى عني رسالة ولك عشرون ألف درهم؟ وقال له: إذا قدمت المدينة فاستأذن عليها:

أسُـعدى مـا إلـيـكِ لـنـا سبيلٌ ... ولا حتّى القيامـةِ مِـنْ تلاقي
بـلـى ولـعـلّ دهــرًا أنْ يـؤاتـي ... بمـوتٍ مـن حليلِك أو فـراقِ

فأتاها أشعب، واستأذن عليها، وأنشدها البيتين، فقالت لجواريها: خذن هذا الخبيث، ثم قالت: ما جرأك على هذه الرسالة؟ فقال: إنها بعشرين ألفًا معجلة وغير مؤجلة، قالت: والله لأجلدنّك أو لتبلغنّه كما أبلغتني عنه، ثم قالت له: أبلغه هذه الرسالة:

أتبكي على سُعدى وأنتَ تركتَها فقدْ ذهبتْ سُعدى فما أنتَ صانعُ

فلما بلغته الرسالة كظم الغيظ على أشعب، فقال: اختر إحدى ثلاث خصال، ولا بد لك من إحداها، إما أن أقتلك، وإما أن أطرحك للسباع، فتأكلك، وإما أن ألقيك من هذا القصر، قال أشعب: يا سيدي، ما كنت لتعذب عينين نظرتا إلى سُعدى، فضحك، وخلّى سبيله.

٢٨٣ يقضي دينًا من حفظ القرآن

شكا رجل من بني مخزوم دينًا لزمه عند عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: نقضيه عنك إن كنت مستحقًّا، قال: يا أمير المؤمنين، وكيف لا أكون مستحقًّا في منزلتي وقرابتي؟ قال: قرأت القرآن؟ قال: لا، قال: ادنُ مني، فدنا منه، فنزع العمامة عن رأسه بقضيب في يده، ثم قرعه به قرعة، وقال لرجل من جلسائه: ضم إليك هذا الوغد، ولا تفارقه حتى يقرأ القرآن، فقام إليه آخر، وقال: يا أمير المؤمنين، اقضِ ديني، فقال له: أتقرأ القرآن؟ قال: نعم، فاستقرأه عشرًا من (الأنفال) وعشرًا من (براءة)، فقال: نعم، نقضي دينك، وأنت أهل لذلك.

٢٨٤ ديك كريم

ولي رجل قضاء الأهواز، فأبطأت عليه أرزاقه، وحضر عيد الأضحى، وليس عنده ما يضحي به، ولا ما ينفق، فشكا ذلك إلى امرأته، وأخبرها بما هو فيه من الضيق، وأنه لا يقدر على الأضحية، فقالت له: لا تغتم، فإن عندي ديكًا جليلًا

سمنته، فإذا كان يوم الأضحى ذبحناه، فبلغ جيرانه الخبر، فأهدوا له ثلاثين كبشًا، وهو في المسجد لا يعلم، فلما صار إلى منزله، ورأى ما فيه من الأضاحي قال لامرأته: من أين لك هذا؟ فقالت له: أهدى فلان وفلان حتى سمّتهم له، قال لها: يا هذه، تحفظي بديكنا هذا، فهو كريم؛ لأنه فُدي بثلاثين كبشًا.

٢٨٥ تزوج بعشرة

قال رجل لحيوة بن شريح: إني أريد أن أتزوج، فما ترى؟ قال: كم المهر؟ قال: مئة دينار، قال حيوة: لا تفعل يا هذا، تزوج بعشرة، وأبقِ تسعين للمُلمات، فإن وافقتك ربحت التسعين، وإن لم توافقك تزوجت عشرًا، فلا بد في عشر نسوة من واحدة توافقك، وترضى بك.

٢٨٦ يرسب ويطفو

اختصم إلى زياد بنو راسب وبنو طفاوة في غلام ادعوه، وأقاموا جميعًا البينة عند زياد، وأشكل على زياد الأمر، فقال أحد الجالسين: أصلح الله الأمير قد تبين لي في هذا الغلام القضاء، ولقد شهدت البينة، قال: وما عندك في ذلك؟ قال: أرى أن يلقى في النهر، فإن رسب فهو لبني راسب، وإن طفا فهو للطفاوة، فغلب على زياد الضحك، ثم قال له: ألم أنهَك عن المزاح في مجلسي؟ قال: أصلح الله الأمير حضرني أمر خفت أن أنساه، فضحك زياد.

٢٨٧ الحبيب الأول

تزوج رجل امرأة حديثة على امرأة قديمة، فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة، وتقول:

وما تستوي الرِّجلان رِجلٌ صحيحةٌ ورجلٌ رمى فيها الزمانُ فشلّتِ

ثم تعود، وتقول:

وما يستوي الثوبانِ ثوبٌ به البِلى وثوبٌ بأيدي البائعينَ جديدُ

فمرت جارية القديمة على الحديثة، وأنشدت:

نقّلْ فؤادَك حيثُ شئتَ منَ الهوى ما القلبُ إلا للحبيبِ الأولِ
كم منزلٍ في الأرضِ يألفهُ الفتى وحنينُه أبدًا لأولِ منزلِ

٢٨٨ المثل أبلغ

روي أن رجلًا من العقلاء غصبه بعض الولاة ضَيعة، فأتى إلى المنصور، فقال: أصلحك الله يا أمير المؤمنين، أذكر لك حاجتي، أم أضرب لك قبلها مثلًا؟ فقال: بل اضرب المثل، فقال: يفزع إلى أمه، إذ لا يعرف غيرها، فإذا ترعرع، واشتد، فكان فراره إلى أبيه، فإذا بلغ، وصار رجلًا، وحدث به أمر شكاه إلى الوالي؛ لعلمه أنه أقوى من أبيه، فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان، وقد نزلت بي نازلة، وليس أحد فوقك أقوى منك إلا الله، فإن أنصفتني وإلا رفعت أمري إلى الله، فإني متوجه إلى بيته وحرمه، فقال المنصور: بل ننصفك، وأمر أن يكتب إلى واليه بردّ ضَيعتِه عليه.

٢٨٩ الجود وردّ الجميل

خرج عبدالله بن جعفر والحسنان وأبودحية الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من مكة إلى المدينة، فأصابتهم السماء بمطر، فلجؤوا إلى خباء أعرابي، فأقاموا عنده ثلاثة أيام حتى سكنت السماء، فذبح لهم الأعرابي شاة، فلما ارتحلوا قال عبدالله

للأعرابي: إذا قدمت المدينة فسل عنا، فاحتاج الأعرابي بعد سنين، فقالت له امرأته: لو أتيت المدينة، ولقيت أولئك الفتيان، فقال: نسيت أسماءهم، فقالت: سل عن ابن الطيار؟ فأتى المدينة، فلقي الحسن، فأمر له بمئة ناقة ثم أتى الحسين، فقال: كفانا أبومحمد مؤنة الإبل، فأمر له بألف شاة، ثم أتى عبدالله ابن جعفر، فقال: كفاني إخواني الإبل والشياه، فأمر له بمئة ألف درهم، ثم أتى أبا دحية، فقال: ما عندي مثل ما أعطوك، ولكن ائتني بإبلك، فأوقرها لك تمرًا، فلم يزل اليسار في أولاد الأعرابي وأحفاده منذ ذلك اليوم.

٢٩٠ مكارم الأخلاق

مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة بالصنيع، وبذل المعروف،وحفظ الذمام للجار، وحفظ الذمام للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

٢٩١ كرم يؤدي إلى البكاء

قدم رجل من قريش من سفر، فمرّ على رجل من الأعراب على قارعة الطريق قد أقعده الدهر، وأضر به المرض، فقال له: يا هذا، أعنّا على الدهر، فقال القرشي لغلامه: ما بقي معك من النفقة، فادفعه إليه، فصبّ في حجره أربعة آلاف درهم، فهمّ ليقوم، فلم يقدر من الضعف، فبكى، فقال له القرشي: ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعناه إليك؟ فقال: لا، والله، ولكن ذكرت ما تأكل الأرض من كرمك، فأبكاني.

أقول:

روى الشيخ ناصر العمري في كتابه: (علماء آل سليم وتلامذتهم) أن فضيلة الشيخ علي المطلق الفقيه شكا إليه أحدهم، وطلب منه قضاء دين يقدر بثمانيه

آلاف ريال، والشيخ يعرف صدقه، يقول العمري: بحث الشيخ عن مبلغ نقد، ولم يجد في جيبه إلا شيكًا مصدقًا بمئة ألف ريال، فكتب على ظهر الشيك: اصرفوه لفلان، وأعطاه إياه، فلما أنصرف الرجل قال: ماذا أعطاني؟ قالوا: أعطاك ما أغناك، قال: كم؟ قالوا له: عشرة أضعاف طلبك، فجلس الرجل يبكي، قالوا: لماذا تبكي؟ قال: «ما ودي يموت مثل هذا»، وكان الشيخ علي من المحبين للوالد يا شيخ أنك منا يا شمر فرحت وكتان من أفراد الدهر بالكرم وسماحة الخلق وسعة العلم، وكان الملك فيصل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجله، ويحترمه، وكان الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقدره، وحضر دفنه والصلاة عليه ليلًا عام ١٤٠٣هـ لأطلب منه حضور زواجي دهش وبش، وقال: لو طلبت مني ابنتي لزوجتك، وشكرته، وقلت له: إنني أعلم أنك تعني ما تقول، ووالله لن أنساها لك أبدًا وها أنا أسجلها في التاريخ لتبقى له إلى يوم يبعثون، وأطلب من كل طيب أن يدعو لهذا الطيب وأمثاله بظهر الغيب.

٢٩٢ ليلة بألف دينار

قال عمر بن عبدالعزيز: والله إني لأشتري ليلة من ليالي عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود بألف دينار من بيت مال المسلمين، قيل له: يا أمير المؤمنين، أتقول هذا مع تحرّيك وشدة تحفّظك وتنزّهك؟ فقال: أين يذهب بكم؟ والله إني لأعود برأيه ونصحه وهدايته على بيت مال المسلمين بألوف الدنانير، إن في المحادثة تلقيحًا للعقول، وترويحًا للقلب، وتسريحًا للهم، وتنقيحًا للأدب.

٢٩٣ أكرم الشعر

لم يقتل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحدًا من أسرى الحرب يوم فتح مكة إلا اثنين: عقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث بن كلدة، وكانا شديدي العداوة للرسول ودعوته، أتاه أولهما وهو يصلي في الحجر، فوضع ثوبه في عنقه، وخنقه

بــه خنقًا شــديدًا لولا أن أنقذه منــه أبوبكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما الثاني فـكان إذا ما تلا الرســول القرآن على قريش قال: إن ما يأتيكم به محمد من أســاطير الأولين، ثم بدأ يحدثهم بأخبار ملوك الفرس وغيرهم، ولما قتل النضــر رثته أخته قتيلة بنت الحارث بقصيدة قالت فيها:

أمحـمـد ولأنـــتَ نـسـلُ نجـيـبـةٍ	في قومِها والفحلُ فحلٌ مُعرقُ
مـا كـانَ ضـرَّك لـو مننتَ وربَّمـا	منّ الفتى وهوَ المغيظُ المحنقُ
لـو كـــنـتَ قـابـلَ فـديـةٍ لفديتُه	بـأعزِّ ما يغلو لـديكَ وينفقُ
فالنضرُ أقـربُ مَـنْ أخـذتَ بزلّةٍ	وأحـقُّـهـم إنْ كـانَ عتقٌ يعتقُ

فما بلغ رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شــعرها قال: «**لو سمعت هذا قبل أن أقتله ما قتلته**»[1] وقد اشــتهرت بقصيدتها تلك، ويقال: إن شعرها أكرم شعر موتورة وأعفه.

٢٩٤ التدخين - هل أنتَ مدخنة؟

هل أنت رجل مدخنة؟ تحت هذا العنوان كتب الأديب الأستاذ يحيى المعلمي في جريــدة الرياض يوم ١٨/١١/١٤٠٦هـ، وكان المعلمــي من الذين يجمعون بين الأدب والجندية، وهو فريق متقاعد، وأنا أحب أسلوبه الجاد الذي يدل على خلق ودين، إلا أنني أخالفه الرأي في امتداح طه حسين في بعض الأحيان، يقول المعلمي: ســؤال غريب، كيف لا يفرق الســائل بين الرجل والمدخنــة؟ وأغرب منه أن يجعل الإنســان نفســه في موقف لا يفرق فيه من يراه بينه وبين المدخنة؟ فكلاهما ينفث الدخان في الجو المحيط به، ويلوث به الهواء، وينشــر به الأســقام والأمراض، بل إن المدخنة أحســن حالًا فيما ترتفع ســامقة في الهواء ليبتعد دخانها عن الناس،

---

(١) ذكره مختصرًا ابن كثير في تحفة الطالب (ص٥٦٤).

وترسله في أجواء الفضاء، والمدخنة أحسن حالًا؛ لأن دخانها ناتج عن عمل مفيد للمجتمع في المخبز أو المصنع أو المنزل للتدفئة، أو حرق النفايات وتخليص المجتمع من أوضارها وأضرارها، أما الرجل الذي يجعل من نفسه مدخنة صغيرة متحركة، فإن دخانه المنفوث إنما يخرج من جوف مريض أثرت فيه كالسموم التي يمتصها المدخن من اللفافة أو - الجوزة - أو - الغليون - أو - السيجار - أو غيرها من أدوات الدمار ووسائل إتلاف جسم الإنسان، والرجل المدخنة لا يسيء إلى نفسه فحسب، إنما يسيء إلى جلسائه، بنفث السموم في وجوههم، وإجبارهم على استنشاقه، والرجل المدخنة يسيء إلى أسرته إذا اتخذ قدوة لها، ويسيء إلى نفسه بالضرر لصحته، ويسيء إلى مجتمعه بإتلاف جزء من الدخل القومي وإحراقه ونشر الأمراض الناجمة عن التدخين واستهلاكه في العلاج، إنه لمنظر مقزز أن ترى شخصًا قد وضع اللفافة في فمه، وأصبح فكره موزعًا بين العمل الذي بين يديه وبين اللفافة ومخلفاتها من سقوطها من بين شفتيه، وإنه لمنظر مقزز أن ترى شخصًا يمسك عن الطعام والشراب طوال يومه، فإذا جاء موعد الإفطار بادر إلى اللفافة، فاستعملها قبل أن يذوق شيئًا، وإنه لمنظر مقزز حقًّا أن يقتحم عليك مجلسك أو مكتبك شخص يحمل لفافة، أو يقوم لتوه فور دخوله باستعمالها غير عابئ بك، وكم آمل أن يكون لدى كل شخص من المدخنين قوة شخصية، فيقلع عن هذه العادة السيئة، وإذا كان المدخن مصرًّا على ممارسة هذه العادة السيئة فعليه أن يمارسها سرًّا، وأن يبعد عنهم دخانه ونفاثته، إذ عافاهم الله من الانغماس في سيء أعمال المدخن وعاداته.

أقول:

في الإدارات الحكومية ممنوع التدخين رسميًّا، وإذا دخن شخص في المصعد أو في مكان ضيق، فإنني شخصيًّا إن كان كبيرًا أطلب منه إطفاء السيجارة بلطف، وإن كان أصغر مني نهرته؛ لأنه ثبت طبيًّا أن استنشاقك لما ينفثه المدخن

أضر عليك منه.

٢٩٥ الوالي والرعية

خطب عتبة بن أبي سفيان الناس، فقال: قد ولينا هذا المقام الذي يضاعف فيه للمحسن الأجر وللمسيء الوزر، ونحن على سبيل قصد، وأنا أسأل الله أن يعين كلًّا على كل، فناداه أعرابي من ناحية المسجد: أيها الخليفة، فقال: لست به، ولم تبعد، قال: يا أخاه، قال: سمعتُ، فقلْ، قال: والله لأن تحسنوا، وقد أسأنا خير من أن تسيئوا، وقد أحسنا، فإن كان الإحسان منكم فما أحقكم بإتمامه، وإن كان منا فما أولاكم بمكافأتنا عليه.

٢٩٦ جرير وأعرابي

سمع أعرابي جريرًا ينشد:

كادَ الهوى بين سلمانينَ يقتلُني ... وكادَ يقتلُني يومًا بنعمانِ
وكادَ يقتلُني يومًا بذي خشبٍ ... وكادَ يقتلُني يومًا بسلمانِ

فقال الأعرابي: هذا رجل أفلت من الموت أربع مرات، فلا يموت هذا أبدًا.

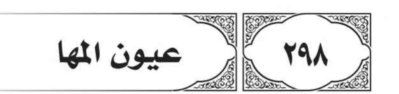
٢٩٧ دهاء وحلم وكرم

قيل: إنه كان لعبدالله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أرض قريبة لأرض معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها عبيد له يعمرونها، فدخلوا في أرض عبدالله، فكتب إلى معاوية: «أما بعد، فإنه يا معاوية، إن لم تمنع عبيدك من الدخول في أرضي وإلا كان لي ولك شأن»، فلما وقف معاوية على الكتاب دفعه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه قال له: ما ترى؟ قال

أرى أن تنفذ إليه جيشًا أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه، فقال: يا بني، عندي خير من ذلك، عليَّ بدواة وقرطاس، وكتب: «وقفت على كتابك يا ابن حواري الرسول، وساءني ما ساءك، والدنيا هينة عندي في جنب رضاك، وقد كتبت على نفسي رقمًا بالأرض والعبيد، وأشهدت على من فيه، ولتضف الأرض إلى أرضك والعبيد إلى عبيدك والسلام». فلما وقف عبدالله بن الزبير على كتاب معاوية كتب إليه: «وقفت على كتاب أمير المؤمنين، فلا عدم الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام»، فلما قرأه معاوية رماه إلى ابنه يزيد، فلما قرأه أسفر وجهه، فقال: يا بني، إذا رميت بهذا الداء فداوِه بهذا الدواء: حلم وكرم.

أقول:

يزيد ثور لم يأخذ بوصيته حين تولى الخلافة، فاستباح جيشه مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما يقول ابن كثير، فأذابه الله كما يذوب الملح في الماء، فهلك.



٢٩٨ عيون المها

قيل: إن رجلًا من أهل العلم والأدب قعد على جسر بغداد يتنزه، فأقبلت امرأة بارعة في الجمال، فاستقبلها شاب، فقال لها: رحم الله علي بن الجهم، فقالت المرأة: رحم الله أبا العلاء المعري، ثم افترقا، قال: فتتبعت المرأة، وقلت: والله إن لم تقولي لي ما أراد ابن الجهم، فضحتك، وقالت: أراد به قوله:

عيونُ المها بينَ الرصافةِ والجسرِ ... جلبنَ الهوى من حيثُ أَدري ولا أَدري

وعنيت أنا بأبي العلاء:

فيا دارَها بالحيفِ إنَّ مزارَها ... قريبٌ ولكنْ دونَ ذلكَ أهوالُ

٢٩٩ غناء الحضارة وغناء البداوة

قال ثمامة بن أشرس: كنت عند المأمون يومًا، فاستأذن عمير المأمون بالغناء، فكرهت ذلك، ورأى المأمون الكراهية في وجهي، فقال: ما بالك يا ثمامة؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إذا غنى عمير ذكرت مواطن الإبل وكثبان الرمل، وإذا غنت فلانة انبسط أملي، وقوي جذلي، وانشرح صدري، وذكرت الجنان والولدان، كم بين أن تغنيك يا أمير المؤمنين، جارية غادة كأنها غصن بان، ترنو بمقلة وسنان، كأنها خلقت من ياقوتة، أو خرطت من فضة بشعر عكاشة العَمِّيِّ:

مِنْ كفِّ جاريةٍ كأنَّ بنانَها ... مِنْ فِضّةٍ قدْ طُوِّقتْ عِنّابا

فكَأَنَّ يُمْناها إذا ضربَتْ بِها ... ألقَتْ علَى الكفِّ الشمالِ حِسابا

وبين أن يغنيك رجل كث اللحية غليظ الأصابع خشن الكف بشعر ورقاء بن زهير:

رأيتُ زهيرًا تحتَ كلكلِ خالدٍ ... فأقبلتُ أسعَى كالعجولِ أبادرُه

فتبسم المأمون، وقال: الفرق واضح بينهما، والمنهج فسيح يا غلام، لا تأذن له، وأحضر أطيب قياننا، وأمتعنا ساعة.

٣٠٠ درة في قلنسوة

حكى المدائني قال: خرج ابن زياد مع فوارس، فلقوا رجلًا ومعه جارية لم يُرَ مثلها في الحسن، فصاحوا به: خلِّ عنها، وكان معه قوس، فرمى أحدهم، وهابوا الإقدام عليه، فهّم ليرمي ثانية، فانقطع الوتر، فهجموا عليه، وأخذوا الجارية منه، فهرب، وانشغلوا بالجارية، ومد بعضهم يده إلى أذنها، وكان فيها قرط، وفي القرط درة يتيمة لها قيمة عظيمة، فقالت الجارية: وما قدر هذه الدرة؟!

إنكم لو رأيتم ما في قلنسـوته من الدرر لاستحقرتم هذه الدرة، فتركوها، وتبعوه، وقالوا له: ألقِ ما في قلنسوتك، وكان فيها وتر قد أعده، فنسيه من الدهشة، فلما ذكره ركبه في القوس، وصوبه إليهم، فخاف القوم، وولوا هاربين، وخلّوا الجارية.

٣٠١ ذكاء إياس

دخل إياس بن معاوية الشـام وهو غلام صـغير، فقدم خصـم له إلى بعض القضـاة - وكان الخصم شيخًا - فصـال عليه إياس بالكلام، فقال له القاضي: خفّض عليك، فإنه شيخ كبير، قال: الحق أكبر منه، قال: اسكت؟ قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: ما أراك تقول حقًّا، قال: لا إله إلا الله أحق أم باطل؟ فدخل القاضي علـى عبد الملك بن مروان، فأخبره، فقال له: اقضِ حاجته السـاعة، وأخرجه من الشام لا يفسد أهلها.

٣٠٢ هذه هي المعالي

أمر عمر بن عبد العزيز رجلًا أن يشـتري له كسـاءً بثمانية دراهم، فاشـتراه له، فأتاه به، فوضع يده عليه، وقال: ما ألينه وأعجبه! فضحك الرجل الذي اشتراه لما سـمع، فقال له عمر: إني لأحسـبك أحمق أتضحك من غير شيء؟ قال: ما ذاك بي، ولكنك أمرتني قبل ولايتك أن أشـتري لك مطرف خز، فاشـتريت لك مطرفًا بثماني مئة درهم، فوضعت يدك عليه، فقلت: ما أخشنه! وأنت اليوم تستلين كساءً بثمانية دراهم، فتعجبت من ذلك، وأضـحكني! فقال عمر: ما أحسـب رجلًا يبتاع كسـاءً بثماني مئـة درهم يخاف الله عز وجـل ثم قال: يا هذا، إن لي نفسًـا تواقة للمعالي، فكلما حصـلت على مكانة طلبت أكبر منها، حصـلت على الإمارة، فتقت إلى الخلافة، وأدركت الخلافة، فتاقت نفسي إلى ما هو أكبر من ذلك، وهي الجنة.

٣٠٣ عروة بن أذينة

روى مصعب بن عبدالله عن عروة بن عبيدالله بن عروة الزبيري قال: كان عروة بن أذينة نازلًا في دار أبي بالعقيق، فسمعته ينشد لنفسه، فيقول:

إنَّ التي زعمتْ فؤادَك ملَّها ... خُلقتْ هواكَ كما خُلقتَ هوى لَها
فيكَ التي زعمتْ بها وكلاكما ... أبدى لصاحبِه الصبابةَ كلَّها
ولعمرُها لَو كانَ حبُّك فوقَها ... يومًا وقدْ ضَحِيتْ إذنْ لأظلَّها
فإذا وجدتَ لها وساوسَ سلوةٍ ... شفعَ الضميرُ إلى الفؤاد فسلَّها
بيضاءُ بأكرَها النعيمُ فصاغَها ... بلباقةٍ فأدقَّها وأجلَّها
لما عرضتُ مسلمًا لي حاجةٌ ... أخشى صعوبتَها وأرجو ذلَّها
منعتْ تحيتَها فقلتُ لصاحبي ... ما كانَ أكثرَها لنا وأقلَّها
فَدَنا وقالَ: لعلَّها معذورةٌ ... في بعضِ رقيتِها فقلتُ: لعلَّها

٣٠٤ شاعر يسرق المسروق

قال ابن بسام:

لا أَظلمُ الليلَ ولا أدعي ... أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تغورُ
ليلى كما شاءتْ فإنْ لم تزرْ ... طالَ وإنْ زارتْ فَليلي قصيرُ

وقد أغار ابن بسام في هذا القول على قول علي الخليل، فلم يغير إلا القافية:

لا أظلمُ الليلَ ولا أدعي ... أنَّ نجومَ الليلِ ليستْ تزولُ
ليلي إذا شاءتْ قصيرًا إذا ... جادتْ وإن ضنّتْ فليلي يطولُ

وهذا أخذه علي بن الخليل من قول الوليد بن يزيد بن عبدالملك بن مروان:

لا أسـألُ اللهَ تغييرًا لما صنعتْ   نامتْ وإنْ أسهرتْ عينيَّ عيناها

فالليلُ أطولُ شيءٍ حينَ أفقدُها   والليلُ أقصرُ شيءٍ حينَ ألقاها

وابن بسام في هذا كما قال الشاعر:

وفـتًـى يـقـولُ الـشـعـرَ إلا أنَّـه   في كـلِّ حـالٍ يـسـرقُ المَسْـرُوقـا

٣٠٥ معلم الصبيان

قال الجاحظ: مررت بمعلم صـبيان، وعنده عصـا طويلة، وعصا قصيرة، وصولجان، وكرة وطبل وبوق، فقلت له: ما هذا؟ قال: عندي صغار أوباش، فأقول لأحدهم: اقرأ لوحك، فيصـفر لي، فأضربه بالعصا القصيرة فيتأخر، فأضربه بالعصا الطويلة، فيفر من بين يدي، فأضع الكرة في الصولجان، وأضربه فأشجه، فيقوم إلى الصغار كلهم بالألواح، فأجعل الطبل في عنقي والبوق في فمي، فيسمع أهل الدرب ذلك، فيسارعون إليّ، ويخلصونني منهم.

٣٠٦ مروءة

قال عمران بن شـهاب: اسـتعنت على أبي عبدالله بن بشـار بأمر سـبق أن سألته فيه، فقال لي: لولا أن حقك لا يُجحد ولا يُضاع لحجبت عنك حسن نظري، أظننتني أجهل الإحسـان حتى أعلمه، ولا أعلم موضـع المعـروف حتى أعرفه؟ لو كان مـا ينال مـا عندي إلا بغيري لكنـت مثل البعير الذلول يُحمـل عليه، ولا يمل الثقـل إن قيـد انقاد، وإن أنيخ برك، لا يملك من نفسـه شـيئًا، فقلـت: لم أجعل

فلانًـا شـفيعًا إنما جعلته مُذكّـرًا، قال: وأي إذكار أبلغ عنـدي ﴿ في ﴾ رعي حقك من مسـيرك إليَّ وتسليمك عليّ؟ فلا تستعن على شـريف إلا بشرفه، فإنه يرى ذلك عيبًا لعرفه، وأنشد:

وذلك امـرؤٌ إن تـأتِـه في عظيمةٍ إلـــى بـابِـه لا تــأتِــه بشـفـيـعِ

٣٠٧ الكلام والسكوت

قال أبوتمام الطائي: تذاكرنا في مجلس سعيد بن عبدالعزيز الكلام وفضله والصمت ونبله، فقال: ليس النجم كالقمر، إنك تمدح السكوت بالكلام، ولا تمدح الكلام بالسـكوت، ومن أنبأ عن شـيء فهو أكبر منه، وقال الجاحظ: كيف يكون السكوت أنفع من الكلام، ونفعه لا يكاد يجاوز صاحبه، ونفع الكلام يعم ويخص، والرواة لم ترو سـكوت الصـامتين كما روت كلام الناظمين، فبالكلام أرسل الله أنبياءه لا بالصـمت، ومواضع الصمت المحمودة قليلة، ومواطن الكلام المحمودة كثيرة، وبطول الصمت يفسد البيان.

٣٠٨ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن ...﴾

كتـب المنصـور إلى زياد بن عبدالله الحارسـي، ليقسـم مالًا بـين القواعد والعميان والأيتام، فدخل عليه أبوزياد التميمي، وكان مغفلًا، فقال: أصلحك الله اكتبني في القواعد، فقال له: عافاك الله، والقواعد هن النساء اللاتي قعدن عن أزواجهن، فقال: فاكتبني في العميان، قال: اكتبوه، فإن الله يقول: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

قال أبوزياد: ابني في الأيتام، فقال له: نعم، من كنت أنت أباه فهو يتيم.

٣٠٩ بانت القضية

تشاجر الوليد بن عبد الملك ومسلمة أخوه في شعر امرئ القيس والنابغة في طول الليل أيهما أشعر؟ فقال الوليد: النابغة أشعر، وقال مسلمة: بل امرؤ القيس، فرضيا بالشعبي حكمًا، فأحضراه، فأنشده الوليد قول النابغة:

كليني لهمٍّ يا أميمةُ ناصبِ ... وليلٍ أقاسيه بطيءِ الكواكبِ

تطاولَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ ... وليس الذي يرعى النجوم بآيبِ

وصدرٍ أزاح الليلُ عازبَ همِّه ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ

وأنشده مسلمة قول امرئ القيس:

وليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدولَه ... عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي

فقلتُ له لما تمطَّى بصلبِه ... وأردفَ أعجازًا وناءَ بكلكلِ

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انجلِ ... بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

فيا لكَ من ليلٍ كأنَّ نجومَه ... بكلِّ مغارِ الفتلِ شُدَّت بيَذبلِ

فطرب الوليد طربًا شديدًا، فقال الشعبي: بانت القضية.

٣١٠ ما قل ودّل

قيل: إن عدي بن أرطأة أتى شريحًا القاضي في مجلس حكمه، فقال لشريح: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. ثم قال: اسمع مني؟ قال: للاستماع جلست، قال: إني تزوجت امرأة، قال: بالرفاه والبنين، قال: فشرط أهلها ألا أخرجها من بيتهم، قال: أوفِ لهم بالشرط، قال: فأنا أريد الخروج، قال: الشرط أملك، قال: أريد أن أذهب، قال: في حفظ الله، قال: فاقضِ بيننا، قال: قد فعلت، قال: فعلى من قضيت، قال: على ابن أمك، قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن أخت خالك.

٣١١ تسبقه يده

جاء رجل إلى فقيه، فقال: أفطرت يومًا في رمضان؟ فقال: اقضِ يومًا مكانه، قال: قضيت، وأتيت أهلي، وقد عملوا مأمونية، فسبقتني يدي إليها، فأكلت منها، قال: اقضِ يومًا آخر مكانه، قال: قضيت، وأتيت أهلي، وقد عملوا هريسة، فسبقتني يدي إليها، فقال: أرى ألا تصوم إلا ويدك مغلولة إلى عنقك.

٣١٢ الزم هذا

من عق والديه عقّه ولده، وقيل لأعرابي: ما الغبطة؟ قال: الكفاية مع لزوم الأوطان، ويقال: شيئان إذا حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما: دينك لمعادك، ودرهمك لمعاشك.

٣١٣ حينما يشعر المرء بدنو أجله

يحكى عن أبي علي المصري أنه قال: كان لي جار شيخ يغسل الموتى، فقلت له يومًا: حدثني بأعجب ما رأيت، فقال: جاءني شاب في بعض الأيام مليح الوجه حسن الثياب، فقال لي: أتغسل لنا ميتًا؟ قلت له: نعم، فتبعته حتى أوقفني على باب فدخل، فإذا بفتاة وهي أشبه الناس بالشاب قد خرجت، وهي تمسح عينيها، فقالت لي: أنت الغاسل؟ قلت: نعم، قالت: باسم الله أدخل، فدخلت الدار، فإذا بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت، وقد شخص بصره، ووضع كفنه وحنوطه عند رأسه، فلم أجلس إليه حتى قُبض، فقلت: سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى، حيث عرف وقت وفاته، فجاءني، فأخذت في غسله وأنا أرتعد، فلما أدرجته في أكفانه أتت الفتاة، وهي أخته وقبلته، وقالت: أما أنا فسألحق

بك عن قريب، فلما أردت الانصـراف شـكرت لي، وقالت: أرسـل لي زوجتك إن كانت تحسـن ما تحسـنه أنت، فارتعدت من كلامها، وعلمت أنها لاحقة به، فلما فرغت من دفنه جئت أهلي، فقصصـت عليها القصـة، وأتيـت بها لتلك الفتاة، فوقفت بالباب، واسـتأذنت، فقالت: باسـم الله تدخـل زوجتك، فدخلت زوجتي، فإذا بالفتاة مسـتقبلة القبلة، وقد ماتت، فغسـلتها زوجتـي، وأنزلتها على أخيها رحمة الله عليهما.

٣١٤ خليفة عالم

قيـل: إنه وضـع علـى مائدة المأمـون في يوم عيـد أكثر من ثلاثـين لونًا من الطعـام، فأخذ يصـف وهو على المائدة منفعة كل لون ومضـرته، فقال يحيي بن أكثـم: يا أمير المؤمنين، إن خضـنا في الطب، فأنـت جالينيوس في معرفته، أو في النجوم فأنت هرمس في صـناعته، أو في الفقه فأنت علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في علمه، أو في السـخاء فأنت حاتم في كرمه، أو في الحديث فأنت أبوذر في صـدق لهجته، أو في الوفاء فأنت السـموأل في وفائه، فسـرَّ المأمون بكلامه، وقال: يا أبا محمد، إنما فضل الإنسان على غيره بالعقل، ولولا ذلك لكانت الناس والبهائم سواء.

٣١٥ محاورة بين عالم وسكير

حاور سكير عالمًا بقوله: هل ترى عليّ من بأس أن آكل تمرًا؟

- العالم: أبدًا.
- السكير: وأن آكل معه بعض العشب؟
- العالم: لا يمنع من ذلك مانع.
- السكير: وأن أشرب عليهما الماء؟

- العالم: اشرب هنيئًا.
- السكير: ما دام هذا كله جائزًا، فلماذا تحرمون علينا الخمر، وهي ما ذكرت تمر وماء وعشب.
- فأجابه العالم: لو صببت عليك الماء هل كان يضرك؟
- السكير: لا يضرني منه شيء.
- العالم: لو نثرت عليه ترابًا هل كان يقتلك؟
- السكير: لا يقتل التراب أحدًا.
- العالم: فإذا أخذت التراب والماء وخلطتهما وعجنتهما، وجعلت من ذلك لبنة عظيمة، فقذفتك بها هل كان ذلك يضرك؟
- السكير: كنت تقتلني.
- العالم: كذلك الخمر.

٣١٦ من حكم لقمان

إن كنت في الصلاة فاحفظ قلبك، وإن كنت في الطعام فاحفظ حلقك، وإن كنت في بيت الغير فاحفظ عينيك، وإن كنت بين الناس فاحفظ لسانك، واذكر اثنين وانسَ اثنين، أما اللذان تذكرهما: فالله والموت، وأما اللذان تنساهما: إحسانك في حق الغير وإساءة الغير في حقك[1].

٣١٧ اعتبروا

- قال المهلب: عجبت لمن يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الإخوان بمعروفه.

---

(١) روح البيان (٣/ ٤٨).

- قال أردشير: إذا رغبت الملوك عن العدل رغبت الرعية عن الطاعة.
- قال المعتصم: إذا انتصر الهوى بطل الرأي.
- قيل للإسكندر: ما بال تعظيمك لمؤدبك أكثر من تعظيمك لأبيك؟ قال: لأن أبي سبب حياتي الفانية ومؤدبي سبب حياتي الباقية.

٣١٨ الهموم بقدر الهمم

الصاحب بن عباد:

وقــائـلــةٍ لِمْ عــرَتْــك الـهـمـومُ وأمـــرُك ممـتـثـلٌ في الأمــمْ

فـقـلـتُ: ذريــنِــي لمــا أشـتـكِـي فـــإنَّ الـهـمـومَ بـقـدرِ الـهـمَمْ

المتنبي:

أفاضلُ الناسِ أغراضٌ لدى الزمنِ يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفِطنِ

أبو الفتح:

صـاحـبُ الـسـلـطـانِ لا بــدَّ له مِــنْ هــمــومٍ تـعـتـريـه وَغُــمَــمْ

والــذي يـركـبُ بـحـرًا سيرى قُـحـمَ الأهــوالِ مـن بـعـدِ قُـحَـمْ

٣١٩ نقد صارخ

قــال أبو العينــاء: كان عيســى بن فرخان يتيــه عليّ في ولايته الــوزارة، فلما صــرف عن عمله رهبني، فلقيني، فســلم عليّ فأحفى، فقلــت لغلامي: من هذا؟ قال: أبو موسى، فدنوت منه وقلت: أعزك الله، والله كنت أقنع بإيمانك دون بيانك وبلحظــك دون لفظــك، فالحمد لله على مــا آل إليه حالك، فلئــن كانت أخطأت فيك النعمة، فلقد أصابت فيك النقمة، ولئن كانت الدنيا أبدت مقابحها بالإقبال

عليك لقد أظهرت محاسـنها بالانصـراف عنك، ولله المنة إذ أغنانا عن الكذب عليك، ونزهنا عن قول الزور فيك، فقد والله أسـأت حمل النعم، وما شكرت حق المنعم.

٣٢٠ ألطف دعاء

قال سـفيان بن عيينة: سمعت أعرابي يقول عشية عرفة: اللهم، لا تحرمني خـير ما عندك لشـر ما عنـدي، وإن لم تقبل تعبي ونصـبي، فـلا تحرمني أجر المصاب على مصيبته.

٣٢١ هذا لك ـ وهذا لهم

ساير الرشيد عبدالملك بن صالح، فقال له قائل: طأطئ من أشرافه، وشدد من شـكائمه، وإلا فسـد عليك، فقال الرشـيد لعبدالملك: ما رأيـت في هذا؟ قال عبدالملك: حاسـد نعمة، ونافس على رتبة، أغضـبه رضـاك عني، وباعده قربك مني، وأساءه إحسـانك إليَّ، فقال الرشيد: انخفض القوم وعلوتهم، فتوقدت في قلوبهم جمرة التأسـف، فقال عبدالملك: أضـرمها بالتزيد عندك، قال الرشيد: هذا لك، وهذا لهم.

٣٢٢ كان بشيرًا فأصبح نذيرًا

قيل: إن أعرابيًّا ورد على أحد ولاة الحجاج، وكان من بلد ذلك الوالي، فقدم إليـه الوالي الطعام، وكان إذ ذاك جائعًا، فسـأله الوالي عن أهله، وقال: ما حال ابنـي عمـير؟ قال: على ما تحب، قـد ملأ الأرض والحي رجالًا ونسـاء، قال: فما

فعلت أم عمير؟ قال: صـــالحة أيضًـــا، فقال: وما حال الدار؟ قال: عامرة بأهلها، قال: وكلبنا إيقاع؟ قال: قد ملأ الســماء نباحًا، قال: فما حال جملي زريق؟ قال: علــى ما يســرك، ثم التفت الوالي إلــى خادمه، وقال: ارفع الطعــام، فرفعه، ولم يشــبع الأعرابي، ثم أقبل عليه الوالي يســأله، وقال: يا مبارك الناحية، أعد عليَّ مــا ذكرت قال: ســل عما بدا لك، قال: فما حال كلبــي إيقاع؟ قال: مات، قال وما أماتــه؟ قــال: اختنق بعظمة من عظــام جملك زريق، فمات، قــال: أوَ مات جملي زريــق؟ قــال: نعم، قال: وما الذي أماته؟ قال: كثرة نقــل اللبن إلى قبر أم عمير، قــال: أوَ ماتت أم عمــير؟ قال: نعم، قال: وما الذي أماتها؟ قال: كثرة البكاء على عمــير، قــال: أوَ مات عمير؟ قال: نعــم، قال: ما الذي أماته؟ قال: ســقطت عليه الدار، قال: أســقطت الدار؟ قال:نعم، فقام الوالي له بالعصــا ضاربًا، فولى بين يديه هاربًا.

٣٢٣ على رسلك يا أبا أمية

حدث القاضــي شــريح عــن زواجه من زينب بنــت جرير إحدى نســاء بني حنظلة، قال لجليسه الشعبي: فلو رأيتني يا شعبي، وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت عليَّ؟ فقلت: إن من الســنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصــلي ركعتين، فيســأل الله من خيرها، ويعوذ به من شــرها، قائلًا: «**اللهم، إني أسألك خيرهــا وخــير مــا جبلتها عليه، وأعوذ بــك من شرها وشر مــا جبلتها عليه**»[(١)] فصــليت وســلمت، فإذا هي من خلفي تصلي بصــلاتي، فلما خلا البيت، ودنوت منها، ومددت يدي إلى ناحيتها، قالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت، ثم قالت: «الحمد لله، أحمده وأســتعينه، وأصــلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقــك، فبيّن لي ما تحــب فآتيه، وما تكره، فأبتعد عنه، وقالت: قد كان في

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/٢١٤ رقم٢١٦٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/٥٠ رقم٢٤٤٦).

قومك منكح، وفي قومي مثل ذلك، ولكن قضى الله أمرًا كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك» وقال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي، إلى الخطبة في هذا الموقع، فقلت: «الحمد لله أحمده، وأستعينه، وأصلي، وأسلم على النبي وآله وبعد: فقد قلت كلامًا إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وأكره كذا، ونحن سواء فلا تفرقي، وما رأيت من حسنة فانشريها أو سيئة فاستريها، قالت: وكيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري، قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل بيتك آذن له، ومن تكرهه أكرهه؟ قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء، قال شريح: فبت يا شعبي، بأنعم ليلة، ومكثت معي حولًا لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء، فإذا بعجوز تأمر، وتنهى في البيت، قلت: من هذه؟ قالوا: فلانة ختنك، فسرى عني ما كنت أجد، فلما جلست أقبلت العجوز، وقالت: السلام عليك يا أبا أمية، قلت: وعليك السلام، من أنت؟ قالت: أنا فلانة ختنك، قلت: قربك الله، قالت: كيف رأيت زوجتك؟ قلت: خير زوجة، فقالت: يا أبا أمية، إن المرأة لا تكون أسوأ حالًا منها في حالتين، إذا ولدت غلامًا أو حظيت عند زوجها، فإن رابك ريب فعليك بالسوط، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرًا من المرأة المدللة، قلت: أما والله لقد أدبت فأحسنت الأدب، وروضت فأحسنت الرياضة، قالت: تحب أن يزورك أختانك؟ قلت: متى شاؤوا، قال شريح: فكانت تأتيني رأس كل حول توصيني تلك الوصية، فمكثت معي عشرين سنة، لم أعتب عليها في شيء إلا مرة واحدة كنت لها ظالمًا.

أقول:

على كل أم عاقلة وعلى كل بنت عاقلة أن تحاول أن تصنع مثل هذا، وعلى كل زوج عاقل أن يصنع مثل شريح.

٣٢٤ عدل الشعبي في الحكم

دخل رجل على الشعبي في مجلس القضاء ومعه زوجته، وكانت زوجة الرجل جميلة وفاتنة، فاحتكما إليه، وأدلت المرأة بحجتها، فحكم الشعبي لها، ثم التفت إلى الرجل، وقال: هل أنصفت في حكمي؟ فأجاب الرجل:

فُتِنَ الشعبيُّ لما رفعَ الطرفَ إليها
فتنَتْهُ بدلالٍ وَبِخَطَّيْ حاجبيها

فقضى جورًا على الخصم ولم يقضِ عليها

وانتشرت القصة، وبلغت مسامع الخليفة عبدالملك، فدخل عليه الشعبي يومًا فابتسم، وقال:

كيفَ لو أبصرتَ منها نحرَها أو ساعدَيها

٣٢٥ شخصية العالم الحق

بعث هشام بن عبدالملك إلى سليمان بن مهران المشهور بالأعمش، وهو من أجلّ التابعين، أن اكتب إليّ مناقب الخليفة عثمان بن عفان ومساوئ علي بن أبي طالب، فأخذ القرطاس من الرسول، وأدخله في فم شاة، فلاكته، ثم قال له: هذا جوابه، فذهب الرسول، ثم عاد إليه، وقال له: إنه صمم على قتلي إن لم أعد إليه بجواب في قرطاس، واستعان على سليمان بن مهران بإخوته، فقالوا له: افده من القتل، فأخذ سليمان قرطاسة، وكتب فيها: أما بعد، فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك، ولو كان لعلي مساوئ أهل الأرض ما ضرتك، فعليك نفسك، والسلام.

٣٢٦ عتاب بشار لامرأة

قيل: كان بشار بن برد يهوى امرأة من أهل البصرة، فراسلها يسألها زيارته، فواعدته بذلك، وأخلفته، وجعل ينتظرها ليلة كاملة حتى أصبح، فلما لم تأتِ إليه، كتب إليها يعاتبها، فاعتذرت بمرض أصابها، فكتب إليها:

يا ليلتي تزدادُ نكرًا … مِنْ حبِّ مَنْ أحببتُ بِكرا
حوراءُ إن نظرتْ إليكَ … سقتْكَ بالعينينِ خَمرا
وكأنَّ رجعَ حديثِها … قطعُ الرياضِ كسينَ زَهرا
وكأنَّ تحتَ لسانِها … هاروت ينفثُ فيه سِحرا
وتخالُ ما جمعتْ عليهِ … ثيابَها ذهبًا وعطرا
وكأنَّها بردُ الشرابِ … صَفا ووافقَ منك فِطرا

أقول:

بشار صاحب هذا الشعر والوصف البديع أعمى، وهو متهم بالزندقة.

٣٢٧ الكذب

قال أعرابي لابنه، وسمعه يكذب: يا بني، عجبت من الكذاب المشيد بكذبه، وإنما يدل على عيبه، ويتعرض للعقاب من ربه، فالآثام له عادة والأخبار عنه متضادة، إن قال حقًّا لم يصدق، وإن قال خيرًا لم يوفق، فهو الجاني على نفسه بفعاله والدالّ على فضيحته بمقاله، فما صح في صدقه نسب إلى غيره، وما صح في كذب غيره نسب إليه، فهو كما قال الشاعر:

حَسبُ الكذوبِ من المهانةِ … بعضُ ما يُحكى عليهِ
فإذا سمعتَ بِكِذْبةٍ … مِنْ غيرِه نُسِبتْ إليهِ

وقيل لكذاب حين تحدث بصدق مرة: إنك كاذب، فضرب يدًا بيد، وقال: ضاع الصدق مع الكذب.

٣٢٨ سهل بن هارون مع الرشيد

دخل سهل بن هارون على الرشيد، وهو يضاحك المأمون، فقال: اللهم، زده من الخيرات، وابسط له من البركات، حتى يكون في كل يوم من أيامه مربيًا على أمسه، مقصرًا عن غده، فقال له الرشيد: يا سهل، من قال مثل قولك هذا شعرًا؟ قال: سهل بن هارون: يا أمير المؤمنين، ما ظننت أن أحدًا تقدمني إلى هذا المعنى، قال: بل أعشى همدان، حيث قال:

رأيتُك أمسِ خيرَ بني لؤي ... وأنتَ اليومَ خيرٌ منكَ أمسِ

وأنتَ غدًا تزيدُ الخيرَ ضعفًا ... كذاك تزيدُ سادةَ عبدِشمْسِ

٣٢٩ لا تغيره الوزارة

كان الوزير عبدالله السليمان الحمدان رَحِمَهُ ٱللَّهُ معروفًا بالكرم وحسن الخلق، وكان له أصدقاء ومعارف قبل أن يمنحه الملك عبدالعزيز ثقته الكريمة، ويوليه الوزارة، فلما تولى الوزارة أتاه من كان يألفه سابقًا، فعاملهم كما كان يعاملهم، وزادهم في حبه واحترامه، حتى إن أحدهم ذكره في مجلس الشيخ الوجيه محمد بن بسام، وأثنى عليه، وكيف أنه لم يتغير عليهم، فردّ عليه ابن بسام: إن عبدالله بن سليمان كان أكبر من المنصب، ولو كان المنصب أكبر منه لتغير عليكم.

أقول:

نهدي هذه النادرة لأحد الإخوان، تولى منصبًا خيريًّا، وزرته مع ابن عم له، لأشفع لابن عمه عنده، لعله يجد له فرصة عمل، فحين رآنا اكفهر، وأرغى،

وأزبد، وكأنه لم يعرفني منذ ٣٠ سنة، وقال: لماذا تأتون دون موعد مسبق؟ خجل ابن عمه الذي معه، وقلت: هذا ابن عمك والمنصب أكبر منه، ولو علم الرجل الشهم الذي وضعه في هذا المنصب بتصرفه هذا، لأقاله فورًا.

٣٣٠ أنا الجار

وقع الأمير الفارس أبوفراس الحمداني أسيرًا في أيدي الروم بعد أن أفزعهم بغاراته، فأخذوه إلى القسطنطينية وسجنوه، وهناك في السجن نظم القصائد الكثيرة، متشوقًا إلى والدته وزوجته وبنته، وإلى خوض المعارك من جديد ضد الروم، وقد عرفت هذه القصائد بالروميات؛ لأنه نظمها في بلاد الروم، وهذه أبيات من قصيدة من هذه الروميات:

أما لجميلٍ عندَكن ثوابُ ... ولا لمسيءٍ عندَكن متابُ

لقد ضلّ مَنْ تحوي هواه خريدةٌ ... وقد ذلّ منْ تقضي عليه كعابُ

ولكنني - والحمد لله - حازمٌ ... أعزّ إذا ذلَّت لهنّ رقابُ

ولا تملكُ الحسناءُ قلبي كلَّه ... وإن شملتْه رقّةٌ وشبابُ

وأجري ولا أعطي الهوى فضلَ مقودي ... وأهفُو ولا يخفى عليَّ صوابُ

صبورٌ وَلَوْ لَمْ تَبْقَ مني بقيةٌ ... قؤولٌ ولو أن السيوف جواب

وقورٌ وأحداثُ الزمانِ تنوشني ... وللموتِ حولي جيئةٌ وذهابُ

وألحظُ أحوالَ الزمانِ بمقلةٍ ... بها الصدقُ صدقٌ والكذابُ كذابُ

إلى اللهِ أشكو أننا بمنازلٍ ... تحكمُ في آسادهن ذئابُ

تمرُّ الليالي ليسَ للنفعِ موضعٌ ... لديّ ولا للمعتفينَ جنابُ

ولا شدّ لي سرجٌ على ظهرِ سابحٍ ... ولا ضربتْ لي بالعراءِ قبابُ

ولا برقتْ لي في اللقاءِ قواطعٌ ... ولا لمعتْ لي في الحروبِ حرابُ

٣٣١ شبيه بالكرم الحاتمي

جاء رجل من الأنصار إلى عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فقال: يا عبدالله، إنه ولد لي في هذه الليلة مولود، وإني سميته باسمك تبركًا بك، وإن أمه ماتت، فقال له: بارك الله لك بالهبة، وآجرك على المصيبة، ثم دعا بوكيله، وقال له: انطلق الساعة فاشترِ للمولود جارية تحضنه، وادفع لأبيه ألفي دينار؛ لينفقها على تربيته، ثم قال للأنصاري: عدْ إلينا بعد أيام، فإنك جئتنا، وفي العيش يبس، وفي المال قلة، فقال الأنصاري: جعلت فداك لو سبقت حاتمًا بيوم ما ذكرته العرب.

٣٣٢ كيف كان أصحاب رسول الله؟

عن حذيفة العدوي قال: كنت أسقي الجند يوم اليرموك، وإذا أنا بابن عم لي بين القتلى، فقلت: أأسقيك؟ فأشار إليَّ: أن نعم، فإذا برجل يقول آه، فأشار عليَّ ابن عمي أن انطلق إليه، واسقِه، وإذا هو هشام بن العاص، فقلت له: أسقيك؟ فأشار إليَّ أن نعم، فسمع آخر يقول: آه، فأشار إليَّ أن انطلق إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلى هشام، فإذا هو قد مات، فرجعت إلى ابن عمي، فإذا هو قد مات.

٣٣٣ ذكاء جارية

كان الرشيد في كل سنة يكرم عبيده وجواريه يوم العيد، فجمعهم يوم عيد على عادتهم، ووضع أنواع الملابس والحرير والدراهم والدنانير، وقال: من أحب شيئًا فليضع يده عليه، فوضع كلٌّ منهم يده على ما اختار، إلا جارية منهن، فإنها وضعت يدها على الرشيد، فقال لها: ما تصنعين؟ قالت: يا مولاي، ألست أمرتنا

بأن يضع كلٌّ منا يده على ما يحب؟ فأنا لا أحب سواك، فأعجب الرشيد بذكائها وأعتقها.

٣٣٤ السؤدد

قال الرشيد لأعرابي: بِمَ بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة؟ قال: بحلمه عن سفيهنا، وعفوه عن مسيئنا، وحمله عن ضعيفنا، لا منان إذا وهب، ولا حقود إذا غضب، رحب الحنان، سمح البنان، ماضي اللسان، قال: فأومأ الرشيد إلى كلب صيد كان بين يديه، وقال: والله لو كانت هذه الصفات في هذا الكلب لاستحق بها السؤدد.

٣٣٥ حدث يتقدم شيوخًا

قدم إياس بن معاوية على عبدالملك بن مروان وهو في السابعة عشرة من عمره وخلفه أربعة من شيوخ قومه، فنظر إليهم عبدالملك متبرمًا، وهو يقول: أفٍّ لهؤلاء القوم، أما فيهم شيخ يقدمهم غير هذا الحدث؟ ثم التفت إلى إياس، وسأله: كم سنك؟ فقال إياس: سني أطال الله بقاء الأمير مثل سن أسامة بن زيد بن حارثة حين ولاه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ جيشًا فيه أبوبكر وعمر، فسر عبدالملك لإجابته، وبشّ في وجهه، وقال له: تقدم بارك الله فيك.

٣٣٦ المشط هو الحكم

عندما وَلّي عمر بن عبدالعزيز إياسًا قضاء البصرة أبدى من الفراسة وسعة الحيلة، وابتكر من فنون التحقيق وأسلوبه، ما يستحق التقدير والإجلال، اختصم إليه رجلان في قطيفتين: إحداهما حمراء والأخرى خضراء، فقال

أحدهما: دخلت الحوض لأغتسل، ووضعت قطيفتي، ثم جاء هذا، ووضع قطيفته بجانبها، ثم دخل، واغتسل فخرج قبلي، وأخذ قطيفتي، فتبعته، فزعم أنها قطيفته، فسأله إياس: ألك بينة؟ قال: لا، فقال إياس: ائتوني بمشط، فلما جيء إليه به مشط رأسيهما، فخرج من أحدهما صوف أحمر، ومن الآخر صوف أخضر، فقضى بتسليم القطيفة الحمراء للأول والخضراء للثاني.

٣٣٧ ذكاء القاضي إياس

قيل: إنه شكا إليه رجل أنه قد أودع رجلًا قبل سفره دنانير في كيس عليه خاتمه، فلما طالت غيبته فض الرجل الكيس بحذق، وأخرج الدنانير، ووضع عوضها دراهم، ثم أعاد الكيس إلى حاله دون أن يمس خاتم صاحبه، ولما عاد صاحب المال، وطلب ماله، دفع إليه الكيس بخاتمه، فلما فضه لم يقبله، وقال: هذه دراهم قد أودعتك دنانير، وقال الرجل: ما لك عندي غير هذا الكيس، وهذا خاتمك عليه كما تركته، فلما احتد بينهما الخلاف، وانتهى أمرهما إلى إياس التفت إلى المشكو يسأله: منذ كم أودعك هذا الكيس؟ قال: منذ عشرة أعوام، فنظر إياس إلى خادمه، وقال له: فض الكيس، ففضه، ونشر الدراهم أمامه، وراح يقلبها بين يديه، وهو يقلبها درهمًا بعد الآخر، حتى وجد من بينها دراهم لم تضرب إلا منذ خمس أو ست سنين، فالتفت إلى المشكو بحدّة، وقال له: لقد أقررت أن هذا الكيس أودع عندك منذ عشرة أعوام، وفي هذا الكيس دراهم ضربت منذ عهد قريب، فأقر الرجل بفعلته، ولم ينصرف الشاكي إلا وقد استرد ماله.

٣٣٨ اعتزاز وثقة

اشتهر إياس بعجلته في الحكم، فقد كان سريعًا في استخلاص الحقائق واستنتاج المشتبهات من الأمور، وقد عاب عليه جماعة تلك العجلة، وناشدوه

التروي، فما كان منه إلا أن بسـط لهم أصـابع يده، قائـلًا: كم هذه؟ فقالوا على الفور: خمسة، فقال: أعجلتم بالجواب، ولم تعدوها أصبعًا أصبعًا؟، فقالوا: كيف نعـدّ ما نعلم حق العلم؟ فقال لهـم في اعتزاز وثقة: وكيف أؤخر أنا حكم ما أعلم حق العلم.

٣٣٩ وله أيضًا

قيـل عن إياس أيضًـا: إنه نظر يومًـا إلى رجل في الطريق لم يـرَه من قبل، وتفرسـ فيه قليلًا، ثم قـال لرفاقه: هذا رجل غريب من أهل واسـط، وهو معلم صبية، وقد هرب له غلام أسود، فدهشوا لاستنباطه كل هذا من نظرة عابرة إلى رجل لا يعرفه، وتوجه بعضـهم إلى الرجل، وسـألوه عن حاله؟ فأجابهم بمثل ما ذكر إياس، فلما عادوا إليه سألوه عن سر استنباطه لتلك الحقائق؟، فقال: رأيته يمشـي، ويتلفت، فعلمت أنه غريب، ورأيت على ثوبه حمرة تراب واسـط، فعلمت أنه من أهلها، ورأيته يمر بالصبية، ويسلم عليهم، ولا يسلم على الرجال، فعلمت أنه معلم صبية، ورأيته إذا مر بذي هيئة لم يلتفت إليه، وإذا مر بأسود ذي أسمال تأمله، فعلمت أنه يبحث عن أسود هارب!

٣٤٠ الشعرة هلال

قيل: إن إياسًـا خرج مع جماعة، منهم أنس بن مالك لرؤية هلال رمضـان، فقـال: أنس وقـد قارب المئة من عمره، قـد رأيته هو ذاك، جعل يشـير إليه، فلا يرونه، فنظر إياس إليه، وإذا شعرة في حاجبه قد انثنت على عينه، فرآها هلالًا، فمـد إياس يده، فمسـحها، وسـواها بحاجبه، ثم قال له: يا أبـا حمزة، أرنا الآن موضع الهلال، فجعل يدقق النظر ويقول: لم أعد أراه.

٣٤١ ما غلبني إلا هذا

قال إياس: ما غلبني أحد قط سوى رجل واحد، ذلك أنني كنت في مجلس القضاء بالبصرة، فدخل عليّ رجل يشهد عندي أن البستان الفلاني ملك لفلان، فقلت له لأتبين مدى علمه بما يشهد: ما عدد الشجر في ذلك البستان؟ فقال: منذ كم يحكم سيدي القاضي في هذا المجلس؟ فقلت له دَهِشًا: منذ كذا، فقال: ما عدد خشب سقفه؟ فأدركت مغزى سؤاله، وقلت له: الحق معك، وأجزت شهادته.

٣٤٢ ثم.. الأهل والولد

قال عبادة بن الصامت رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للمقوقس ملك مصر، لما خوَّفه بجمع الروم الهائل، وأغراه بالمال والدنانير:

يا هذا، لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم، فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به، ولا بالذي يردنا عما نحن فيه، إن كان ما قلتم حقًّا فأنا منكم على إحدى الحسنيين: إما أن تعظم لنا غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم، أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، وإن الله عَزَّوَجَلَّ قال في كتابه العزيز: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ٢٤٩]، وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساء أن يرزقه الشهادة، وألا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه، ولا إلى أهله وولده، وليس لأحد منا همّ فيما خلفه من أهل وولد، وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده، وإنما همنا الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته، وأما قولك: إنا في ضيق وشدة من معاشنا وحالنا، فنحن في أوسع السعة، لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن فيه.

٣٤٣ دعاء

روى مسلم عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**اللهم، إني أعوذ بك من العجز والكسل، والبخل والهرم، وعذاب القبر، اللهم، آتِ نفسي تقواها، وزكّها أنت خير من زكاها، أنت وليّها ومولاها، اللهم، إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها**»[1].

٣٤٤ لقمان يعظ ابنه

يا بني، لا تؤخر التوبة، فإن الموت يأتي بغتة، يا بني، كذب من قال: الشر يطفئ الشر، فإن كان صادقًا فليوقد نارين، ثم ينظر هل تطفئ إحداهما الأخرى؟ وإنما يطفئ الشر الخير، كما يطفئ الماء النار.

يا بني، إياك والسؤال، فإنه يذهب ماء الحياء من الوجه، وأعظم من هذا استخفاف الناس بك.

يا بني، من صبر على احتمال مؤن الناس سادهم، يا بني، أحسن الناس مروءة وأدبًا من إذا احتاج نأى، وإذا احتيج إليه دنا.

يا بني، شاور من جرّب الأمور، فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنت تأخذه مجانًا، وعن مجاهر أن لقمان قال لرجل ينظر إليه: إن كنت تراني غليظ الشفتين، فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنت تراني أسود فقلبي أبيض.

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨٨/٤ رقم٢٧٢٢).

٣٤٥ الأمان غدًا

قال الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان يُعدّ من الفقهاء - في آخر خطبة له: أيها الناس، إنكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تتركوا سدى، وإن لكم معادًا يحكم الله فيه بينكم، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله، التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها السماوات والأرض، واعلموا أن الأمان غدًا لمن خاف ربه، وباع قليلًا بكثير وفانيًا بباق، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله، قد قضى نحبه، وبلغ أجله، غنيًّا عما ترك، فقيرًا إلى ما قدم، إنني أقول لكم هذا، وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي، أستغفر الله لي ولكم.

أقول:

هكذا التواضع من العاملين المحسنين، وإن رحمة الله قريب من المحسنين.

٣٤٦ بين حاكم وفقيه

روى لي والدي - قدّس الله روحه- فيما يرويه عن المرحوم الشيخ محمد ابن حسين آل أبا الخيل، أن الأمير حسن آل مهنا أبا الخيل أمير بريدة في آخر القرن الثالث عشر الهجري وأول الرابع عشر، وكان في عهده يلي قضاء بريدة شيخ فاضل من أسرة آل سليم، وكان تقيًّا ورعًا، وحصل له مع الأمير حسن خلاف في بعض الأمور الخاصة، ثم غضب الشيخ، ورحل إلى عنيزة قريبًا من بريدة، وترك القضاء، ثم إن الأمير حسن ضاق بالأمر ذرعًا فيمن يولي القضاء من بعده، وطلب المشورة من بعض خاصته، فأشاروا عليه بأن يأتي بعالم من العراق بالنجف، وحسنوا له هذا الصنيع، ولكن الأمير حسن كان ذا عقيدة صالحة وقوي الإيمان بالله، وما كان منه إلا أن أطرق قليلًا لهم: يا جلساء السوء، أردتم إرضائي وغضب الله، لماذا لم تشيروا عليَّ بأن أصالح الشيخ ابن سليم

وأسترضـيه؛ لأنني أعرف تقواه وصلاحه، وسقط الدمع من عينيه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وركب من فوره على فرسه مع مجموعة من رجاله، وذلك في طلب الشيخ إلى عنيزة، واعتذر له عما صنع، وطلب منه العودة إلى القضاء، وعاد الشيخ معه، وكأن شيئًا لم يكن، فرحمهم الله جميعًا.

٣٤٧ منهج المسلم في حياته

منهج المسلم في الحياة يجب أن يقوم على سبعة أسس، هي: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق.

أقول:

هـذا ما قال بـه، وأجمع عليه كبار فقهاء الأمة قديمًا وحديثًا، وعليك أخي المسلم، الحرص على أن تمشي على هذه الأسس السبعة الجامعة المانعة بإذن الله، حتى يأتيك اليقين.

٣٤٨ نصيحة عالم لحاكم

طلب الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من التابعي الجليل الحسن البصري رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لما ولي الخلافة أن يكتب إليه، فكتب إليه يقول: اعلم يا أمير المؤمنين، أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل، وقصد كل جائر، وصلاح كل فاسد، وقوة كل ضعيف، ونصفة كل مظلوم، ومفزع كل ملهوف، والإمام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، وتفسد بفساده.

والإمام العادل يا أمير المؤمنين، هو القائم بين الله وبين عباده، يسمع كلام الله، ويسمعهم، وينظر إلى الله، ويريهم، وينقاد إلى الله، ويقودهم، فلا تكن يا أمير المؤمنين، فيما ملكك الله عَزَّ وَجَلَّ عبدًا ائتمنه سيده، واستحفظه ماله وعياله،

فبدد المال، وشرد العيال، فأفقر أهله، وفرق ماله. واعلم يا أمير المؤمنين، أن الله أنزل الحدود، ليزجر بها عن الخيانات والخبائث والفواحش، فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم؟ واذكر الموت وما بعده وقلة أشياعك عنده وأنصارك عليه، واعلم أن لك منزلًا غير منزلك، الذي أنت فيه يطول فيه ثواؤك، ويفارقك أحباؤك في حفرة فريدًا وحيدًا، فتزود له ما يصحبك: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤-٣٦] ولا تحكم يا أمير المؤمنين، في عباد الله بحكم الجاهلين، ولا تسلك بهم سبيل الظالمين، ولا تسلط المستكبرين على المستضعفين، فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، فتبوء بأوزارك وأوزار مع أوزارك، وأثقال مع أثقالك، إني يا أمير المؤمنين، وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي، فلم آلُك شفقة ونصحًا، فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٤٩ القصد في العبادة

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حلّوه، ليُصَلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليرقد**»(١). رواه البخاري ومسلم. قال محمود الوراق:

شادَ الملوكُ قصورَهم فتحصنُوا	**من كلِّ طالبِ حاجةٍ أو راغبِ**
غالوا بأبوابِ الحديدِ لعزِّها	**وتخيرُوا في قبحِ وجهِ الحاجبِ**
فإذا تلطفَ للدخولِ عليهمُ	**راجٍ تلقّوه بوعدِ كاذبِ**
فاطلبْ إلى ملكِ الملوكِ ولا تكن	**بادي الضراعةِ طالبًا من طالبِ**

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٥٣-٥٤ رقم١١٥٠)، ومسلم (١/٥٤١ رقم٧٨٤).

٣٥٠ عابد يدعو على ظالم

كتب زياد إلى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول له: قد أخذت العراق بيميني، وبقيت شمالي فارغة، يعرض له بطلب ضم الحجاز إليه، وبلغ ذلك الصحابي التقي الورع عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وكان يعرف جبروت ابن سمية وظلمه، فرفع يده إلى السماء، وقال: اللهم، اكفِنا شمال زياد، فخرجت في شماله قرحة سرطان، فقتلته[1].

٣٥١ يحسبه ميتًا وهو حي

قال الجاحظ: يقول ابن أبي كريمة: لا، والله لا دفنت ميتًا أبدًا حتى ينتن. قلت: وكيف ذلك؟ قال: إن غلامي هذا نصيرًا مات، فأخرت دفنه لبعض الأمر، فقدم أخوه تلك الليلة، فقال: ما أظن أخي قد مات. ثم أخذ فيلتين ضخمتين، فرواهما دهنًا، ثم أشعل فيهما النار، ثم أطفأهما إلى منخريه، فلم يلبث أن تحرك وها هو ذا تراه. قلت له: إن أصحاب الحروب والذين يغسلون الموتى والأطباء عندهم في هذا دلالات وعلامات، فلا تحمل على نفسك في واحد من أولئك، ألا تستره بالدفن حتى يجيف.

٣٥٢ من فرسان العرب

في الجاهلية: عنترة بن شداد، وملاعب الأسنة عامر بن مالك، وزيد الخيل، وبسطام بن قيس، وعامر بن الطفيل، وعمرو بن عبد ود، وعمرو بن معديكرب، والمهلهل بن ربيعة.

---

(١) انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي (٤/٢٠٩-٢١٠)، وسير أعلام النبلاء (٣/٤٩٦).

وفي الإسلام: أمير المؤمنين علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ والزبير، وطلحة، وقطري بن الفجاءة، وسيف الله خالد بن الوليد، وشبيب الحروري، وطليحة الأسدي، والمثنى بن حارثة الشيباني، وعبدالله بن الزبير، وعبدالرحمن بن خالد، والأشتر النخعي.

كنت أقرأ على والدي -قدس الله روحه- من قصص هؤلاء الأبطال الصناديد، وكيف يفعلون الأفاعيل على صهوات الخيل التي هي بمنزلة الطائرة في حروب هذا الوقت، وقلت: إن الرجل منهم يعدّ بألف فارس: كعلي، والزبير، وخالد.

فقال: يا بني، سأعدد لك من رجال نجد وفرسانها في مطلع هذا القرن من يشبه إلى حد كبير ما ذكرته، ولا غرو، فهم أحفادهم، وسأعدد لك نحو ثلاثين فارسًا ظهروا في أول القرن الرابع عشر ومنتصفه، فقلت: هاتِ يا والدي، قال:

- الأمير الفارس عبدالعزيز بن متعب بن رشيد.
- الأمير الفارس صالح الحسن آل مهنا أبا الخيل.
- الأمير الفارس محمد بن سعود الملقب بغزلان.
- الأمير الفارس فيصل الدويش.
- الأمير الفارس فيصل بن سقيان.
- الأمير الفارس محمد بن هندي.
- الأمير الفارس محسن الغرم.
- الأمير الفارس ضاري بن طوالة.
- الأمير الفارس برغش بن طوالة.
- الأمير الفارس عقاب بن عجل.
- الفارس شليويح العطاوي.
- الأمير الفارس راكان بن حثلين.
- الفارس طامي القريفة.

- الأمير الفارس عفاس بن محيا.
- الأمير الفارس ناهس الذويبي.
- الفارس ذيب بن شالح.
- الأمير الفارس فيحان بن زريبان.
- الأمير الفارس علوش بن سقيان.
- الفارس مطلق بن الجبعا.
- الفارس برجس بن مجلاد.
- الأمير الفارس مشاري بن بصيص.
- الفارس قنيفذ بن لبدة.
- الفارس تريحيب بن بصيص.
- الفارس هابس بن عشوان.
- الأمير الفارس راضي ابن جدي، وهذا من أجدادنا.
- الفارس خلف الأذن.
- الأمير ندي بن نهير.
- الأمير الفارس مطني بن شريم.
- الفارس سند الربع.
- الفارس حمد العرني.
- الفارس ساجر الرفدي.

كل هؤلاء وغيرهم كثير يعدّون فرسان الحرب وأبطال الوغى في عصرهم.

٣٥٣ اللهو الحلال

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كل لهو المؤمن باطل إلا في ثلاث: تأديبه فرسه، ورميه عن كبد قوسه، وملاعبته امرأته، فإنه حق أن الله ليدخل الجنة**

بالسهم الواحد: عامله المحتسب والقوي به في سبيل الله»[1] أي والرامي به في سبيل الله.

٣٥٤ الجود والكرم

قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أنفق بلالًا، ولا تخشَ من ذي العرش إقلالًا**»[2] وقال المأمون لمحمد بن عباد المهلبي: أنت متلاف، قال له: منع الجود سوء ظن بالمعبود. يقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

٣٥٥ المتجر الرابح

قال أبونواس:

يأبى الفتى إلا اتباعَ الهوى ... ومنهجُ الحقِّ له واضحُ

فاسمُ بعينيكَ إلى نسوةٍ ... مهورُهن العملُ الصالحُ

لا يجتلي الحسناءَ من خدرها ... إلا امرؤٌ ميزانُه راجحُ

مَنِ اتقى اللهَ فذاكَ الذي ... سِيقَ إليه المتجرُ الرابحُ

٣٥٦ سارق ووصية

بعث ابن زهير العنبري إلى أهله بثلاثين شاة، ونحي فيه سمن؛ أي الوعاء الذي يوضع فيه الدهن، فسرق الرسول شاة، وأخذ من رأس النحي شيئًا من

---

(١) أخرجه الطبراني بلفظ قريب في الكبير (٣٤١/١٧ رقم٩٤١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٧٨٤).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤٢٩/١٠ رقم٦٠٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم١٥١٢).

السمن، فقال لهم عند عودته: ألكم إليه حاجة أخبره بها؟ قالت له امرأته: أخبره أن الشهر محاق، وأن جدينا الذي كان يطالعنا وجدناه مرثومًا؛ أي مكسورًا، فلما وصله أبلغه الوصية، واسترجع منه ابن زهير الشاة والسمن.

٣٥٧ لم يأتوا للقتال

قال عبدالله بن مصعب: أرسل علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما قدم البصرة، فقال: ائتِ الزبير، ولا تأتِ طلحة، فإن الزبير ألين. فأقرئه السلام، وقل له: يقول لك ابن خالك: عرفتني بالحجاز، وأنكرتني بالعراق، فما عدا مما بدا لك. قال: فأتيت الزبير، فقال: مرحبًا بابن لبابة أزائرًا جئت أم سفيرًا؟ قلت: كل ذلك، وأبلغته ما قال علي. فقال الزبير: أبلغه السلام، وقل له: بيننا وبينك عهد خليفة، ودم خليفة، واجتماع ثلاثة، وانفراد واحد، وأم مبرورة، ومشاورة العشيرة، ونشر المصاحف. فنحل ما أحل، ونحرم ما حرمت، فلما كان من الغد حرش بين الناس غوغاؤهم والمندسون بينهم من الأعداء: كابن سبأ اليهودي لعنه الله، فقال الزبير: ما كنت أرى أن مثل ما جئنا له يكون فيه قتال.

٣٥٨ فضل الاستغفار

جاء ثلاثة إلى الحسين بن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا واشتكى الأول له قلة المطر والغيث، فقال له: أكثر من الاستغفار، واشتكى الثاني قلة الإنجاب والعقم، فقال: أكثر من الاستغفار، واشتكى إليه الآخر جدب الأرض، فقال له: أكثر من الاستغفار.

فقال له جلساؤه: يا ابن رسول الله، كل الثلاثة مختلفو الشكاية، وأنت وحدت بينهم بالإجابة! قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أما قرأتم قول الله تعالى: ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ

كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢]؟!

٣٥٩ تعلّم حسن الدعاء

قال أحدهم: إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب.

قال سعيد بن المسيب: مر بي صلة بن أشيم، فما تمالكت أن نهضت إليه، فقلت: يا أبا الصهباء، ادعُ الله لي. فقال: رغبك الله فيما يبقى، وزهدك فيما يفنى، ووهب لك اليقين، الذي لا تسكن النفوس إلا إليه، ولا تعول في الدين إلا عليه[1].

٣٦٠ يقلب الزنبيل

كان عبد الملك بن هلال الهنائي عنده زنبيل ملآن حصى، فكان يسبح بواحدة، فإذا ملَّ شيئًا طرح اثنتين اثنتين ثم ثلاثًا، فإذا ملَّ قبض، قال: سبحان الله بعدد هذا، فإذا ضجر أخذ بعروتي الزنبيل وقلبه، وقال: سبحان الله عدد ما فيه. وإذا بكر لحاجته لحظ الزنبيل أي نظر إليه، وقال: سبحان الله عدد ما فيه.

٣٦١ اختر من العلوم ما يناسبك

قال سهل بن هارون يومًا وهو عند المأمون: في أصناف العلم ما لا ينبغي للمسلمين أن يرغبوا فيه، وقد يرغب عن بعض العلم كما يرغب عن بعض الحلال، قال المأمون: قد يمسي بعض الشيء علمًا وليس بعلم، فإن كنت هذا

---

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٢٤١-٢٤٢)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٩/٢٢).

أردت فوجـه الذي ذكرناه، ولو قلت: العلم لا يدرك غوره، ولا يسبر قعره، ولا تبلغ غايتـه، ولا يستقصـى أصنافه، لا يضبط آخره، فالأمر علـى ما قلت، فإذا فعلت ذلك كان عدلًا وقولًا صدقًا، وقد قال بعض العلماء: أقصر من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأخف على قلبك، فإن نفاذك فيه على حسب شهوتك له سهولته عليك، وقال أيضًا بعض الحكماء: لست أطلب العلم طمعًا في بلوغ غايته، والوقـوف على نهايته، ولكن التماس ما لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل إغفاله، وقـال آخرون: علم الملـوك النسب والخبر وجمـل الفقه، وعلـم التجار الحساب والكتـاب، وعلم أصحاب الحرب درس كتب المغازي وكتب السـير، والعلم بصر والجهـل عمى، والاستبانة للشـر ناهية عنه والاستبانة للخـير آمرة به، وقد قال الخليفة الراشد العبقري الفحل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لست بخِبٍّ والخِبّ لا يخدعني؛ أي: لا يخادع، ولا يستطيع أحد أن يخدعه.

٣٦٢ صدقت

خطـب سعيد بن العاص عائشة بنت عثمان علـى أخيه، فقالت: لا أتزوجه، قـال: ولمَ؟ قالـت: هو أحمق، قال: وما دليلك على مـا تقولين؟ قالت: له برذونان أشهبان، فيحتمل مؤنة اثنين، وهما عند الناس واحد، ويشبهه في هذا العصر من يشـتري السيارتين بلون واحـد أو السيارة بفارق سعر باهظ عـن شبيهتها إلا في الموديل الذي لا يميزه أحد.

٣٦٣ جلبت الضرب لأخيها

قالت خيرة القشيرية امرأة المهلب للمهلب: إذا انصرفت من الجمعة فأحب أن تمر بأهلي. قال لها: إن أخاك أحمق، قالت: فإني أحب أن تفعل. فجاء وأخوها

جالس وعنده جماعة فلم يوسع له. فجلس المهلب ناحية، ثم أقبل عليه، فقال له: ما فعل ابن عمك فلان؟ قال: حاضر، فقال: أرسل إليه، ففعل فلما نظر إليه غير مرفوع المجلس قال: يا ابن اللخناء، المهلب جالس ناحية، وأنت جالس في صدر المجلس، وواثبه؛ أي: أخذ يضربه، فتركه المهلب، وانصرف، فقالت له: أمررت بأهلي؟ قال: نعم، وتركت أخاك الأحمق يضرب.

٣٦٤ أسرع من موت ابن عبدالرزاق

كان عبدالرحمن العمير من بلدتنا الربيعية، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذا روح خفيفة، وكان كثيرًا ما يسر جليسه بخفيف قوله وملح نكاته، وكان قد توفي بجانبه رجل من الصالحين بوسط المسجد بنوبة قلبية، وكان يدعى ابن عبدالرزاق، فأقيمت الصلاة، وأخذ ابن عمير ينادي عليه: قم للصلاة، قم يا ابن عبدالرزاق، ولكن الرجل أسلم الروح إلى بارئها. وبعد مدة قليلة من الأيام أخذ عبدالرحمن بن عمير يصلح جانبًا من جدار بيته في مادة الجص وهو نوع من الآجر الذي مسته النار، وكان معروفًا أنه يجف بعد خلطه بالماء بقليل، فخلطه عبدالرحمن وأخذ منه شيئًا لإلصاقه بالجدار، وعاد ليأخذ ثانية، فوجده جافًّا قد مات، فقال لمن حوله: إن هذا الجص أسرع موتًا من ابن عبدالرزاق.

٣٦٥ توافق الأخوين باللفظ والمعنى

حدثني والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه حدثه صديق له يقال له: حمود رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: اشتريت ناقة ذلولًا من مدينة بريدة، وإذا بسعرها مرتفع جدًّا، فأردت إرجاعها إلى صاحبها في بريدة، وأنختها عند باب الجردة، وإذا بالوجيه فهد العلي الرشودي قادم، فقلت له: يا عم فهد، هذه الناقة اشتريتها من فلان، وأريد

إرجاعهـا، فقال: ولمـاذا؟ فقلت: بها قلب عصب؛ أي: اختـلال في توازن رجليها، معـروف بهذا الاسم، يقول فقال لي: أنخها، وأرني مـا تقول، يقول: فأنختها، ثم فركـت بيـدي بقوة علـى الأعصاب، فقال: لا، ليـس بها شيء، وأشـار إلى جدار حوله، فقال: لو صنعت بهذا الجدار مثل ذلك لاختل توازنه، لا يحق لك إرجاعها. وبعـد قليل مر بي شقيقـه إبراهيم، فقلت له مثل ما قلت لأخيـه فهد، فأشار إلى الجدار، وقال لي مثل ما قاله أخوه، وعجبت أشد العجب لتوافق رأيهما ولفضلهما وإشارتهما.

٣٦٦ لا يستطيع الناس إنصاف ملوكهم

يقول أحمد بن أبي دؤاد: قال لي المأمون: لا يستطيع الناس أن ينصفوا الملوك من وزرائهم، ولا يستطيعون أن ينظروا بالعدل بين الملوك وحماتهم وكفاتهم وبين صنائعهـم وبطانتهم، وذلك أنهم يرون ظاهـر حرمة وخدمة واجتهاد ونصيحة، ويـرون إيقـاع الملوك بهم ظاهرًا حتـى لا يزال الرجل يقول: مـا أوقع به إلا رغبة في مالـه أو لرغبـة في بعض ما لا تجـود النفس به، ولعل الحسـد والملالة وشهوة الاستبـداد اشتركت في ذلك، وهناك خيانـات في صلب الملك أو في بعض الحرم، فلا يستطيع الملك أن يكشف للعامة موضع العورة في الملك، ولا يحتج لتلك العقوبة بمـا يستحق ذلك الذنـب، ولا يستطيع الملك ترك عقابه؛ لمـا في ذلك من الفساد على علمه بأن عذره غير مبسوط للعامة ولا معروف عند أكثر الخاصة.

٣٦٧ الخليفة فقيه

حمـل الخليفة المأمون أحد المرتدين معه من خراسان حتى وافى به العراق، ثم قال له المأمون:

لأن أستحييك بحق أحب إليَّ من أن أقتلك بحق، ولأن أقبلك بالبراءة أحب إليَّ من أن أدفعك بالتهم، قد كنت مسلمًا بعد أن كنت نصرانيًّا، وكنت فيها مقيمًا وأيامك أطول، فاستوحشت ما كنت به آنسًا، ثم لم تلبث أن رجعت عنا نافرًا، فخبرنا عن الشيء الذي أوحشك من الشيء الذي صار آنسَ لك من إلفك القديم وأنسك الأول، فإن وجدت عندنا دواء دائك تعالجت به، والمريض من الأطباء يحتاج إلى المشاورة، وإن أخطأك الشفاء، ونبا عن دائك الدواء، كنت قد اعتذرت، ولم ترجع على نفسك باللائمة، فإن قتلناك قتلناك بحكم الشريعة، أو ترجع أنت في نفسك إلى الاستبصار والثقة، وتعلم أنك لم تقتصر في اجتهاد، ولم تفرط في الدخول في باب الحزم.

قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف فيكم.

قال المأمون: لنا اختلافان: أحدهما كالاختلاف في الأذان وتكبير الجنائز، والاختلاف في التشريق وصلاة الأعياد وتكبير التشريق ووجوه القراءات، واختلاف وجوه الفتيا، وما أشبه ذلك، وليس هذا باختلاف، إنما هو تخيير وتوسعة وتخفيف من المحنة، فمن أذن مثنى، وأقام مثنى لم يأثم، ومن أذن مثنى، وأقام فرادى لم يأثم، لا يتعايرون ولا يتعايبون أن ترى ذلك عيانًا، وتشهد عليه. والاختلاف الآخر كنحو اختلافنا في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث عن نبينا، مع إجماعنا على أصل التنزيل، واتفاقنا على عين الخبر، فإن كان الذي أوحشك هذا حتى أنكرت من أجله هذا الكتاب، فقد ينبغي أن يكون اللفظ بجميع التوراة والإنجيل متفقًا على تأوليه، كما يكون متفقًا على تنزيله، ولا يكون بين جميع النصارى واليهود اختلاف في شيء من التأويلات، وينبغي لك ألا ترجع إلا إلى لغة لا اختلاف على تأويلها وتأويل ألفاظها.

ولو شاء الله أن ينزل كتبه، ويجعل كلام أنبيائه في الدين والدنيا دفع إلينا على الكفاية، ولو كان الأمر كذلك لسقطت البلوى والمحنة، وذهبت المسابقة والمنافسة، ولم يكن تفاضل، وليس على هذا بنى الله الدنيا.

قال المرتد: أشهد أن الله واحد، لا ندّ له ولا ولد، وأن المسيح عبده، وأن محمدًا صادق، وأنك أمير المؤمنين حقًّا، فأقبل المأمون على أصحابه، فقال: وفروا عليه عرضه، ولا تبروه في يومه ريثما يعتق إسلامه؛ كي لا يقول عدوه: إنه أسلم رغبة، ولا تنسوا بعد نصيبكم من بره وتأنيسه ونصرته والعائدة عليه.

أقول:

ومن أعجب العجب أن هذا الخليفة أنه ألزم الناس برأيه في بدعة خلق القرآن، فما هذا التناقض عنده؟!

٣٦٨ ثلاثة أكواب عصير

روي عن الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ المتوفى عام (١٩٠٥م)، وكان شيخًا للجامع الأزهر بمصر أنه كان في زيارة لأحد البلاد الأوروبية، وكان عند صديق له، فقدم له هذا الصديق كوبًا من عصير البرتقال، فشربه الشيخ دفعة واحدة. فعلق عليه صديقه، قائلًا: إن الرسول محمدًا صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يأمركم أيها المسلمون، بألا تشربوا من الإناء دفعة واحدة، بل اقسموا الشربة إلى ثلاث مرات، فردّ عليه الشيخ: إنني لم أخالف أمره صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وأطلب منك أن تزيدني كأسا ثانية وثالثة، حيث إنني لم أنتهِ من الشرب حتى الآن. فسرّه ذلك، ولبى الطلب.

وقال هذا الصديق مرة للشيخ:

لماذا لا تأكل بملعقة؟ فقال: ملعقتي يدي، وأصابعي آكل بها وحدي، ولا يستعملها غيري، وأغسلها بنفسي. وأنت ملعقتك هذه الحديدة، لا تدري هل غسلت أم لا، ويشاركك في الأكل بها الصحيح والمريض.

٣٦٩ الصبر والجزع

أتى علي بن أبي طالب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ للأشعث يعزيه عن ابن له مات، فقال: إن تحزن فقد استحقت ذلك منك الرحمة، وإن تصبر فإن في الله خلفًا من كل

هالــك، مع أنــك إن صبرت جرى عليــك القدر، وأنت مأجــور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور.

٣٧٠ يريد دوام الخلتين

دخـل الوليد بن عبدالملك المسجد، فخــرَّج من فيه إلا شيخًا قد حناه الكبر، فــأرادوا أن يخرجوه، فأشار إليهم الوليــد: أن يدعوا الشيخ، ثم مضى حتى وقف عليــه، فقال له: يــا شيخ، تحب الموت؟ قــال: لا، يا أمير المؤمنــين، ذهب الشباب وشــره، وأتى الكبر وخيره، فإذا قمت حمــدت الله، وإذا قعدت ذكرته، فأنا أحب أن تدوم لي هاتان الخلتان.

٣٧١ قَدِّم مالك

قال عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: جاء رجل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، ما لي لا أحب الموت؟ قال: «**هل لك مال؟**» قال: نعم، قال: «**فقدمه بـين يديـك**»، قال: لا أطيـق ذلك، فقال النبي عليه الصــلاة والسلام: «**المرء مع ماله، إن قدمه أحب أن يلحقه، وإن أخره أحب أن يتخلف معه**»[1].

٣٧٢ يرى بجميل الظن

قال أعرابي يصف فضل الدعاء:

وساريةٍ لم تسرْ في الأرضِ تبتغي ... محلًّا ولم يقطعْ بها البيدَ قاطعُ

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٣/٣٥٩)، والديلمي في الفردوس (٣/٢٠٥ رقم٤٥٨٠)، قال العراقي في تخريج الإحياء (٤/٤٢٥): لم أقف عليه.

سرتْ حيثُ لم تسرِ الركابُ ولم تنخْ لوردٍ ولم يقصرْ لها القيدَ مانعُ
تظلُّ وراءَ الليلِ والليلُ ساقطٌ بأوراقه فيه سميرٌ وهاجعُ
تفتحُ أبوابَ السماءِ لوفدِها إذا قرعَ الأبوابَ منهن قارعُ
إذا سألت لم يردد اللهُ سؤلَها على أهلها والله راءٍ وسامعُ
وإنّي لأرجو اللهَ حتّى كأنّما أرى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانعُ

٣٧٣ خطبة نكاح

كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح بعد الحمد لله والثناء عليه:

أما بعد: فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المنقطعة والأنساب المتفرقة، وجعل ذلك في سنة في دينه ومنهاج واضح من أمره، وقد خطب إليكم فلان وعليه من الله نعمة، وهو يبذل من الصداق كذا، فاستخيروا الله، وردّوا خيرًا يرحمكم الله.

٣٧٤ الحاكم يطلق حرية الكلام

لما قدم معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تلقاه رجال قريش، فأثنوا عليه، ودعوا له، فلم يجبهم بشيء حتى صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

أما بعد: فإني والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ولا مسرة بولايتي، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة، ولقد رضيت لكم نفسي على عمل ابن أبي قحافة، وأردتها على عمل عمر، فنفرت من ذلك نفارًا شديدًا، وأردتها مثل ثنيات عثمان، فأبت عليَّ، فسلكت بها طريقًا لي ولكم فيه منفعة، مؤاكلة حسنة ومشاربة جميلة، فإن لم تجدوني خيركم فإني خير لكم، ولا والله لا أحمل السيف على من لا سيف له، وإن لم يكن فيكم إلا ما يتشفى به القائل بلسانه، فقد جعلت ذلك دبر أذني وتحت قدمي، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فاقبلوا مني بعضه، فإن أتاكم مني

خير فاقبلوه، فإن السيل إذا زاد عنّى وإذا قل أغنى، وإياكم والفتنة؛ فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة. ثم نزل.



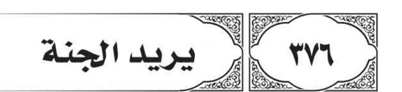
٣٧٥ علماء سوء

كان يحيى بن معاذ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لعلماء في عصره لا يعملون بعلمهم كما يريد الله: يا أصحاب العلم، قصوركم قيصرية، وبيوتكم كسروية، وأثوابكم ظاهرية، وأخفافكم جالوتية، ومراكبكم قارونية، وأوانيكم فرعونية، فأين الشريعة المحمدية؟

وقال سعيد بن المسيب: إذا رأيتم العالم يدخل مجالس الأمراء فهو لص، وسأل عبدالله بن المبارك: من الناس؟ قال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزهاد، قيل: فمن السفلة؟ قال: الذين يأكلون الدنيا بالدين.

أقول:

ادخل عليهم، وحاول نصحهم، وكن شجاعًا وبطانة خير، ولا تتركهم ليأخذ الفرصة من يفسد عليهم الدين والدنيا، وللإمام الشوكاني كتاب جيد اسمه (رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين).



٣٧٦ يريد الجنة

قدم النابغة الجعدي على رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ فأنشده شعره الذي يقول فيه:

بلغنا السماءَ مجدُنا وجدودُنا وإنّا لنرجو فوقَ ذلكَ مظهرا

فقال له صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إلى أين يا أبا ليلى؟**» فقال: إلى الجنة يا رسول الله، بك، فقال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**إلى الجنة إن شاء الله**»، فلما بلغَ قولَه:

ولا خيرَ في حلم إذا لم تكنْ له بوادرُ تحمي صفوَه أن يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ إذا لم يكنْ له حليمٌ إذا ما أوردَ الأمرَ أصدرا

قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يفضّ الله فاك**»[1]، فعاش مئة وثلاثين سنة،لم تنقص له ثنية.

٣٧٧ يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا

قدم رجل من الأطراف على الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز حين استخلف، فقال: يا أمير المؤمنين، إني رأيت في منامي قائلًا يقول: إذا ولي الأشج من بني أمية يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا، فولي الوليد، فسألت عنه؟ فقيل لي: ليس بأشج، ثم ولي سليمان فسألت عنه؟ فقيل: ليس بأشج، ووليت، فكنت الأشج، فقال عمر: تقرأ كتاب الله؟ قال: نعم، قال: فبالذي أنعم عليك به أحق ما أخبرتني؟ قال: نعم، فأمره أن يقيم في دار الضيافة، فمكث نحو شهرين، ثم أرسل إليه عمر، فقال: هل تدري لمَ احتبسناك؟ قال: لا. قال: أرسلنا إلى بلدك لنسأل عنك، فإذا ثناء صديقك وعدوك عليك سواء، فانصرف راشدًا.

٣٧٨ خبر ما عندنا وخبر ما عندهم

دخل الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المقابر، فقال: أما المنازل فقد سكنت، وأما الأموال فقد قسمت، وأما الأزواج، فقد نكحت، هذا خبر ما عندنا، فما خبر ما عندكم؟ ثم قال: والذي نفسي بيده لو أذن لهم في الكلام، لقالوا: إن خير الزاد التقوى.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (٥٠/ ٢٣٠)، وابن قانع في معجم الصحابة (٢/ ٣٤٥ رقم٨٨٢).

٣٧٩ جوهر القلب

قال الجاحظ: كان المهدي يحب القينات، وسماع الغناء، وكان معجبًا بجارية يقال لها جوهر، وكان اشتراها من مروان الشامي، فدخل عليه ذات يوم مروان الشامي، وجوهر تغنيه، فقال مراون:

أنتِ يا جوهرُ عندي جوهرةْ ... في بياضِ الدرةِ المشتهرة
فإذا غنَّت فنارٌ ضرّمتْ ... قدحتْ في كلِّ قلبٍ شررةْ

فاتهمه المهدي، وأمر به، فدفع في عنقه إلى أن أخرج، ثم قال لجوهر: أطربيني، فأنشأت تقول:

وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني ... وأشمتَّ بي مَنْ كانَ فيكَ يلومُ
وأبرزتَني للناسِ ثم تركتَني ... لهم غرضًا أُرمى وأنتَ سليمُ
فَلَو أنَّ قولًا يكلمُ الجسمَ قَدْ بَدا ... بجسمي مِنْ قَولِ الوشاةِ كُلومُ

فقال المهدي:

ألا يا جوهرَ القلبِ ... لقد زدتِ على الجوهرِ
وقد أكملَكِ اللهُ ... بحسنِ الدّلِّ والمنظرِ

٣٨٠ ذلك يوعظ به

يروى عن حاتم الأصم، تلميذ شقيق البلخي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن شقيقًا قال له: من كم صحبتني يا حاتم؟ قال حاتم: منذ سنة. قال: فما تعلمت مني في هذه المدة؟ قال: ثماني مسائل، قال: هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها، قال

حاتم: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد يحب محبوبًا، فهو مع محبوبه إلى القبر، فإذا وصل إلى القبر فارقه، فجعلت الحسنات محبوبي، فإذا دخلت القبر دخل محبوبي معي، فقال: أحسنت يا حاتم، هات الثانية، فقال: نظرت في قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ - ٤١] فعلمت أن قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هو الحق، فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى. الثالثة: أني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل من معه شيء له قيمة مقدار حفظه، ثم نظرت إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ﴾ [النحل: ٩٦] فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته إلى الله، ليبقى عنده محفوظًا. الرابعة: إني نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد منهم يرجع إلى المال وإلى الحسب والشرف والنسب، فنظرت فيها، فإذا هي لا شيء، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات: ١٣]، فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريمًا. الخامسة: أني نظرت إلى هذا الخلق وهو يطعن بعضهم في بعض، ويلعن بعضهم بعضًا، وأصل هذا كله الحسد، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢]، وعلمت أن القسمة من عند الله، فتركت الحسد، واجتنبت الخلق. والسادسة: نظرت إلى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض، ويقاتل بعضهم بعضًا، فرجعت إلى قوله الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ﴾ [فاطر: ٦] فعاديته وحده، واجتهدت في أخذ حذري منه؛ لأن الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي، فتركت عداوة الخلق غيره، السابعة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيت كل واحد منهم يرغب هذه الكسرة، فبذل فيما لا يحل له، ثم نظرت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ﴾ [هود: ٦] فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها، فاشتغلت بما لله تعالى عليَّ، وتركت ما لي عنده، الثامنة: نظرت إلى هذا الخلق، فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق، هذا على حرفته، وهذا على تجارته، وهذا على صناعته، وهذا على صحة بدنه،

وكل مخلوق مثله، فرجعت إلى قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فتوكلت على الله عَزَّوَجَلَّ فهو حسبي. قال شقيق: يا حاتم، وفقك الله، فإني نظرت في علوم التوراة والإنجيل والزبور والفرقان العظيم، فوجدت جميع أنواع الخير والديانة، وهي تدور على هذه الثماني مسائل، فمن استعملها فقد استعمل الكتب الأربعة.

٣٨١ عمل يدخل الجنة

أتى أعرابي إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**»، قال الأعرابي: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا**»[(١)].

٣٨٢ الأمر شورى

قال بشار بن برد:

إذا بلغَ الرأيُ النصيحةَ فاستعن ... برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

ولا تحسبِ الشورى عليكَ غضاضة ... مكانُ الخوافي نافعٌ للقوادمِ

وخلِّ الهوينى للضعيفِ ولا تكن ... نؤومًا فإنَّ الحزمَ ليسَ بنائمِ

وأدنِ على القربى المقربَ نفسه ... ولا تشهدِ الشُّورى امرءًا غير كاتمِ

وما خيرُ كفٍّ أمسك الغلَّ أختها ... وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيّدْ بقائمِ

---

(١) أخرجه البخاري (٢/١٠٥ رقم١٣٩٧)، ومسلم (١/٤٤ رقم١٤).

فـإنَّـك لا تـسـتـطـردِ الـهـمَّ بـالمُنـى ولا تـبـلـغِ الـعُـلـيـا بـغـيـرِ المـكـارمِ

وقال أحمد شوقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الـديـنُ يـسـرٌ والخـلافـةُ بـيعـةٌ والأمـرُ شـورى والحـقـوقُ قـضاءُ

٣٨٣ فضل اصطحاب العصا في السفر

قـال أحدهم: خرجـت من الموصل أريـد الرقة مستخفيًا وأنـا شاب خفيف الحـال، فصحبني من أهل الجزيرة فتى ما رأيت بعده مثله، فذكر أنه تغلبي من ولـد عمرو بن كلثوم، ومعه مـزودة وركوة وعصا، فرأيته لا يفارق العصا، وطالت ملازمتـه لهـا، فكدت مـن الغيظ أرمي بهـا في بعض الأودية، فكنـا نمشي، فإذا أصبنـا دواب ركبناهـا، وإن لم نصب الـدواب مشينا، فقلت لـه في شأن عصاه، فقـال لي: إن موسـى بن عمران عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ حين آنس من جانـب الطور نارًا، وأراد الاقتباس لأهله منها لم يأتِ النار في مقدار تلك المسافة القليلة، إلا ومعه عصاه، قـال: وكان يكثر من تعـداد فضائل العصا، وأنا أضحـك متهاونًا بما يقول، فلما برزنا على حمارينا تخلف المكاري، فكان حماره يمشي، فإذا تلكأ أكرهه بالعصا، وكان حمـاري لا ينساق، وعلم أنه ليس في يدي شـيء يكرهه، فسبقني الفتى إلى المنزل، فاستراح وأراح، ولم أقدر على ما قدر عليه، فقلت: هذه واحدة.

فلما أردنا الخروج من الغد لم نقدر على شيء نركبه، فكنا نمشي، فإذا أعيا تـوكأ على العصا، وربما أحضر، ووضع طـرف العصا على وجه الأرض، فاعتمد عليهـا، ومر كأنه سهم زالج، حتى انتهينا إلى المنزل، وقد تعبت أشد التعب، وهو في فضل قوة، فقلت: هذه الثانية.

فلمـا كان في اليـوم الثالث، ونحـن نمشي في أرض ذات شقـوق وصدوع، إذ هجمنـا علـى حية منكـرة، فسارتنا، فلم تكن عنـدي حيلة إلا خذلانـه وإسلامه

إليهـا والهرب منها، فضربها بالعصـا، فثقلت، فلما أقبلت عليه، ورفعت صدرها ضربها بشدة حتى قتلها، فقلت: هذه ثالثة، وهي أعظمهن. فلما خرجنا في اليوم الرابع، وقد اشتدت شهوتي إلى الطعام، وأنا هارب معدم إذا أرنب قد اعترضت، فحذفها بالعصا، فما شعرت إلا وهي معلقة، وأدركنا ذكاتها، فقلت: هذه رابعة.

وأقبلـت عليه، فقلت: لو أن عندنا نارًا لمـا أخرت أكلها إلى المنزل. قال: فإن عندك نارًا، فأخرج عويدًا من مزودته، ثم حكه بالعصا، فأورت إيراء، ثم جمع ما قدر عليه من الغثاء والحشيش، فأوقد ناره، وألقى الأرنب في جوفها، فأخرجناها، وقـد لزق بهـا من الرماد والتراب ما بغّضها إليَّ، فعلقها بيده اليسرى، ثم ضرب بالعصا على جنوبها وأعراضها ضربًا رقيقًا حتى انتثر كل شيء عليها، فأكلناها، فسكنت شهوة اللحم، وطابت النفس، فقلت: هذه خامسة.

ثم إنا نزلنا بعض الخانات، وإذا البيوت ملأى روثًا وترابًا، ونزلنا بعقب جند وخـراب متقدم، فلم نجد موضعًا نظل فيـه، فنظر إلى حديدة مسحاة مطروحة في الـدار، فأخذها، فجعل العصا نصابًـا لها، ثم قام فجرف جميع ذلك التراب والـروث وجرد الأرض بها جردًا حتى ظهر بياضهـا، وطابت ريحها، فقلت: هذه السادسة.

ولم تطـب نفسي أن أضع طعامي وثيابي على الأرض، فنزع والله العصا من حديدة المسحاة، فوتدها بالحائط، وعلق ثيابي عليها، فقلت: هذه السابعة.

فلمـا صرت إلى مفـرق الطـرق، وأردت مفارقته، قال لي: لـو عدلت، فبتّ عنـدي كنت قـد قضيت حق الصحبة والمنـزل قريب، فعدلت معـه، فأدخلني في منـزل يتصل ببيعه، فمـا زال يحدثني، ويطرفني، ويلطفنـي الليل كله، فلما كان السحر أخذ خشيبة، ثم أخرج تلك العصا بعينها، فقرعها بها، فإذا ناقوس ليس في الدنيا مثله، فإذا هو أحذق الناس بضربه، فقلت له: ويلك أما أنت مسلم وأنت رجل من العرب من ولد عمرو بن كلثوم؟! قال: بلى، قلت: فلم تضرب بالناقوس؟

قــال: جعلت فداك، إن أبي نصراني، وهو صاحب البيعة، وهو شيخ ضعيف، فإذا شاهدته بررته بالكفاية، فإذا هو شيطان مارد، وإذا أظرف الناس لهم وأكبرهم أدبًـا، فخبرته بالذي أحصيـت من خصال العصا بعد أن كنـت هممت أن أرمي بها، فقال: والله لو حدثتك عن مناقب نفع العصا إلى الصبح لما استنفدتها.

٣٨٤ حديث الآخرة

هــذه كلمة للشيخ الجليل والمجاهــد في الله محمد الغزالي اقتطعتها لك من مجلــة المسلمــون (١٤٠٢/٤/٤هــ) لما فيها من الفائــدة يقول فضيلتــه: إلى أين المصــير؟ لقد فضح المــوت الحياة، فهو يسطــو عليها كل دقيقة مــن الساعة، بل كل ثانيــة من الدقيقة، وفي أنحاء القارات الخمس، تتصل مواكب الذين يغادرون هــذه الأرض، ليخلو المكان لقادمين جــدد، عجبًا أين يذهبون؟ يقول الدين: إنهم يعــودون إلى بارئهم؛ كــي يقدموا حسابًا عن حياتهم السابقــة، ويفر كثيرون من الإجابــة عن هــذا السؤال؛ لأن سكرة الدنيا تشغلهم عنــه، أو لأن خطورة المصير تفزعهــم، فهــم يفضلون عدم رويته، كمــا تفضل النعامة دفــن رأسها في الثرى، حتى لا ترى الصياد المقبل.

وحديــث اليهود عــن الآخرة غامض ونــادر، بل لا ذكر لــه في أسفار موسى الخمســة (التــوراة) عندهــم، وحديــث النصارى عــن الآخرة روحــاني محدود الصــورة. أمــا حديــث القرآن فهــو عن عــالم مكتمل الوعــي محسوس الثواب والعقــاب، تسمع فيه دوي الحوار بين السعداء والأشقياء، كما تلمح فيه استيعاب المسألة لكل ما يقع في المرء في دنياه: هنــاك أجل لكل فرد، ما ينكر ذلك مؤمن ولا ملحــد، فأما الملحدون فيرون ذلك الأجل ختام الحياة كلها، وأما المؤمنون فيرون ذلــك بدء الحياة الأبدية الصحيحة، وستبقى الدنيا ترسل وفودها كل لحظة إلى العالم الآخر، حتى ينتهي أجلها هي الأخرى، وهنا تلتقي القرون كلها لتتوزع على

النعيم أو الجحيم، وتكتمل نشأة الآخرة. هناك من يرفض ذلك التصور كله، ولا يدري من أين أتى ولا من أُتي به، تصوير القرآن لذلك الإنسان جدير بالتأمل: ﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾[الصافات: ٥١- ٥٧].

إن هناك ميثاقًا غير مكتوب بين المذاهب والمبادئ المنتشرة في عالمنا المعاصر، ألا تذكر الدار الآخرة، وأن يُقتضب الحديث عنها إذا عرضت ضرورة لهذا الحديث الكثيب، وهذا موقف يستحق النظر، إنني أؤيده عندما يكون تعويقًا لحركة الأحياء وكسرًا لهمم العاملين المنتجين. ومن أهل الدين من يريد بذكر الموت إطفاء منارات الحضارة وتخفيف منابع الأمل. وهؤلاء يسيئون إلى الدين والدنيا معًا.

قد أكثر القرآن الكريم من الحديث عن الدار الآخرة ومشاهد البعث والجزاء، والغرض من ذلك لا يعدو تذكير الغافلين وترشيد المسعورين؛ حتى يدخلوا حساب العالم القادم في حساب يومهم الحاضر. مستشعرين قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾ [القصص: ٦١].

والنسيان شديد الوطأة على ألباب الناس، حتى ليذهلهم عن حقائق قريبة وشؤون ذات بال، فإذا كانوا يسهون حاضرهم أفلا يكونون عن الغد البعيد أكثر سهوًا وأحوج إلى مذكر ملحاح؟ وبعد، فقد ارتقت العلوم الكونية والإنسانية، واتسع تطبيقها لترفيه العالم وترقيته، فهل يستغني الناس في عصرهم هذا عن تلك العناصر، التي تضمنها الإسلام لضبط مسارهم وإحكام أمرهم؟ يبدو أنه مع اتساع الحضارة تكثر الحاجات المادية والروحية على السواء، ولعلهم في يومهم القريب أشد فقرًا إلى الإسلام من أمسهم البعيد.

٣٨٥ الرعية في عنق الراعي

قــال سعيد بــن عامــر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لعمر بــن الخطــاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إني موصيك بكلمــات مــن جوامع الإسلام ومعالمــه: اخشَ الله في النــاس، ولا تخشَ الناس في الله، ولا يخالــف قولــك فعلك، فإن خــير القول ما صدقه العمــل، وأحب لقريب المسلمــين وبعيدهم ما تحب لنفسك وأهل بيتك، وخض الغمرات إلى الحق؛ حيث علمتــه، ولا تخــف في الله لومة لائم. قال: ومن يستطيع ذلــك يا سعيد؟ قال: من ركب في عنقه مثل الذي ركب في عنقك.

٣٨٦ كرم أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

استشهد في معركة اليرموك سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن أبــي جهــل وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهــم صرعى، فتدافعوه، كلٌّ يقول للساقــي ابدأ بفلان حتى ماتوا لم يذوقــوه. أتى عكرمة بالماء فنظر إلى سهيل بن عمرو ينظر إليه فقال: ابدأ بهذا، ونظر سهيل إلى الحارث ينظر إليه فقال: ابدأ بهذا، وكل منهم يؤثر أخاه على نفسه، فماتوا كلهم قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد فقال: بنفسي أنتم.

أقول: إن الله جل جلاله اختار لحبيبه خير الأمة، ليكونوا أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ورضوا عنه.

٣٨٧ ابن سيرين والحسد

قــال التابعي الجليل محمد بن سيرين: مــا حسدت أحدًا على شيء من أمر الدنيــا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيــف أحسده على شيء من أمر الدنيا، وهو

يصير إلى الجنة؟ وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على شيء من أمر الدنيا، وهو يصير إلى النار؟

٣٨٨ الكبر وعاقبته

قــال العالم الفاضل سفيان بن عيينــة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من كانت معصيته في شهوة فــارجُ له التوبة، فإن آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عصــى مشتهيًا، فغُفر له، فإذا كانت معصيته مــن كبر، فاخشَ عليه اللعنة، فــإن إبليس عصى مستكبرًا فلعن، واعلم أن التكبر يظهــر في شمائل الإنسان: كتصعير وجهه، ونظره شزرًا، وإطراق رأسه، وجلوسه متربعًا ومتكئًا، وفي أقواله حتى في صوته ونغمته وصيغة إيراده الكلام، ويظهر في مشيته وتبختره وقيامه وقعوده وحركاته، عياذًا بالله.

٣٨٩ قوة بعض فحول الرجال

يقــال: إن الشاعر هلال بن الأسعر كان ماردًا عظيم الجسم، يهول من يراه طــولًا وعرضًا حتى قال عنه أبوعمرو بن العلاء: رأيــت هلال بن أسعر فما رأيت أحــدًا أطــول منه، وكان يأكل مثل ما تأكل الإبل، ويشــرب مثل ذلك: حيث كان له إبل يوردها، ويبيت معها الأيام، لا يشرب حتى ترد ثانية.

وقيل: إنه مر يومًا بقوم من بني بكر، وقد نال منه الجوع والعطش، فلما رأى فتيانهم هالهم، وقال له أحدهم: هل لك في الصراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج، قال: ما هو؟ قال: إلى لبن وماء، فإني ظمآن، قال: ما أنت بذائق من ذلــك شيئًــا حتى تعطينا عهدًا لتجيبنــا إلى الصراع إذا أرحــت ورويت، فقال له هــلال: إني لكما ضيف، والضيف لا يصــارع رب منزله، وأنتم مكتفون بذلك بما أقــول لكم، اعمدوا إلى أشد فحــل في إبلكم، وإلى أشد رجل منكم ذراعًا، فإن لم

أقبض على هامة البعـير وعلى يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل والبعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتموني، وإن فعلته فقد علمتم أن أحدكـم أيسر عليَّ مـن ذلك، فأومؤوا إلى فحل من إبلهـم هائج صائل، فأتاه هلال ومعه نفر من أولئك القوم وشيخ لهم، فأخذ بهامة الفحل فما فوق مشفره، فضغطهـا ضغطة ردد الفحل منها صوتـه، ورغا حتى استخذى، ثم قال: ليعطِني مـن أحببتم يده حتى أولجها في فم هذ الفحـل، فقال الشيخ: يا قوم، اهربوا من هـذا الشيطان، فوالله ما رأيت هذا الفحل جرجر بصوتـه قبل اليوم، فلم يعطِه أحد يده، وسار حتى غاب عنهم، وهم به معجبون.

٣٩٠ عالم باع سلاطين

كان لمماليك الأتراك نفـوذ في الدولة الإسلامية في أواخر حكم العباسيين، وامتـد نفوذهم حتـى أصبحوا أمـراء في الدولة أيام حكم نجـم الدين أيوب في مصـر، وكان الشيخ العز بن عبدالسلام قاضيًـا للقضاة فيها، وقام رضوان الله عليـه مصلحًا لأمـر القضاء منفذًا بحـزم أحكام الشرع، لا تأخـذه في الله لومة لائـم، فنظر في حقيقـة قضية أولئك الأمراء، التي أثارها هـو، ثم أصدر قضاءه الآتي:

ذكـر السبكـي في الطبقـات (٥/٨٤) حكاية الشيـخ مع أمـراء الدولة من الأتراك وهم جماعة، ذكروا أن الشيخ لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين، فبلغهم ذلك، فعظم الخطب فيه، واحتدم الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعًا ولا شراءً ولا نكاحًا، وتعطلت مصالحهم بذلـك، وكان من جملتهم نائب السلطنة، فاستشـاط غضبًا، واجتمعوا، وأرسلوا إليه، فقال: نعقد لكم مجلسًا، وينادى عليكم لبيت مال المسلمين، ويحصل عتقكم بطريـق شرعـي، فرفعوا الأمر إلـى السلطان، فبعث إليه فلـم يرجع، فجرت من

السلطان كلمة فيها غلظة، حاصلها الإنكار على الشيخ، وحمل حوائجه على حمار، وأركب عائلته على حمير أخرى، ومشى خلفهم من القاهرة قاصدًا نحو الشام، فلم يصل إلى نحو نصف بريد حتى لحقه غالب المسلمين، لم تكد امرأة ولا صبي ولا رجل لا يؤبه له يتخلف، ولا سيما العلماء والصلحاء والتجار وأنحاؤهم، فبلغ السلطان الخبر، وقيل له: متى راح ذهب ملكك، فركب السلطان بنفسه، ولحقه، واسترضاه، وطيب قلبه، فرجع واتفقوا معه على أن ينادي على الأمراء، فأرسل نائب السلطة بالملاطفة فلم يفد فيه، فانزعج النائب، فقال: كيف ينادي علينا هذا الشيخ، ويبيعنا ونحن ملوك الأرض؟ والله لأضربنه بسيفي هذا، فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده، فطرق الباب، فخرج ولد الشيخ، فرأى من نائب السلطنة ما رأى، فعاد إلى أبيه، وشرح له الحال فما اكترث لذلك، ولا تغير، وقال: يا ولدي، أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله، ثم خرج كأنه قضاء الله قد نزل على نائب السلطنة، فحين وقع بصره على النائب يبست يد النائب، وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله، وبكى، وسأل الشيخ أن يدعو له، وقال: يا سيدي، خير أي شيء تعمل؟ قال: أنادي عليكم، وأبيعكم، قال: ففِيمَ تصرف ثمننا؟ قال: في مصالح المسلمين، قال: من يقبضه؟ قال: أنا، فتم ما أراد، ونادى على الأمراء واحدًا، وغالى في ثمنهم، وقبضه، وصرفه في وجه الخير، وها هو العالم الشرعي الفحل لم يسبقه في هذا العمل أحد، ولم يلحق به أحد.

٣٩١ كرم وعلوُّ همة

كتب زياد بن سمية أو زياد بن أبيه إلى سعيد بن العاص يخطب إليه ابنته، وبعث إليه بمال كثير، وكان زياد هذا من الدهاة المشهورين، وكان أميرًا لمعاوية على الكوفة، وقد استلحقه معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنسبه، وأراد الإصهار إلى قريش، ولكن هذا القرشي ردّه بأن قال لحامل الرسالة والمال والهدايا: سلمها إلى أحد

أصحابـه، وقال: اقسمهـا على جلسائنا في هـذا المجلس، فقال لـه حاملها: إنها يـا سيدي، كثـيرة، وفوق ما تقدرها، قـال: إنني والله أكبر منهـا، ولا والله تبرح حتـى تأخذ ردنا على من أرسلك في ذيل رسالتـه، اكتب يا فلان، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ﴾ [العلق: ٦- ٧]، فختم الرسالة وأعطاه إياها، والمعنـى لذلك معروف، وهو ليس مـن ملك شيئًا من الحطام لم يكن له غيره من التقـوى وحسـن الأدب أن يطلب الإصهار إلى رؤوسـ الناس وكبراء الأسر، وعلى المرء أن يختار من يكافئه، فالتكافؤ شيء أساسي لنجاح الزواج.

٣٩٢ نصيحة تصلح لكل حاكم

قـال الرشيد لأحد العلماء الصالحين: عظنـي، فقال: يا أمير المؤمنين، لأن تصحـب من يخوفك حتى تدرك الأمن، خير لك من أن تصحب من يؤمنك حتى تـدرك الخوف، واعلم أن من يقول لـك: أنت مسؤول عن الرعية فاتقِ الله أنصح لـك ممن يقول لك: أنتـم أهل بيت مغفور لكم، وأنتم قرابة نبيكم. فبكى الرشيد حتى رحمه من حوله.

٣٩٣ لون كلب أهل الكهف

قـال الله تعالـى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[الإسراء: ٨٥] قيـل: إن أحد العلمـاء، ويقـال له: مقاتل بـن سليمان دخله أبهـة وغرور في علمـه، فقال يومًا: سلـوني عما تحت العرش إلـى أسفل الثرى، فقام إليه رجل من المجلس، وقال له: نسألك عما دون ذلك بكثير في كهف من الأرض، ذكره الله في كتابه، أخبرني عن كلب أهل الكهف ما لونه؟ لم يجد له جوابًا.

٣٩٤ اصنع ما شئت

قال الأصمعي: حدثني رجل من أهل البادية، قال: رأيت امرأة من قومي في وهدة من الأرض، قد ضربت عليها خباء من شعر، وبين يدي الخباء بستان لها صغير، فيه زرع إذ غيمت السماء، فأرعدت وأبرقت، ثم جاء برد، فأهلك الزرع، ثم إن السماء سكنت بعد قليل، فأخرجت المرأة رأسها من الخباء، لترى فإذا بكل شيء قد ذهب، فرفعت رأسها إلى السماء قائلة: يا رب، اصنع ما شئت، فرزقي عليك لا على الزرع.

٣٩٥ محا الله الحشيش

قال أحد الشعراء يذم شجرة الحشيش الضارة بالنفس والمال والمجتمع، وهو الشاعر أحمد بن الثقفي:

محا اللهُ الحشيشَ وآكليها ... لقدْ خبثتْ كما خبث السلاف
كما تُصبي كذا تُضني وتشقَى ... لآكلِها وغايتُها انحرافُ
وأصغرُ دائها والداءُ جمٌّ ... بغاءٌ أو جنونٌ أو نشافُ

والسلاف نوع من الفاكهة، والنشاف نشوف المخ لمتعاطيها.

٣٩٦ شجاعة عالم

كان العالم سعيد بن جبير أحد الذين قتلهم الحجاج بن يوسف، جازاه الله بما هو أهل له، وما أعظم هذا الشيخ الذي يستهزئ بالموت وهو يراه عيانًا، ولا يستعمل التقية، بل أخذ بالعزيمة، وواجه الطغيان، ليكون مثالًا لكل من يحمل

أمانـة العلم. قـال الحجاج: ما اسمك؟ قـال: سعيد بن جبير، قـال الحجاح: بل أنت شقي بن كسير، قال سعيد: أبي وأمي أعلم باسمي منك، قال الحجاج: شقي أبوك وأمك، وشقيت أنت، قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك، قال الحجاج: لأبدلنّك بالدنيـا نـارًا تلظـى، قـال سعيد: لو علمـت أن ذلك بيـدك لاتخذتـك إلهًا، قال الحجـاح: فما قولك في محمد؟ قـال سعيد: نبي الرحمة، وإمام الهدى. قال: فما قولـك في علي أهو في الجنـة أم هو في النار؟ قال سعيد: لو دخلتها لعرفت أهلها، قال الحجاج: فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل، قال الحجاج: أيهـم أعجـب إليك؟ قال سعيـد: أرضاهم لخالقي، قال الحجـاج: فأيهم أرضى للخالـق؟ قال سعيـد: علم ذلك عند الذي يعلم سرهـم ونجواهم، قال الحجاج: اصدقنـي، قال سعيـد: لا أحب، ومع ذلك لا أكذبك، قال الحجاج: لمَ لا تضحك؟ قـال سعيد: وكيف يضحك مخلوق من طين، والطين تأكلـه النار؟! قال الحجاج: فما بالنا نضحك؟! قال سعيد: لم تستوِ القلوب.

لم يستطع الحجاج إخضاع العالم بالإرهاب، فبدأ بالترغيب، فأمر الحجاج بالأمـوال، فطرحت بين يديه، فقال سعيـد: إن كنت جمعت هذا لتقي به فزع يوم القيامة فصالح، وإن غير ذلك ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء للدنيا إلا ما طاب وزكا، ثم قال الحجاج: ويلك يا سعيد، قال سعيد: لا ويل لمن زحزح عن النار، وأدخل الجنة، قال الحجاج: اختر أي قتلة تريد؟ قال: اخـتر أنت لنفسك، فوالله لا تقتلني في الدنيا إلا قتلك الله مثلها في الآخرة، قال: أتريد العفو؟ قال: إن كان من الله، وإلا منك فلا براءة لك.

قـال الحجاج بصوت غاضب: اذهبوا به، فاقتلوه! فضحك الشيخ، قال: قف ما الذي أضحكك؟ قال: حلم الله عليك، فأمر بسعيد للذبح، فقال: وجهت وجهي للـذي فطر السماوات والأرض حنيفًـا وما أنا من المشركين، قال الحجاج: وجهوه لغير القبلة، قال الشيخ: فأينما تولوا فثم وجه الله، قال الحجاج: كبوه على وجهه، قـال سعيد: منها خلقناكم، وفيها نعيدكم، ومنهـا نخرجكم تارة أخرى، فذبحوه

وهـو ينطق بالشهادة، ويدعو على الحجاج، ألا يسلطه على أحد بعده، واستجيبت دعوتـه، فأصيب الطاغيـة بالسرطان، ويسمى في ذلك الوقـت الأكلة، فمات بعد قتل سعيد بخمسة عشر يومًا.

أقول:

إيـاك إياك أن تحب هذا الرجل أو تدافـع عنه، فهو صفحة سوداء في تاريخ المسلمـين، وقال عنه عمر بن عبد العزيـز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لو تخابثت الأمم يوم القيامة، وقيـل: كل أمة تخرج أخبـث ما فيها، وأخرجنا الحجـاج لغلبناهم. وحكاية كلمة التاريخ خرافة، لماذا لم يظلم التاريخ الخلفاء الراشدين؟ ولماذا لم يظلم التاريخ عمـر بـن عبد العزيز وصـلاح الديـن وآلاف الصالحين مـن ولاة وعلماء؟ وعلى المسلـم أن يكـره بقلبه مثل هذه الشخصية؛ لأن الرسـول الكريم يقول: «**المرء مع من أحب يوم القيامة**»[1] في حديث مشهور، ولنا تعليق على بعض فقرات الحوار، وهـو أن علـي بن أبـي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الجنة، حيـث شهد له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع العشـرة المبشرين بالجنة. وكذلـك الضحك يجوز لكل مسلـم، بشرط ألّا يخرج عـن حدود الوقار، حيث تكـره القهقهة، وكذلك حمـزة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ سيد الشهداء، والحسـن والحسين سيـدا شباب أهل الجنة بالجنـة، وأمهات المؤمنين رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُنَّ وعكاشـة بـن محصـن، وحنظلة غسيل الملائكـة، وشهداء بدر، بـل كل من شهد معركـة بدر، وهم ثلاث مئة وأربعة عشر صحابيًّا، وكذلك شهداء أحد، ومصعب ابن عمير، ألحقنا الله بهم وجميع إخواننا من المسلمين أجمعين.

٣٩٧ عقيل وبناته

قيـل لعقيل بن علقمـة: لمَ لا تزوج بناتك، فإن النساء لحم على عظم؟ قال: كلا، إني أجيعهـن، فـلا يأشِـرن، وأعريهن، فلا يظهرن. فوافقـت إحدى كلمتيه قـول النبـي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووافقت الأخرى قـول عمر بن الخطـاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ لأن

(١) أخرجه البخاري (٣٩/٨ رقم٦١٦٨)، ومسلم (٢٠٣٤/٤ رقم٢٦٤٠).

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصوم وِجاء**»[1]، وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: استعينوا عليهن بالعرى[2]؛ لأن الثياب هي المدعاة إلى الخروج في الأعراس، والقيام في المناحات، والظهور في الأعياد، ومتى كثر خروجها لم يعدمها أن ترى من هو من شكل طبعها، ولو كان بعلها أتم حسنًا منه.

ولكن كما قال:

وللعينِ ملهى بالتلادِ ولم يقدْ هوى النفسِ شيءٌ كاقتيادِ الطرائف

٣٩٨ فضل الكتاب

قال أبوعبيدة: قال المهلب لبنيه في وصيته: يا بنى، لا تقوموا في الأسواق إلا على وراق؛ أي بائع الكتب، أو زراد وهو صانع السلاح. وقال أحدهم: مرت عليّ أربعون سنة ما قلت ولا بت ولا اتكأت إلا والكتاب موضوع على صدري.

وقال ابن الجهم: إذا استحسنت الكتاب، واستجدته، ورجوت منه الفائدة، ورأيت ذلك فيه، فلو تراني وأنا ساعة بعد ساعة أنظر كم بقي من ورقة؛ مخافة استنفاده وانقطاع المادة من قبله، وإذا أكثر ورقه تم عيشي.

٣٩٩ النساء في القلوب

قال الجاحظ: حدثني محمد بن عباد قال: سمعت الصابي يقول، وجرى ذكر النساء، ومحلهن من قلوب الرجال، حتى زعموا أن الرجال كلما كان عليهن أحرص كان ذلك أدل على تمام الفحولة فيه، وكان أذهب له في الناحية التي هي

---

(١) أخرجه البخاري (٣/٧ رقم٥٠٦٥)، ومسلم (١٠١٨/٢ رقم١٤٠٠).

(٢) حديث: استعينوا عليهن بالعري. فيه إسماعيل بن عباد هالك، عن ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس. انظر: تلخيص كتاب الموضوعات لابن الجوزي، تأليف: الإمام الذهبي (ص٢٣٨).

مــن خلقته ومعناه وطبعه، إذ كان قد جُعل رجلًا ، ولم يجعل امرأة. قال الصابي: ألستم تعلمون أني قد أربيت على المئة، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهن الكبر وموت الشهوة، قد أمات حنينه إلى النساء؟ قلنا: صدقت، قال: وينبغي أن يكون من لم يــذق طعم الخلوة بهن، ولم يجالسهن متبذلات، ولم يسمع حديثهن وخلابتهن للقلوب، ولم يرَهن عاريات مع طول الترك، ألا يكون بقي معه من دواعيهن شيء؟ قــال: قلنــا: صدقت، قال: وينبغي أن يكون لمن قد علم أنه مجبوب يعني مخصيًّا، وأن سببــه وداعي خلاطهن محسوم أن يكون اليأسـ من أمتن أسبابه إلى الزهد والسلوة. قال: قلنا: صدقت، قال: وينبغي لمن سخت نفسه عن السكن وعن الولد، وأن يكون مذكورًا بالعقب الصالح أن يكون قد نسي هذا الباب إن كان قد مر منه على ذكر تعلمون أني سلمت عيني يوم خصيت نفسي، ونسيت كبقية الصور، أفما كان مــن كان كذلك حريًّا تكن نفسه مشغولة بالباب الذي احتمل له هذه المكاره؟ قال: قلنا: صدقت، قال: فإني بعد جميع ما ذكرت لكم لأسمع نغمة المرأة، فأظن مــرة كبدي قد ذابت، وأظن مرة أنها قــد انصدعت، وربما اضطرب فؤادي عند ضحك إحداهن، حتى أظن أنه قد خرج من فمي، فكيف ألوم عليهن غيري؟!

فنقــول: هــذا كلامه، وقــد تجاوز المئة، فكيــف حاله يوم كانــت سنه ما بين العشرين والثلاثين؟ وما ظنك به قبل الخصاء؟ الله أرحم بعباده من أن يكلفهم هجران شيء وصله بقلوبهم، وأكده هذا التأكيد.

٤٠٠ جواب السؤال

ســأل عمر بــن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلًا عــن شيء؟ فقــال: الله أعلم. فقال عمــر: قد خزينا إن كنا لا نعلــم أن الله أعلم. إذا سئل أحدكم عن شيء فإن كان يعلمه قاله، وإن كان لا يعلمه قال: لا علم لي بذلك.

٤٠١ زواج الجن بالإنس

زعمـوا أن النـكاح قد يقع بين الجـن والإنس؛ لقولـه تعالـى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِي ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤]، وذلـك أن الجنيـات إنمـا تعرضـ لصـرع رجال الإنسـ علـى جهة العشـق وطلب السفـاد، وكذلك رجال الجن لنسـاء بني آدم، ولولا ذلك لعرض الرجال للرجال والنساء للنساء، ومن زعم أن الصرع من المرة (الأعصاب) ردَّ قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وقولـه تعالـى: ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٥٦] فلو كان الجان لا يفتض الآدميات، ولم يكن ذلك قط، وليس ذلك في تركيبه، لما قال الله هذا القول.

٤٠٢ عفة عمر بن أبي ربيعة

قدمت امرأة إلـى مكة، وكانت ذات جمال وعفاف وبراعة وشارة، فأعجبت ابن أبي ربيعـة، فأرسل إليها، فخافت من شعره وتغزله، فلما أراد الطواف قالت لأخيهـا: اخرج معي. وعرض لهـا عمر، فلما رأى أخاها أعرضـ عنها، فأنشدت قول جرير:

تَعدو الذئابُ على مَنْ لا كلابَ له   وتتقي حوزةَ المستأسدِ الضاري

وأما عمر فأقسم ذات يوم حين لامه عبدالله بن عمر إنه لم يحل إزاره على حـرام قط. وقد قيل: إنه ولد يوم مات عمـر بن الخطاب، فقيل: رفع حق، ووضع باطل.

٤٠٣ خصال القائد

قال القائد الأموي العظيم نصر بن سيار الليثي: لا بد أن يكون في القائد العسكري عشر خصال من أخلاق الحيوان:

- سخاء الديك.
- وتحنن الدجاجة.
- وقلب الأسد.
- وحملة الأسد.
- وروغان الثعلب.
- وختل الذئب.
- وصبر الكلب على الجراح.
- وحذر الغراب.
- وحراسة الكركي.
- وهداية الحمام.

٤٠٤ نملة سليمان

قرأ إبراهيم بن سيار النظام قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾[النمل: ١٧-١٨].

فقال: كان ذلك الوادي معروفًا بوادي النمل، فكأنه كان حمى، وكيف ننكر أن يكون حمى، والنمل ربما أجلت أممًا عن بلادهم؟! ولقد قيل لأهل كسكر من بلاد فارس: شعيركم طيب، وأرزكم طيب، وغنمكم طيب، وبطكم طيب، ودجاجكم طيب، فلو كان لكم أعناب؟ فقالوا: كل أرض كثيرة النمل لا تصلح فيها الأعناب، ثم قرأ: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل:

١٨]فجعل تلك الجحور مساكن، والعرب تسميها كذلك، ثم قرأ: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾[النمل: ١٨] فجعلت من اسمه وعينه، وخصت القائد دون جنوده، ثم قالت: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾[النمل: ١٨] فكانوا معذورين وكنتم ملومين، وكان أشد عليكم، فلذلك قال: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا﴾[النمل: ١٩] لما رأى تسديد قولها وحسن تصرفها، فعند ذلك قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] أرأيت كيف أرجع الفضل في النصر إلى الله، وليس إليه، كما يفعل العسكريون العرب اليوم؟ يخطب أحدهم في الناس ساعات، لا يذكر إلا نفسه وروسيا وأمريكا وقوة السلاح، والنتيجة معروفة!

٤٠٥ يشتمه ويرضى

وفد جرير على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، فقال رجل يقال له الحضرمي: أيكم يشتمه؟ فقالوا: ما أحد يُقْدِمُ عليه. فقال: أنا أشتمه، ويرضى، ويضحك، قال: فقام إليه، فقال: أنت جرير؟ فقال: نعم، قال: فلا قرب الله دارك، ولا حيا مزارك يا كلب، يا خنزير، فجعل جرير ينتفخ، ثم عقب بقوله: رضيت في شرفك وفضلك وعفافك أن تهاجي القرد العاجز الفاجر الفرزدق؟ فرضي، وضحك.

٤٠٦ نفثات

قال سعيد بن صقر: نهش رجل من أهل البادية كثير المال، فكاد يموت، فأتاهم رجل، فقال: أنا أداويه، فما تعطوني؟ فشارطوه على ثلاثين درهمًا، فرقاه، وسقاه أشياء ببعض الأخلاط، فلما أفاق قال الراقي والمداوي: حقي؟ قال

الملــدوغ: وما حقه؟ قالوا: ثلاثون درهمًــا، قال: أعطيه من مالي ثلاثين درهمًا في نفثات نفثها وحمص سقاه؟ لا تعطوه شيئًا.

٤٠٧ صاحبة التنور

قال جويبر بن إسماعيل: حججت، فإني لفي رفقة مع قوم نزلوا ومعنا امرأة، فنامت فانتبهت وحية منطوية عليها قد جمعت رأسها مع ذنبها بين ثدييها، فهالنا ذلك، وارتحلنا، فلم تزل مطوية عليها لا تضرها بشيء حتى دخلنا حدود الحرم، فانسابــت، فدخلنا مكــة، فقضينا نسكنا، وانصرفنا، حتــى إذا كنا بالمكان الذي انطوت عليها فيه الحية، وهو المنزل الذي نزلناه نزلت فنامت، واستيقظت، فإذا الحية منطوية عليها، ثم صفرت الحية، فإذا الوادي يسيل حيات علينا، فنهشتها حتى خرج مخ عظامها، فماتت، فقلت لجارية كانت لها: ويحك! أخبرينا عن هذه المــرأة، قالت: زنت ثلاث مرات، كل مرة تأتي بولد، فإذا ولدته أوقدت التنور، ثم ألقته فيه.

٤٠٨ النعام يأكل الحجارة الحارة

قــال الجاحظ: أخــبرني إبراهيم النظام، وكنا لا نرتــاب بحديثه، أنه شهد محمــد بن عبدالله يلقي الحجر في النار، فإذا احمــر قذف به أمام ذكر النعام، فــإذا هو يبتلعه كمــا يبتلع الجمر، فقلت لــه: إن الجمر سريــع الانطفاء إذا لقي الرطوبــات، ومتــى أطبق عليه شيء يحــول بينه وبين الهواء خمــد، والجمر أشد إمســاكًا للحــرارة وأثقل ثقلًا، وألزق لزوقًا، فلو أحميــت الحجارة، فأحماها، ثم قذف بها إليه، فابتلع الأولى، فارتبت به، فلما ثنى وثلث اشتد تعجبي له، فقلت: لو أحميــت حديدًا، ففعل فابتلعه، فقلت: هذا أعجب من الأول والثاني، وبقينا ننظر

هل يستمرئ الحديـد والحجارة، أي تخرج من بطنه كالطعام؟ ولم يتركنا بعض السفهاء، فعمـد إلى سكين، فأحماه، ثم ألقاه إليه فابتلعه، فشق حلقه وخر ميتًا، فمنعنـا سفهه عمـا أردنا من النظر فيه بعد أيام، هل يخـرج منه ما أكل متحللًا أم لا؟

٤٠٩ لص فقيه

قال أحدهم: خرجت إلى حائطي خارج البلد، فلما بعدت عن البيوت تعرض لي رجل، فقال: اخلع ثيابك، فقلت: وما يدعوني إلى خلع ثيابي؟ قال: أنا أولى بها منك، قلت: من أين؟ قال: لأني أخوك، وأنا عريان، وأنت مكسٍ، قلت: فالمواساة، قـال: كلا، قـد لبستها برهـة، وأنا أريـد أن ألبسها كما لبستهـا، قلت: فتعريني، وتبدي عورتي؟ قال: لا بأس بذلك، قد روينا عن مالك أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عريانًا، قلت: فيلقاني الناس، فيرون عورتي، قال: لو كان الناس يرونك في هـذه الطريق ما عرضت لك فيها، فقلـت: أراك ظريفًا، فدعني حتى أمضي إلى حائطي أنزع هذه الثياب، فسأوجه بها إليك، قال: كلا، أردت أن توجه إليَّ أربعة مـن عبيـدك، فيحملوني إلى السلطان، فيمزق جلدي. قلـت: أحلف لك أيمانًا أن أوفي لـك بما وعدتك، ولا أسوءك، قال: كلا، إنا روينا عن مالك أنه قال: لا تلتزم الأيمان التي يُحلف بها للصوص، قلت: فأحلف إني لا أحتال في أيماني هذه. قال: كلا، هذه يمين مركبة على اللصوص، قلت: دع المناظرة، والله لأوجهنّ إليك هذه الثياب طيبة بها نفسي، فأطرق، ثم رفع رأسه، وقال: تدري فِيمَ فكرت؟ قلت: لا، قـال: تصفحت أمر اللصوص من عهد رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى وقتنا هذا، فلـم أجد لصًّا أخذ بنسيئـة، وأكره أن أبتدع في الإسـلام بدعة يكون عليَّ وزرها ووزر مـن عمل بها بعدي إلى يـوم القيامة، اخلع ثيابك، قـال: فخلعتها، ودفعتها إليه، فأخذها، وانصرف.

٤١٠ زيارة بالرؤيا

كان لنـا جار في بريـدة يقال له: حمد السليمان، الزيـد وكان خفيف الظل، سريـع الإجابة، حاضر النكتة، لا يمل جليسه من مجالسته، حدث يومًا أن طلبت منه زوجه أن يذهب بها إلى زيارة والدتها في بلدة الربيعية، ولكنه لم يلبِّ الطلب، وأخـره مرات عدة، وفي المرة الأخيرة وبعد إلحاح وافق على الذهاب بها، وأخذت في الاستعـداد، ثـم قالت لـه: رأيت والدتـي البارحة في المنام، فقـال على الفور: الحمـد لله، ارجعي إلى البيـت، فقد تمت الزيارة المطلوبة، ورؤية الحلم في المنام تكفي هذا الأسبوع. وأوقف الزيارة.

٤١١ غلبوه

قـال الجاحظ: مـا غلبني أحد قط إلا رجل وامـرأة، فأما الرجل فإني كنت مجتازًا في بعض الطرق، فإذا أنا برجل قصير بطين، كبير الهامة، طويل اللحية، عليـه إزار وبيـده مشـط، فاستحقرته، فقلـت: أيها الشيخ، قد قلـت فيك شعرًا، فترك المشط من يده، وقال: قل، فقلت:

كـأنـك صـعـوةٌ في أصـلِ حشٍّ ... أصـابَ الحشَّ طشٌّ بـعـدَ رشِّ

فقال لي: اسمع جواب ما قلت، فقلت هات، فقال:

كـأنـك كـنـدرٌ في ذنـبِ كبشٍ ... يـدلـدلُ هكذا والكبشُ يمشي

وأمـا المـرأة فكنت أمشـي في الطريق، فإذا أنـا أمرّ بامرأتين، وكنـت راكبًا على حمارة، فضرطت الحمارة، فقالت إحداهما للأخرى: وي حمارة الشيخ تضرط، فغاظني قولها، ثم قلت لها: إنه ما حملتني أنثى قط إلا وضرطت، فضربت بيدها على كتف الأخرى، وقالت: كانت أم هذا منه تسعة أشهر على جهد جهيد.

٤١٢ من بني أمية

كان أبوالحـارث يهـوى جارية يتعرسـ بطيفها، فشكا حالـه إلى محمد بن منصـور، فاشتراها له، وأنفذها إليه، فلم يساعده مـا معه عليها؛ أي لم يستطع نكاحهـا، فسألـه محمد بن منصـور، كيف كانت ليلتـك؟ قال: شـر ليلة صارت لقرشي من بني أمية، قال: كيف ذاك؟ قال: صار كما قال الأخطل:

شمسُ العداوةِ حتى يستقاد لهم وأعظمُ الناسِ أحلامًا إذا قدروا

يريد أنه قبل حصوله على الجارية في أشد حالات قوته واستعداده، ولما قدر عليها لم يمسها، ولم يستطع.

٤١٣ آكل البلبل

دخـل أبوالعجـب إلى دار المقتدر بـالله الخليفة العباسي، فـرأى خادمًا من خواصـه يبكـي على بلبل مـات، فقال له: ما عليـك أيها العزيـز، إن أحييته لك؟ فقـال: كل مـا تريد. وكان أبوالعجـب ذا حيل كثيرة، فأخذ البلبـل الميت، وأدخله في كمـه، وأدخـل رأسه، وأخـرج بعد ساعـة بلبلًا حيًّـا، فماجت الـدار، وعجب الحاضـرون، فاستدعـاه علي بن عيسى، وقـال: والله إن لم تصدقني عن حقيقة الأمـر لأضربن عنقك، فقال: إني شاهدت الخـادم يبكي على بلبله، فطمعت بما آخذه منه، فذهبت في الحال إلى السوق، واشتريت بلبلًا، وخبأته في كمي، وعدت إلـى الخادم، فقلت ما قلته، وأخذت البلبل الميت، وأدخلت رأسه في كمي، وأكلته، وأخرجت الحي، فلم يشك أنه بلبله، وانظر إلى رأس الميت.

٤١٤ أدهى من الثعلب

سئل الشعبي عن قولهم: إن القاضي شريح أدهى من الثعلب؟ فقال: خرج شريح أيام الطاعون إلى النجف، وكان إذا قام يصلي يجيء ثعلب، فيقف بجانبه، ويقلد حركاته، فيشغله عن صلاته، فلما طال ذلك عليه نزع قميصه، فجعله على عمود، وأخرج كميه، وجعل قلنسوته وعمامته عليه، فأقبل الثعلب، فوقف على عادته، فأتى شريح من خلفه بغتة، فلذلك قيل: هو أدهى من الثعلب.

٤١٥ لا تتخصص في العلم

قال سهل السجستاني: وفد علينا في الكوفة عامل من عمال الخليفة لم أرَ أبرع منه، فدخلت مُسلمًا عليه، فقال: يا سجستاني، من أعلم أهل البصرة؟ قال: قلت له: الزيادي أعلمنا بالأدب، والمازني أعلمنا بالنحو، وهلال الرأي أفقهنا، والشاذكوني أعلمنا بالحديث، وأنا رحمك الله أنسب إلى علم القرآن، وأبوالكلبي من أكتبنا للشروط، قال: فقال لكاتبه: اجمعهم لي غدًا، قال: فجمعنا، قال: أيكم المازني؟ قال: أبوعثمان ها أنذا يرحمك الله. قال: هل يجزئ في الظهار عتق عبد أعور؟ قال المازني: لست صاحب فقه أنا صاحب عربية، قال: يا زيادي، كيف تكتب بين زوج وامرأة خالعها زوجها على الثلث من صداقها؟ قال: ليس هذا علمي، هذا من علم هلال الرأي، قال: يا هلال، كم أسند ابن عن الحسن؟ قال: ليس هذا من علمي هذا من علم الشاذكوني، قال: يا شاذكوني، من قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [هود: ٥]؟ قال: ليس هذا من علمي، هذا من علم أبي حاتم، فقال: يا أبا حاتم، كيف تكتب كتابًا إلى أمير المؤمنين تصف فيه خصاصة أهل البصرة، وما أصاب ثمارهم، وتسأله لهم النظر؟ قال: لست - رحمك الله - بصاحب كتابة، أنا صاحب قرآن، قال: ما أقبح بالرجل يتعاطى العلم خمسين

سنــة لا يعــرف إلا فنًّا واحدًا، حتى إذا سئل عن غيره لم يجل فيه، ولم يمر ذهنه، لكن عالمنا بالكوفة الكسائي، لو سئل عن هذا كله لأجاب.

أقول:

إن شيخنــا العالم الجليل علي الطنطاوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ لو سئل عن هذا كله لأجاب، وقد جلس للسؤال في التلفاز السعودي أكثر من عشرين سنة، ولم يسأل عن شيء إلا وجد لديه منــه علم، فجزاه الله خير الجزاء، وغفر له الخطأ والزلل، وجمعنا وإياه مع الصالحين من عباده من النبيين والصديقيين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

٤١٦ كلهم شعراء

قيــل: إن رجلًا من بني تميم كانت له ابنة جميلة، وكان غيورًا، فابتنى له في داره صومعــة، وجعلها فيها، وزوجها من أكفائه من بني عمها، وإن فتى من كنانة مــر بالصومعة، فنظر إليها، ونظرت إليه، فاشتــد وجد كل منهما بصاحبه، ولم يمكنــه الوصول إليهــا، وأنه افتعل بيتًا من الشعر، ودعــا غلامًا من الحي، فعلمه البيــت، وقال له: ادخل هذه الدار، وانشد كأنــك لاعب، ولا ترفع رأسك، لا تومئ في ذلك إلى أحد، ففعل الغلام ما أمره به، وكان زوج الجارية قد همّ بالسفر بعد يوم أو يومين، فأنشد الغلام يقول:

لحى اللهُ مَنْ يلحى على الحبِّ أهله　　　ومَنْ يمنعُ النفسَ اللجوجَ هواها

قال: فسمعت الجارية، ففهمت، فقالت:

ألا إنَّمــا بــينَ الـتـفـرقِ لـيـلـةٌ　　　وتُعطى نفوسُ العاشقينَ مُناها

قال: فسمعت الأم، فأنشدت:

ألا إنّمــا تـعـنـونَ نـاقـةَ رحلِكم　　　فـمَـنْ كـانَ ذا نـوقٍ لَـديـه رَعـاهـا

قال: فسمع الأب، فقال:

فإنّا سنرعاها ونُوثقُ قيدَها　　　ونطردُ عنها الوحشَ حينَ أتاها

فسمع الزوج، فقال:

سمعتُ الذي قلتمْ وإنّي مطلقٌ　　　فتاتَكم مهجورةٌ لبلاها

ونقول: البيت الأول يخالف قول الحق، حيث قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠- ٤١].

٤١٧ اشكروا النعمة

قال ابن القصاب الصوفي البغدادي: دخلنا جماعة إلى المارستان، فرأينا فيه فتى مصابًا شديد الهوس، فولعنا به، وزدنا في الولع، فأتعبناه، فصاح، وقال: انظر إلى شعور مطرّرة وأجساد معطرة، قد جعلوا الولع بضاعة والسخف صناعة، جانبوا العلم رأسًا، فقلنا له: تحسن العلم، نسألك. فقال: إي والله، إني لأحسن علمًا جمًّا، فسلوني.

فقلت له: من السخي في الحقيقة؟ فقال: الذي رزق أمثالكم، وأنتم لا تساوون قوت يوم، فضحكنا، وقلنا: من أقل الناس شكرًا؟ قال: من عوفي من بلية، فرآها في غيره، فترك العبرة والشكر إلى الطنز واللهو، فكسر قلوبنا بذلك.

وقال له آخر: ما الظرف؟ قال: خلاف ما أنتم عليه، ثم بكى، وقال: يا ربّ، إن لم ترد عليَّ عقلي، فرد عليَّ يدي، لعلي كنت أصفع واحدًا من هؤلاء، فتركناه، وانصرفنا.

٤١٨ المسلم والطعام

المسلـم ينبغـي أن يأكل ليعيش، وليس العكس، وأن الطعـام عنده للصحة، وليس للذة، والأطعمة خلقت لنصح بها، وتصير مادة لحياتنا، فهي كالأدوية، ولكي نداوي بها الجوع والألم الحادث منه، فكما أن الدواء لا يستعمل للذة والشهوة، فكذلك الأطعمة لا ينبغي أن يتناول منها إلا ما يحفظ صحة البدن، ويدفع ألم الجوع، ويمنع من المرض، فلا يستعظم قدر الطعام إلا أهل الشره؛ لأنهم يأكلون منه بنهم فوق الحاجة، وأما المسلم الملتزم بتعاليم دينه، فيأخذ الطعام على أنه وسيلة، فلا يكثر من ألوانه؛ بل يقتصر على لون واحد، ولا يبدأ بالطعام قبل غيره، ولا يحدث به شديدًا، ولا يوالي بين اللقم، ولا يبتلعها حتى يمضغها جيدًا، ويؤثر غيره بما يليه، ويضبط شهوته، ويقتصر على الخبز فقط دون إدام في بعض الأيام؛ لأن هذا من الحزم والخشونة، فإن النعم لا تدوم، وينبغي أن تكون الوجبة الرئيسة آخر النهار؛ لأنه إن جعلها نصف النهار كسل ونام، وينبغي عدم أكل اللحوم يوميًّا فهو أنفع، والحلوى والفاكهة ينبغي أخذها في أوقات متباعدة؛ لأنها تكثر انحلال البدن، وتعوّد المسلم الشره، وإنما سميت الفاكهة؛ لأنها من التفكه والتندر.

٤١٩ علاج الحزن

الحزن هو ألم نفساني لفقد محبوب أو موت مطلوب، وسببه الحرص والشره، وإنما يحزن من يظن أن محبوبات هذه الدنيا ستبقى، ويظن أن كل طلب طلبه سيحصل له، فإذا أنصف نفسه، وعلم أن جميع ما في الكون فانٍ، وأن الباقي هو وجه الله والدار الآخرة، واقتصر طلبه وهمته على المحبوبات الباقية، وإذا أخذ من لذات دنياه ما يفي الحاجة والضرورة فقط، مثل دفع جوع وعري

والضـرورات المشابهة، وترك الناس المباهاة والفخر، فإنه إذا فارق هذه الأشياء أو فارقتـه لم يأسف عليهـا ولم يبالِ بها، فإنه إذا فعل ذلـك لم يجزع، وسيفرح، ولا يحـزن، وسيسعد، ولا يشقى، ومن لم يقبل هذه الوصية، ولم يعالج نفسه بهذا العلاج لم يزل في جزع دائم وحزن دائم، فإن من طمع في دوام الحال فهو طالب المحال، ومن طلب المحال لم يزل خائبًا، والخائب محزون، والمحزون شقي.

٤٢٠ لص وعجوز وكلب

قـال التنوخـي: حدثني لص تائب، قـال: دخلت مدينة فجعلـت أطلب شيئًا أسرقه، فوقعت عيني على صيرفي، فما زلت أحتال حتى سرقت كيسًا له وانسللت، فمـا جزت غير بعيـد، إذا أنا بعجوز معهـا كلب، قد وقعت علـى صدري تبوسني وتلزمنـي، وتقـول: يا بنـي، فديتك، والكلـب يبصبص، ويلوذ بـي، ووقف الناس ينظرون إلينا، وجعلت المرأة تقول: بالله انظروا إلى الكلب قد عرفه، فعجب الناس مـن ذلك، وتشككت أنـا في نفسي، وقلت: لعلها أرضعتني، وأنا لا أعرفها، وقالت: هيـا معي إلى البيت أقم عندي اليـوم، فلم تفارقني حتى مضيت معها إلى بيتها، وإذا عندهـا أحداث يشربون، وبين أيديهم من جميع الفواكه والرياحين، فرحبوا بي، وأجلسوني معهم، ورأيت لهم بزة حسنة، فوضعت عيني على العجوز، فجعلت أسقيهـم، وأرفـق بنفسي، إلى أن نامـوا، ونام كل من في الـدار، فقمت، وجمعت مـا عندهم، وذهبت أخرج، فوثب عليَّ الكلب وثبـة الأسد، وصاح، وجعل يترجع، حتـى انتبه كل نائم، فاستحييت ورجعت، فلما كان النهار فعلوا مثل فعلهم أمس، وفعلت أنا بهم مثل ذلك، وجعلت أوقع الحيلة في أمر الكلب إلى الليل، فما أمكنني فيـه حيلة، فلما ناموا رمـت مثل الذي رمته، فإذا الكلـب عارض بمثل ما عارض به، فجعلـت أحتال ثلاث ليالٍ، فلما أيئست طلبـت الخلاص منه بإذنهم، فقلت: أتأذنون لي، فإني على سفر؟ فقالوا: الأمر إلى العجوز، فاستأذنتها، فقالت: هات الـذي أخذته من الصـيرفي، وامضِ حيث شئت، ولا تقم في هـذه المدينة، فإنه لا

يتهيأ لأحد فيها معي عمل، فأخذت مني الكيس، وأخرجتني، وتمنيت السلام من يدها، وطلبت منها نفقة، فدفعت إليَّ، وخرجت معي حتى أخرجتني من المدينة، والكلب معها حتى جزت حدود المدينة، ووقفت، ومضيت، والكلب ورائي حتى بعدت، ثم تراجع، هو ينظر إليَّ ويلتفت، حتى غبت عنه.

٤٢١ ثوب الفرزدق

مرَّ الفرزدق الشاعر بامرأة، وعليه ثوب جميل، فتعرض لها، فقالت جاريتها: ما أحسن هذا الثوب! فقال: هل لك أن أقبل مولاتك، وأهب لها هذا الثوب؟ فقالت الجارية لمولاتها: ماذا يضرك من هذا الأعرابي الذي لا يعرفه الناس؟ فأذنت له، فقبلها، وأعطاها الثوب، ثم قال للجارية: اسقيني ماءً، فجاءته الجارية بماء في قدح زجاج، لما وضعته في يده ألقاه من يده فانكسر، فقعد الفرزدق مكانه إلى أن جاء صاحب الدار، فقال: يا أبا فراس، ألك حاجة؟ قال: لا، ولكني استسقيت من هذه الدار ماء، فأُتيت بقدح من زجاج، فوقع الإناء من يدي فانكسر، فأخذوا ثوبي رهنًا. فدخل الرجل، فشتم أهله، وقال: ردوا على الفرزدق برده!

٤٢٢ اختيار الصديق

إذا أردت مصادقة شخص، فيجب أن تعرف ماضيه في صباه مع والديه ومع إخوته وأقاربه وعشيرته، فإن كان صالحًا معهم فارجُ الصلاح منه وصادقه، وإلا ابعد منه، وإياك أن تقربه، ثم اعرف سيرته مع أصدقائه قبلك، فأضفها إلى سيرته مع إخوته وآبائه، ثم تتبع أمره في شكر من يجب عليه شكره أو كفره النعمة، ولست أعني الشكر المكافأة التي ربما عجز عنها بالفعل، ولكن ربما عطل نيته بالشكر، فلا يكافئ بما يستطيع وبما يقدر عليه، ويغتنم الجميل الذي

يســدي إليــه، ويراه حقًّا له أو يتكاسل عن شكره باللســان، وليس أحد يتعذر عليه نشــر النعمة التي تتولاه، والثناء على صاحبها، والاعتذار له بها، وليس شيء أشد احتياجًا للنقم من الكفر، وحسبك ما أعده الله لكافر نعمته من النقم، مع تعاليه عــن الاستضــرار بالكفر، ولا شــيء أجلب للنعمة، ولا أشد تثبيتًــا لها من الشكر، فحســب ما وعد الله الشاكرين مع استغنائه عن الشكر، فتعرف هذا الخلق ممن تريد مؤاخاته.

٤٢٣ خسر الثلاثة

قــال التنوخي: رأيت رجلًا من بني عقيل، وظهره كله شقوق، كأنها شرطات حجــام، فسألتــه عن ذلك؟ فقــال: هويت ابنة عم لي خطبتهــا، وقالوا بشرط أن يكون صداقها (الشبكة) فرسًا لبني بكر، فقبلت الشرط، وخرجت أحتال لأسرق الفرس من صاحبها، فأتيت الحي الذي فيه الفرس، فما زلت أدور حولهم، فمرة أجــيء إلى الخباء الذي فيــه الرجل كأني سائل، إلى أن عرفــت البيت الذي فيه الفرســ، ودخلت من خلفــه، فلما جاء الليل حضر صاحــب البيت، وقد أعدت له المــرأة العشاء، وجلســا يأكلان، وقد استحكمت الظلمــة، ولا مصباح لهم، وكنت جائعًا، فخرجت يدي، وأهويت إلى القصعة، فأكلت معهما، وأحس الرجل بيدي، فأنكرهــا فقبض عليهــا، فقبضت على يد المرأة، فقالت له المــرأة: ما لك ويدي؟ فظــن أنه قابض على يد امرأته، فخلى يدي، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي، فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: ما لك ويدي؟ فظن أنــه قابض على يد امرأته، فخلى يدي، فخليت يد المرأة، وأكلنا، ثم أنكرت المرأة يدي، فقبضت عليها، فقبضت على يد الرجل، فقال لها: ما لك ويدي؟ فخلت عن يدي، فخليت عن يده، وانقضى الطعام، واستلقى الرجل نائمًا، فلما استثقل وأنا أرقبهــم، وأرقب الفرس مقيدة في جانب البيت، والمفتاح تحت رأس المرأة، فوافى عبــد له أسود، فنبذ حصاة، فانتبهت المــرأة، فقامت إليه، وتركت المفتاح مكانه،

وخرجت من الخباء إلى ظاهر البيت، فإذا هو قد علاها، فأخذت أنا المفتاح، ففتحت القفل، وكان معي لجام، فألجمت الفرس، وركبتها، وخرجت عليها من الخباء، فقامت المرأة من تحت العبد، ودخلت الخباء، فصاحت، وفزع الحي، فأحسوا بي، وركبوا في طلبي، وأنا أكد الفرس، وخلفي خلق منهم، أصبحت وليس ورائي إلا فارس واحد برمح يلحقني، وقد طلعت الشمس، وأخذ يطعنني، فهذه آثار طعناته في جسدي، لا فرسه تلحقه بي حتى يتمكن من طعني، ولا فرسي تنجيني إلى حيث لا يمسني رمحه، حتى وصلنا إلى نهر عظيم، فصحت بالفرس فوثبت، وصاح هو بفرسه فقصرت ولم تثب، فلما رأيته عاجزًا عن العبور وقفت لأريح الفرس، وأستريح، فصاح بي، فأقبلت عليه بوجهي، فقال: يا هذا، أنا صاحب الفرس التي تحتك، وهذه ابنتها ردها عليَّ، واطلب مني ما تريد من المال والإبل، فقلت: إنها مهر لعروسي، ولولا ذلك لم أفجعك بها، قال: لا يخدعك أحد بها، فإنها تساوي عشر ديات؛ أي ألفًا من الإبل، وما طلبت عليها شيئًا إلا لحقته، ولا طلبت عليها إلا فتُّ، وسميت الشبكة؛ لأنها تصيد كالشبكة، قال: نصحتني، والله لأنصحنّك، فذكرت له ما صنع العبد مع زوجته وحيلتي بالفرس، ثم أطرق ساعة، ورفع رأسه، وقال: لا جزاك الله خيرًا، طلقت الزوجة، وأخذت الفرس، وقتلت العبد.

٤٢٤ جعل الخليفة يحلم

قال أحدهم للهيثم بن عدي: بأي شيء استحق سعيد بن عبدالرحمن أن ولاه المهدي القضاء، وأنزله هذه المنزلة الرفيعة؟ قال: إن خبر اتصاله بالخليفة المهدي ظريف، فإن أحببت شرحته لك، قلت: اشرح، قال: حين أفضت الخلافة إلى المهدي قال لحاجبه: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقال له الربيع: ويلك من أنت؟ وما حاجتك؟ قال: أنا رجل قد رأيت لأمير المؤمنين رؤيا صالحة، قال: الناس لا تصدق ما تراه، فكيف إذا رآه غيره، فاحتل بحيلة خير لك من هذه،

قــال: إن لم تخبره بمكاني سألــت أحدًا غيرك، فإذا وصلتــه أخبرته أني سألتك الإذن عليه، فلم تفعل، فدخل الربيع على المهدي، فقال له: يا أمير المؤمنين، إنكم أطمعتم الناس في أنفسكم، فاحتالوا لكم بكل ضرب.

قــال: هكذا تصنع الملوك، فما ذاك؟ قال: رجـل بالباب يزعم أنه رأى لأمير المؤمنين رؤيا حسنة، وقد أحب أن يقصها عليه، فقال له المهدي: يا ربيع، إني والله أرى الرؤيا لنفسي، فلا تصح، فكيف إذا ادعاها من لعله افتعلها؟ قال: والله قلت له ذلك، فلم يقبل، قال: أدخل الرجل، فأُدخل إليه سعيد بن عبدالرحمن، وكان له رؤية وجمال ولحية عظيمة ولسان، فقال له المهدي: هات بارك الله عليك ما رأيت. قــال: رأيت يا أمــير المؤمنين، آتيًا أتاني في منامي، فقــال لي: أخبر أمير المؤمنين المهدي أنه يعيش ثلاثين سنة في الخلافة، وآية ذلك أنه يرى في ليلته هذه في منامه كأنــه يقلــب يواقيت، ثم يعدها، فيجدها ثلاثين ياقوتــة، كأنها قد وهبت له، فقال المهــدي: ما أحسن ما رأيت! ونحن نمتحن رؤياك في ليلتنا المقبلة على ما أخبرتنا به، فإن كان الأمر كما تقول أعطيناك ما تريد، وإن كان خلاف ذلك عاقبناك.

قــال لــه سعيد: ما أصنــع يا أمير المؤمنــين، الساعة إذا ذهبــت إلى منزلي وعيــالي، وأخبرتهــم أننــي كنت عند أمــير المؤمنين، ثــم رجعت صفــرًا؟ قال له المهــدي: كيــف نعمل؟ قال: يعجل لي أمــير المؤمنين ما أحــب، وحلف له بالطلاق إني قــد صدقت، فأمر لــه بعشرة آلاف درهم، وأمــر أن يؤخذ منه كفيل يحضره مــن غد ذلك اليوم، فقبضــ المال، وقيل: من يكفلك؟ فمد عينيه إلى خادم حسن الوجــه والــزي، فقال: هذا، فقال الخليفــة: أتكفل؟ فاحمر وجهــه وخجل، وقال: نعم، وكفله وانصرف، فلما كان في تلك الليلة: رأى المهدي ما ذكره له سعيد حرفًا حرفًا، وأصبح سعيد في الباب، واستأذن له، فلما وقعت عليه عين المهدي، قال له مصــداق ما قلت لنا، قال له سعيــد: وما رأى أمير المؤمنين شيئًا؟ فتأخر الخليفة في الجــواب، فقــال سعيد: امرأتي طالــق إن لم تكن رأيت شيئًا. قــال له المهدي: ويحــك ما أجــرأك على الحلف بالطلاق! قــال: لأنني أحلف علــى صدق، قال له

المهـدي: فقد والله رأيت ذلك، فقال له سعيد: الله أكبر! فأنجز يا أمير المؤمنين، ما وعدتني، قال له: نعم، فأمر له بثلاثة آلاف دينار، وعشرة ثياب من كل صنف، وثلاثـة مراكب من أغلى الـدواب، فأخذ ذلك، وانصرف، فلحق به الخادم الذي كان كفـل بـه، وقال له: سألتك بالله هل كان لهذه الرؤيـا التي ذكرتها من أصل؟ قـال له سعيد: لا، والله، قال الخادم: كيف وقـد رأى أمير المؤمنين ما ذكرت له؟ قـال: هذه من المخاريق الكبار التي لا يأبه لهـا أمثالكم، وذلك أني لما ألقيت إليه هـذا الكلام، خطر بباله، وحدث به نفسه، وأسر به قلبه، وشغل به فكره، فساعة نـام خيـل إليه ما حل في قلبه، ومـا كان شغل به فكره في المنـام، قال له الخادم: وحلفـت بالطلاق؟ قال: طلقـت واحدة، وبقيت معي اثنتان، فـأرد في مهر عشرة دراهم، وأتخلص، وأتحصل على عشرة آلاف درهم، وثلاثة آلاف دينار، وعشرة تخـوت، وثلاثـة مراكب، قال: فبهت الخادم في وجهـي، وتعجب من ذلك، قال له سعيد: صدقتك، وجعلـت صدقي لك مكافأتك على كفالتك بي فأصر على ذلك، ففعل الخـادم، وطلبه المهـدي؛ أي سعيد لمنادمته، وحضر عنـده، وقلده القضاء على عسكر المهدي، فلم يزل كذلك حتى مات المهدي.

٤٢٥ احرص على قراءة القرآن

قـال الله تعالـى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [النحل: ٧٠] قـال المفسرون في تفسير الجلالين: والله خلقكم؛ أي لم تكونوا شيئًا قبلًا، ثم يتوفاكـم عنـد انقضاء آجالكم، ومنكم مـن يرد إلى أرذل العمـر؛ أي أخسّه من الهرم والخرف، قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة.

أقول:

الواقـع يشهد بصدق ذلـك، فقد زار أبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأنا في معيته صديق جدي عبـد الله الزمـام عبد الرحمن البطي مـن بلدتنا الربيعية، ووجدنـاه يتلو القرآن

الكريم في المسجد قبل وفاته بعدة شهور عام (١٤٠٢هـ)، وقد تجاوز المئة وخمس سنوات، وشد على يد الوالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعلى يدي والقرآن في يمينه يتلوه دون نظارات، أليس هذا دليلًا على صدق ما ذهب إليه المفسرون رحمهم الله؟!

٤٢٦ نعيمان وسويبط

قالت أم المؤمنين أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: خرج أبوبكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في تجارة إلى بصرى قبل موت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعام، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة، وكانا قد شهدا بدرًا، وكان نعيمان على الزاد، وكان سويبط رجلًا مزاحًا، فقال سويبط: أطعمني، قال: حتى يجيء أبوبكر، قال: لأغيظنك، قال: فمروا بقوم قال لهم سويبط: أتشترون مني عبدًا لي؟ قالوا: نعم، قال: إنه عبد له كلام، وهو قائل لكم: إني حر، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه، فلا تفسدوا عليَّ عبدي، قالوا: لا، بل نشتريه منك، قال: فاشتروه بعشر من الإبل، قال: ثم أتوه، فوضعوا في عنقه عمامة أو حبلًا، فقال نعيمان: إن هذا يستهزئ بكم، إني حر، ولست بعبد، فقالوا: أخبرنا بخبرك، فانطلقوا به يجرونه، فجاء أبوبكر فأخبره بذلك، فاتبع القوم، فردّ عليهم الإبل، وأخذ نعيمان، فلما قدموا على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأخبروه ضحك النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه منه حولا[1].

٤٢٧ وصف الجمال بالحمام

قال أبونواس:

نضَتْ عنها القميصَ لصَبّ ماءٍ ... فورّدَ وجهَها فرطُ الحياءِ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٢٢٥/٢ رقم٣٧١٩)، قال في مصباح الزجاجة (١١٥/٤): هذا إسناد ضعيف، رفعة بن صالح وإن أخرج له مسلم فإنما روى له مقرونًا بغيره، وقد ضعفه أحمد وابن معين وأبو حاتم وأبو زرعة وأبو داود والنسائي.

وقابلتِ النسيمَ وقد تعرّت بمعتدلٍ أرقَّ من الهواءِ
ومدّت راحةً كالماءِ منها إلى ماءٍ مُعدٍّ في إناءِ
فلمّا أن قضَتْ وطرًا وهمّتْ على عَجلٍ إلى أخذِ الرّداءِ
رأت شخصَ الرّقيبِ على التّداني فأسبلتِ الظلامَ على الضّياءِ
فغابَ الصبحُ منها تحتَ ليلٍ وظلّ الماءُ يقطرُ فوقَ ماءِ
فسبحانَ الإلهِ وقد براها كأحسنِ ما يكون من النّساءِ

٤٢٨ ما يحل للحكام من الأموال

قال الأحنف بن قيس: كنا جلوسًا بباب عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فمرت جارية، فقالوا: سرية أمير المؤمنين، فقال: ما هي لأمير المؤمنين بسرية، ولا تحل له، إنها من مال الله تعالى، قال: إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين: حلة للشتاء، وحلة للصيف، وما حج به وما اعتمر، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قريش، ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين. وقال خزيمة بن ثابت: كان عمر إذا استعمل عاملًا كتب له، واشترط عليه ألا يركب برذونًا، ولا يأكل نقيًّا، ولا يلبس رقيقًا، ولا يغلق بابه دون ذوي الحاجات، فإن فعل حلت عليه العقوبة.

٤٢٩ عقل سهيل بن عمرو

حضر باب عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وأبوسفيان بن حرب وعدد من وجوه قريش وأشياخها، وحضر صهيب وبلال وبعض الموالي الذين شهدوا بدرًا، فخرج إذن عمر لهؤلاء بلال وأصحابه، وترك سهيل وأصحابه، فقال أبوسفيان: لم أرَ كاليوم قط، يأذن لهؤلاء العبيد، ويتركنا على بابه، ولا يلتفت إلينا، فقال سهيل بن عمرو، وكان رجلًا حكيمًا

عاقـلًا خطيبًـا: أيها القـوم، إني والله قد أرى الذي في وجوهكـم، إنكم غضاب، فاغضبـوا على أنفسكم، دُعِيَ القـوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، فكيف بكم إذا دعـوا ليوم القيامـة، وتركتم؟ أما والله لما سبقوكم إليـه من الفضل مما لا ترون أشـد عليكم فوتًا من بابكم هذا الذي تنافستم عليه، وقام، ونفض ثوبه، وانطلق، وقال الحسن: صدق والله سهيل، لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبد أبطأ عنه.

٤٣٠ الطير والخليفة الراشد

روى الإمـام أحمـد عـن معـاذ بـن جبـل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: دخـل أبوبكـر الصديـق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حائطًا، وإذا بطير في ظل شجرة، فتنفس الصعداء، ثم قال: طوبى لك يا طـير، تأكل من الشجر، وتستظل بالشجر، وتصير إلى غير حساب، يا ليت أبا بكر مثلك[1]!

٤٣١ الغني والفقير

كتـب عمر بن عبدالعزيز رَحِمَهُ اللَّهُ إلى الجراح الحكمي: إن استطعت أن تدع ممـا أحل الله لـك ما يكون حاجزًا بينك وبين الحرام فافعـل، فإنه من استوعب الحـلال تاقـت نفسه إلـى الحـرام، والناس ثلاثـة أصنـاف: أغنيـاء، وفقراء، وأوساط، فالفقراء موتى إلا من أغناه الله بعز القناعة، والأغنياء سكارى إلا من عصمه الله بتوقع الغِيَر، والخير مع الأوساط، والشر مع أكثر الفقراء والأغنياء، لسخف الفقير وبطر الغني.

---

(١) أخرجـه ابـن أبي شيبـة في المصنف (١٣/ ٢٥٩ رقـم٣٥٥٧٣)، والبيهقي في شعب الإيمـان (٢/ ٢٢٧-٢٢٨ رقم٧٦٨)، عن الضحاك. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق عن الحسن البصري (٣٠/ ٣٣٠-٣٣١).

٤٣٢ يوم لك ويوم عليك

عـن محمد بن الأشعث قال: إن لكل شـيء دولة، حتى إن للحمق على الحلم دولـة، وعن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: لكل شيء دولة تصيبه، فللأشراف علـى الصعاليـك دولة، ثم للصعاليـك وسفلة الناس في آخـر الزمان دولة، حتى يـدال لهـم على أشراف الناس، فـإذا كان ذلك فرويدك والدجـال، ثم الساعة، والساعة أدهى وأمر.

٤٣٣ الاستغناء عن الخلق بالخالق

يروى من حديث سهل بن سعد مرفوعًا: «**شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس**»(١)، وقال الحسن: لا تزال كريمًا على الناس، ولا يزال الناس يكرمونـك مـا لم تطلب ما في أيديهم؛ فـإذا فعلت ذلك استخفـوا بك، وكرهوك وأبغضـوك، وكان عمـر في خطبته على المنـبر يقول: إن الطمع فقـر، وإن اليأس غنى، وإن الإنسان إذا يئس من شيء استغنى عنه.

٤٣٤ كرامات بعض الصالحين

كان خبيب بن عدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أسيرًا عند المشركين بمكة، فكانوا يرون عنده العنـب، وما على وجـه الأرض يومئذ عنب، وخرجـت أم أيمن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مهاجرة ليس معها ماء ولا زاد، فكادت تموت من العطش وكانت صائمة، فلما جاء وقت الفطر سمعت حسًّا على رأسها فرفعته، فإذا دلو به ماء أبيض معلق، فشربت منه

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/١٢٥ رقم١٠٠٥٨)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/٣٣٠ رقم٨٣١).

حتى رويت، فما عطشت بقية عمرها. وهذا البراء بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا أقسم على الله أبر قسمه، فكانت الحرب إذا اشتدت على المسلمين في الجهاد، يقولون: يا براء، أقسم على ربك، فيقول: يا ربي، أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم. وأبومسلم الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ألقاه الأسود العنسي كذاب نجران في النار، فأخذ يصلي فيها، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا، وقال له عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد ذلك: الحمد لله الذي جعل من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من فعل به ما فعل بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان عامر بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يأخذ عصاه وفي كمه ألف درهم، وما يلقاه سائل إلا أعطاه بغير عدد، ثم يجيء إلى بيته، فلم يتغير عددها ووزنها. وهناك الكثير، ولكن خشية الإطالة عليك تركتها.

٤٣٥ رأس مالك عمرك

قال الشيخ محمد الغزالي رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه (خلق المسلم) ص: ٢٤٦.

إن عمرك رأس مالك الضخم، ولسوف تسأل عن إنفاقك منه وتصرفك فيه، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيمَ أفناه، وعن شبابه فيمَ أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل فيه**»[1] رواه الترمذي.

والإسلام نظر إلى قيمة الوقت في كثير من أوامره ونواهيه، فعندما جعل الإعراض عن اللغو من معالم الإيمان كان حكيمًا في محاربة طرائف المتبطلين، الذين ينادي بعضهم بعضًا: تعالَ نقتل الوقت بشيء من التسلية، وما درى الحمقى أن هذا لعب بالعمر، وأن قتل الوقت على هذا النحو إهلاك للفرد وإضاعة للجماعة.

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٦١٢ رقم٢٤١٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

بـودي أن أسترسـل مع هذا الشيخ، ولكن عـذري أن طريقي في هذا المؤلف الاقتطاف والنوادر، فاقرؤوا له، وادعوا معي له بأحسن الدعاء.

٤٣٦ في خده خال

دخـل رجل على المعتضد، فقال: يا أمير المؤمنـين، إن فلانًا العامل ظلمني، قـال: ومـن فـلان؟ قـال: والله لا أدري ما اسمـه، ولكن في خده الأيمـن خال، أو ثؤلـول، أو أثـر لطم، أو أثر حرق نار، أو أثـر مسمار في خده الأيسر، وكان له مرة غـلام يقال له: جريـر أو نجـم، إلا أن في اسمه طاء أو لامًـا، فضحك المعتضد، وقـال: كأنه موسوس، قال: سلنـي عما شئت حتى أجيبك، قـال: كم أصبعًا لك؟ قـال: ثلاثة أرجل، فأمـر بإخراجه، فقال: ما أقول لبنتـي إذا دخلت، وقد فتحت حجرهـا لأطرح فيـه الجوز يوم العيد؟ فأمـر المعتضد أن يحمل معـه إلى منزله طعام وجائزة.

٤٣٧ نهى النفس عن الهوى

قـال ابـن حزم: حدثني من أثق بـه، قال: رأيت شابًا حسـن الوجه من أهل قرطبة، تعبد ورفض الدنيا، وكان له أخ في الله قد سقطت بينهما مؤونة التحفظ، فـزاره ذات ليلة، وعزم علـى المبيت عنده، فعرضت لصاحـب المنزل حاجة إلى بعض معارفه بالبعد عن منزله، فنهض لها على أن ينصرف مسرعًا، ونزل الشاب في داره مع امرأته، وكانت غاية في الحسن وفي سن الضيف في الصبا، فأطال رب المنـزل المقام إلى أن مشى العسس، ولم يمكنه الانصراف إلى منزله، فلما علمت المرأة بفوات الوقت، وأن زوجها لا يمكنه المجيء تلك الليلة تاقت نفسها إلى ذلك الفتـى، فبرزت إليه، ودعتـه إلى نفسها، ولا ثالث لهما إلا الله عَزَّوَجَلَّ فهمَّ بها، ثم ثاب إليه عقله، وقرب أصبعه للسراج، فكوى نفسه في النار، وقال مخاطبًا نفسه:

ذوقـي هذا، وأين هذا من نـار جهنم؟ فهال المرأة ما رأت، ثـم عاودته، فعاودته الشهـوة المركبة في الإنسان، فعاد إلى الفعلـة الأولى، فانبلج الصباح وسبابته قد حطمتها النار.

٤٣٨ جارية بين حبيبين

بـاع رجل أندلسي جاريـة كان يجد بها وجدًا شديدًا لفاقـة أصابته من رجل من أهل ذلك البلد، ولم يظن بائعها أن نفسه تتبعها ذلك التتبع، فما إن حلت عند المشـتري حتى كادت نفس الأندلسـي تخرج، فأتى إلى الـذي ابتاعها منه، وحكمه في مالـه وفي نفسـه على أن يردها عليه، فأبى عليه، فتحمل بأهل البلد، فلم يسعف منهـم أحد، فـكاد عقله يذهب، ورأى أن يتصدى على الملـك، فتعرض إليه وصاح، فسمعـه فأمـر بإدخاله، والملك قاعـد في شرفة، فلما مثل بين يديـه أخبره بقصته واسترحمـه، فرقَّ له، وأمـر بإحضار الرجل المشتري، فقال لـه: هذا رجل غريب، وهو كما تراه وأنا شفيعه، فأبى الرجل، وقال: أنا أشد منه كلفة ومحبة، وأخشى لو صرفتها إليه أن آتيك غدًا أستشفعك، فعرض عليه الملك الأموال، فأبى ولجّ واعتذر بمحبته لها، فلما طال الجدل لم يرَ منه لينًا، فقال الملك للأندلسي: يا هذا، ما لك بيـدي أكثر مما تـرى، فاصبر على ما قضى الله عليك، قال الأندلسي: ما لي إليها وصل؟! قال الملك: لا أستطيع نزعها إلا بالترغيب فقط، وقد فعلت ما رأيت.

فلمـا يئس الأندلسـي قفز من الشرفة إلـى الأرض، فارتـاع الملك، وصرخ، فابتـدره الغلمان مـن أسفل ولم يصب بـأذى، فصعد به إلى الملـك، وقال له: ما حملـك علـى ما صنعت؟ قال: أيهـا الملك، لا سبيل إلى الحيـاة بعدها، ثم همّ أن يرمـي نفسه ثانية فمنع، فقـال الملك: الله أكبر قد ظهر وجـه الحق، والحكم في هـذه المسألة، ثم التفت إلى المشتري، وقال: يا هذا، إنك ذكرت أنك أودّ لها منه، وتخـاف أن تصير في مثل حالـه، فقال: نعم، قال: فإن صاحبك هذا أبدى عنوان

محبته، وقذف بنفسه يريد الموت، لولا أن الله عَزَّوَجَلَّ وقاه، فأنت قم وصحح حبك وارم نفسك، كما فعل صاحبك، فإن مت فبأجلك، وإن عشت كنت أولى بالجارية، إذ هي في يديك، ويمضي صاحبك عنك، وإن أبيت نزعت الجارية منك رغمًا، ودفعتها إليه، فتمنع ثم قال: سأرمي بنفسي، فلما قرب من الباب، ونظر إلى الهوي تحته، رجع القهقرى، فقال له الملك: هو والله ما قلت، فهمّ ثم رجع، فلما لم يقدم، قال له الملك: لا تتلاعب بنا، يا غلمان، خذوا بيديه، وارموه إلى الأرض، فلما رأى العزيمة قال: أيها الملك، قد طابت نفسي بالجارية، فقال: جزاك الله خيرًا، فأجازه، ودفعها إلى صاحبها.

٤٣٩ الصدق والكذب

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢- ٣] وسئل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: هل يكون المؤمن بخيلًا؟ قال: «**نعم**»، قيل: فهل يكون المؤمن جبانًا؟ فقال: «**نعم**»، قيل: فهل يكون المؤمن كذابًا؟ قال: «**لا**»[(١)].

وروي أنه أتاه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ رجل، فقال: يا رسول الله، إني أستهتر بثلاث: الخمر، والزنا، والكذب. فمرني أيها أترك؟ قال: «**اترك الكذب**». فذهب منه، ثم أراد الزنا، ففكر، فقال: آتي رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فيسألني أزنيت؟ فإن قلت: نعم، حدّني، وإن قلت: لا، نقضت العهد وكذبت، فتركه، ثم كذلك في الخمر، فعاد إلى رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، إني تركت الجميع[(٢)].

---

(١) أخرجه مالك مرسلا (٢/ ٩٩٠ رقم١٧٩٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٤٥٦ رقم٤٤٧٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢/ ١٣٨ رقم١٧٥٢).

(٢) لم أجده في أي من كتب السنة، وعثرت عليه عند ابن حزم في طوق الحمامة (ص١٧٥)، وصدره بلفظة التضعيف: رُوِيَ. فهو ضعيف إن لم يكن موضوعًا، فليس عليه من نور النبوة شيء، والله أعلم.

أرأيت يا أخي، أن الكذب أصل كل فاحشة، وجامع كل سوء، وجالب لمقت الله، وما رأيت أخزى من كذاب، والكفر أشد أنواع الكذب، فهو كذب على الله تعالى، والله الحق، وهو يحب الحق، وبالحق قامت السماوات والأرض.

٤٤٠ إكرام الناس

لا يعجبك إكرام من يكرمك لمنزلة أو سلطان، فإن السلطان أوشك أمور الدنيا زوالًا، ولا يعجبك إكرام من يكرمك للمال، فإنه هو الذي يتلو السلطان في سرعة الزوال، ولا يعجبنك إكرامهم إياك للنسب، فإن الأنساب أقل مناقب الخير غناءً عن أهلها في الدين والدنيا، ولكن إذا أكرمت على دين أو مروءة فذلك فليعجب، فإن المروءة لا تزايل؛ أي لا تفارقك في الدنيا، وإن الدين لا يفارقك في الآخرة.

٤٤١ المواهب

الدين أفضل المواهب التي وصلت من الله إلى خلقه، وأعظمها منفعة، وأحمدها في كل حكمة، فقد بلغ فضل الدين والحكمة: أن مُدحا على ألسنة الجهال على جهالتهم بها وعماهم عنها، والمقصود بالدين هو التدين الذي قال عنه الفضيل بن عياض: شرط قبول العمل أن يكون خالصًا من الرياء وصوابًا على الكتاب والسنة (أخلصه وأصوبه).

٤٤٢ التوبة وأقوال للعارفين

قال أبوالحسن الشاذلي: ربَّ معصية أورثت ذلًّا وانكسارًا خير من طاعة أورثت عجبًا واستكبارًا. ويقول عروة بن الزبير: إذا رأيت الرجل يعمل السيئة

فاعلم أن لها عنده أخوات، وإذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها عنده أخوات.

ويقول إبراهيم النخعي: ما أحسب أحدًا تفرغ لعيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه.

ويقول يحيى بن كثير: لا تعجب ممن هلك كيف هلك، ولكن اعجب من نجا كيف نجا، فالناس والذنوب والشهوات مثلهم مثل قافلة في أرض عزلاء، قابلها مئات الأسود والنمور، وانقضّت عليها، ففي هذه الحالة إذا سلم ونجا من القافلة شيء فذلك العجب. ويقول الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا آمن مكر الله، ولو كانت إحدى رجلي في الجنة. قال أحدهم: ليس هناك ذنب يقول الله له: لا أغفرك. إلا ذنبًا واحدًا، وهو الشرك به سبحانه، وتلا قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. وقال بلال بن سعيد: إن لكم ربًّا ليس إلى عقاب أحدكم بمسارع، يقيل العثرة، ويقبل التوبة، يثيب المقبل إليه، ويشفق على المدبر عنه. وسئل الجنيد عن الشكر؟ فقال: ألا يستعان بشيء من نعم الله على معصيته. وقال سميط بن عجلان: رأس مال المؤمن دينه، لا يخلفه في الرجال، ولا يأمن عليه الرجال. ويقول بكر المزني: لأن أعافى فأشكر، خير من أن أبتلى فأصبر. ويقول الحسن البصري: والله لقد أدركت سبعين بدريًّا ممن شهدوا غزوة بدر، أكثر لباسهم الصوف، لو رأيتموهم لقلتم: مجانين، ولو رآكم خيارهم لقالوا: ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب، ولقد رأيت أقوامًا كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه، يمسي أحدهم وما يملك إلا قوتًا، فيقول: لأجعلن بعضه في سبيل الله!

٤٤٣ الناس والمال

يقول سميط بن عجلان: اثنان معذبان في الدنيا: رجل أُعطي الدنيا فهو مشغول بها، وفقير زُويت عنه فنفسه تتقطع عليها حسرات. ويقول مالك بن

دينار: كن ملكًا في الدنيا والآخرة، قيل: كيف ذلك؟ قال: ازهد في الدنيا، وارغب في الآخـرة تكـن كذلـك. وإبراهيم النخعي جـاءه أكثر من عشريـن ألف درهم، فتصـدق بهـا جميعًا، فيقـال له: لو ادخرت منهـا لولدك، فيقـول: لقد ادخرتها لنفسي، وادخـرت الله لولدي. واستجاب الله لحسن ظنه، فكان الثراء والسعادة في ولده.

٤٤٤ علم الشريعة والناس

قال ابن القيم: حاجة الناس إلى علم الفقه الإسلامي ضرورية فوق حاجتهم إلـى كل شيء، ولا نسبة إلى حاجتهم إلى علم الطب إليها، ألا ترى أن أكثر العالم يعيشـون بغير طبيـب، ولا يوجد طبيب إلا في بعض المدن؟ وأمـا أهل البدو، كلهم وأهل القرى الصغيرة وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبدانًا وأقـوى طبيعة ممن هـو متقيد بالطبيب، ولعل أعمارهـم متقاربة، وقد فطر الله بنـي آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفًا في استخـراج ما يهجم عليهم مـن الأدواء، حتى إن كثيرًا مـن أصول الطب إنما أخـذت عن تجارب الناس، وأمـا الشريعة فمبناها على تعريـف مواقع رضا الله وسخطـه في حركات العبـاد الاختيارية، فمبناها على الوحـي المحض، فهي فوق الحاجـة إلـى التنفس، فضلًا على الطعـام والشراب وموت البـدن وتعطل الروح عنـه، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة ففساد الروح والقلب جملة وهلاك البدن، شتـان بين هذا وهلاك البدن بالموت، فليس الناس قط إلى شيء أحوج منهم إلى معرفـة ما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقيام بـه والدعوة إليه والصبر عليه، وجهـاد مـن خرج عنه حتى يرجع إليـه، وليس للعالم صـلاح دون ذلك البتة، ولا سبيل للوصول إلى السعادة والفوز إلا بالعبور على هذا الجسم.

٤٤٥ في بيت الله

دخل أبومسلم الخولاني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ المسجد يومًا، فوجد قومًا مجتمعين، ففرح بهم، وأقبل عليهم ظانًّا أنهم يذكرون الله أو يتدارسون العلم، فلما دنا منهم إذا هم يلعنون ويهذرون، فنظر إليهم، وقال: يا سبحان الله! إنما مثلي ومثلكم كمثل رجل تعرض لمطر غزير، فالتفت، فإذا باب مفتوح، فقال: أدخل هذا البيت أحتمي به من المطر، فدخل فإذا البيت لا سقف له، لقد قصدتكم راجيًا أن يكون مجلسكم مجلس ذكر أو علم أنتفع به، فإذا هو مجلس دنيا في بيت الله.

٤٤٦ ثلاثة

قال ميمون بن مهران: ثلاثة حق المؤمن والكافر فيهن سواء: الأمانة تؤديها إلى من ائتمنك عليها من مسلم وكافر، والوالدان تبرهما مسلمين أو كافرين، والعهد تفي به لمن عاهدت مسلمًا أو كافرًا. ويقول ميمون لصاحب له: يا جعفر، قل لي في وجهي ما أكره، فإن الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له ما يكره.

٤٤٧ إن العصا قرعت لذي الحلم

يقال في الإشارة: تعطى لمن يفهمها، ويعمل بمقتضاها، وللمثل قصة طريفة: يقال: إن النعمان بن المنذر ملك الحيرة لقي شخصًا يدعى سعد بن مالك، ومعه خيل بعضها يقاد وبعضها تراها عارية بلا سروج أو لجام، فسأله النعمان عنها؟ فقال سعد: إني لم أقيد هذه لأمنعها، ولم أعر هذه لأضيعها (أي لأهبها). فسأل النعمان عن أرضه: هل أصابها غيث يحمد أثره، ويروي شجره؟ فقال سعد: أما المطر فغزير، وأما الورق فصغير، أما الهزيلة فساهرة، وأما الحازرة فشبعى نائمة. والحازرة: القوية من الماشية.

فأعجب النعمان بطلاقة لسانه وبلاغته، فقال النعمان: إنك لمفوّه، فإن شئت أتيتك بما تعجز عن جوابه، فقال: شئت إن لم يكن منك إفراط، فأمر النعمان وصيفًا، فلطمه ظنًّا منه أن سيتعدى في القول، فيقتله، ولذلك سأله: ما جواب هذه؟ فقال: لو نهى عن الأولى لم يعد للأخرى، فأمر النعمان، فلطمه الثالثة، وقال: ما جواب هذه؟ فقال: ملكت، فأسجح (أي أحمد كريم العفو)، فقال النعمان: أصبت فاقعد، فمكثت ما مكث، ثم بدا للنعمان أن يبعث برائد يرتاد له الكلأ، فبعث عمرو بن مالك أخا سعد، فأبطأ عليه فغضب وأقسم، لئن جاء حامدًا للكلأ أو ذامًّا ليقتله، فلما قدم عمرو دخل على النعمان وعنده الناس، وكان قد عرف ما أقسم به، قال سعد: أتأذن لي، فأكلمه؟ قال: إن كلمته قطعت لسانك، قال: فأشير إليه بعيني، قال: إذن أنزع حدقتك، قال: فأقرع له العصا، قال: اقرع، فتناول عصا من بعض جلسائه، فوضعها بين يديه، وأخذ عصاه التي كانت معه وأخوه قائم، فقرع بعصاه العصا الأخرى قرعة واحدة، فنظر إليه أخوه، ثم أومأ بالعصا نحوه، فعرف أنه يقول له: مكانك، ثم قرع العصا قرعة واحدة، ثم رفعها إلى السماء، ثم مسح عصاه بالأخرى، فعرف أنه يقول له: قل له لم أجد جدبًا، ثم قرع العصا مرارًا بطرف عصاه، ثم رفعها شيئًا، وعرف أنه يقول: ولا نباتًا، ثم قرع العصا فرفعها، وأقبل بها نحو النعمان، فعرف أنه يقول له: كلّمه، فأقبل عمرو بن مالك حتى وقف بين يدي النعمان، فقال له النعمان: هل حمدت خصبًا أو ذممت جدبًا؟ فقال له عمرو: لم أذمم جدبًا، ولم أحمد بقلًا، الأرض مشكلة لا خصبها يُعرف، ولا جدبها يُوصف، رائدها واقف، ومنكرها عارف، وآمنها خائف، فقال له النعمان: نجوت من الموت.

٤٤٨ يعوقني أبوك ويؤخرني

زار الصحابي الجليل حويطب بن عبدالعزى عامل المدينة زمن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وهو مروان بن الحكم، وفي أثناء الحديث سأله مروان بن

الحكـم: كم عمرك؟ فأخبره، فقال لـه مروان: لقد تأخر إسلامـك أيها الشيخ، حتـى سبقك الأحداث، فقال حويطـب: الله المستعان، والله لقد هممت بالإسلام غـير مـرة، كل ذلك يعوقنـي أبوك، يقول: تضـع شرفك، وتدع ديـن آبائك لدين محدث وتصير تابعًا؟ فأسكت مروان، وندم على ما كان، ثم عقَّب عليه حويطب: وما أخبرك عثمان ما لقي من أبيك حين أسلم؟ فازداد مروان غمًّا.

٤٤٩ لو صبروا لكان خيرًا

قـال الحسن البصري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أدركت عثمان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على ما نقموا عليه، قـلّ مـا يأتي علـى النـاس يوم إلا وهم يقتسمـون نفيه خيرًا، يقـال لهم: يا معشر المسلمين، اغـدوا على السمن والعسل، الأعطيات جاريـة، والأرزاق دارّة، والعدو متّـقٍ، وذات البين حسن، والخير كثير، وما من مؤمن يخاف مؤمنًا ومن لقيه فهو أخـوه، قد كان من ألفته ونصيحته ومودته، قد عهد إليهم أنها ستكون أثره، فإذا كانـت فاصبروا، قال الحسن: ولو أنهم أطاعوا رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وصبروا حـين رأوهـا لوسعهم ما كانوا فيه من العطاء والرزق والخير الكثير، بل قالوا: لا، والله مـا نصابرها، فوالله ما وردوا ومـا سلموا، والأخرى كان السيف مغمدًا عن أهل الإسلام، فسلّوه على أنفسهم، فوالله ما زال مسلولًا إلى يوم الناس هذا، وايم الله إني لأراه سيفًا مسلولًا إلى يوم القيامة.

٤٥٠ كسرى العرب

ذكـر ابن كثـير في البداية والنهايـة أن عمر بن الخطـاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذا رأى معاويـة بن أبي سفيـان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: هذا كسرى العرب، وقال: دخل معاوية على عمـر وعليـه حلة خضراء، فنظر إليهـا الصحابة، فلما رأى ذلـك عمر وثب إليه

بالـدرة، فجعـل يضربه بها، وجعل معاويـة يقول: يا أمير المؤمنـين، الله الله فيَّ، فرجع عمر إلى مجلسه، فقال له القوم: لمَ ضربته يا أمير المؤمنين، وما في قومك مثله؟! فقال: والله ما رأيت إلا خيرًا، وما بلغني إلا خير، ولو بلغني غير ذلك لكان مني إليه غير ما رأيتم، ولكن رأيته، وأشار بيده، فأحببت أن أضع منه ما شمخ.

٤٥١ همم الرجال

قـال عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يحث المسلمين علـى القتال يوم اليرموك: يا أيها المسلمون، غضّوا الأبصار، واجثوا على الركب، وأشرعوا الرماح، فإذا حملوا عليكم فأمهلوهم، حتى إذا ركبوا أطراف الأسنة فثبوا إليهم وثبة الأسد، فوالذي يرضـى الصـدق، ويثيب عليـه، ويمقت الكذب، ويجـزي الإحسـان إحسانًا، لقد سمعت أن المسلمين سيفتحونها كفرًا كفرًا وقصرًا قصرًا، فلا يهولنّكم جموعهم ولا عددهم، فإنكم لو صدقتموهم الشد تطايروا تطاير أولاد الحجل.

٤٥٢ الشيعة والحسين

ذكـر ابـن كثـير في تاريخـه قـال: لقـي ابن عمـر الحسـين بن علـي وابن الزبـير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بالأبـواء، وهـم منصرفون مـن العمرة، فقال لهمـا ابن عمر: أذكركمـا الله، إلا رجعتما فدخلتما في صالح ما يدخـل فيه النـاس، وتنظرا، فإن اجتمع النـاس عليه فلم تشذّا، وإن افترقوا عليه كان الذي تريدان، وقال ابن عمر للحسـين: لا تخرج، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خـيره الله بين الدنيا والآخرة، فاختـار الآخرة، وإنك بضعة منه، ولا تنـالها (يعني الإمارة)، فلما عصاه اعتنقه وبكـى وودعه، قائلًا: أستودعك الله من شهيد، حـين رأى إصراره على الخروج، وقال: غلبنـا حسين بن علي بالخروج، ولعمري لقد رأى في أبيه وأخيه عبرة، فرأى

من الفتنة وخذلان الناس لهما ما كان ينبغي له ألّا يتحرك ما عاش، وأن يدخل في صالح ما دخل فيه الناس، فإن الجماعة خير، وقال له ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: وأين تريد يا ابن فاطمة؟ فقال: العراق وشيعتي، فقال: إني لكاره لوجهك هذا، تخرج إلى قوم قتلوا أباك، وطعنوا أخاك، حتى تركهم سخطة وملالة لهم.

٤٥٣ سهولة هذا الدين

روى الإمام ابن كثير في تفسيره في سورة المجادلة عن الإمام أحمد عن سلمة بن صخر الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنت امرءًا قد أوتيت من جماع النساء ما لم يُؤتِ غيري، فلما دخل رمضان ظاهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان، فرقًا من أن أصيب في ليلي شيئًا، فأتتابع في ذلك إلى أن يدركني النهار، وأنا لا أقدر أن أنزع، فبينما هي تخدمني من الليل، إذ تكشف لي منها شيء، فوثبت عليها، فلما أصبحت غدوت على قومي، فأخبرتهم خبري، وقلت: انطلقوا معي إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبره بأمري، فقالوا: والله لا نفعل، نتخوف أن ينزل فينا، أو يقول فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مقالة يبقى علينا عارها، ولكن اذهب أنت فاصنع ما بدا لك، قال: فخرجت حتى أتيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأخبرته خبري، فقال لي: «**أنت بذاك؟**» فقلت: أنا بذاك، قال: «**أنت بذاك؟**» قلت: نعم، ها أنذا فأمضِ فيَّ حكم الله عَزَّ وَجَلَّ فإني صابر له، قال: «**اعتق رقبة**» قال: فضربت صفحة رقبتي بيدي، وقلت: لا، والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها، قال: «**فصم شهرين متتابعين**» قلت: يا رسول الله، وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام؟ قال: «**فتصدق**» قلت: والذي بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه وحشاء، ما لنا عشاء، قال: «**اذهب إلى صاحب صدقة بني رزيق، فقل له فليدفعها إليك، فأطعم عنك منها وسقًا من تمر ستين مسكينًا، ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك**». قال: فرجعت إلى قومي، فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ السعة والبركة، قد

أمــر لي بصدقتكــم، فادفعوهــا لي[1]. وصدق الله إذ يقــول: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

٤٥٤ خباب وبلال

قــال الشعبي: دخــل خباب بن الأرت يومًا على عمــر، فأكرم مجلسه، وقال: مــا أحــد أحق بهذا المجلس منــك إلا بلالًا، فقال: يا أمير المؤمنــين، إن بلالًا كان يــؤذى، وكان له من يمنعه، وإنني كنت لا ناصر لي، والله لقد سلقوني يومًا في نار أججوها، ووضع رجلٌ رجلَه على صدري، فما اتقيت الأرض إلا بظهري، ثم كشف عــن ظهره، فــإذا هو قد برص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولما مرض دخل عليه أناس من الصحابة يعودونــه، فقالوا: أبشر غدًا تلقى الأحبة محمــدًا وحزبه، فقال: والله إن إخواني مضوا، ولم يأكلوا من دنياهم شيئًا، وأنا قد أينعت لنا غرتها، فنحن نهديها، فهذا الذي يهمني.

٤٥٥ سحبان وائل

هــو الذي يضرب به المثــل في الخطابة، فيقال: «أخطب مــن سحبان وائل»، ووائل هو معد بن مالك بن قيس بن غيلان ابن مضر بن نزار، وباهلة امرأة مالك ابــن أعصر ينسب إليهــا ولدها، وقد وفد سحبان على معاوية، فقال معاوية: أنت الشيــخ؟ فقال: أي والله وغير ذلك، ودخل مرة أخــرى، فقال له معاوية: اخطب، فقــال: انظــروا لي عصا تقيم من أودي، فقالوا: ومــاذا تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال: ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه؟ فأخذها، وتكلم

---

(١) أخرجــه أحمد (٣٤٧/٢٦-٣٤٩ رقم١٦٤٢١)، والترمذي وحسنــه (٤٠٥/٥ رقم٣٢٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١١٣/٣ رقم٢٦٢٨).

مـن الظهر إلى قـرب العصر، ما تنحنـح ولا سعل ولا توقف ولا ابتـدأ في معنى، فخرج عنه وقد بقيـت عليه بقية، فقال معاوية: الصلاة، فقال: الصلاة أمامك، ألسنـا في تحميـد وتمجيد وعظة وتنبيه وتذكير ووعد ووعيـد؟ فقال معاوية: أنت أخطـب العرب، قـال: العرب وحدها؟ بل أخطب العـرب والعجم والجن والإنس، قال: كذلك أنت[1].

٤٥٦ يبست يده

قال البخاري في تاريخـه: حدثنا موسى بن إسماعيل عن عيسى بن منهال، حدثنـا غالـب بن محمد بن سيرين قـال: كنت أطوف بالكعبـة، وإذا رجل يقول: اللهـم، اغفر لي، وما أظن أن تغفر لي، فقلـت: يا عبدالله، ما سمعت أحدًا يقول مـا تقول، قال: كنت أعطيت لله عهدًا إن قـدرت أن ألطم وجه عثمان إلا لطمته، فلما قتل وضع على سريره في البيت، والناس يجيئون يصلون عليه، فدخلت كأني أصلي عليه، فوجـدت خلوة، فرفعت الثوب عن وجهه ولحيته ولطمته، وقد يبست يميني. قال ابن سيرين: فرأيتها يابسة، كأنها عود[2].

٤٥٧ يخاف الله

ركب أحد الأمراء في جولة له، واصطحب معه بعض المقربين له، وأخذ الأمير يمشـي قريبًا مـن مزرعته، فإذا هم برجل يتنزه هو وبعـض أولاده، ومعهم بعض الماشيـة، ويجمعـون بعض الأعشـاب، وكان وقت ربيع، فقال الأمـير في شيء من

(١) انظـر: البدايـة والنهاية، لابن كثير (٧٨/٨)، وزهـر الآداب وثمر الألباب، لأبي إسحـاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني (٢٦٧/٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٤٦/٣٩-٤٤٧)، وفي (١٤١/٧٠)، وفي الموضعين من طريق البخاري، وانظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٢١٣/٧).

الحدة: ما تصنع هنا أيها الرجل؟! وهذا في حمى المزرعة، ومكان رعي ماشيتنا، وأنَّبه تأنيبًا، وقال له: انصرف، ولا أراك هنا وإلا عاقبتك، واعتذر له الرجل، وكان فيه حياء ودين، وبعد ذلك انصرف الأمير، والتفت إلى أحد الصالحين معه، وقال: ما تقول رحمك الله في هذا الرجل أنه أخطأ بوجوده في هذا المكان؟ قال: إنك أنت الذي أخطأت في حقه، فقاطعه الأمير، قال: أتقول ذلك؟ قال: نعم، أقوله؛ لأني أحبك، وصديقك من صَدَقك لا من صَدَّقك، هذا رجل عبادة وصلاح وصلاة ليل، وأخشى أن يرفع يديه الليلة، ويدعو عليك فتصيبك دعوته وأنت أمير عاقل وأدرى مني في مثل هذه الأمور، ولكن أنا أذكرك إذا نسيت، فقال الأمير: جزاك الله عني خيرًا من جليس صالح، وما ترى لنا؟ بودنا رضاه، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا سهل؛ لأن الرجل محب لكم وقنوع، فأعطِه ما يتيسر وأنا ضمين رضاه عنك. فبعث الأمير إلى الرجل، واسترضاه وأجازه، فرضي ودعا للأمير بالتوفيق.

٤٥٨ حج غير مبرور

قيل: إن سعيد بن القعقاع أشار على الشاعر بشار بأن يحجا لعل تهمة الزندقة تنفى عنهما، فوافق بشار على اقتراح صديقه، وركبا للحج، وفي منتصف الطريق عرجا على بلدة يقال لها: زرارة، مشهورة بالفساد وكثرة خمرها، فقال سعيد لبشار: ويحك يا أبا معاذ، دعنا ندخل زرارة ونسر أنفسنا، فإن الحج بعيد، فقال بشار: نعمَ ما رأيت لولا خبث لسانك، وإني أخاف أن تفضحنا، فقال سعيد: لا تخف. وعرجا على زرارة، وظلا فيها مع الشيطان (وأعموا المخلب) حتى قفل الحجيج، فحلقا رأسيهما، ورجعا إلى مقر إقامتهما، فهنأهما الناس ظنًّا منهم أنهما قد حجا، فقال سعيد:

أَلَمْ ترني وبشارًا حججْنا ... وكان الحجُّ مِنْ خيرِ التجارةْ

خــرجْـنــا طــالــبـي ســفـرٍ بـعـيـد فــمــالَ بــنــا الــطــريــقُ إلــى زرارةْ
فـــآبَ الــنـــاسُ قـــد حـــجّــوا وبـــرّوا وأُبْـــنـــا مــوفــريـنَ مــنَ الـخـســارةَ

٤٥٩ إخوة الدينار والدرهم

كان في البصـرة صديق لأبـي سفيان بن حرب اسمه أبوالعريان وهو أعمى، وكانـت البصرة تحت ولاية زياد بن أبيه بعـد أن استلحقه معاوية بنسبه، وحدث ذات مـرة أن أبـا العريـان كان جالسًا في بعض الطريق، فسمـع جلبة وضجيجًا، فسـأل ما هذا؟ قيل: موكـب الأمير زياد بن أبي سفيان، فقـال منكرًا: ما أعرف لأخـي أبـي سفيان ولدًا بهذا الاسم، فلما بلغ ذلك زيـادًا تكدر، وكتب إلى معاوية يخـبره بما قال صديق والده، وهنا بعث معاوية إلى أبي العريان ألف دينار ومعها خطـاب يقول: هذه من ابن أخيـك زياد بن أبي سفيان، قبضهـا أبوالعريان ومر وقـت كان أبوالعريـان جالسًا في مكنه، فسمع ضجيجًا، وسـأل؟ فقيل: إنه موكب الأمـير، فبكى، فقيل: ما يبكيك يا أبا العريـان؟ فقال: شممت رائحة أبي سفيان في الموكب.

٤٦٠ دعوة سعد

كان الصحابـي الجليـل سعـد بـن أبـي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مجـاب الدعوة، حيـث دعـا له رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عندمـا طلب مـن الرسول ذلـك، فقال لــه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أطـب مطعمـك تجب دعوتـك**»[1] وجـاء في الصحيحين عن جابـر بن سلمـة أن أهل الكوفة شكـوا سعدًا إلى عمر في كل شـيء حتى قالوا: لا

(١) أخرجـه الطـبراني في الأوسـط (٦/٣١٠ رقـم٦٤٩٥)، قـال الألبـاني في السلسلـة الضعيفـة (٢٩٢/٤ رقم١٨١٢): ضعيف جدًا.

يحسن الصلاة، فقال سعد: أما إني لا آلو أن أصلي بهم صلاة رسول الله أطيل الأوليين وأحذف الأخريين، فقال عمر: هو الظن بك يا أبا إسحاق، وكان قد بعث من يسأل عنه بمحالّ الكوفة، فجعلوا لا يسألون أهل مسجد إلا أثنوا عليه خيرًا، حتى مروا بمسجد لبني عبس، فقال رجل منهم يقال له: أسامة بن قتادة، فقال: إن سعدًا كان لا يسير في السرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في الرعية. فبلغ سعدًا، فقال: اللهم، إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطل عمره وأدم فقره وأعم بصره وعرّضه للفتن، فقال: فإني رأيته بعد ذلك شيخًا كبيرًا قد سقطت حاجباه على عينيه يقف في الطريق، فيغمز الجواري فيقال له، فيقول: شيخ مفتون أصابته دعوة سعد[1].

٤٦١ إذا بليتم فاستتروا

روى ابن كثير عن الطبري قال: كان يزيد بن معاوية في حداثته صاحب شراب يأخذ مأخذ الأحداث، فأحس معاوية بذلك، فأحب أن يعظه برفق، فقال: يا بني، ما أقدرك على أن تصل إلى حاجتك من غير تهتك يذهب بمروءتك وقدرك، ويشمت بك عدوك، ويسيء بك صديقك، ثم قال: يا بني، إني منشدك أبياتًا، فتأدب بها، واحفظها، فأنشده:

انصبْ نهارًا في طلابِ العُلا	واصبرْ على هجرِ الحبيبِ القريبِ
حتى إذا الليلُ أتى بالرَّجا	واكتحلتْ بالغمضِ عينُ الرقيبِ
فباشرِ الليلَ بما تشتهي	فإنما الليلُ نهارُ الأريبِ
كم فاسقٍ تحسّبه ناسكًا	قد باشرَ الليلَ بأمرٍ عجيبِ
غطّى عليه الليلُ أستارَه	يسعى بها كلّ عدوٍ مريبِ
ولذةُ الأحمقِ مكشوفةٌ	فباتَ في أمنٍ وعيشٍ خصيبٍ

(١) أخرجه البخاري (١/١٥١ رقم٧٥٥)، ومسلم (١/٣٣٥ رقم٤٥٣).

قلت: وقد ورد في الأثر: «**من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله** عَزَّوَجَلَّ»[1].

٤٦٢ حرمة مدينة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

قال البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**»[2] وكذلك رواه مسلم قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لا يريد أحد المدينة بسوء إلا أذابه الله في النار ذوب الرصاص أو ذوب الملح في الماء**»[3] وكذلك فعل الله بيزيد بن معاوية، حيث قصمه الله بعدما أباح المدينة لجيشه ثلاثة أيام، حتى ذكر ابن كثير عن المدائني حيث قال: لما انهزم أهل المدينة يوم الحرة صاح النساء والصبيان، فسأل شيخ من أهل المدينة عن عدد القتلى؟ قال: سألت الزهري كم كان القتلى يوم الحرة؟ فقال: سبع مئة من وجوه الناس من المهاجرين والأنصار ووجوه الموالي، ومما لا أعرف من حر وعبد غيرهم عشرة آلاف، قال: وكانت الموقعة لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وستين للهجرة، وانتهبوا المدينة ثلاثة أيام[4]، وقيل: إنهم وقعوا على النساء وحبلت ألف امرأة في تلك الأيام من غير زوج، والله أعلم. فنحمد الله على نعمة الأمن والإيمان، ونسأله أن يجعل ولاية المسلمين دائمًا في يد الصالحين من عباده.

٤٦٣ لص أديب

حثَّ الإسلام أبناءه على التعلم والتأدب والأخذ بعلوم العرب وشعرها، وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما استقضيت الحاجات بأحسن من أن يجعل الرجل في أول

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٨٢٥ رقم١٥٠٨)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٧/٣٦٣-٣٦٤ رقم٢٣٢٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٢١ رقم١٨٧٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢/٩٩٢ رقم١٣٦٣).

(٤) انظر: البداية والنهاية (٨/٢٤٢).

كلامــه بيتًا من شعر الحكمة. وقــال القاضي الماوردي في الأحكام السلطانية: إنه أُتي بلصوص إلــى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان، فقطعهم حتى بقي منهم واحد، فقال:

يميني أمــيرَ المؤمــنينَ أعيذُها	بعفوِك أن تلقى مكانًا يشينُها
يدي كانت الحسناءَ لو تمّ سترها	ولا تقدمُ الحسناءُ عيبًا يشينُها
فلا خيرَ في الدنيا وكانتْ حبيبةً	إذا ما شمالي فارقتْها يمينُها

فقــال معاوية: كيف أصنع بك وقد قطعنا أصحابــك؟ فقالت أم السارق: يا أمــير المؤمنــين، اجعلها في ذنوبك التــي تتوب منها، فخلى سبيلــه، فكان أول حد ترك في الإسلام[1].

٤٦٤ لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين

في غــزوة بــدر وقع في أيــدي المسلمين أبوعــزة الجمحي الشاعــر، وكان مع قريش يحرضها على المسلمين، قال لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إني فقير ذو عيال وحاجــة قــد عرفتها، فامنن علــيَّ يا رسول الله، فمــنّ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأطلق سراحــه، وفي غــزوة أحد قال له صفــوان بن أمية: يا أبا عــزة، إنك امرؤ شاعر، فأعنّا بلسانك، فاخرج معنا، فقال لصفوان: إن محمدًا قد منَّ عليَّ، فلا أريد أن أُظاهــر عليه، قال لــه صفوان: أعنّا بنفسك فلك الله علــي إن رجعت أن أغنيك، وإن أصبــت أن أجعل بناتك مــع بناتي يصيبهن ما أصابهن مــن العسر واليسر، فانصاع أبوعزة، وخرج في تهامة، وفي غزوة أحد وقع أسيرًا للمرة الثانية في أيدي المسلمــين، فقال: يا رسول الله، أقلني، فقال لــه عليه الصلاة والسلام: «**والله لا**

(١) انظر: البداية والنهاية (٨/١٤٥).

تمسح عارضيك بمكة، وتقول خدعت محمدًا مرتين، ألا لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين، اضرب يا زبير عنقه»، فضرب الزبير عنقه[1].

أقول:

كم من مرة خُدِع المسلمون، ولُدِغوا في هذا العصر!

٤٦٥ قد أدرك صفوها

هو الصحابي الجليل، ومن العشرة المبشرين بالجنة، كان صاحب ثروة ومال عظيم، ولكن المال في يده وليس في قلبه، فإن الإسلام يحث على طلب المال، والقرآن يسمى المال الخير في كثير من الآيات، والمسلم يتقوى في المال، وقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[2]، وقال: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[3]، وقال الإمام أحمد في روايته عن أنس قال: بينما عائشة في بيتها، إذ سمعت صوتًا في المدينة قالت: ما هذا؟ قالوا: عير لعبد الرحمن بن عوف قدمت من الشام تحمل كل شيء، قال: وكانت سبع مئة بعير، قال: فارتجت المدينة من الصوت، فقالت عائشة: سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوًا**»[4] فبلغ ذلك عبد الرحمن، فقال: لئن استطعت لأدخلنها قائمًا. فجعلها بأقتابها وأحمالها في سبيل الله. ولما حضرته الوفاة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أوصى لكل من أهل بدر بأربع مئة دينار، وكانوا مئة، فأخذوها حتى عثمان وعلي، وقال علي: اذهب يا بن عوف، فقد أدركت صفوها، وسبقت زيفها. وأوصى لكل امرأة من أمهات

---

(١) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (١٩٥/١٣ رقم١٧٩٠٤)، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (٤١/٥ رقم١٢١٥). وانظر: البداية والنهاية (٣٨١/٣). أما حديث: «**لا يلدغ المؤمن**» فقد أخرجه البخاري (٣١/٨ رقم٦١٣٣)، ومسلم (٢٢٩٥/٤ رقم٢٩٩٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٠٥٢/٤ رقم٢٦٦٤).

(٣) أخرجه ابن حبان (٦/٨ رقم٣٢١٠)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٢٧/١ رقم٢٩٩).

(٤) أخرجه أحمد (٣٣٧/٤١ رقم٢٤٨٤٢). قال الألباني في السلسلة الضعيفة (٢١٢/١٤ رقم٥٦٩٠): كذب.

المؤمنين بمبلغ كثير حتى كانت عائشة تقول: سقاه الله من السلسبيل. وأعتق خلقًا مـن مماليكـه، ثم ترك بعد ذلك مـالًا كثيرًا من ذلك ذهب قطـع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال، وترك ألف بعير ومئة فرس وثلاثة آلاف شاة ترعى بالبقيع، وكنـت نساؤه أربعًا، فصولحـت إحداهن من ربع الثمـن بثمانين ألفًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1] وعن كل تاجر مسلم يحذو حذوه، ويجعله قدوة في النفقة.

٤٦٦ ثلاثة كرام

كان قيس بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجود النـاس، وكان يقول في دعائه: اللهم، ارزقنـي مالًا وفَعالًا، فإنه لا يصلح الفَعال إلا بمال. وقال الهيثم بن عدي: اختلف ثلاثـة عند الكعبة في أكرم أهل زمانهم، فقـال أحدهم: عبدالله بن جعفر، وقال الآخـر: قيس بن سعـد، وقال الآخر: عرابة الأوسي، فتمـاروا في ذلك حتى ارتفع ضجيجهـم عنـد الكعبة، فقال لهم رجـل: فليذهب كل رجل منهـم إلى صاحبه، فلينظـر ما يعطيه، وليحكم على المعاينـة، فذهب صاحب ابن جعفر، فقال له: يا بـن عـم رسول الله، ابن سبيل منقطع، وكانت رجل ابـن جعفر على ركابه، فنزل منـه، وقال: ضع رجليك واستـوِ عليها، فهي لك بما عليهـا، وخذ ما في الحقيبة، ولا تخدعـن عن السيف، فإنه من سيوف علي، فرجـع بالناقة إلى أصحابه، وإذا بالحقيبة أربعة آلاف دينار ومطارف من خز وغير ذلك وأجلّ ذلك سيف علي.

ومضـى صاحب قيـس بن سعد إليه، فوجـده نائمًا، فقالت لـه الجارية: ما حاجتك إليه؟ قال: ابن سبيل ومنقطع به، قالت: فحاجتك أيسر من إيقاظه، هذا كيـس فيه سبع مئـة دينار ما في دار قيس غيره، واذهب إلـى معاطن الإبل، فخذ لـك ناقة وعبدًا، فقال سعد: هلا أيقظتني حتى أعطيه ما يكفيه؟ وأعتق الجارية شكرًا على صنعها. وذهب صاحب عرابة الأوسي إليه، فوجده وقد خرج من نزله

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/ ١٨٤).

يريـد الصلاة وهو يتوكأ على عبدين له، وكان قد كف بصره، فقال له: يا عرابة، قـال: قل، قال: ابـن سبيل ومنقطع به، قال: فخلى عـن العبدين، ثم صفق بيديه باليمنـى على اليسرى، ثم قـال: أوّه أوّه والله ما أصبحت، ولا أمسيت، وقد تركت الحقوق من مال عرابة شيئًا، ولكن خذ هذين العبدين، قال: لا أفعل، قال: إن لم تأخذهما فهما حران، فـإن شئت، فأعتق، وإن شئت فخذ، وأقبل يلتمس الحائط بيـده قال: فأخذهما، وجاء بهما إلـى صاحبيه، فأثنوا على صنيع الثلاثة، وحكوا أن أسخى الثلاثة عرابة الأوسي؛ لأنه جاد بجميع ماله، وهذا جهد من مقلّ[١].

٤٦٧ الصدقة أفضل من حج النافلة

قال ابن كثير في تاريخه: إن الفقيه التاجر عبدالله بن المبارك خرج مرة إلى الحـج، فاجتاز ببعض البلاد، فمات طائر معهم، فأمـر بإلقائه على مزبلة هناك، وسـار أصحابه أمامه، وتخلف هو وراءهم، فلمـا مر بالمزبلة إذا جارية قد خرجت من دار قريبة منها، فأخذت ذلك الطائر الميت، ثم لفته، ثم أسرعت به إلى الدار، فجاء فسألها عن أمرها وأخذها الميتة؟ فقالت: أنا وأخي هنا ليس لنا شيء إلا هذا الإزار، وليـس لنـا قوت إلا ما يلقى على هذه المزبلة، وقد حلـت لنا الميتة منذ أيام، وكان أبونـا له مال عظيم، فظلـم وأخذ ماله وقتل، فأمر ابن المبارك بردّ الأحمال، وقـال لوكيله: كم معك من النفقة؟ قال: ألف دينار، فقال: عدّ منها عشرين دينارًا تكفيني إلى مرو، وأعطيها الباقي، فهذا أفضل من حجنا في هذا العام. ثم رجع[٢].

قلـت: وهذا القول أخذ به الفقيـه العالم الداعية الإسلامي المصري محمد الغـزالي، فقد قـال: إن نفقة المال في ضرورة من ضروريـات المسلمين أفضل من حـج النافلة، وقـال: لأن سد حاجة من حاجات المسلمين فرض كفاية، والفرض مقدم على النافلة.

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٨/١٠٨-١٠٩).

(٢) البداية والنهاية (١٠/١٩١).

٤٦٨ سبقت له الحسنى

ذكـروا أن الإمام العابد الزاهد العـالم الفضيل بن عياض كان في أول أمره قاطـع طريق، وكان يتعشق جاريـة، فبينما هو ذات ليلة يتسـور عليها جدارًا، إذ سمع قارئًا يقرأ ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] فقال: بلى، وتاب، وأقلع عما كان عليه، ورجع إلى خربة، فبات بها، فسمع سفارًا يقولون: خذوا حذركم إن فضيلًا أمامكم يقطع الطريق، فأمّنهم، واستمر على توبته حتى كان منه ما كان من السيادة والعبادة والزهادة، وصار علمًا يقتدى به.

٤٦٩ الخليفة هارون ومضحكه

لا تصـدق أيهـا العربي المسلم، مـا يذكره أعداء الإسلام عـن بعض خلفاء المسلمـين، ففيه الكـذب والحسد ودسـ الشعوبيين واليهود والنصـارى ومن لف لفهم، فهذا المؤرخ النزيه العالم ابن كثير يقول عن هارون الرشيد: كان يحج سنة، ويغـزو سنة، ويتصـدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهـم، وإذا حجّ حجّ معه مئـة من الفقهاء وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاث مئة بالنفقة السابغة والكسوة التامـة، وكان سريع العطاء جزيلـه، وكان يحب الفقهاء والشعراء، ويعطيهم، ولا يضيـع لديـه بر ومعـروف، وكان يصلي في اليوم مئـة ركعة تطوعًا إلـى أن فارق الدنيا إلا أن تعرض له علة، وكان ابن أبي مريم مضحكه، وقد خلطه بأهله، وكان ذا مـزح ولديه أخبار عجيبة، وأسكنه الرشيد قصـره معه ونبهه يومًا إلى صلاة الصبح، فقام فتوضأ، ثم أدرك الرشيد وهو يقرأ: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] فقـال ابن أبي مـريم: لا أدري والله! فضحك الرشيد، وقطـع الصلاة، ثم أقبل عليه، قـال: ويحك اجتنب الصلاة والقـرآن، وقل فيما عـدا ذلك، وكان الرشيـد يصلي الفجر جماعة لوقتهـا، وكان كثير العبادة، وقد

قال أكثر المؤرخين: إنه يصلي مئة ركعة نافلة كل يوم. قل لي بربك: من يفعل ذلك من عامة العباد؟ إنه أقل القليل، فكيف بالأمراء وسائر العامة؟ فرضي الله عنه، وتجاوز عن سيئاته.

٤٧٠ جارية كالبوم

قال أبونواس: دعاني يومًا بعض الحاكة، وألحَّ عليَّ ليضيفني في منزله، ولم يزل بي حتى أجبته، فسار إلى منزله، وسرت معه، فإذا هو بمنزل لا بأس به، وقد احتفل الحائك في الطعام، وجمع جميع الحياك، فأكلنا وشربنا، ثم قال: يا سيدي، أشتهي أن تقول في جاريتي شيئًا من الشعر، وكان مغرمًا بجارية له، قال: فقلت: أرنيها حتى أنظم على شكلها وحسنها، فكشف عنها، فإذا هي أسمج خلق الله وأوحشهم، سوداء شمطاء يسيل لعابها على صدرها، فقلت لسيدها: ما اسمها؟ قال: تسنيم، فأنشأت أقول:

أسهرَ ليلي حبُّ تسنيم — جاريةٌ في الحسنِ كالبوم
كأنَّما نكهتُها كامخٌ — أو حزمةٌ مِنْ حِزمِ الثوم
ضرطتْ من حبِّي لها ضرطةً — أفزعتْ منها ملكَ الروم

قال: فقام الحائك يرقص سائر يومه، ويفرح، ويقول: إنه شبهها بملك الروم!

٤٧١ تحت المشيئة الإلهية

ذكر ابن كثير في تاريخه أن أبا نواس الشاعر رآه بعض أصحابه في المنام، فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بأبيات قلتها في النرجس، وهي:

تفكّرْ في نباتِ الأرضِ وانظرْ إلى آثارِ ما صنعَ المليكُ
عيونٌ من لُجينٍ شاخصاتٌ بأبصارٍ هيَ الذهبُ السبيكُ
على قصبِ الزبرجدِ شاهداتٌ بأنَّ اللهَ ليسَ له شريكُ(١)

٤٧٢ ذهب إلى أهله

قال ابن المبارك: رأيت زبيدة في المنام، فقلت: ما فعل الله بك؟ فقالت: غفر الله لي في أول معول ضرب في طريق مكة، قلت: فما هذه الصفرة؟ قالت: دفن بين ظهرانينا رجل يقال له: بشر المريسى، زفرت له جهنم، فاقشعر لها جسدي، فهذه صفرة من تلك الزفرة(٢).

وسمعت من شيخنا عبدالله بن حميد عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ في برنامج (نور على الدرب) أن بشرًا هذا كان يقول وهو من كبار المبتدعين في سجوده: سبحان ربي الأسفل.

وذكر ابن خلكان أن لزبيدة مئة جارية كلهن يحفظن القرآن العظيم، وكان يسمع لهن بالقصر دوي كدوي النحل، وورد أنها رؤيت في المنام، فسئلت عما كانت تصنعه من المعروف والصدقات، وما عملته في طريق الحج؟ فقالت: ذهب ثواب ذلك كله إلى أهله، وما نفعنا إلا ركعات كنت أركعهن في السحر.

٤٧٣ هذا هو الشرف

قال ابن خلكان: توفي العالم الزاهد بشر الحافي يوم عاشوراء، وقيل: في رمضان ببغداد، وقيل: بمرو، وقيل: في سنة ست وعشرين ومئتين، وحين مات اجتمع في جنازته أهل بغداد عن بكرة أبيهم، فأخرج بعد صلاة الفجر، فلم يستقر

---

(١) البداية والنهاية (١٠/٢٥٥)، وتاريخ دمشق (١٣/٤٦٥).
(٢) البداية والنهاية (١٠/٢٩٧).

في قــبره إلا بعد غروب الشمس بوقت طويل من شدة الزحام، وكان علي المدائني يصيح بأعلى صوته في الجنازة: هذا والله شرف الدنيا قبل شرف الآخرة.

٤٧٤ الرفق بالرعية

كتــب عدي بن أرطاة إلى عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان عدي عاملًا له: أمــا بعد، فــإن أناسًا قبلنا لا يؤدون ما عليهم من الخــراج حتى يمسهم شيء من العذاب. فكتب الخليفة العادل إلى عامله يقول:

أما بعد، فالعجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر، كأني جُنّة لــك مــن عذاب الله، وكأن رضائــي ينجيك من سخــط الله، إذا أتاك كتابي هذا فمــن أعطاك فاقبله عفوًا، وإلا فأحلفه، فوالله لأن يلقوا الله بجناياتهم أحب إلي من أن ألقاه بعذابهم، والسلام على من اتبع الهدى.

أقول:

هذه تعاليم الإسلام يا عمر، وما أحوج الأرض كلها إلى حكام من هذا النوع ليريحوا العباد، ويستريحوا هم.

٤٧٥ صدق العالم وحلم الخليفة

دخل أبومسلم الخولاني على معاوية وهو خليفة، فقال له: السلام عليك أيها الأجير، وحاول النــاس- وهذا طبعهم في كل زمان- أن يوجهوه في خطاب الخليفة وجهــة أخرى، فقال لهم الخليفــة المحنك: دعوه، فإن أبا مسلــم يعرف ما يقول. ثم يعقب أبومسلم بقوله: إنما مثلك مثل أجير أُوتمن على ماشية ليحسن رعيها، ويوفــر لبنها، وينمي الصغــيرة، ويسمن العجفاء، فإن هو فعل ذلك استحق أجره وزيــادة، وإن لم يفعل ذلك نزل به عقاب مستخلفه ولم ينل أجرًا، يا معاوية، إنك

إن عدلت مع أهل الأرض جميعًا، ثم جرت على رجل واحد مال جورك بعدلك، لا تحسبن الخلافة جمع المال وإغداقه، إنما هي أخذ الناس في ذات الله، والناس لا يبالون بكدر الأنهار ما صفا النبع وطاب، وإن مكان الخليفة من الناس مكان النبع الذي يرجون صفاءه.

٤٧٦ ما ترك لربه شيئًا!

دخل معن بن زائدة على الرشيد، وقد كان وجد عليه، فمشى، فقارب الخطو، فقال له هارون: كبرت والله يا معن. قال: في طاعتك يا أمير المؤمنين، قال: وإن فيك على ذلك لبقية، قال: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: وإنك لجلد، قال: على أعدائك يا أمير المؤمنين، فرضي عنه وولاه، وعرض كلام معن هذا على عبدالرحمن بن زيد زاهد أهل البصرة، فقال: هذا ما ترك لربه شيئًا.

٤٧٧ ساعة من العمر

قال الحسن البصري: وقذتني كلمة سمعتها من الحجاج، سمعته يقول على هذه الأعواد: إن امرأ ذهبت ساعة من عمره في غير ما خلق له لحريّ أن تطول عليها حسرته إلى يوم القيامة. ومن كلام الحجاج قوله: إن الله كتب على الدنيا الفناء وعلى الآخرة البقاء، فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء، فلا يغرنّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، واقهروا طول الأمل بقصر الأجل. ومن أقواله الحسنة: أمرنا بالعمل للآخرة، وكفلت الدنيا، وعملنا لما هو مكفول، وتركنا الآخرة دون عمل.

٤٧٨ شيطان ينفض رأسه

روى الحافظ ابن عساكر أن عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأل موسى بن نصير حين قدم دمشق أيام الوليد بن عبدالملك عن أعجب شيء رآه في البحر؟

فقــال: انتهينــا مرة إلى جزيــرة فيها ست عشــرة جرة مختومة بخــاتم سليمان ابــن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال: فأمرت بأربعة منها، فأخرجــت، وأمرت بواحدة منها، فنقبت، فإذا قد خرج منها شيطان ينفض رأسه، ويقول: والذي أكرمك بالنبوة لا أعــود بعدها أفسد في الأرض، قــال: ثم إن ذلك الشيطان نظر، فقال: إني لا أرى بهــا سليمان وملكه، فانســاخ في الأرض، فذهب. قال: فأمــرت بالثلاثة البواقي، فرددن إلى مكانهن.

٤٧٩ أرقّ بيت قالته العرب

روى أبوبكر الصولي أن عبدالملك جمع بنيه الوليد وسليمان ومسلمة بين يديه، فاستقرأهــم القرآن، فأجادوا القراءة، ثم استنشدهــم الشعر، فأجادوا، ثم قال: لينشدنّ كل منكم أرق بيت قالته العرب، ولا يفحش، هات يا وليد، فقال الوليد:

ما مركبٌ وركوبُ الخيلِ يعجبُني ... كمركبٍ بينَ دملوجٍ وخلخالِ

فقال عبدالملك: أحسنت، هات يا سليمان، فقال:

حبّذا رجعها يديها إليها ... في يدي درعُها تحلّ الإزارا

فقال: لم تصب، هات يا مسلمة، فقال:

وما ذرفتْ عيناكَ إلا لتَضْربي ... بسهمَيْكَ في أعشارِ قلبٍ مُقتلِ

فقال: لم تصيبوا، ولكن نؤجلكم إلى غدٍ، فخرجوا، فبينما سليمان في الطريق إذا أعرابي يسوق إبله، وهو يقول:

لو ضربُوا بالسيفِ رأسي في مودَّتِها ... لمالَ الهوى سريعًا نحوَها رأسي

ثم رجع سليمان، وقال لأبيه البيت، فقال: أحسنت، ومن أين لك هذا؟ فأخبره خبر الأعرابي، فقال: اسأل حاجتك، ولا تنسَ الأعرابي.

٤٨٠ ترك الدنيا

قال مالك بن دينار: يقولون: مالك زاهد، أي زهد عندي؟ إنا الزاهد عمر بن عبدالعزيز أتته الدنيا فاغرة فاها، فتركها جملة، قالوا: ولم يكن له سوى قميص واحد، فكان إذا غسلوه جلس في المنزل حتى ييبس. ووقف مرة على راهب، فقال له: ويحك عظني، فقال له: عليك بقول الشاعر:

تجرّدْ منَ الدنيا فإنَّك إنّما خرجتَ إلى الدنيا وأنتَ مجرّدُ

٤٨١ هلك الرجل الصالح

قال ابن مروان: عن موسى بن أيمن الراعي- وكان يرعى الغنم لمحمد بن عيينة- قال: كانت الأُسْد والغنم والوحش ترعى في خلافة عمر بن عبدالعزيز في موضع واحد، فعرض ذات يوم لشاة منها ذئب، فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، ما أرى الرجل الصالح إلا قد هلك، قال: فحسبناه، فوجدناه قد هلك في تلك الليلة.

٤٨٢ حكم عليها بالخراب

بلغ أحد الصالحين أن رجلًا من أصحابه توفي، فجاء إلى أهله ليعزيهم فيه، فصرخوا في وجهه بالبكاء عليه، فقال: إن صاحبكم لم يكن يرزقكم، وإن الذي يرزقكم حي لا يموت، وإن صاحبكم هذا لم يسد شيئًا من حفركم، وإنما سد

حفــرة نفسه، ألا وإن لكل امرئ منكــم حفرة لا بد والله أن يسدها، إن الله تعالى لما خلق الدنيا حكم عليها بالخراب وعلى أهلها بالفناء، وما امتلأت دار خبرة إلا امتــلأت عبرة، ولا اجتمعوا إلا تفرقوا حتــى يكون الله هو الذي يرث الأرض ومن عليهــا. من كان منكــم باكيًا فيبكِ على نفسه، فإن الذي صــار إليه صاحبكم كل الناس يصيرون إليه غدًا.

٤٨٣ الإسلام والإنسان

يتعامل الإسلام مع الإنسان على أنه قابل للصلاح والاستجابة لنوازع الخير وتنميتهــا، ولذلك فإنه لا ييأس من أحد ولا يحقّز أحدًا، فكل من يستجيب لدعوة الإســلام يعــد كسبًا لا يستهان به، صغــيرًا كان أو كبيرًا، فقــيرًا أو غنيًّا، ضعيفًا أو قويًّــا، جنديًّــا أو قائدًا، فــردًا أو زعيمًــا، فالناس كل النــاس في نظر الإسلام خلــق الله وعياله، وكلهم محتاج إلى هدي الله وشرعه، وكل منهم يستطيع العمل للإســلام كلٌّ بما يحسنــه، ومن هذه النظرة الأساسية يصــدر الإسلام تعليماته الرائعــة في معاملة الأسير والمستجير حتى الــذي يحمل السلاح على المسلمين ثم يهــزم، هــذا الإنسان وهذا الأسير يمكــن أن يصلح أمره وتنمّــى نوازع الخير في نفســه إذا ما عــرف سبيل الهدى، وفتح له قلبه، وهذا توجيــه الله تعالى لرسوله الكــريم وللأمة من بعده إلى مخاطبة الأسرى بقولــه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنفال: ٧٠] والخــير المقصــود في قوله تعالى: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا﴾ هــو أسس الخــير كله ومنطلقه وهو الإيمان، فإن فتحوا قلوبهم للإيمــان آتاهم الله الخير كله، وإلا مكن عباده منهم، والأمثلة كثيرة من هــرب من الإسلام وعاداه، ثم رجع ووجد في الإسلام الملاذ، وصار كسبًا عظيمًا للإسلام والمسلمين، مثل عكرمة بن أبي جهل، وعدي بن حاتم، وطليحة الأسدي، وسهيل بن عمرو، وعشرات، بل مئات على مر القرون.

٤٨٤ أمير في مجلس القضاء

تنــازع إبراهيم بن الخليفــة العباسي ومحمد المهدي مــع الطبيب بختيشوع بــين يدي القاضــي أحمد بن أبــي دؤاد فقيــه المعتزلة في مجلســ القضاء، وكان النــزاع في موضــوع عقار بناحية الســواد، فكان ابن المهدي يــزري على الطبيب، ويغلــظ له القول بين يدى القاضي مــا أغضب القاضي، فقال له: يا إبراهيم، إذا نازعــت أحدًا في مجلس القضاء فلا أعلــم أنك رفعت عليه صوتًا، ولا أشرت إليه بيــد، ولتكن ريحك ساكنة، وفي مجالس الحكومــة حقوقها من التوقير، فإن ذلك أشبــه بك، ولا تعجل فربّ عجلة تهب ريثًا، والله يعصمك من الزلل وخطل القول والعمــل، ويتــم نعمته عليك كما أتمهــا على أبويك من قبــل إن ربك حكيم عليم، فقــال إبراهيم: أصلحك الله، أمــرت بسداد، ولست عائدًا إلــى ما يثلم مروءتي عنــدك، فإني معتذر إليك اعتــذار المقر بذنبه، وقد وهبت حقــي من هذا العقار لخصمي، ولن يتلف مال أفاد موعظة.

٤٨٥ أبكاها وبكى

روي عــن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حين فتح الله عليه الفتوحات جاءته ابنتــه أم المؤمنين حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فقالت له: البســ لين الثياب إذا وفدت عليك الوفــود من الآفاق ومرْ بطعام لك ولمن حضر، فقال: يا حفصة، ألست تعلمين أن أعلــم الناس بحال الرجل أهل بيته؟ فقالت: بلى، قــال: ناشدتك الله هل تعلمين أن رســول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبــث في النبوة كــذا وكذا سنة، ولم يشبــع هو وأهل بيتــه غدوة إلا جاعــوا عشية؟ وناشدتــك الله هل تعلمين أن رســول الله لم يشبع مــن التمر هو وأهله حتى فتح الله عليه خيبر؟ قربتم إليه يومًا طعامًا على مائدة فيهــا ارتفــاع، فشق ذلك عليه حتى تغــير لونه، ثم أمر بالمائــدة، فرفعت، ووضع

الطعـام علـى دون ذلك أو وضع على الأرض؟! فمـا زال يذكرها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بأحوال سيد الخلق حتى أبكاها، وبكى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

٤٨٦ الكسب الحلال

قـال بعض الفقهاء: أزهد النـاس في الدنيـا، وإن كان عليها حريصًا من لم يرضَ منها إلا بالكسب الحلال الطيب مع حفـظ الأمانات، وأرغب النـاس فيها، وإن كان عنهـا معرضًا من لم يبالِ من أيـن كسبه منها حلالًا كان أو حرامًا، وإن أجود النـاس في الدنيا من جاد بحقوق الله عَزَّوَجَلَّ وإن رآه النـاس بخيلًا فيما سوى ذلك، وإن أبخل النـاس في الدنيا من بخل بحقوق الله عَزَّوَجَلَّ وإن رآه النـاس جوادًا فيما سوى ذلك.

٤٨٧ يصب ا لزيت في الزيتون

كان ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ إذا سئل عن الرؤيا؟ قال للسائل: اتقِ الله في اليقظة، ولا يغـرك ما رأيت في المنام، وقال له رجـل: رأيت كأني أصب الزيت في الزيتون، فقـال: فتش عن امرأتك، فإنهـا أمك، ففتش فإذا هي أمه، وذلك أن الرجل أُخذ مـن بـلاده صغيرًا من السبي، ثم مكـث في بلاد الإسلام إلـى أن كبر، ثم سُبيت أمه، فاشتراها جاهلًا أنها أمه، فلما رأى هذه الرؤيا، وذكرها لمحمد بن سيرين، فأمره أن يفتش على ذلك، ففتش، فوجد الأمر على ما ذكره ابن سيرين.

٤٨٨ من عجائب ابن سيرين

أتـاه رجل، فقـال: رأيت في المنام كأني دست أو قـال وطئت نمرة، فخرجت منهـا فأرة، فقال له: تتزوج امـرأة صالحة وتلد بنتًا فاسقة، فكان كما قال. وقال

له آخر: رأيت كأن على سطح بيتي حبات شعير، فجاء ديك فلقطها، فقال له: إن سرق لك شيء هذه الأيام فأتني، فوضعوا بساطًا على سطحهم فسرق، فجاء إليه، فأخبره، فقال: اذهب إلى مؤذن محلتك، فخذه منه، فجاء إلى المؤذن، فأخذه منه. وقال له رجل: رأيت الحمام تلقط الياسمين، فقال له: مات علماء البصرة. وأتاه آخر فقال: رأيت رجلًا عريانًا واقفًا على مزبلة وبيده طنبور يضرب به، فقال له ابن سيرين: لا تصلح هذه الرويا في زماننا هذا إلا للحسن البصري، فقال الرجل: الحسن هو والله الذي رأى، فقال ابن سيرين: المزبلة الدنيا قد جعلها تحت رجليه وعريه تجرده عنها، والطنبور يضرب به هو المواعظ التي يقرع بها آذان الناس، ولأني لا أريد الإطالة في هذه النوادر خشية أن يملها القارئ أكتفي بما ذكرت.

٤٨٩ حرمة دم المسلم

قال المؤسس الثاني للدولة الأموية عبدالملك بن مروان: كنت أجالس بريدة ابن الحصيب، فقال لي يومًا: يا عبدالملك، إن فيك خصالًا، وإنك لجدير أن تلي أمر هذه الأمة، فاحذر الدماء، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الرجل ليدفع عن باب الجنة بعد أن ينظر إليها على محجمة دم يريقه من مسلم بغير حق**»[1].

٤٩٠ الخليفة يتمنى أن يكون غسالًا أو قصارًا

ذكر ابن كثير أن الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان لما حضرته الوفاة

(١) أخرجه الطبراني في أكبر معاجمه (٢٤/٢٠٥ رقم٥٢٦)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٦/٣٢٧٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٥٨٢ رقم١٢٣١٠): رواه الطبراني وفيه عبد الخالق بن زيد بن واقد وهو ضعيف.

سمع غسالًا يغسل الثياب، فقال: ما هذا؟ فقالوا: غسال، فقال: يا ليتني كنت غسالًا أكسب ما أعيش به يومًا بيوم، ولم ألِ الخلافة. وقيل له في مرض الموت: كيف تجد؟ فقال: كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقيل: إنه سمع قصارًا، فقال: ما هذا؟ قالوا: قصار، فقال: يا ليتني كنت قصارًا - والقصار هو مبيض الثياب- فلما بلغ سعيد بن المسيب قوله قال: الحمد لله الذي جعلهم عند موتهم يفرون إلينا، ولا نفر إليهم، قال: لما حضرته الوفاة جعل يندب، ويضرب بيده على رأسه، ويقول: وددت أني اكتسبت قوتي يومًا بيوم، واشتغلت بعبادة ربي عَزَّوَجَلَّ وطاعته.

٤٩١ شهاب من نار

كان شبيب بن يزيد الشيباني قد خرج على عبدالملك بن مروان يريد الخلافة، وكان من أشجع الناس، وكان له مع الحجاج مواقع مشهورة، ويوم مات غرقًا في جسر على نهر في العراق قالوا لأمه: إنه مات غرقًا، قالت: صدقتم إني كنت رأيت في المنام، وأنا حامل به أنه خرج مني شهاب من نار، فعلمت أن النار لا يطفئها إلا الماء، وأنه لا بد أن يغرق، وزوجته غزالة من أشجع الفرسان، وكان الحجاج يخاف منها أشد الخوف حتى قال أحد الشعراء:

أسدٌ عليّ وفي الحروبِ نعامةٌ فتخاءُ تنفرُ من صفيرِ الصافرِ
هلا برزتَ إلى غزالةَ في الوغى بلْ كانَ قلبُك في جناحيْ طائرِ

٤٩٢ عدل الإسلام

روى الشعبي قال: اشترى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فرسًا من رجل على أن ينظر إليها، فأخذ الفرس، فسار بها، فعطب، فقال لصاحب الفرس: خذ فرسك،

فقــال: لا، يا أمير المؤمنين، اجعـل بيني وبينك حكمًا، قــال الرجل: نعم، شريح، قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ومن شريح؟ قــال: شريح العراقي، فانطلقا إليه، فقصّا عليه القصة، فقال: يا أمير المؤمنين، ردَّ كما أخذت، أو خذ بما ابتعته، فقال عمر: هل القضاء إلا هكذا؟ سر إلى الكوفة، فقد ولّيناك قضاءها.

أقول:

إن الإســلام صــاغ هؤلاء الرجال، هذا يحكم علــى الخليفة، والخليفة ينفذ الحكــم على نفسه، ويرفع من قدر هذا الرجل بــأن يوليه على الناس، نعم، إنهم صفوة، ولكن هذا لم يكن من عند أنفسهم، إنه أمر الإسلام الذي جاء به رسوله محمــد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من عند خالق الناس لصــلاح الناس في حياتهم القصيرة هــذه، التي تبدأ مــن الخروج من الرحــم البشري، وتنتهي بالدخــول برحم أمنا الكبرى الأرض، فهل يعي حكام المسلمين ذلك، ويعودون إلى فطرة الله التي فطر الناس عليها؟ إنا نرجو ذلك منه وحده.

٤٩٣ نظرة فجلسة فزواج

أسمــاء الفزاري من الأجواد، رأى يومًا شابًّــا على درب داره جالسًا، فسأله عــن قعوده على بابه؟ فقــال: حاجة لا أستطيع ذكرها، فألــح عليه، فقال: جارية رأيتهــا دخلت هذه الدار لم أرَ أحسن منها، وقــد خطفت قلبي معها، فأخذ بيده، وأدخله داره، وعرض عليه كل جواريه حتى مرت تلك الجارية، فقال: هذه، فقال لــه: اخرج، فاجلس على البــاب مكانك، فخرج الشاب مكانه، ثــم خرج إليه بعد ساعــة والجارية معــه قد ألبسها أنواع الحلــي، وقال: ما منعنــي أن أدفعها إليك وأنــت داخل الــدار إلا إنها لأختي، وهي عزيزة عليهــا، فاشتريتها لك منها، فهي لك وما عليها، فأخذها الشاب، وانصرف.

٤٩٤ محب شريف عفيف

عن سهل الساعدي أنه دخل على جميل بثينة، وهو يموت، فقال له: ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزنِ قط، ولم يسرق قط، ولم يقتل النفس وهو يشهد أن لا إله إلا الله؟ قال: أظنه قد نجا، وأرجو له الجنة، فمن هذا؟ قال: أنا، فقلت: والله ما أظنك سلمت، وأنت تشبب بالنساء منذ عشرين سنة، فقال: لا، نالتني شفاعة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة إن كنت وضعت يدي عليها بريبة. قال: فما خرجنا حتى مات.

٤٩٥ الدين الكامل والعقل الراجح

كان الفقيه الورع سحنون بن سعيد يعلم العلم، وكان مالك، وعبدالعزيز ابن سلمة، ومحمد بن إبراهيم بن دينار، وغيرهم يختلفون إلى ابن هرمز، فكان إذا سأله ابن دينار وذووه لا يجيبهم، فتعرض له ابن دينار يومًا، فقال له: يا أبا بكر، لمَ تستحل مني ما لا يحل لك؟ أي يكتمه العلم وهو محرم عليه ذلك، فقال: يا ابنَ أخي، وما ذاك؟ قال: يسألك مالك وعبدالعزيز، فتجيبهما، وأسألك أنا وذوي فلا تجيبنا، فقال: أَوَقع ذلك يا ابن أخي، في قلبك؟ قال: نعم، قال: إني قد كبرت سني، ورقّ عظمي، وأنا أخاف أن يكون خالطني في عقلي مثل الذي خالطني في بدني، ومالك وعبدالعزيز عالمان فقيهان إذا سمعا مني حقًّا قبلاه، وإن سمعا خطأ تركاه، وأنت وذووك ما أجبتكم به قبلتموه. قال ابن حارث: هذا والله الدين الكامل والعقل الراجح، لا كمن يأتي بالهذيان، ويريد أن ينزل قوله من القلوب منزلة القرآن.

٤٩٦ المؤمن والفاجر

قال بعض الفقهاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ٢] قال: لا تلقى المؤمن إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلمة كذا، ما أردت بأكلة كذا، ما أردت بمجلس كذا؟ وأما الفاجر فيمضي قدمًا قدمًا لا يلوم نفسه. وقال: تصبروا، وتشددوا، فإنما هي ليالٍ تعدّ، وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى أحدكم، فيجيب ولا يلتفت، فانقلبوا بصالح ما يحضرنكم، إن هذا الحق أجهد الناس وحال بينهم وبين شهواتهم، وإنما يصير على هذا الحق من عرف فضله وعاقبته. وقال: لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته.

٤٩٧ الرخاء ببغداد

ذكر الخطيب البغدادي أنه كان يباع في بغداد أيام المنصور الكبش الغنم بدرهم، والحمل بأربعة دوانق، وينادى على لحم الغنم: كل ستين رطلًا بدرهم، ولحم البقر كل تسعين رطلًا بدرهم، والتمر كل ستين رطلًا بدرهم، والزيت ستة عشر رطلًا بدرهم، والسمن ثمانية أرطال بدرهم، والعسل عشرة أرطال بدرهم، ولهذا الأمن والرخص كثر ساكنوها، وعظم أهلوها، وكثر الدراج في أسواقها وأزقتها، حتى كان المارّ لم يستطع أن يجتاز في أسواقها وأزقتها لكثرة زحام أهلها.

٤٩٨ سحرة فرعون والجنة

قال عبدالله بن عباس وعبيد بن عمير: كانوا من أول النهار سحرة، فصاروا من آخره شهداء بررة، ويؤيد هذا قولهم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا

مُّسْلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٦] وقال سعيد بن جبير وعكرمة والقاسم بن أبي بردة والأوزاعي وغيرهم: لما سجد السحرة رأوا منازلهم وقصورهم في الجنة قد تهيأت لهم، وازينت لقدومهم، ولهذا لم يلتفتوا إلى تهويل فرعون وتهديده ووعيده لما رأوا من الكرامات، وكل مؤمن بالله إذا بلغ بإيمانه درجة عالية، فإنه لا يبالي ما يصيبه في هذه الحياة من الأهوال، ولأن سلعة الله غالية، وهي الجنة فلا بد من الصبر على ظلم الجبابرة والوقوف منهم موقف التحدي.

٤٩٩ سارع في مكارم الأخلاق

روى الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: يا سبحان الله! ما أزهد كثيرًا من الناس في خير عجبًا لرجل يجيئه أخوه المسلم في حاجة، فلا يرى نفسه للخير أهلًا، فلو كان لا يرجو ثوابًا، ولا يخشى عقابًا لكان ينبغي له أن يسارع في مكارم الأخلاق، فإنها تدل على سبيل النجاح.

٥٠٠ رزقه الله من حيث لا يحتسب

روى عبدالملك بن هشام في كتابه (التيجان) وأحمد بن عمار في كتابه (ري العطاش) قالوا: كان عبدالله بن جدعان أحد الأجواد الكرام في الجاهلية، وهو ابن عم والد الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالوا: كان في أول أمره فقيرًا شريرًا حائرًا حتى أبغضه قومه وعشيرته حتى والده، فخرج ذات يوم في شعاب مكة، فرأى شقًّا في جبل، فقصده لعله يموت، فيستريح مما هو فيه، فلما اقترب منه إذا بثعبان يخرج إليه، ويثب عليه، فجعل يحيد عنه، ويشب، فلا يغني شيئًا، فلما دنا منه إذا هو من ذهب وله عينان هما ياقوتتان، فكسره، وأخذه، ودخل الغار، فإذا فيه قبور لرجال من ملوك جرهم، ومنهم الحارث بن مضاض الذي طالت غيبته،

فـلا يُدرى أين ذهب، ووجد عند رؤوسهم لوحًا من ذهب فيه تاريخ وفاتهم ومدد ولايتـم، فإذا عندهم مـن الجواهر واللآلـئ الشيء الكثير، فأخـذ منه حاجته، وفـرح، وحصل على الغار علامة، ثـم انصرف إلى قومه، فأعطاهم حتى أحبوه، وسادهـم، وجعل يطعـم الناس، وكلما قل ما في يده ذهب إلـى ذلك الغار، فأخذ حاجته.

٥٠١ بين جرير والفرزدق

دخـل جرير على بشر بن مروان وعنـده الأخطل، فقال بشر لجرير: أتعرف هـذا؟ قال: لا، ومـن هذا أيها الأمير؟ قال: هذا الأخطل، فقال الأخطل: أنا الذي قذفـت عرضك، وأسهرت ليلـك، وآذيت قومك، فقال جريـر: أما قولك: شتمت عرضـك فما ضر البحـر أن يشتمه من غرق فيه، وأما قولك: وأسهرت ليلك، فلو تركتني أنا لكان خيرًا لك، وأما قولك: وآذيت قومك فكيف تؤذي قومًا أنت تؤدي الجزية إليهم؟ وكان الأخطل من نصارى العرب المنتصرة قبحه الله.

٥٠٢ الغفلة نعمة!

قـال مطـرف بن عبدالله: لو علمـت متى أجلي لخشيت علـى ذهاب عقلي، ولكـن الله تعالى منَّ على عباده بالغفلة عن الموت، ولـولا الغفلة ما تهنؤوا بعيش، ولا قامت بينهم الأسـواق. وقال الحسن: السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم، ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق!

٥٠٣ المرء بقلبه ولسانه

تـرى الـرجـلَ الـنحيفَ فـتَـزْدَريه ... وفي أثـوابِـه أسـدٌ هَـصُـورُ

ويعجبُكَ الطريرُ فتختبره	فيخلفُ ظنَّك الرجلُ الطَّريرُ
وما هامَ الرجالُ لها بزينٍ	ولكن زينُها دينٌ وخيرُ
بغاثُ الطيرِ أطولُها جُسومًا	ولم تطلِ البزاةُ ولا الصقورُ
وقد عظمَ البعيرُ بغيرِ لبٍّ	فلم يستغنِ بالعظمِ البعيرُ
فيركبُ ثم يضربُ بالهراوي	ولا عرفٌ لديه ولا نكيرُ

٥٠٤ الأحنف ومعاوية

قال الشعبي: دخل الأحنف بن قيس على معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأشار إليه إلى وسادة، فلم يجلس عليها، فقال له معاوية: ما منعك يا أحنف، أن تجلس على الوسادة؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن مما أوصى به قيس بن عاصم ولده أن قال: لا تسعَ للسلطان حتى يملّك، ولا تقطعه حتى ينساك، ولا تجلس له على فراش ولا وسادة، واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين.

٥٠٥ تقبيل اليد

استأذن رجل المأمون أن يقبل يده، فقال: إن القبلة من المؤمن ذلة ومن الذمي خديعة، ولا حاجة بك أن تذل ولا حاجة بنا أن نخدع. واستأذن أبودلامة المهدي في تقبيل يده، فمنعه فقال: ما منعتني شيئًا أيسر على عيالي فقدًا من هذه.

٥٠٦ ليتهم قتلوه

ذكر رجل عند النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فذكروا فضله وشدة اجتهاده في العبادة، فبينما هو في ذكره حتى طلع عليهم الرجل، فقالوا: الله! هو هذا، فقال رسول

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إني أرى على وجهه سفعة من الشيطان**» فأقبل الرجل حتى وقف، فسلم عليهم، فقال: هل حدثتك نفسك إذ طلعت علينا أنه ليس في القوم أحسن منك؟ قال: نعم، ثم ذهب إلى المسجد يصف بين قدميه يصلي، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيكم يقوم إليه، فيقتله؟**» فقال أبوبكر: أنا يا رسول الله، فقام إليه، فوجده يصلي، فهابه، وانصرف، فقال: يا رسول الله، وجدته يصلي، فهبته، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيكم يقوم إليه، فيقتله؟**» قال عمر: أنا يا رسول الله، فقام إليه، فوجده يصلي، فهابه، وانصرف، فقال: يا رسول الله، وجدته يصلي، فهبته، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أيكم يقوم إليه، فيقتله؟**» فقال علي: أنا يا رسول الله، فقال: أنت له إن أدركته، فقام إليه، فوجده قد انصرف، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا أول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما اختلف بعده اثنان، إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا فرقة واحدة**»[١].

٥٠٧ الرغبة والرهبة

قال حكيم: اعلم أن تثمير المال آلة للمكارم، وعون على الدين، وتأليف للإخوان، وأن من فقد المال قلّت الرغبة إليه والرهبة منه، ومن لم يكن بموضع رغبة، ولا رهبة استهان الناس به، فأجهد جهدك كله أن تكون القلوب معلقة بك برغبة أو رهبة في دين أو دنيا.

---

(١) أخرجه أبو يعلى (١٥٤/٧ رقم٤١٢٧)، وعبدالرزاق (١٥٥/١٠ رقم١٨٦٧٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٣٦/٦-٣٣٧ رقم١٠٤٠١): رواه أبو يعلى، ويزيد الرقاشي ضعفه الجمهور، وفيه توثيق لين، وبقية رجاله رجال الصحيح. وحديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة أخرجه أبو داود (٣٢٣/٤ رقم٤٥٩٨)، والترمذي (٢٥/٥ رقم٢٦٤٠)، قال: هذا حديث حسن صحيح.

٥٠٨ الشيعة

قال الجاحظ: أخبرني رجل من رؤساء التجار، قال: كان معنا في السفينة شيخ شرس الأخلاق طويل الإطراق، وكان إذا ذكر له الشيعة غضب، واربد وجهه، وزوى من حاجبيه، فقلت له يومًا: يرحمه الله ما الذي تكرهه من الشيعة؟ فإني رأيتك، إذ ذكروا غضبت، وقبضت؟ قال: ما أكره منهم إلا هذه الشين في أول اسمهم، فإني لم أجدها قط إلا في كل شر وشؤم وشيطان وشغب وشقاء وشنار وشين وشوك وشهوة وشتم وشحّ. قال أبوعثمان: فما ثبت لشيعي بعدها قائمة.

أقول:

وشيوعية.

٥٠٩ المتواضعون

قال قتادة في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤] قال: هم المتواضعون. وكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يأكل على الأرض متواضعًا، قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن العفو لا يزيد العبد إلا عزًا، فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماءً، فتصدقوا يزدكم الله**»[1].

٥١٠ ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

بعد أن كلّم الله موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وأعطاه الألواح، ومنحه من العلم ما منحه، ظن أنه لا يماثله أحد، فسأل ربه: يا رب، أي عبادك أحب إليك؟ قال:

(١) أخرجه الربيع في مسنده (رقم٨٨٥)، ضعفه العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٤/٣١٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٢٥١٥). وإن كان معنى كل فقرة جاء في حديث صحيح.

الذي يذكرني، ولا ينساني، قال: أي عبادك أقضى؟ قال: الذي يقضي بالحق، ولا يتبع الهوى، قال: فأي عبادك أعلم؟ قال: الذي يبتغي علم الناس إلى علمه عسى أن يصيب كلمة تدله على هدى، أو ترده عن ردى، قال موسى: يا رب، إن كان في عبادك من هو أعلم مني فدلني عليه، فقال: أعلم منك الخضر. قال: فأين أطلبه؟ قال: على الساحل عند الصخرة، قال: يا رب، كيف لي به؟ قال: تأخذ حوتًا في مكتل، فحيث فقدته، فهو هناك[1].

٥١١ الذنوب والكرم

الجود والسخاء هو بذل المال، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]. وقال بعض الحكماء: الجواد من جاد بماله، وصان نفسه عن مال غيره. وقيل لعمرو ابن عبيد: ما الكرم؟ فقال: أن تكون بمالك متبرعًا وعن مال غيرك متورعًا.

٥١٢ رأي من سمية

كتب الحسن بن علي رَضِيَٱللَّهُعَنهُ إلى زياد في رجل من أهل شيعته قد عرض له زياد، وحال بينه وبين جميع ما يملكه، وكان عنوان كتابه: من الحسن بن علي إلى زياد، فغضب زياد؛ إذ قدم نفسه عليه، ولم ينسبه إلى أبي سفيان، وكتب إليه: من زياد بن أبي سفيان إلى حسن، أما بعد: فإنك كتبت إليّ في فاسق لا يؤويه إلا الفساق، وايم الله لأطلبنه ولو بين جلدك ولحمك، فإن أحب لحم إليّ أن آكله لحم أنت منه، فكتب الحسن إلى معاوية يشتكي زيادًا، وأدرج كتاب زياد في داخل كتابه، فلما قرأه معاوية أكثر التعجب من زياد، وكتب إليه: أما بعد، فإن لك رأيين أحدهما من أبي سفيان، والآخر من سمية، فأما الذي من أبي سفيان

---

(١) أخرجه البخاري (١/٣٥-٣٦ رقم١٢٢)، ومسلم (٤/١٨٤٧-١٨٤٨ رقم٢٣٨٠).

فحزم وعزم، وأما الذي من سمية فكما يكون رأي مثلها، وإن الحسن بن علي كتب إليّ يذكر أنك عرضت لرجل من أصحابه، وقد حجزناه عنك ونظراءه، فليس له على واحد منهم سبيل ولا عليه حكم، وعجبت منك حين كتبت إلى الحسن لا تنسبه إلى أبيه، أما إلى أمه وكلته لا أم لك، فهو ابن فاطمة الزهراء ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أقول:

إن صحت هذه -والصحيح أنه وقع لآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر من ذلك- فهو تصديق لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]. قال المفسرون: يكون للأنذال على الأشراف دولة، ويكون للخبيث على الطيب دولة، حتى الأرض وهي جماد يكون لها على الأرض الأخرى دولة في شرف موقع وفضل كالمسجد، أو في زيادة القيمة المادية كالأسواق والمدن، والتاريخ يشهد بذلك.

٥١٣ ما صنعت شيئًا

ذكروا أن زيادًا أوفد ابن حصين على معاوية، فأقام عنده ما أقام، ثم إن معاوية بعث إليه ليلًا، فخلا به، فقال له: يا ابن حصين، قد بلغني أن عندك ذهنًا وعقلًا، فأخبرني عن شيء أسألك عنه؟ قال: سلني عما بدا لك. قال: أخبرني ما الذي شتّت أمر المسلمين، وفرّق أهواءهم، وخالف بينهم؟ قال: نعم، قتل الناس عثمان، قال: ما صنعت شيئًا، قال: فمسير علي إليك وقتاله إياك، قال: ما صنعت شيئًا، قال: فمسير طلحة والزبير وعائشة وقتال علي إياهم، قال: ما صنعت شيئًا، قال: ما عندي غير هذا يا أمير المؤمنين، قال: فأنا أخبرك أنه لم يشتّت شمل المسلمين، ولا فرّق أهواءهم، ولا خالف بينهم إلا الشورى التي جعلها عمر إلى ستة نفر، وذلك أن الله بعث محمدًا بالهدى ودين الحق ليظهره

علــى الدين كله، ولو كــره المشركون، فعمل بما أمره الله به، ثــم قبضه الله إليه، وقــدّم أبا بكر للصلاة، فرضوه لأمــر دنياهم، إذ رضيه رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمــر دينهم، فعمل بسنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسار بسيرته حتى قبضه الله، واستخلف عمر، فعمل بمثيل سيرته، ثم جعلها شورى بين ستة نفر، فلم يكن رجل منهــم إلا رجاهــا لنفسه، ورجاها له قومه، وتطلعت إلــى ذلك نفسه، ولو أن عمر استخلف عليهم كما استخلف أبوبكر ما كان في ذلك اختلاف.

أقول:

هذا إن صح دليل على حسن نيته رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في استخلافه يزيد، ولو فعلها بغير ولــده لكان أصلح، وأما الشــورى فهي سبب للجمع وليس للفرقــة، وأمر بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتكــون سنة لكل مــن ولي أمر الناس بعده، ولو استغنى أحد عن الشورى لكان هو صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي يصبحه الروح الأمين جبريل، ويمسيه.

٥١٤ عزم الأمور

قــال معبد الخزاعي: لقيت عليًّا بعد الجمل، فقلــت له: إني سائلك عن مسائل كانت منك ومن عثمان، فإن نجوت اليوم نجوت غدًا إن شاء الله، قال: سل عما بدا لك، قلت: أخبرني أي منزلة وسعتك إذ قتل عثمان، ولم تنصره؟ قال: إن عثمان كان إمامًا، وإنه نهى عن القتال، وقال: من سل سيفه فليس مني، فلو قاتلنا دونه عصينا، قــال: فأي منزلة وسعــت عثمان إذ استسلم حتى قتل؟ قــال: المنزلة التي وسعت ابن آدم، إذ قــال لأخيه: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨] قلت: فهلّا وسعتك هذه المنزلة يوم الجمل؟ قال: إنــا قاتلنا يوم الجمل من ظلمنا، قال الله: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الشورى: ٤١ - ٤٣].

فقاتلنا نحن من ظلمنا، وصبر عثمان، وذلك من عزم الأمور.

٥١٥ سجود الشكر

لما قتل مصعب بن الزبير حمل رأسه إلى عبدالملك بن مروان رجل يقال له: عبدالله بن ظبيان، فلما نظر عبدالملك إلى رأس مصعب خرّ ساجدًا، فقال عبدالله ابن ظبيان، وكان من فتاك العرب: ما ندمت على شيء قط ندمي على عبدالملك ابن مروان، إذ أتيته برأس مصعب، فخرّ ساجدًا، ألّا أكون ضربت عنقه، فأكون قد قتلت ملكي العرب في يوم واحد، وقال في ذلك:

هممتُ ولمْ أفعلْ وكدتُ وليتَني فعلتُ فأدمنتُ البُكا لأقاربِه

فأوردتُها في النارِ بكرَ بنَ وائلٍ وألحقتُ مَنْ قَدْ خرَّ شكرًا بصاحبِه

٥١٦ يلغي الروتين

كان الخليفة الصالح الزاهد عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعدُّ من كبار الفقهاء، وكان يكتب إلى عبدالرحمن عامله على المدينة في المظالم، فيراجعه فيها، فيكتب إليه: إنه يخيل لي لو كتبت إليك آمرك بذبح شاة لراجعتني بالأمر، فإذا وصلك كتابي هذا فسلّم عملنا إليه، واذهب ارعِ غنيمات أبيك.

٥١٧ فأرة المسك

سئل مالك بن أنس: ما السبب الذي جعل عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشاطر الأمراء أموالهم، يدخل نصف أموالهم إلى بيت المال، ويبقى لهم النصف فقط؟ فقال: كتب إليه شاعر من المسلمين بهذه الأبيات:

نحجُّ إذا حجُّوا ونغزُو إذا غزَوا فأنَّى لهمْ وفرٌ ولسْنا بذي وفرِ

إذا التاجرُ الهنديُّ جاءَ بفأرة　　منَ المسك راحَتْ في مفارقهم تجري
فدونَك مالَ اللهِ حيثُ وجدتَه　　سيرضونَ إنْ شاطرتَهم منكَ بالشطرِ

قال: فلما قرأ عمر الشعر قال: صدق، وصادر نصف أموالهم.

٥١٨ الاسم الحسن

ورد في الأثر عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن من حق الولد على والده أن يختار أمه من الأخيار، ويحسن اسمه[١]، وسأل عمر رجلًا - أراد أن يستعين به على عمل - عن اسمه واسم أبيه؟ فقال: ظالم بن سراقة، فقال: تظلم أنت، ويسرق أبوك؟ ولم يستعن به في شيء. وروى سفيان عن هشام الدستوائي عن يحيى بن كثير قال: كتب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى أمرائه: لا تبردوا بريدًا إلا حسن الوجه حسن الاسم، وقصته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صلح الحديبية مشهورة، حيث لم يكتب النجاح لسفراء قريش إلا لواحد، وهو سهيل بن عمرو، حيث قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هذا سهيل بن عمرو أبشروا، وسهل عليكم أمركم**»[٢].

٥١٩ حسب الناس

وقف أبودهان عند باب سعيد بن مسلم، فحجبه حينًا، ثم أذن له، فمثل بين يديه، وقال: إن هذا الأمر الذي صار إليك وفي يدك قد كان في يد غيرك،

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦/٤٠١ رقم٨٣٠٠)، بلفظ: عن عائشة عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «حق الولد على والده أن يحسن اسمه، ويحسن من مرضعه، ويحسن أدبه»، قال البيهقي: فيه ضعف. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٢٧٣٣).
(٢) أخرجه البخاري في حديث صلح الحديبية الطويل (٣/١٩٣-١٩٧ رقم٢٧٣٢).

فأمســى والله حديثًا إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشــر وتسهيــل الحجاب ولين الجانب، فــإن حب عباد الله موصــول بحب الله، وبغضهم موصول ببغض الله؛ لأنهم شهداء الله على خلقه ورغباؤه على من اعوجّ عن سبيله.

أقول:

يــا ليــت المسؤولين عن مرافــق المسلمين وخدماتهم يقــرؤون مثل ذلك حتى يراعــوا حق الله وحق الناس فيما وكّل إليهم، واستخلفوا فيه، فعند ذلك يستريح الناس، ويريحون أنفسهم.

٥٢٠ احذر الحسد

قال بعض العلماء: ما أمحق للإيمان، ولا أهتك للستر من الحسد، وذلك أن الحاسد معاند لحكم الله باغٍ على عباده عاتٍ على ربه، يعدّ نعم الله نقمًا ومزيده غِيرًا وعدل قضائه حيفًا، للناس حالٌ وله حالٌ ليس يهدأ ليله، ولا ينام جشعه، ولا ينفعــه عيشه، محتقر لنعم الله عليــه متسخط ما جرت به أقداره، لا يبرد غليله، ولا تؤمن غوائله، إن سالمته وَتَرك، وإن واصلته قطعك.

٥٢١ هو خامسهم

قيــل للحجاج: كيف وجدت منزلك بالعراق أيها الأمير؟ قال: خير منزل، لو أدركــت بها أربعة نفر لتقربت إلــى الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بدمائهم، قيل له: ومن هم؟ قال: مقاتــل بن مسمع ولي سبحستان أتاه النــاس، فأعطاهم الأموال، فلما قدم البصرة بسط الناس له أرديتهم، فمشى عليها، فقال: لمثل هذا فليعمل العاملون،

وعبيد الدين بن ظبيان خطب خطبة أوجز فيها، فناداه الناس من أعراض المسجد: كثر الله فينا أمثالك، قال: لقد كلفتم ربكم شططًا، ومعبد بن زرارة كان ذات يوم جالسًا على طريق فمرت به امرأة، فقالت: يا عبدالله، أين الطريق لمكان كذا؟ فقال: لمثلي يقال: يا عبدالله، ويلك! وأبوالسماك الحنفي أضل ناقته، فقال: والله لئن لم يردد عليّ ناقتي لا صليت أبدًا. وقال ناقل الحديث: ونسي الحجاج نفسه، وهو خامس هؤلاء الأربعة، بل هو أشدهم كبرًا وأعظمهم إلحادًا، حين يكتب إلى عبدالله في عطسة يعطسها، فشمته أصحابه ورد عليهم: بلغني ما كان من عطاس أمير المؤمنين وتشميت أصحابه له ورده عليهم، فيا ليتني كنت معهم فأفوز فوزًا عظيمًا، وكتابه إليه أن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين، أعلى منزلة من المرسلين.

٥٢٢ وصية للملوك

قال بعض العلماء في وصية له لبعض الملوك: أول ما أوصيك به تقوى الله وإيثار طاعته، ومن توليه أمور الناس فيجب أن يكون ذاكرًا ثلاثة أشياء: أولها يده تكون على قوم كثير، والثاني أن الذي يده عليهم أحرار لا عبيد، والثالث أن سلطانه لا يدوم. واعلم أن الرعية تسكن إلى من أحسن إليها، وتنفر عمن أساء، والسلطان برعيته، فإذا نفروا عنه كان سلطان نفسه. وأصلح آخرتك تصلح لك دنياك، واكتم السر، واستيقظ في الأمور وجدّ في الطلب، وإذا هممت فافعل، وعليك بحفظ الفلاحين، فإن الجند بهم يكثرون وبيوت المال تعمر، وأكرم أهل العلم وقدمهم لئلا تجهل الرعية حقهم، من طلب العلم أكرمه ليصفو ذهنه، وخذ بيد المظلوم، وشاور العقلاء تأمن خلل الاستبداد، وألا تعاقب في صغار الذنوب، واقبل من اعتذر.

٥٢٣ تربية الأولاد

قــال الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الطريقة الشرعية والإسلامية لتربية الأبناء لينشؤوا صالحين نافعين:

- ليكن توبيخه حينًا بعد حين.
- امنعه من النوم نهارًا؛ فإنه يورث الكسل.
- لا يكشف عورته وأطرافه، ولا يسرع في المشي.
- لا يستعمل الفرش الوثيرة؛ لكي لا يتعود على الترف.
- لا يبصــق في المجلســ، ولا يتثاءب بحضرة غــيره، ولا يستدبر غيره، ولا يضع رجلًا على رجل.
- امنعه من الحلف وكثرة الكلام.
- يعلم حسن الإصغاء والقيام لمن فوقه.
- امنعه من مجالسة قرناء السوء، واحفظه منهم أشد من حفظه من الأسد.
- أن يؤذن له باللعب بعد الدرس وبشكل محدود.

٥٢٤ وصايا من الأحنف

قــال رجل: حضرت مجلســ الأحنف بن قيس وعنده قــوم مجتمعون في أمر لهم، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن الكرم منع الحرم، وما أقرب النقمة من أهــل البغــي، ولا خير في لذة تعقبها ندامة، ولن يهلــك من اقتصد، ورب هزل قد عاد جدًّا، ومن أمن الزمان خانه، ودعوا المزاح؛ فإنه يورث الضغائن، وخير القول

مـا صدقه العمـل، واقبلوا عذر من اعتذر إليكم، أطـع أخاك وإن عصاك، وصله وإن جفـاك، أنصف مـن نفسك قبل أن ينتصف منك، وكفر النعمة لؤم، وصحبة الجاهـل شؤم، ومـا أقبح القطيعة بعد الصلة والجفاء بعـد اللطف! ولا تكن على الإسـاءة أقوى منك على الإحسان ولا إلى البخل أسرع منك إلى البذل، واعلم أن لـك من دنياك ما صلحت بـه مثواك، فأنفق في حق ولا تكـن خازنًا لغيرك، وإذا وجـد الغدر فالثقة بكل أحد عجـز، واعرف الحق لمن عرفه لك، واعلم أن قطيعة الجاهـل تعـدل صلة العاقل، ويقول الرجل: حفظت هذا الـكلام؛ لأنني لم أرَ أبلغ بعد الكتاب والسنة منه.

٥٢٥ حذيفة وجليسه

قـال ابن إسحـاق: حدثني يزيد عـن القرظي قال: قال رجل مـن أهل الكوفة لحذيفـة بن اليمان: يا أبا عبدالله أرأيتم رسول الله، وصحبتموه؟ قال: نعم، يا ابن أخي، قال: كيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نجهد، قال: والله لو أدركناه ما تركنـاه يمشي على الأرض، ولحملناه على أعناقنا. قال: فقال حذيفة: يا ابن أخي، والله لقد رأيتنا مع رسول الله بالخندق، وصلى رسول الله هَويًّا من الليل، ثم التفت إلينـا، فقـال: «**من رجل يقـوم، فينظر لنـا ما فعل القـوم، ثم يرجـع؟**» فشرط له رسـول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ الرحمة: «**أسـأل الله أن يكون رفيقي في الجنة**»، فما قام رجـل من شـدة الخوف وشدة الجوع والبرد، فلما لم يقـم أحد دعاني، فلم يكن لي بد من القيام، فقال: «**يا حذيفة، اذهب، فادخل في القوم، فانظر ماذا يفعلون، ولا تُحْدِثَـنّ شيئًـا حتى تأتينا**»، قال: فذهب، فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تقر لهم قدر ولا نار ولا بناء، فقام أبوسفيان، فقال: يا معشر قريش، لينظـر امرؤ جليسه، قال حذيفة: فأخذت بيد الرجل الذي كان بجانبي، فقلت: من أنـت؟ قال: فلان بن فلان، ثـم قال: يا معشر قريش، إنكـم والله ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا منهم الذي نكره، لقينا

من شدة الريح ما ترون، ما تطمئن لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا، فإني مرتحل، ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه، فوثب بــه علــى ثلاث، فما أطلــق عقاله إلا وهو قائم، ولــولا عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليّ لا تُحــدثْ شيئًــا حتــى تأتينــا لقتلتــه بسهم. قال حذيفــة: فرجعت إلــى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهــو قائم يصلي في مرط لبعض نسائــه، فلما رآني أدخلني إلى رجليه، وطرح عليّ طرف المرط، ثم ركع وسجد، وإني لفيه، فلما سلّم أخبرته الخبر، ففرح رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أشد الفرح بهذا النصر من عند الله[1].

٥٢٦ عمريات

إنــه عمر بن الخطاب، إنــه الفحل، إنه العبقري، إنه أحــد عظماء التاريخ، إنــه بين السياسيين في القمة، وبين العسكريــين في القمة، وبين الزهاد في القمة، وبــين أهــل العدل في القمة. إنه أحد مفاخر الإســلام، ومناراته، إنه تلميذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنــه فخــر لكل مسلم، إنه الرجل الــذي لا يمل المسلم من ذكر سيرتــه وأعماله، ولــو تكرر ذلك في الأيــام والساعات، إننا نكثر مــن ذكره لأننا نحبه، ومن أحب شيئًا أكثر من ذكره، وأشهد الله وملائكته والناس أجمعين أنني أحبــه لوجه الله. وعن زيد بن أسلم عــن أبيه قال: بعث معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى عمر ابن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو على الشام بمال وأدهم، وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفــع ذلك إلى عمر، وكتب إلى عمر يقــول: إني وجدت في حصون الروم جماعة مــن أسارى المسلمين مقيدين بقيود حديد أنفــذت منها هذا ليراه أمير المؤمنين، وكانــت العرب قبل ذلــك تقيد بالقيد، قال جريــر: فخرج الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدهم، قال: فذهب أبوسفيان بالأدهم والكتاب إلــى عمــر، واحتبســ المال لنفســه، فلما قرأ عمر الكتــاب قال: فأين المــال يا أبا سفيــان؟ قــال: كان علينا دين ومعونــة، ولنا في بيت المال حق، فــإذا أخرجت لنا

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/٣٥٨-٣٥٩ رقم٢٣٣٣٤)، والمروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/٢٣٣-٢٣٥ رقم٢١٥).

شيئًا قاصصتنا به، فقال عمر: اطرحوه في الأدهم حتى يأتي بالمال، قال: فأرسل أبوسفيان من أتاه بالمال، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم، قال: فلما قدم الرسول على معاوية قال له: رأيت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم؟ قال: نعم، وطرح فيه أباك، قال: ولِمَ؟ قال: جاءه بالأدهم، وحبس المال، قال: أي والله والخطاب لو كان لطرحه فِيه. نسأل الله أن يعيد للإسلام والمسلمين هذا النموذج الفذ من الحكام، إنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٥٢٧ اقتصاد وتدبير

قالوا: من أشبع أرضه عملًا أشبعت بطنه خبزًا، وقالوا: يقول الثوب لصاحبه: أكرمني داخل المنزل أكرمك خارجه. وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «المغزل في يد المرأة أحسن من الرمح بيد المجاهد في سبيل الله». وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «فرّقوا بين المنايا، واجعلوا الرأس رأسين». وقال عبدالملك بن مروان: «من كان في يده شيء فليصلحه، فإنه في زمان إن احتاج فيه فأول ما يبدل دينه».

أقول:

عبدالملك يقول هذا في آخر القرن الأول، فكيف لو رأى زماننا اليوم؟!

٥٢٨ أقدم حيزوم

في صحيح مسلم من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل حدثني ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: بينما رجل من المسلمين يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم، إذ نظر إلى المشرك أمامه قد خر مستلقيًا، فنظر إليه فإذا هو خطم أنفه، وشقّ وجهه كضربة السوط، فأحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري، فحدث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**صدقت، ذلك من مدد السماء الثالثة**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٨٣/٣ رقم١٧٦٣).

قد قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

٥٢٩ احترام المسلم وستر عورته

خرج عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإذا هو بضوء نار ومعه عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فأتبع النور حتى دخل دارًا، فإذا بسراج في البيت، فدخل وذلك في جوف الليل، فإذ شيخ جالس وبين يديه شراب وقينة تغنيه، فلم يشعر حتى هجم عليه عمر، فقال عمر: ما رأيت كالليلة منظرًا أقبح من شيخ ينتظر أجله، فرفع رأسه إليه، فقال: بلى، يا أمير المؤمنين، ما صنعت أنت أقبح، أتجسست، وقد نهى عن التجسس، ودخلت بغير إذن؟ فقال: عمر: صدقت، ثم خرج عاضًّا على ثوبه يبكي، وقال: ثكلت عمر أمه إن لم يغفر له ربه يجد هذا كان يستخفي به من أهله، فيقول: الآن رآني عمر، فيتتابع فيه، وهجر الشيخ مجلس عمر حينًا، فبينما عمر بعد ذلك جالس إذ به قد جاء شبه المستخفي حتى جلس في أخريات الناس، فرآه عمر، فقال: علي بهذا الشيخ، فأتى، فقيل له: أجب، فقام وهو يرى أن عمر سيسوؤه بما رأى منه، فقال عمر: ادنُ مني، فما زال يدنيه حتى أجلسه بجنبه، فقال: ادنُ مني أذنك، فالتقم أذنه، فقال: أما والذي بعث محمدًا بالحق رسولًا ما أخبرت أحدًا من الناس بما رأيت منك ولا ابن مسعود، فإنه كان معي، فقال: يا أمير المؤمنين، ادنُ مني أذنك، فالتقم أذنه فقال: ولا أنا والذي بعث محمدًا بالحق رسولًا ما عدت إليه حتى جلست مجلسي هذا، فرفع عمر صوته يكبر، فما يدري الناس من أي شيء يكبر.

(حياة الصحابة)

٥٣٠ الرجاء والخوف

أخـرج البيهقي عن سعيد بن المسيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ اشتكـى، فدخل عليه النبـي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعوده، فقال: «**كيف تجـدك يا عمر؟**» قال: أرجو، وأخاف، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب مؤمن إلا أعطاه الله الرجاء وأمنه الخوف**»[١].

٥٣١ لا تنظروا إلى الثياب

يوم القادسية في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعث القائد سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالصحابـي الجليل ربعي بـن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى القائد الفارسـي رستم، فدخل عليـه، وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهبة والزرابـي الحرير، وأظهروا اليواقيت واللآلـئ الثمينـة والزينة العظيمة، وعليه تاجه، وغير ذلـك من الأمتعة الثمينة، وجلـس على سرير مـن ذهب، ودخل ربعي بثيـاب صفيقة وسيـف وترس وفرس قصـيرة، ولم يـزل راكبها حتى داس بهـا على طرف البساط، ثـم نزل، وربطها ببعضـ تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحـه ودرعه وبيضته على رأسه، فقالوا له: ضـع سلاحك، فقال: إني لم آتِكم، وإنما جئتكم حـين دعوتموني، فإن تركتموني هكـذا وإلا رجعت، فقال رستم: ائذنوا له. فأقبـل يتوكأ على رمحه فوق النمارق، فخـرّق عامتهـا، فقالوا له: ما جـاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنـا لنخرج من شاء من عبـادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه، فمن قبل ذلك قبلنا منه، ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه أبدًا حتى نفضي إلى موعود الله، قالوا: وما موعود الله؟ قـال: الجنـة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمـن بقي، فقال رستم: قد سمعـت مقالتكم، فهل لكم أن تؤخـروا هذا الأمر حتى ننظر فيه، وتنظروا؟ قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣١٦/٢ رقم٩٧٢).

نعـم تحبون آتيكم يومًا أو يومين؟ قال: بل حتى نكاتـب أهل رأينا ورؤساء قومنا، فقال: ما سن لنا رسول الله ﷺ أن تؤخر الأعداء عند اللقاء عن ثلاث بعد الأجـل، فقال: سيدهم أنت؟ قال: لا، ولكـنّ المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهـم على أعلاهـم، فاجتمع رستـم برؤساء قومه، فقال: هـل رأيتم قط أعز وأرجح من كلام هذا الرجل؟ فقالوا: معاذ الله أن تميل إلى شيء من هذا، وتدع دينك إلى هذا الكلب، أما ترى ثيابه؟ قال: ويلكم! لا تنظروا إلى الثياب، وانظروا إلى الرأي والكلام والسيرة، إن العرب يستخفون بالثياب[1].

آه لو قارنّا بين حالنا بالأمس، كما ذكر أعلاه وحال العرب والمسلمين واحتلال أولاد القردة والخنازير الديار وإذلالهم أحفاد ربعي بن عامر.

٥٣٢ كيف كنّا

روى البيهقـي في (الدلائـل)، من طريـق الأعمش عن بعضـ أصحابه قال: انتهينا إلى دجلة، وهي مادة، والأعاجم خلفها، فقال رجل من المسلمين باسم الله، ثـم اقتحموا على الماء، فنظر إليهم الأعاجم، وقالـوا: ديوان ديوان. أي مجانين. ثـم ذهبوا على وجوههم، قـال: فما فقد النـاس إلا قدحًا كان معلقًا بعلاقة سرج، فلمـا خرجوا أصابـوا الغنائم، واقتسموا، فجعل الرجل يقـول: من يبادل صفراء بيضـاء؟ وقد ذكر أول من اقتحم دجلة يومئذ أبوعبيدة النفيعي أمير الجيوش في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأنه نظر إلى دجلة، فتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عمران: ١٤٥] ثـم سمى الله تعالى، واقتحم بفرسـه الماء، واقتحم الجيش وراءه، ولمـا نظر إليهم الأعاجم يفعلون ذلك جعلوا يقولون: ديوان ديوان؛ أي مجانين، وولوا مدبرين. فقتلهم المسلمون، وغنموا منهم مغانم كثيرة[2].

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٧/٤٦-٤٧).

(٢) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/١٩٢ رقم٢٣٠٣)، وانظر: البداية والنهاية (٦/٢٩٢).

٥٣٣ شطر شعير

روى البخـاري ومسلم من حديث أبي سلمة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت له: لقد توفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد إلا شطر شعير في رف لي، فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففني[١].

٥٣٤ أي الخصال خير؟!

قـال ابن لقمان لأبيه: يا أبت، أي الخصال مـن الإنسان خير؟ قال: الدين. قـال: فإذا كانت اثنتين؟ قـال: الدين والمال. قال: فإذا كانـت ثلاثًا؟ قال: الدين والمـال والحياء. قال: فإذا كانت أربعًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق. قـال: فإذا كانت خمسًا؟ قال: الدين والمال والحياء وحسن الخلق والسخاء. قال: فـإذا كانت ستًّا؟ قال: يـا بني، إذا جمعت فيه الخمس خصال فهو تقيّ ولله وليّ، ومن الشيطان بريّ[٢].

٥٣٥ طريق الوحدة

قـال الإمـام المجدد حسـن البنـا رَحِمَهُ اللَّهُ: إن في الدنيا الآن دعـوات كثيرة ونظمًـا كثيرة يقـوم معظمها على أسـاس العصبية القومية التـي تستهوي قلوب الشعـوب، وتحرك عواطف الأمم، فـإن هذه الدروس القاسية التي يتلقاها العالم مـن آثار هذه القـوة الطاغية كفيلـة بأن يفيء النـاس إلى الرشـد، ويعودوا إلى التعـاون والإخاء، ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبـل، فوحَّد العقيدة أولًا، ثم وحَّـد النظم والأعمال بعد ذلك، وظهر هذا المعنـى الساحر النبيل في كل فروعه

(١) أخرجه البخاري (٤/٨١ رقم٣٠٩٧)، ومسلم (٤/٢٢٨٢ رقم٢٩٧٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/٥٢).

العلميــة. فــرب النـاس واحد، ومصدر التديــن واحد، والأنبيــاء جميعًا مقدسون معظمون، والكتب السماوية كلهــا من عند الله، والغاية المنشودة اجتماع القلوب: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

٥٣٦ رؤيـا

عن عمر بن حبيب بن قليع قال: كنت جالسًا عند سعيد بن المسيب يومًا وقد ضاقت عليَّ الأشياء، ورهقني دين، فجلست إلى ابن المسيب ما أدري أين أذهب، فجـاء رجـل، فقال: يا أبا محمد، إني رأيت رؤيا، قـال: ما هي؟ قال: رأيت كأنني أخـذت عبد الملك بن مروان، وأضجعته إلى الأرض، ثم بطحته، فأوتدت في ظهره أربعة أوتاد، قال: ما أنت رأيتها، قال: بلى، قال: لا. أخبرك أو تخبرني، قال: ابن الزبـير رآها، وهو بعثني إليك، قـال: لئن صدقت رؤياه قتله عبد الملك بن مروان، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة.

٥٣٧ النصيحة

قـال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أدرك عندنا مـن أدرك بكثرة الصلاة والصيـام، وإنما أدرك عندنـا بسخاء الأنفس وسلامة الصـدر والنصح للأمة، وكان السلـف الصالح إذا أرادوا نصيحة أحد وعظوه سرًّا حتى قال بعضهم: من وعـظ أخاه فيمـا بينه وبينه فهي نصيحـة، ومن وعظه على رؤوس النـاس فإنما وبّخـه. وقال معمر: كان يقال: أنصح لك من خـاف الله فيك. وقال آخر: المؤمن من يستر، والفاجر يهتك، ويُعيّر.

٥٣٨ أقوال الفقهاء

قال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب، ومن ارتقب الموت سارع في الخيرات، وقال الحسن البصري: والذي نفسي بيده لقد تركت أقوامًا كانت الدنيا أهون عليهم من التراب الذي تمشون عليه. وقال الفضيل بن عياض: علامة السعادة اليقين في القلب، والورع في الدين، والزهد في الدنيا، والحياء، والعلم. وقال آخر: ما أمر الله تعالى بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى تفريط وتقصير، وإما إلى مجاوزة وغلو، ولا يبالي بأيهما ظفر.

٥٣٩ وجبت

روى مالك في الموطأ عن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى برّاق الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه؟ فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان الغد هجرت، فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي، فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني أحبك لله، فقال: ألله؟ فقلت: ألله. فقال: ألله؟ فقلت: ألله؟ فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه، وقال: أبشر، فإني سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**قال الله تعالى: وَجَبَتْ محبتي للمتحابِّينَ فيَّ، وللمتجالسينَ فيَّ، والمتباذلينَ فيَّ، والمتزاورينَ فيَّ**»[1].

٥٤٠ تفسير آية

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦] أي يلقي بينهم المحبة، فيحب بعضهم بعضًا، فيتراحمون، ويتعاطفون بما

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٢/٩٥٣ رقم١٧١١)، وصححه النووي في رياض الصالحين (١/٢٤٤)، والألباني في صحيح الترغيب (٣/٩٢ رقم٣٠١٨).

جعل الله لبعضهـم في قلوب بعض من المحبة. وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: يحبهم، ويحببهـم إلـى عباده. قال هـرم بن حبان: ما أقبل عبد بقلبـه إلى الله عَزَّ وَجَلَّ إلا أقبل بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم، وأهل المعاصي والفسوق، وإن كان بينهـم نوع مودة وتحاب، فإنها تنقلب عداوة وبغضاء. وفي الغالب يتعجل لهـم ذلـك في الدنيا قبل الآخرة. وأما في الآخـرة، ف: ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٦٧]

٥٤١ لكم كل حلوة

ذكـرت عند الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بعض الآيات التي نزلت بمن لم يحكم بما أنزل الله، مثل ما جاء في سورة المائدة: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] وفي آية أخرى: ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] فقال رجل: إن هذا في بنـي إسرائيل، فقال حذيفة: نعم الإخوة لكم بنو إسرائيـل إن كان لكـم كل حلـوة ولهم كل مـرة، يعني كيف يوصف بنـو إسرائيل بالكفـر أو الظلم أو الفسـق إذا لم يحكموا بما أنزل الله عليهم، ولا توصفون أنتم بذلك، إذا لم تحكموا بما أنزل الله عليكم؟!

٥٤٢ علماء عظماء

روى أبوالقاسم الوراق أن الطبري صاحب التفسير والتاريخ المشهورين قال لأصحابـه: أتنشطـون لتفسير القـرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قـال: ثلاثون ألف ورقـة. فقالوا: هذا ما يفنـي الأعمار قبل إتمامه، فاختصـره في نحو ثلاثة آلاف ورقـة، ثم قال: تنشطـون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هـذا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحوًا مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك، فقال: إنا لله، ماتت الهمم، ثم نهض بالأمر وحده، فوضع تاريخه المشهور.

٥٤٣ القلب وخلوّه

قال ابن القيم في كتابه (مدارج السالكين): اعلم أن القلب إذا خلا من الاهتمام بالدنيا والتعلق بما فيها من مال أو رياسة أو صورة، وتعلق بالآخرة والاهتمام بها من تحصيل العدة والتأهب للقدوم على الله عَزَّوَجَلَّ فذلك أول فُتُوحه وتباشير مخبره، فعند ذلك يتحرك قلبه لمعرفة ما يرضي به ربه منه، فيفعله ويتقرب به إليه، وما يسخطه منه فيتجنبه، وهذا عنوان صدق إرادته.

٥٤٤ الذي أدخلنا التاريخ

قال الداعية الإسلامي الكبير عصام العطار: نحن لم ندخل التاريخ أيها القوميون العرب، بأبي جهل وأبي لهب، ولكن دخلناه بمحمد رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر، ولم نفتح الفتوح بالبسوس وداحس والغبراء، ولكن فتحناها ببدر والقادسية واليرموك وحطين وعين جالوت، ولم نحكم الدنيا بالمعلقات السبع، ولكن حكمناها بالقرآن المجيد، ولم نحمل إلى الناس رسالات اللات والعزى، ولكن حملنا إليهم رسالة الله الواحد القهار.

٥٤٥ لا يزوج الجاهل

جاء إلى سفيان بن عيينة ابن أخيه يخطب ابنته، فقال له: كفء كريم، ثم قال: اجلس، فجلس، فقال: يا بني، اقرأ عشر آيات من القرآن، فلم يستطع الشاب، قال: أروِ عشرة أحاديث، فلم يستطع، قال: ائت عشرة أبيات من الشعر، فلم يستطع، فقال له: لا قرآن، ولا حديث، ولا شعر، فعلى أي شيء أضع ابنتي عندك؟ قال له: لا أخيِّبك خذ أربعة آلاف درهم، ودع البنيّة.

٥٤٦ الورع والطمع

قال سفيان الثوري: ما رأيت أسهل من الورع، ما حاك في نفسك فاتركه. وسأل الحسن غلامًا، فقال له: ما ملاك الدين؟ قال: الورع، قال: فما آفته؟ قال: الطمع، فعجب الحسن منه. وقال أبوهريرة: جلساء الله غدًا أهل الورع والزهد. وقال بعضهم: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما لا بأس به حذرًا مما به بأس. وقال بعض الصحابة: كنا ندع سبعين بابًا من الحلال مخافة أن نقع في باب من الحرام.

٥٤٧ مؤمن وملحد

قال ملحد لأحد المؤمنين: ألست تقول: لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك؟ قال: بلى، قال: فارم بنفسك من ذروة هذا الجبل، فإذا قدر الله لك السلامة تسلم. فقال له: يا هذا، إن الله يختبر عباده، وليس لعبد أن يختبر ربه.

٥٤٨ الصدمة الأولى

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامرأة عند قبر تبكي فقال لها: «**اتقي الله واصبري**» فقالت: إليك عني فإنك لم تصب بمصيبتي ولم تعرفه، فقيل لها: إنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأتت باب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فلم تجد عنده بوابين فقالت: لم أعرفك يا رسول الله، قال: «**إنما الصبر عند الصدمة الأولى**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٧٩ رقم١٢٨٣)، ومسلم (٢/٦٣٧ رقم٩٢٦).

٥٤٩ خوّفنا يا كعب

جاء في كتاب (الزهد) للإمام أحمد عن كعب الأحبار قال: قال لي عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يومًا وأنا عنده: يا كعب، خوّفنا، قال: فقلت يا أمير المؤمنين، أوَ ليس فيكم كتاب الله وحكمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قال: بلى، ولكن يا كعب، خوّفنا، قال: قلت يا أمير المؤمنين، اعمل عمل رجل لو وافيت القيمة بعمل سبعين نبيًّا لازدرأت عملك مما ترى، قال: فأطرق عمر، ونكس مليًّا، ثم قال: زدنا يا كعب، يا كعب، زدنا. قال: قلت يا أمير المؤمنين، لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها، قال: فأطرق عمر، ونكس مليًّا، قال: ثم أفاق، فقال: زدنا يا كعب، قال: قلت يا أمير المؤمنين، إن جهنم لتزفر يوم القيامة زفرة ما يبقى ملك مقرب، ولا نبي مصطفى إلا خرّ جاثيًا على ركبتيه، قال: ويقول: ربّ نفسي نفسي لا أسألك اليوم إلا نفسي، قال: فأطرق عمر مليًّا، قال: قلت يا أمير المؤمنين، أوَ ليس تجدون هذا في كتاب الله؟ قال: كيف؟ قال: قل: قول الله سبحانه: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [النحل: ١١١].

٥٥٠ خُدِع وصبر لوجه الله

قال الخطيب: أخبرنا عبدالكريم بن هوازن قال: سمعت أبا عثمان يقول: منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حالة، وكرهتها، ولا نقلني إلى غيرها، فسخطتها، وكان أبوعثمان ينشد:

أسأتُ ولم أحسنْ وجئتُك هاربًا ... وأينَ لعبدٍ عَنْ مواليه مهْربُ؟

يؤمِّلُ غفرانًا فإنْ خابَ ظنُّه ... فما أحدٌ منْه على الأرضِ أخيبُ

وروى الخطيب أنه سئل: أي عملك أرجى عندك؟ فقال: إني لما ترعرعت، وأنا بالري، وكانوا يريدونني على التزويج، فأمتنع، فجاءتني امرأة، فقالت: يا أبا عثمان، قد أحببتك حبًّا أذهب نومي وقراري، وأنا أسألك بمقلب القلوب، وأتوسل به إليك لما تزوجتني، فقلت: ألك والد؟ فقالت: نعم، فأحضرته، فاستدعى الشهود، فتزوجتها، فلما خلوت بها، فإذا هي عوراء عرجاء شوهاء مشوّهة الخلق، فقلت: اللهم، لك الحمد على ما قدرته لي. وكان أهل بيتي يلومونني على تزويجي بها، فكنت أزيدها برًّا وإكرامًا، وربما احتبستني عندها، ومنعتني من الحضور إلى بعض المجالس، وكأني كنت في بعض أوقاتي على الجمر، وأنا لا أبدي لها من ذلك شيئًا، فمكثت كذلك خمس عشرة سنة، فما شيء أرجى عندي من حفظي عليها ما كان في قلبها من جهتي.

٥٥١ حيلة دجّال

قال بعضهم: كنت أسمع أن الحلاج له أحوال وكرامات، فأحببت أن أختبر ذلك، فجئته، فسلمت عليه، فقال لي: تشتهي علي الساعة شيئًا؟ فقلت: أشتهي سمكًا طريًّا، فدخل منزله، فغاب ساعة، ثم خرج عليَّ ومعه سمكة تضطرب، ورجلاه عليهما الطين، فقال: دعوت الله، فأمرني أن آتي البطائح لآتيك بهذه السمكة، فخضت الأهواز، وهذا الطين منها، فقلت: إن شئت أدخلتني منزلك حتى أنظر ليقوى يقيني بذلك، فإن ظهرت على شيء وإلا آمنت بك، فقال: ادخل، فدخلت فأغلق عليّ الباب، وجلس يراني، فدرت البيت، فلم أجد فيه منفذًا إلى غيره، فتحيرت في أمره، ثم نظرت، فإذا أنا بتأزيزة، وكان مؤزرًا بإزار ساج، فحركتها، فانفلقت، فإذا هي باب منفذ فدخلته، فأفضى بي إلى بستان هائل فيه من سائر الثمار الجديدة والعتيقة قد أحسن إبقاءها، وإذا أشياء كثيرة معدودة الأكل، وإذا هناك بركة كبيرة فيها سمك كثير صغار وكبار، فدخلتها، فأخرجت

منهــا واحــدة، فنال رجلي مــن الطين مثل الذي نــال رجليه، فجئــت إلى الباب، فقلــت: افتــح قد آمنت بك، فلما رآني على مثل حالتــه أسرع خلفي جريًا يريد أن يقتلنــي، فضربته بالسمكة على وجهه، وقلت: يا عدو الله، أتعبتني في هذا اليوم، ولمــا خلصــت منه لقيني بعد أيام، فضاحكني، وقال: لا تفشِ ما رأيت لأحد، وإلا بعثت إليك من يقتلك على فراشك، قال: فعرفت أنه يطمئن أن أفشيت عليه، فلم أحدث فيه أحدًا حتى صلب.

٥٥٢ قتـل ابن أختـه

اشتكى أحد النـاس إلى الملك العادل محمود بن سبكتكين من ملوك المماليك، أن ابن أخت الملك يهجم عليه في داره وعلى أهله في كل وقت، فيخرجه من البيت، ويختلــي بامرأتــه، وقد حار في أمره، وكلما اشتكاه لأحــد من أولي الأمر لا يجسر أحــد عليه؛ خوفًا وهيبة للملك، فلمــا سمع الملك ذلك غضب غضبًا شديدًا، وقال للرجل: ويحك متى جاءك فأتني فأعلمني، ولا تسمعنّ من أحد منعك من الوصول إليّ، ولــو جاءك في الليــل فأتني فأعلمني؟ ثم إن الملك تقــدم إلى الحَجَبة، وقال لهــم: إن هــذا الرجل متى جاءني لا يمنعه أحد من الوصــول إليّ من ليل أو نهار، فذهــب الرجل مســرورًا داعيًا، فما كان إلا ليلة أو ليلتان حتى هجم ذلك الشاب، فأخرجــه من البيت، واختلــى بأهله، فذهب باكيًا إلــى دار الملك، فقيل: إن الملك نائــم، فقــال: قد تقدم إليكــم ألا أُمنَع منه ليــلًا ولا نهارًا، فنبهــوا الملك، فخرج معــه بنفسه، وليســ معه أحد حتى جاء إلى منزل الرجــل، فنظر إلى الغلام وهو مــع المــرأة في فراش واحد، وعندهمــا شمعة تتقد، فتقدم الملــك، فأطفأ الضوء، ثــم جاء فاحتز رأســ الغلام، وقال للرجل: ويحك الحقنــي بشربة ماء! فأتاه بها فشــرب، ثم انطلق الملك ليذهب، فقــال له الرجل: بالله لمَ أطفأت الشمعة؟ قال: ويحــك إنه ابن أختي وإني كرهت أن أشاهده حالــة الذبح! فقال: ولمَ طلبت الماء سريعًــا؟ فقال الملك: إني آليت على نفسي منذ أخبرتني ألا أطعم ولا أشرب حتى

أنصـرك، وأقـوم بحقك، فكنت عطشانًا هـذه الأيام كلها حتـى كان مما رأيت، فدعا له الرجل، وانصرف الملك راجعًا إلى منزله، ولم يشعر بذلك أحد.

٥٥٣ لك الله يا مصر

قـال المـؤرخ الثقة الإمام ابـن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الحاكم ابـن المعز الفاطمي كان يـروم أن يدعي الألوهيـة كما فعل فرعون، وكان قد أمر أهل مصر إذا قاموا عنـد ذكره خروا سجدًا له، وأمر لأهـل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كرهًا، ثـم أذن لهم في العودة إلى دينهم، وخـرب كنائسهم، ثم عمرها، وبنى المدارس، وجعـل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم، وأخبر بهـا، وألزم الناس بغلق الأسواق نهارًا وفتحها ليلًا، فامتثلوا ذلك دهرًا طويلًا حتى مر رجل نجار يعمل في النهار، فوقـف عليه، فقال: ألم أنهَكم؟ فقال: يا سيدي، لمـا كان الناس يتعيشون بالنهار كانـوا يسهـرون بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهـروا بالنهار، فهذا من جملة السهـر، فتبسم وتركه. ومن غرائبه أنه يـدور في الأسواق على حمار، فمن وجده قـد غشـ في معيشة أمر عبـدًا أسود معه يقال لـه: مسعود أن يفعـل به الفاحشة العظمى. وقد منع النساء من الخروج، ومنع الناس من طبخ الملوخية.

كفى الله العباد والبلاد شر هذه النماذج.

٥٥٤ أدار ظهره إلى الملك

كان القاضـي أبوبكـر الباقلاني في غايـة الذكاء والفطنـة، وذكر أن عضد الدولـة بعثه في رسالة إلى ملك الـروم، فلما انتهى إليه إذا هو لا يدخل عليه أحد إلا مـن باب قصير كهيئة الراكـع، ففهم الباقلاني أن مـراده أن ينحني الداخل عليـه كهيئة الراكـع لله عَزَّوَجَلَّ، فدار استه إلى الملك، ودخـل الباب بظهره يمشي

إليه القهقــرى، فلما وصل إليه انفتل، فسلم عليه، فعرف الملك ذكاءه ومكانه من العلم والفهم فعظَّمه، وأحضر بين يديه آلة الطرب المسماة بالأرغل ليستفز عقله بها، فلما سمعها الباقلاني خاف على نفسه أن يظهر منه حركة ناقصة بحضرة الملــك، فجعل لا يألو جهــدًا أن جرح رجله حتى خرج منها الــدم الكثير، فاشتغل بــالألم عن الطرب، ولم يظهــر عليه شيء من النقص والخفــة، فعجب الملك من ذلــك، ثــم إن الملك استكشف الأمر، فإذا قد جرح نفســه بما أشغله عن الطرب، فتحقق الملك وُفُور همته وعلو عزيمته، فإن هذه الآلة لا يسمعها أحد إلا طرب شاء أم أبــى، وقد سأله بعض الأساقفة من النصارى بحضرة ملكهم، فقال: ما فعلت زوجــة نبيكم وما كان من أمرها بمــا رميت به من الإفك؟ فقال الباقلاني مجيبًا لــه على البديهة: هما امرأتان ذكرتــا بسوء: مريم وعائشة، فبرأهما الله عَزَّوَجَلَّ، وكانــت عائشة ذات زوج ولم تأتِ بولد، وأتــت مريم بولد، ولم يكن لها زوج، يعني أن عائشــة أولى بالــبراءة من مريم، وكلتاهما بريئة مما قيــل فيهما، فإن تطرق في الذهــن الفاســد احتمال ريبة إلى هــذه فهو إلى تلك أســرع، وهما بحمد الله منزهتان مبرأتان من السماء بوحي من الله عَزَّوَجَلَّ، عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ.

٥٥٥ سلطان الأرض يبكي خوفًا من سلطان السماء

مــن يريد تحرير بــلاد المسلمين من اليهــود والكفرة فعليه البــدء بإصلاح نفسه واتباع سنة رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وخلفائه الراشدين، ولا يقول متقول أو جاهل أو فاسق: إن الرجوع إلى سيرة السلف الصالح رجعية وتأخر وضد التقدم والرقــي، ونقول: رويدك وعلى رسلك، فنحن نقــول: الأخذ بالحسن من الأخلاق ليســ ضد التطور، وإعداد الرجال ماديًّا ومعنويًّا، بل هذا يُعدّه السلف من أوجب الواجبــات، وشاهدنــا هو التاريخ الــذي لا يداهن أحدًا، والــذي سجل للماضين، وسيسجــل للحاضريــن والقادمــين إن خيرًا فخــيرًا وإن شرًّا فشــر. وقد جاء في التاريــخ أن بيــت المقدس احتل اثنتــين وتسعين سنة ما بــين (٥٠٠هـ - ٦٠٠هـ)،

وذلــك من قِبـل النصارى واليهود، ولم يحرره الملاحــدة ولا الفساق، وإنما حرره السلطــان صــلاح الدين الأيوبي ونور الدين زنكي، وإليــك ما ذكره العلامة الثقة ابن كثير في تاريخه (البداية والنهاية) ج١٢ ص٢٨٠- ٢٨١ عن بعض سيرة هؤلاء القــادة: يقــول عن نور الديــن زنكي: إن وزيــره ابن ناصر قص عليــه أنه رأى في منامــه كأنه يغسل ثياب الملك نــور الدين، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائــب عن البلاد، وقال له: هذا تأويل رؤياك. وكتب إلى الناس ليكون منهم في حـل ممــا كان أخــذ منهم، ويقول لهــم: إنما صــرف ذلك في قتــال أعدائكم الكفــرة، والذبّ عن بلادكــم ونسائكم وأولادكم، وكتب بذلــك إلى سائر ممالكه وبلــدان سلطانه، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من التجار، وكان يقول في سجوده: اللهم، ارحم المكاســ العشار الظالم محمود الكلب. وقيل: إن الشيخ البلخي أنكر علــى الملــك نور الدين في استعانتــه في حروب الكفار بأمــوال المكوس، وقال مرة: كيف تُنصَرون وفي عساكركم الخمور والطبول والزور؟

نعــم، الله أكــبر، إن الجهاد بتحقيق لا إله إلا الله، وليســ في غناء أم كلثوم ولا عبدالحليم ولا أمجاد يا عرب أمجاد، سبحان الله! كأنه يرى ما نحن عليه في حروب (٤٨، ٥٦، ٦٧).

نعــود لابن كثــير يقول: إن أحد الصالحين وقف علــى رأس السلطان وخوفه السلطان الأعظم بهذه القصيدة:

مــثّــلْ وقــوفَــك أيــهــا المــغــرورُ	يــومَ الــقــيــامــةِ والــســمــاءُ تمــورُ
إنْ قيل نــورَ الــديــنِ رحــتَ مسلمًا	فــاحــذرْ بــأنْ تــبــقــى ومــا لــك نــورُ
أنهيتَ عن شربِ الخمورِ وأنــتَ في	كــأسِ المــظــالمِ طــائــشٌ مخــمــورُ
عــطّــلــتَ كــاســاتِ المــدامِ تعففًا	وعــلــيــكَ كــاســاتُ الحــرامِ تــدورُ
مــاذا تــقــولُ إذا نقلتَ إلــى البِلى	فـــردًا وجـــاءكَ مــنــكــرٌ ونــكـــيــرُ
مــاذا تــقــولُ إذا وقــفــتَ بموقفٍ	فـــردًا ذلــيــلًا والحــســابُ عســيــرُ

وتعلقتْ فيكَ الخصومُ وأنـتَ في ... يـوم الحسـابِ مسلسلٌ مجـرورُ
وتـفـرقتْ عنـكَ الجـنـودُ وأنـتَ في ... ضـيـقِ الـقـبـورِ مـوسَّـدٌ مقبـورُ
وودتَ أنـــكَ مــا ولـيـتَ ولايــةً ... يـومًـا ولا قــالَ الأنـــامُ: أمـيـــرُ
وبـقـيـتَ بـعـدَ الـعـزِّ رهـنَ حفيرةٍ ... في عــالم المـوتـى وأنـــتَ حقـيـرُ
وحشـرت عـريـانًـا حـزيـنًـا بـاكـيًـا ... قـلـقًـا ومـا لـكَ في الأنـامِ مُجـيـرُ
أرضـيـتَ أن تحيـا وقلـبُـك دارسٌ ... عـافي الخـرابِ وجسـمُـك المعمورُ
أرضيـتَ أن يحظى سـواكَ بقربه ... أبـــدًا وأنـــتَ مـعـذبٌ مـهـجـورُ
مـهِّـدْ لـنـفـسـكَ حـجـةً تـنـجُـو بِـهـا ... يــومَ المـعـادِ ويــومَ تَـبـدو الـعـور

٥٥٦ نعم إنه الإسلام

يقول الإمام التابعي المفسر قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣] كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلًّا، وأشقاه عيشًا، وأبينه ضلالًا، وأعراه جلودًا، وأجوعه بطنًا، معكومين على رأس حجر بين الأسدين فارس والروم، لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يُحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات ردي في النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قليلًا يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظًّا وأدق فيها شأنًا منهم، حتى جاء الله عَزَّوَجَلَّ بالإسلام، فورثكم به الكتاب، وأحل لكم به دار الجهاد، ووضع لكم به من الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نعمة الله، فإن ربكم منعم يحب الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد الله، فتعالى ربنا وتبارك. ما سبق نقلناه من كتاب أخينا في الله الداعية المخلص يوسف القرضاوي (الحل الإسلامي فريضة وضرورة) وهو نقله عن كتاب جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبري المتوفى

عـام ٣١٠هـ، وهي مهداة منه ومني إلـى الذين يحاولون أن يكون قدوتهم أبولهب وليس ابن أخيه الرحمة المهداة من السماء إلى الأرض سيد ولد آدم محمد بن عبدالله ﷺ وإلى الذين يحاولون أن يكون قدوتهم أبو جهل، وليس ابن أخته عمر الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والذين يحاولون أن يكون القدوة الوليد بن المغيرة، وليس ابنه خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، نعم نعترف للرب بالفضل إذا تمسكوا بهذا الدين، وكانوا قدوة لغيرهم، ونعتز بالخيار منهم في الجاهلية والإسلام.

٥٥٧ الخمر والحزم

كان الرجل الحازم قيس بن عاصم المنقري من سادات الناس في الجاهلية والإسلام، وكان ممن حرّم الخمر في الجاهلية والإسلام، وذلك أنه سكر يومًا، فعبث بذات محرم منه، فهربت منه، فلما أصبح قيل له في ذلك، فغضب على نفسه، وقال:

رأيتُ الخمرَ منقصةً وفيها ... مقابحُ تفضحُ الرجلَ الكريما

فلا واللهِ أشربُها حياتي ... ولا أشفَى بها أبدًا سَقيمًا

الله أكبر.. هذه هي الرجولة، وهذا هو الحزم والرأي الشجاع.

٥٥٨ ذكر الله واللجوء إليه

قال ابن الجوزي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: نازعتني نفسي إلى مكروه في الشرع، وجعلت تنصب لي التأويلات، وتدفع الكراهية، وكان تأويلاتها فاسدة والحجة ظاهرة على الكراهية، فلجأت إلى الله تعالى في دفع ذلك عن قلبي، وأقبلت على القراءة، وكان درسي قد بلغ إلى سورة يوسف، فافتتحها، وذلك الخاطر قد شغل قلبي حتى لا أدري ما أقرؤه، فلما بلغت إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ

مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف: ٢٣] انتبهت لها وكأني خوطبت بها، فأفقت من تلك السكرة، فقلت: يا نفس، أفهمت؟ هذا حر بيع ظلمًا، فراعي حق من أحسن إليه، وسماه ملكًا، وإن لم يكن له عليه ملك، فقال: إنه ربي، ثم زاد في بيان موجب كفه عما يؤذيه، فقال: ﴿أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾، فكيف بك وأنت عبد على الحقيقة لمولى ما زال يحسن إليك من ساعة وجودك، وهداك أقوم طريق، ونجاك من كل كيد، وضم إلى حسن الصورة الظاهرة جودة الذهن الباطن؟! وأخذ يعدد نعم الله عليه حتى بلغ الغاية.

٥٥٩ يعرف خلق حماره

قال الفضيل بن عياض رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: لو أن لي دعوة مستجابة لجعلتها لإمام المسلمين؛ لأن به صلاح الرعية، فإذا صلح أمنت العباد والبلاد، وقال: إني لأعصي الله، فأعرف ذلك في خلق حماري وخادمي وامرأتي وفأر بيتي. وقال في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾[الملك:٢] قال: يعني أخلصه وأصوبه، إن العمل يجب أن يكون خالصًا لله وصوابًا على متابعة النبي محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

أقول:

كل معصية لها عقوبة عاجلة أو آجلة، إلا إذا تاب الإنسان المسلم، فإن السيئة يستبدلها الله له حسنة.

٥٦٠ زوجته في الدنيا والآخرة

ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن عمارًا لما جاء يستصرخ الناس إلى قتال طلحة والزبير وعائشة أيام الجمل، صعد هو والحسن بن علي على منبر الكوفة، فسمع عمار رجلًا ينال من عائشة، فقال له: اسكت مقبوحًا منبوذًا، والله إنها لزوجة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أو إياها.

٥٦١ أبوهريرة وآل فرعون

كان لأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ صيحتان في كل يوم، أول النهار صيحة يقول: ذهب الليل، وجاء النهار، وعرض آل فرعون على النار، وإذا كان العشى يقول: ذهب النهار، وجاء الليل، وعرض آل فرعون على النار، فلا يسمع أحد صوته إلا استعاذ بالله من النار، ويستدل رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ بالآية الكريمة، وهي قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٦] وكان رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يقول: «لا تغبطنّ فاجرًا بنعمة، فإن من ورائه طالبًا حثيثًا طلبه: ﴿جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

٥٦٢ فقر المسلمين

قال الداعية الفاضل محمد الغزالي رَحِمَهُٱللَّهُ في كتاب (مشكلات في طريق الحياة الإسلامية): كنت في بعثة إلى نواكشوط عاصمة موريتانيا الإسلامية نهتم بشؤون الدعوة، ورأيت هناك مجموعة من الصينيين لا يعملون للسماء وإنما يعملون للأرض، استطاعوا اكتشاف منابع للمياه العذبة، ومدوا شبكة للأنابيب إلى الأراضي التي كانت تحتاج إلى مياه، قلت في نفسي: من أقصى الشرق من بعيد بعيد جدًّا، يجيء هؤلاء ليصنعوا في بلادنا ما يصنعون، فماذا نعمل نحن؟ لقد شعرت بالغيظ عندما علمت أن قطرًا إسلاميًّا كان يصدر القمح أيام كان مستعمرة، فلما استقل، ووقع زمامه في أيدي أهله اقشعرت الأرض، وبدأ استيراد القمح من الخارج، وشعرت بالاستحياء، وأنا أحصي الدول الصناعية المنتجة، فلا أجد بين العشر الأولى ولا بين العشر الثانية ولا دولة مسلمة واحدة، ومعروف أن اليابان بدأت نهضتها في الزمان نفسه، ووصلت الذروة، وبقينا في القاع.. ما السبب؟! قد يكون لفساد الجو السياسي دخل كبير، ولكن فساد الجو

الثقافي له في نظري دخل كبير، ما تقول في فتيان يريدون إشعال معركة من أجل قضايا جزئية تتعلق باللباس وغيره وهي أقرب إلى سنن العادة، منها إلى سنن العبادة، وقد تأتي في نهاية سلم الأولويات؟ إن دين الله لا يقدر على حمله ولا على حمايته الفاشلون في مجالات الحضارة الإنسانية الذكية، الثرثارون في عالم الغيب، الخرس في عالم الشهادة، وأشعر أن فقر المسلمين إلى الاستبحار العلمي لخدمة دينهم ودنياهم يحتاج إلى شرح أكثر، فإن ينجح الجهال بما لديهم من معارف مغشوشة أو قاصرة أمر لا يطاق، وإذا لم نوضح لأمتنا الحق كله تعرضت، وتعرضنا معها للهلاك.

٥٦٣ يغضب غضب الصبيان

يجب على كل مسلم ولّاه الله أمرًا من أمور المسلمين أن يرفق بهم، ويعاملهم كما يعامل الأب الكريم أولاده، فإن الأمير أو الملك أو الرئيس أو الوزير بمنزلة الوالد للولد، وإليكم هذه القصة: جرى بين رجل يقال له: أبوالجهم ومعاوية كلام، فتكلم أبوالجهم بكلام فيه غمز لمعاوية، فأطرق معاوية، ثم رفع رأسه، فقال: يا أبا الجهم، إياك والسلطان، فإنه يغضب غضب الصبيان، ويأخذ أخذ الأسد، وإن قليله يغلب كثير الناس، ثم أمر معاوية لأبي الجهم بمال، فرضي أبوالجهم، وقال:

نميلُ على جوانبِه كأنّا	**نميلُ إذا نميلُ علَى أبينا**
نقلّبُه لنخبرَ حالتَيْه	**فنخبرُ فيهما كرمًا ولِينا**

٥٦٤ الخليفة يبكي

قالت فاطمة زوجة الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز: دخلت يومًا عليه وهو جالس في مصلاه واضعًا خده على يده ودموعه تسيل على خديه، فقلت:

مـا لك؟ فقال: ويحـك يا فاطمة، قد وليت من أمر هــذه الأمة ما وليت، فتفكرت في الفقـير الجائع، والمريض الضائع، والعاري الجهود، واليتيم المكسور، والأرملة الوحيـدة، والمظلـوم المقهـور، والغريـب، والأسـير، والشيخ الكبـير، وذي العيال الكثـير، وأشباههـم في أقطـار الأرض وأطـراف البلاد، فعلمـت أن ربي عَزَّوَجَلَّ سيسألنـي عنهم يوم القيامـة، وإن خصمي دونهم محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فخشيت ألا يثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت.

ربِّ هيّئ لأمة محمد من يسير بها هذه السيرة.

٥٦٥ الخير والشر

قــال يحيـى بـن الأكثم: سمعـت المأمون يـوم العيـد خطب النـاس، فحمد الله، وأثنـى عليـه، وصلى على الرسـول صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ثم قال: عبـاد الله، عظم أمـر الدارين، وارتفع جـزاء العاملين، وطالت مدة الفريقـين، فوالله إنه للجد لا اللعـب، وإنه للحق لا الكذب، وما هو إلا الموت والبعث والحساب والفصل والميزان والصـراط ثـم العقاب أو الثواب، فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار.

٥٦٦ العودة إلى الله

سأل سائل فضيلة الشيخ عبدالله بن حميد عليه رحمة الله وقال في معرض سؤالـه: إنني رجل تعاملت في بعضـ أموالي بالحرام، وارتكبـت بعض المعاصي، ونفســي تلومني على ذلك، وأود الرجوع إلـى الله، فماذا أفعل؟ فقال له رَحِمَهُٱللَّهُ: بــاب التوبة مفتوح لابن آدم حتى الغرغـرة؛ أي حتى قرب خروج الروح، فتب إلى الله، وأخلص التوبة بشروطها الثلاثة التي هي: الندم على ما فات، والإقلاع عن

الذنب، والعزم على ألاَّ تعود. وأورد له قصة رجل عبد الله عشرين سنة، وعصاه عشرين سنة أخرى، ولما نظر إلى وجهه في المرآة، وإذا الشيب اشتعل في رأسه ولحيته بكى، وأخذ يلوم نفسه، فسمع مناديًا يناديه: يا هذا، أطعتنا فحمدناك، وعصيتنا فأمهلناك، ولو رجعت إلينا قبلناك، فتاب من يومه.

هذا ملخص لإجابته رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهي موجودة في أشرطة مسجلة لجميع فتاويه، وتباع في السوق، وننصح باقتنائها؛ لأنها كنز هي وأمثالها.

٥٦٧ قريب الحاكم

قال أبوالفرج الأصفهاني في الأغاني (ج٥ ص٢٥٥): بدأ عمر بن عبدالعزيز بأهل بيته، فأخذ ما كان في أيديهم، وسمى ذلك المظالم، ففزعت بنو أمية إلى فاطمة بنت مروان عمته، فذهبت، وكلمته، فأجابها قائلًا: إن الله بعث محمدًا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رحمة للناس كافة لم يبعثه عذابًا، ثم اختار له ما عنده، فترك محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نهرًا شربهم فيه سواء، وهذا النهر موارد الأمة وثرواتها، ثم ولي أبوبكر، فترك النهر على حاله، ثم ولي عمر بن الخطاب، ثم عمل على عمل صاحبه، فلما ولي عثمان اشتق من ذلك النهر نهرًا، ثم ولي عليٌّ ورد الأمر على ما كان عليه، ولم يستقم له الأمر، ثم ولي معاوية، فشق النهر أزيد مما فعل عثمان، ثم لم يزل الخلفاء من بعده يزيدون في الشقة حتى أفضى الأمر إليّ، وقد يبس النهر الأعظم، ولن يروى أصحاب النهر وهم أمة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى يعود إليهم النهار على ما كان عليه شربهم فيه سواء، فرجعت فاطمة إلى بني أمية تقول لهم: ذوقوا مغبة أمركم في تزويجكم آل عمر بن الخطاب.

أقول:

عمر بن عبدالعزيز هو درة دولة بني أمية، ويفضله بعض الفقهاء على معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

٥٦٨ مجنون وسكران

قال الأصمعي: مررت على سحنون المجنون، وهو جالس عند رأس شيخ سكران يذبّ عنه، فقلت له: ما لي أراك عند رأس هذا الشيخ؟ فقال: إنه مجنون! فقلت: أنت مجنون أو هو؟ قال: لا، بل هو؛ لأني صليت الظهر والعصر في جماعة وهو لم يصلِّ جماعة ولا فرادى، وهو مع هذا قد شرب الخمر، وأنا لم أشربها، قلت: فهل قلت في هذا شيئًا؟ قال: نعم:

تركتُ النبيذَ لأهلِ النبيذِ وأصبحتُ أشربُ ماءً قراحا
لأنَّ النبيذَ يذلُّ العزيزَ ويكسو السوادُ الوجوهَ الصباحا
فإنْ كانَ ذا جائزًا للشبابِ فما العذرُ منه إذا الشيبُ لاحا

ويلاحظ أن النبيذ الحلال هو غير المختمر، وقد أجازه بعض الفقهاء بشروطه المعروفة التي لا تدخله بالخمر، وليس هو بمخدر ولا مفتر، والشطر الأول من البيت الأخير لا يقصد جواز الشرب للشباب، ولكن يقصد أن معصية الشباب أخف عند الله من معصية الأشمط كما ورد في الأثر.

٥٦٩ إبليس والعبد الصالح

روي عن عبد الله ابن الإمام أحمد رَحِمَهُمَاٱللَّهُ قال: حين احتضر أبي جعل يكثر أن يقول: لا بعد، لا بعد. فقلت: يا أبتِ، ما هذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة؟ فقال: يا بني، إن إبليس واقف في زاوية البيت وهو عاضّ على أصبعه، وهو يقول: فتّني يا أحمد، فأقول: لا بعد، لا بعد. يعني لا يفوته حتى تخرج نفسه من جسده على التوحيد، كما جاء في بعض الأحاديث، «**قال إبليس: يا ربّ،**

وعزتك وجلالك ما أزال أغرينهم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله: وعزتي وجلالي ولا أزال أغفر لهم ما استغفروني»[1].

٥٧٠ الحلم والحكمة

سئل الأحنف بن قيس عن الحلم، وكان يضرب به المثل في ذلك؟ فقال: الحلم هو الذل مع الصبر، وكان إذا تعجب الناس في حلمه يقول: والله إني لأجد ما يجدون، ولكني صبور، وقال: وجدت الحلم أنصر لي من الرجال. وقال: أحي معروفك بإماتة ذكره، وقال: عجبت لمن يجري مجرى البول مرتين كيف يتكبر؟! وكان يقول في دعائه: اللهم، إن تعذبني، فأنا أهل لذلك، وإن تغفر لي فأنت أهل لذلك.

٥٧١ هذه هي الشجاعة

كتب عبدالملك بن مروان إلى ابن وشاح نائب ابن خازم أمير خراسان يعده بإمرة خراسان إن هو خلع عبدالله بن خازم، فخلعه ابن خازم في المعركة، فقتله رجل يقال له وكيع بن عميرة، وجلس وكيع على صدره وفيه رمق، فذهب لينوء، فلم يتمكن من ذلك، وجعل وكيع يقول: يا ثارات دويلة، يعني أخاه قد قتله ابن خازم، ثم إن ابن خازم تنخم في وجه وكيع، قال وكيع: لم أرَ أحدًا أكثر ريقًا منه في تلك الحال. وكان أبوهريرة إذا ذكر هذا يقول: هذه والله هي البسالة، وقال ابن خازم: ويحك أتقتلني بأخيك لعنك الله؟ أتقتل كبش مصر بأخيك العلج، وكان لا يساوي كفًّا من تراب؟

---

(١) أخرجه أحمد (١٧/٣٣٧ رقم١١٢٣٧)، وأبو يعلى (٢/٤٥٨ رقم١٢٧٣)، والحاكم (٤/٢٦١ رقم٧٦٧٢)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/١٠٣ رقم١٠٤).

أقول:

ذكر ذلك ابن كثير، ولعل الذي قال: هذه والله البسالة، غير أبي هريرة؛ لأنه مات قبل ولاية عبدالملك بن مروان، والله أعلم.

٥٧٢ الحكام ودماء الناس

ذكر ابن كثير في تاريخه عن مصعب بن الزبير أنه قتل في غداة واحدة من أصحاب المختار سبعة آلاف رجل، ولما قدم مكة أتى عبدالله بن عمر، فقال: أي عم، إني أسألك عن قوم خلعوا الطاعة، وقاتلوا حتى إذا غُلبوا تحصنوا، وسألوا الأمان فأعطوه، ثم قتلوا بعد ذلك، فقال: وكم هم؟ فقال: خمسة آلاف، فسبح ابن عمر، واسترجع، وقال: لو أن رجلًا أتى ماشية الزبير، فذبح منها خمسة آلاف ماشية في غداة واحدة ألست تعدّه مسرفًا؟ قال: نعم، قال: أفتراه إسرافًا في البهائم، ولا تراه إسرافًا فيمن ترجو توبته؟ يا ابن أخي، أصب من الماء البارد ما استطعت في دنياك.

٥٧٣ أم الخبائث

ذكر ابن جرير قال: كتب أبوعبيدة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نفرًا من المسلمين أصابوا الشراب، منهم ضرار وأبوجندل، فسألناهم، فقالوا: خيّرنا فاخترنا، قال: فهل أنتم منتهون؟ ولم يعزم، فجمع عمر الناس، فأجمعوا على خلافهم، وأن المعنى: فهل أنتم منتهون؛ أي انتهوا. وأجمعوا على جلدهم ثمانين، وأن من تأول هذا التأويل الفاسد، وأصر عليه يقتل. فكتب عمر إلى أبي عبيدة أن ادعُهم فسلهم عن الخمر، فإن قالوا: هي حلال فاقتلهم، وإن قالوا: هي حرام فاجلدهم.

فاعترف القوم بتحريمها، فجلدوا الحد، وندموا على ما كان منهم حتى وسوس أبوجندل في نفسه، فكتب أبوعبيدة إلى عمر في ذلك، وسأله أن يكتب إلى

أبي جندل ويذكره، فكتب إليه عمر بن الخطاب: من عمر إلى أبي جندل إن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فتب، وارفع رأسك، وابرز، ولا تقنط، فإن الله تعالى يقول: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾[الزمر: ٥٣].

٥٧٤ أحسن الظن بربك

روى البيهقـي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قـال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أمـر الله** عَزَّوَجَلَّ **بعبـد إلـى النار، فلما وقف على شفتهـا التفت، فقال: أما والله يـا ربـي، إن كان ظنـي بـك لحسنًـا، فقـال الله** عَزَّوَجَلَّ: **ردوه أنـا عنـد حسن ظن عبدي بي**»[1].

٥٧٥ حمّـال عالم

رأى الفقيـه بكـر المزني حمالًا عليـه حمله، وهو يقول: الحمـد لله. أستغفر الله، قـال: فانتظرتـه حتى وضع مـا على ظهره، وقلت له: أمـا تحسن غير هذا؟ قـال: بلـى، أحسن خيرًا كثيرًا، وأقـرأ كتاب الله، غير أن العبـد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمه السابغة، وأستغفره لذنوبي، فقلت: الحمال أفقه من بكر.

٥٧٦ مستريح ومستراح منه

جـاء في الحديـث أن رسـول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقـول وقد مرت بـه جنازة: «**مستريـح ومسـتراح منه**» فقالوا: يا رسول الله، ما المستريح وما المستراح منه؟

---

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٩١/٢ رقم١٩٧٦).

فقال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب»(١). وقد قال الشاعر العربي:

إنَّما يُنقلونَ مِنْ دارِ أعمالٍ إلى دارِ شقوةٍ أو رشادِ

احرص كل الحرص على استغلال كل يوم، بل كل ساعة، بل كل دقيقة وثانية من فسحة العمر في العمل الصالح، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْأَخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾[الإسراء: ١٩]. أرأيت قول الله؟! لا بد من السعي مع الإيمان، ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة»(٢).

٥٧٧ امتصوا به الدم

قال الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ صاحب سر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنافقين حين بلغه قتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: اللهم، إن كان قتل عثمان خيرًا فليس لي فيه نصيب، وإن كان قتله شرًّا فأنا منه بريء، والله لئن كان قتله خيرًا ليحلبنه لبنًا، وإن كان قتله شرًّا ليمتص به دمًا، وقد كان والله أعظم الشر(٣).

٥٧٨ يقود حفيده

قال الأصمعي: مر المستوغر بن ربيعة يومًا بعكاظ يقود ابن ابنه شيخًا خرفًا، فقال له رجل: يا عبد الله، أحسن إليه، فطالما أحسن إليك، قال: أَوَ تدري من

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٧/٨ رقم٦٥١٢)، ومسلم (٦٥٦/٢ رقم٩٥٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٦٣٣/٤ رقم٢٤٥٠)، والحاكم (٣٠٧/٤-٣٠٨ رقم٧٨٥١)، وصححه. وكذا صححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٦٢٢٢).

(٣) انظر: الطبقات الكبرى (٨٣/٣)، والبداية والنهاية (٢١٥/٧).

هــو؟ قــال: نعم، هو أبوك أو جدك، قال: هو والله ابن ابني، قال الرجل: أراك ولا مستوغر ابن ربيعة؟ قال: أنا المستوغر. ويقال: إنه عاش ثلاث مئة سنة، وأنشد:

ولقدْ سئمتُ منَ الحياةِ وطولِها ... وعمرتُ منْ عددِ السنينَ مِئينا
مئةٌ حدتْها بعدَها مائتانِ لي ... وازددتُ منْ بعدِ الشهورِ سِنينا
هلْ ما بقي إلا كما قدْ فاتَني ... يومٌ يمرُّ وليلةٌ تَحدُونا

٥٧٩ امرأة شهمة

عروة بن الورد الفارس الشهم الذي قال عنه الخليفة الجبار عبد الملك بن مروان: ما يسرني أن أحدًا من العرب ولدني إلا عروة بن الورد لقوله:

أقسمُ جِسمي في جسومٍ كثيرةٍ ... وأحسو قراحَ الماءِ والماءُ باردُ

وقد أصاب عروة امرأة من كنانة، فاتخذها لنفسه، فأولدها، وحج بها، ولقيه قومها، وقالوا: فادِنا بصاحبتنا، فإنا نكره أن تكون سبية عندك، قال: موافق على شرط أن تخبروها بعد الغداء، فإن اختارتني أخذتها، وكان يرى أنها لا تختار عليه، فأجابوه، فلما خيروها قالت: أما إني لا أعلم امرأة ألقت سترًا على خير منك أغفل عينًا وأقل فحشًا وأحمى لحقيقته، ولقد أقمت معك والموت أحب إليّ من الحياة؛ لأني أسمع المرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا، وقالت أمة عروة كذا، والله لا نظرت في وجه غطفانية، فارجع راشدًا، وأحسن إلى ولدك، فبهت، وقال:

ولو كاليومِ كانَ عليّ أمري ... ومنْ لكِ بالتدبُّرِ في الأمورِ
فيا للناسِ كيفَ أطعتُ نفْسي ... علَى شيءٍ ويكرهُه ضَميري

٥٨٠ القوي الأمين

لما قالت ابنة نبي الله شعيب: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] احتملته الغيرة على أن قال لها: ما يدريك ما قوته، وما أمانته؟ فقالت: أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا، لم أرَ رجلًا قط أقوى من ذلك السقي منه، وأما الأمانة فإنه نظر إليّ حين أقبلت إليه، فلما علم أني امرأة صوب رأسه، فلم يرفعه حتى بلغته رسالتك، ثم قال لي: امشي خلفي، وانعتي لي الطريق، فلم يفعل هذا إلا وهو أمين. ففرح أبوها وصدقها. عليهم جميعًا السلام.

٥٨١ واجب

قال أبو عمرو بن العلاء يستجيد قصيدة المثقب العبدي، ويقول: لو كان الشعر مثلها لوجب على الناس أن يتعلموه، وفيها يقول:

أفاطمُ قبلَ بَيْنِك متِّعيني ... ومنعُك ما سألتُك أنْ تَبيني

ولا تَعِدي مواعدَ كاذباتٍ ... تمرُّ بها رياحُ الصَّيفِ دُوني

فإنّي لو تُعاندُني شِمالي ... عنادَك ما وصلتُ بها يَميني

إذًا لقطعتُها ولقلتُ بِيني ... كذلكَ أجتوي مَنْ يَجْتَويني

فإمّا أَنْ تكونَ أخي بحقٍّ ... فأعرفُ منكَ غثّي مِنْ سَميني

وإلّا فَاطْرَحني واتَّخِذْني ... عدوًّا أتَّقيكَ وتَتَّقيني

فَما أدري إذا يمَّمْتُ أرضًا ... أريدُ الخيرَ أيّهما يَليني

أألخيرُ الّذي أنا أَبتغيه ... أمِ الشرُّ الذي هوَ يَبْتَغيني

٥٨٢ له سلطانه وعليك وزره

قال عبدالملك بن مروان لأيمن بن خزيم: إن أباك كانت له صحبة، فخذ هذا المال، وانطلق، فقاتل ابن الزبير، فأبى، وقال:

ولستُ بقاتلٍ رجلًا يُصلّي	على سلطانِ آخرَ مِنْ قريشِ
لـه سلطانُه وعليّ وِزْري	معاذَ اللهِ من سفهٍ وطَيشِ
أأقتلُ مسلمًا وأعيشُ حيًّا	فليسَ بنافعي ما عشتُ عَيْشي

أقول:

صدق ورب الكعبة، فليس لقاتل المسلم عيش هنيء، تضيق عليه الأرض بما رحبت، وتضيق عليه نفسه، فلم يضعف المسلمين إلا ما حدث لهم من فتن جعلت بأسهم بينهم وسيفهم ليس على عدوهم، وهذا هو البلاء.

٥٨٣ هجاء كأنه مديح

هجا النجاشي، وهوقيس بْن عَمْرو بْن مَالِك الحارثي الشاعر بني العجلان، فاستعدوا عَلَيْهِ عمر بْن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: ما قال فيكم؟ فأنشدوه:

إذا اللّٰهُ عادَى أهلَ لؤمٍ ورقةٍ	فعادَى بَني العجلانِ رهطَ ابنِ مقبلِ

فقال عمر: إنما دعا، فإن كان مظلومًا استجيب له، وإن كان ظالمًا لم يستجب له، قالوا: وقد قال أيضًا:

قبيلةٌ لا يغدرونَ بذمّةٍ	ولا يظلمونَ الناسَ حبّةَ خردلِ

فقال عمر: ليت آل الخطاب هكذا، قالوا: وقد قال أيضًا:

ولا يـــردونَ المـــاءَ إلّا عــشـيــةً   إذا أصـدرَ الــوُرّادُ عَـنْ كـلِّ منهلِ

فقال عمر: ذلك آكل للكلأ. قالوا: وقد قال أيضًا:

تعافُ الكلابُ الضارياتُ لحومَهم   وتـأكلُ مِـنْ كـعـبٍ وعـوفٍ ونهشلِ

فقال عمر: أجن القوم موتاهم؟ أي دفنوهم، ولم يضيعوهم، قالوا: قال:

ومـا سُمي العجلانُ إلا لقيلِهم: خذِ القعبَ واحلبْ أيُّها العبدُ واعجلِ

فقـال عمـر: خـير القـوم خادمهم، وكلنـا عبيد الله، ثـم بعث إلـى حسان والحطيئة، وكان محبوسًا عنده، فسألهما؟ فقال حسان مثل قوله في شر الحطيئة، حين هجاه الزبرقان بن بدر، قال: ما هجاه، ولكن سلح عليه، فهدده عمر، وقال: إن عدت لمثلها قطعت لسانك.

٥٨٤ يريد برنطتها

دعـا عبدالعزيز فهمي عـام ١٣٤٣هـ إلى استعمال الحـروف اللاتينية، وقدم الاقتراح إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، فاستنكر الرأي العربي والإسلامي هذا الـرأي، واستهجنه، فمات بمهده غـير مأسوف عليه، وكان ممن استنكر هذا الرأي الشيـخ عبدالعزيـز البشري، وكان يعمـل مراقبًا إداريًّا لمجمع اللغـة العربية، فقال لعبدالعزيـز فهمي: ماذا تريد بإدخال الحروف اللاتينيـة في الكتابة العربية؟ فردّ عليـه: أريد أن أعممها، فأجابه فـورًا: تريد أن تبرنطها، والله لا أن تعممها، فذهب جواب البشري عليه رَحِمَهُ ٱللَّهُ مثلًا، وأضحك الذين سمعوه في حينه، ولا يزال يضحك من يقـرؤه الآن، وكان فهمي يقصد بتعميمها جعلها عامة، ويعرف البشري قصده، ولكنـه أخـذ الفرصـة بإحالة المعنى إلـى أنها ستكـون أجنبية نسبة إلـى البرنيطة والعمامـة، حيث إن العمامـة لبس العرب، والبرنيطة لبـس الإفرنجة، وكل صاحب دعوة يخالف الكتاب والسنة فهو ضال مضل، ولا سيما ما يتعلق بالقرآن الكريم.

٥٨٥ برقية ابن حميد للوالد

كان بين أبي – قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه– وبين الشيخ الإمام الفقيه عبدالله بن حميد –قدّس الله روحه، ونوّر ضريحه– صداقة قوية، وعلم الشيخ أنه تزوج من والدة أخي الشاعر الشهم فيصل، فأبرق للوالد برقية تهنئة يقول مازحًا: أيها المحب، أبا فهد، علمنا بزواجكم أسأل الله لكم التوفيق، وعلى اليُمن والبركة، والانتصار في المعركة عند اشتداد الحركة. ١٣٨٣/٢/٢هـ.

٥٨٦ تفاحة أبي نواس

أبونواس هو الشاعر الماجن المشهور، قال ابن قتيبة: إن شيخًا قال: لقيت أبا نواس يومًا ومعي تفاحة حسنة، فأريته إياها، وسألته أن يصفها، وما أريد بذلك إلا أن أعرف طبعه وسهولة الشعر عليه، فقال لي: نحن على الطريق، فمِلْ بنا إلى مكان نجلس فيه، فملنا، وجلسنا، وأخذ يقلّبها بيده، ثم يقول:

يا ربّ تفاحة خلوتُ بها ... تشعلُ نارَ الهوى على كَبدي
قد بتُّ في ليلتي أُقلّبها ... أشكو إليها تطاولَ الكمدِ
لو أنَّ تفاحةً بكتْ لبكتْ ... مِنْ رَحمتي هذهِ الَّتي بيدي

٥٨٧ قدر الله

روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١] قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: هي الملائكة تحفظ ابن آدم من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء

قــدر الله خلــوا عنه. وقال مجاهد: ما مــن عبد إلا وملك مــوكل يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، وليس يأتيه شيء يريده إلا قال وراءك إلا شيء يأذن الله فيه فيصيبه، وقال أبوأسامة: ما من آدمي إلا ومعه ملك يذود عنه حتى يسلمه للذي قدر له.

٥٨٨ الشيطان ووساوسه

قال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة قال: قال أبوهريرة، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يأتي الشيطان أحدكم، فيقـول: من خلق كذا من خلق كذا؟، حتى يقـول من خلق ربك؟، فإذا بلغه فليستعذ بالله ولينته**»[1].

وقــال الله تعالــى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] وقــال تعالــى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [المؤمنون: ٩٧].

٥٨٩ لابد من الموت

قــال البخــاري في صحيحه: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قــال: أرسل ملك الموت إلــى موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلما جاءه صكه، فرجع إلى ربه عَزَّوَجَلَّ، فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت، قال: ارجع إليه، فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطت يده بكل شعرة سنة، قال: أي، ربّ ثم ماذا؟ قال: ثم الموت، قال: فالآن[2]. وأجاب ابــن حبان بما حاصلــه أن ملك الموت لما قال له هــذا لم يعرفه لمجيئه له على غير صــورة يعرفها موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، كما جاء جبريل على صورة أعرابي، وكما جاءت

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٣/٤رقم ٣٢٧٦) ومسلم (١٢٠/١رقم ١٣٤).
(٢) أخرجه البخاري (١٥٧/٤رقم٣٤٠٧) ومسلم (١٨٤/٤رقم٢٣٧٢).

الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط، وكذلك موسى لعله لم يعرفه كذلك، ففقأ عينه، لأنه دخل داره بغير إذنه، وهذا موافق لشريعتنا في جواز فقء عين من نظر إليك في دارك بغير إذن[1].

٥٩٠ الدرهم الحلال

قالت امرأة للفقيه العالم إبراهيم النخعي: يا أبا عمران، أنتم معشر العلماء أحدّ الناس وألوم الناس. فقال لها: أما ما ذكرت من الحدة، فإن العلم معنا والجهل مع مخالفينا، وهم يأبون إلا دفع علمنا بجهلهم، فمن ذا يطبق على هذا؟ وإنا لا نبتغي الدرهم إلا حلالاً، فإذا صار إلينا لم نخرجه إلا في وجهه الذي لا بد منه، وقد قيل: درهم حلال خير من ملء الأرض من الدراهم الحرام. وقال بعض الفقهاء: إن المتصدق بالحرام كغاسل النجاسة بالبول، فهل يطهر ثوب مسته نجاسة، فغسل بالبول؟!

٥٩١ الإسلام والمعاملة

عن عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اضمنوا ستًّا من أنفسكم أضمن لكم الجنة. اصدقوا إذا حدثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، وغضوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفوا أيديكم**»[2]. نعم، إن المسلم إذا التزم بذلك فيعدّ أقام الأركان الأساسية، وهي تشمل ما بينه وبين ربه أولاً، مثل العبادات المطلوبة والأركان، وما بينه وبين عباد الله، كما أننا

---

(١) انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٧٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/ ٤١٧ رقم ٢٢٧٥٧)، وصححه ابن حبان في صحيحه (١/ ٥٠٦ رقم ٢٧١)، والحاكم (٤/ ٣٥٨-٣٥٩ رقم ٨٠٦٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ١٠١٨).

نسجل مع الأسف أن الناس في ضعف بالتمسك بهذه الأخلاق، وما يسر أيضًا أن هناك صحوة إسلامية نرجو الله أن ندرك ثمارها بتحكيم منهج الله في الأرض، ويجب على كل أب وأم تدريب الصغار على هذه الفضائل، ونهيهم عن أي كلمة سيئة أو خلق غير حسن.

٥٩٢ بين الرعية من الغنم والرعية من الرجال

كان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جالسًا ذات يوم، فأخبره رجل بأن عامله عياض بن غنم يتنعم من مال المسلمين، فأرسل إليه صاحب شرطته محمد بن مسلمة، نعم ليس لديه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شرطة، لكن هذا الصحابي ابن مسلمة هو بمنزلة صاحب الشرطة، به قوة وأمانة وحزم، ووجد أن الخبر صحيح، وكان عمر قد أوصاه إذا صح الخبر، فقل له: اخلع ملابسك اللينة الناعمة، والبس الصوف، وأعطِه قطيعًا من الغنم، وقل له: اذهب، فأحسن رعيها، فإن أباك كان راعيًا للغنم.

ونفّذ عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمر الخليفة القوي الأمين، وصلح حاله، وردّه إلى عمله بعد أن أخذ عليه العهود والمواثيق حتى أقسم عياض ألا يبلغك عني بعدها ما تكره يا أمير المؤمنين.

٥٩٣ إبراهيم والنمرود

روي عن زيد بن أسلم أن النمرود كان عنده طعام، وكان الناس يفدون إليه للميرة، فوفد إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في جملة من وفد، وكان بينهما المناظرة التي ذكرها الله في القرآن ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. ولم يعطِ إبراهيم من

الطعـام، فلما قرب من أهله عمـد إلى كثيب من التراب، فملأ منه عدلية، وقال: أشغـل أهلي إذا قدمت عليهم، فلما قدم وضع رحالـه، وجاء فاتكأ فنام، فقامت امرأتـه سارة إلى العدلـين، فوجدتهما ملآنين طعامًا طيبًـا، فعملت منه طعامًا، فلمـا استيقظ إبراهيم وجد الذي أصلحوه، فقال: مـن أين لكم هذا؟ قالت: من الـذي جئت به، فعرف أنـه رزق، رزقه الله عَزَّوَجَلَّ، قال: فبعث الله إلى ذلك الملك الجبار ملكًا يأمره بالإيمان بالله فأبى، ثم دعاه الثانية فأبى عليه، ثم الثالثة فأبى عليه، فقـال: اجمع جموعك، وأجمع جموعي، فجمع النمرود جيشه وجنوده وقت طلـوع الشمس، فأرسـل الله عليه ذبابًا من البعوض، بحيث لم يروا عين الشمس، فسلطهـا الله عليهم، فأكلـت لحومهم ودماءهم وتركتهم عظامًـا بالية، ودخلت واحدة في منخر الملك، فعذبه الله بها حتى إنه يضرب رأسه في المرازب عددًا من السنين حتى هلك.

٥٩٤ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]

قـال ابـن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أصبح العبد وأمسـى، وليس همه إلا الله وحده تحمـل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ حوائجه كلها، وحمل عنه كل مـا أهمه، وفرغ قلبه لمحبته ولسانـه لذكـره وجوارحه لطاعتـه، وإن أصبـح وأمسى، والدنيا همـه حمله الله همومها وغمومها وأنكادها، ووكله إلى نفسه، فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانـه عن ذكره بذكرهم وجوارحـه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم، فهو يكدح كـدح الوحشـ في خدمة غيره كالكير ينفخ بطنه، ويعصـر أضلاعه في نفع غيره، فـكل من أعرض عن عبوديـة الله وطاعته ومحبته بُلي بعبوديـة المخلوق وطاعته ومحبته.

٥٩٥ ثلاثة

الخطايا كلها تجمع في ثلاثة: الكبر، وهو الذي أصار إبليس إلى ما أصاره، والحرص وهو الذي أخرج آدم من الجنة، والحسد وهو الذي جرأ أحد ابني آدم على قتل أخيه وقد ذكر الله قصتهما في القرآن الكريم وهما قابيل وهابيل، فمن وُقي شر هذه الطباع الثلاثة فقد وقي الشر كله، فالكفر من الكبر، والمعاصي من الحرص، والبغي والظلم من الحسد.

٥٩٦ وقت الإجابة

دخل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ المسجد، فسمع إنسانًا يقول: «اللهم دعوتني، فأجبت، وأمرتني فأطعت، وهذا السحر فاغفر لي» قال: فاستمع لصوت، فإذا هو من دار عبدالله بن مسعود، فسأله عن ذلك؟ فقال: إن يعقوب أخر بنيه إلى السحر بقوله: ﴿سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾[يوسف: ٩٨]وقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ﴾[آل عمران: ١٧]وثبت في الصحيح عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني، فأغفر له؟»**[1] اللهم، وفقنا جميعًا للمداومة على الدعاء، فهذه هي الفرص.

٥٩٧ صبر أيوب

قال علماء التفسير والتاريخ: كان نبي الله أيوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ رجلًا كثير المال من سائر صنوفه من الأنعام والعبيد والمواشي والأراضي من أرض حوران

(١) أخرجه البخاري (٥٣/٢ رقم ١١٤٥) ومسلم (٥٢١/١ رقم ٧٥٨).

بالشـام، وكان كثـير الأهل والولـد، وسلبه الله كل ذلك، وابتلـي في جسده بأنواع البلاء، ولم يبقَ منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه يذكر الله عَزَّوَجَلَّ في ليله ونهاره وصباحه ومسائه، وطال مرضه حتى عافه الجليس، وأوحش منه الأنيس، وأخرج مـن بلـده، وألقي على مزبلة، ولم يبـقَ أحد يحنو عليه إلا امرأتـه كانت ترعى له حقـه، وتعرف قديم إحسانه إليها وشفقته عليها، فكانت تتردد عليه، فتصلح من شأنـه، وتعينه على قضاء حاجتـه، وضعف حالها حتى كانت تخدم الناس بالأجر لتطعمه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صابرة، وقد ثبت في الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على حسب دينـه، فإن كان في دينه صلابة زيد في بلائـه**»[1]. ولم يزد أيوب إلا صبرًا واحتسابًا وحمدًا وشكرًا حتى ضرب به المثل عليه صلوات الله، وقال مجاهد: كان أيوب أول من أصابه الجدري، وقال: إن الله يحتج يوم القيامة بسليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأغنياء، وبيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ على الأرّقاء، وبأيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ على أهل البلاء.

٥٩٨ لا مشيئة لك

قـال رجـل لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أليس بالمشيئـة الأولى التي أنشـأني بها الله أقوم وأقعـد وأقبضـ وأبسط؟ قال له: إنك بعد في المشيئـة، أما إني أسألك عن ثلاث، فإن قلت في واحدة فيهن: لا، كفرت وإن قلت: نعم، فأنت أنت، فمد القوم أعناقهم ليسمعوا ما يقول، فقال له علي: أخبرني عنك أخلقك الله كما شئت أو كما شاء؟ قـال: بل كما شـاء، قال: فخلقك الله لما شئت أو لما شاء؟ قال: لما شاء، قال: فيوم القيامة تأتيه بما شئت أو بما شاء؟ قال: بما شاء، قال: قم، فلا مشيئة لك.

---

(١) أخرجه أحمد (٧٨/٣ رقم١٤٨١)، وعبد بن حميد (رقم ١٤٦)، والدارمي (٤١٢/٢ رقم٢٧٨٣)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٢/١ رقم١٤٣).

٥٩٩ حسّنوا الأسماء

لما انتهى المهلب من حرب بعض الخوارج وجّه إلى الحجاج رجلًا ليعلمه بالنتيجة، وكان اسم الرجل مالك بن بشير، فلما دخل على الحجاج قال له: ما اسمك؟ قال: مالك بن بشير، قال: ملك وبشارة، وسأل عمر رجلًا أراد أن يجعله على عمل: ما اسمك وما اسم أبيك؟ فقال: ظالم بن سراقة، فقال عمر: تظلم أنت، ويسرق أبوك؟ ولم يستعن به.

أقول:

يقول والدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ حين وجّه الملك عبدالعزيز الشاعر الفحل المرحوم محمد العوني إلى السجن في الأحساء، وكان الملك يكرم العوني، ويقدره، ولكن لا بد من سجنه، وأرسله إلى الأحساء، وأوكل به رجلين وحث الملك الرجلين على إكرامه في الطريق، وقال: اطيلوا مدة السفر، وانحروا له في كل يوم خروفًا، ولا تعلموه، وحين سار معهم وفي الطريق قال لأحدهم: ماذا يريد الإمام؟ قال له أحدهم: يريد توجيهك إلى البحرين أو الكويت، وسر لذلك، ثم إنه سأل عن اسمه الأول؟ فقال: اسمي جرمان، وقال للآخر: ما اسمك؟ فقال: صلف، فاستعاذ بالله، واسترجع، وقال: جرم بصلف؟ وكان من أمره ما كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعفا عنا وعنه.

٦٠٠ المروءة

قال ربيعة الرأي: المروءة في ست خصال: ثلاثة في الحضر، وثلاثة في السفر، فأما التي في السفر فبذل الزاد، وحسن الخلق، ومداعبة الرفيق، وأما التي في الحضر: فتلاوة القرآن، ولزوم المسجد، وعفاف الفرج، وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: هي مروءتان ظاهرة وباطنة، فالمروءة الظاهرة الرياش، والباطنة العفاف، ويقصد بالرياش حسن المظهر والهندام أمام الناس، والله أعلم.

٦٠١ خفف الجلوس

روي عن أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق والفقيهة في دين الله قولها: نزلت آية الثقلاء، فقيل: ما هي؟ قالت: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وقال بعض العلماء: من فاتته صلاة الفجر في جماعة فليسب الثقلاء، يريد أنهم أطالوا السهر، فسهر معهم، فلم يستطع القيام لصلاة الفجر في وقتها، وكان ابن سلمة إذا رأى رجلًا ثقيل الظل قال: ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢].

٦٠٢ طلب الرزق

قال الخليل بن أحمد: لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا بالوقوف على ما تحتاج إليه، فقال له شمر المتكلم: فقد احتجت إذًا إلى ما لا تحتاج إليه إذ كنت لا تصل إلى ما تحتاج إليه إلا به، قال الخليل: ويحك! وهل يقطع السيف الحسام إلا بالضرب، أو يجري الجواد إلا بالركض؟ أو هل تُنال نهايةٌ إلا بالسعي إليها؟ وقال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لا تذموا السفر، فإني أدركت فيه ما لم يدركه أحد، يريد أن الله عَزَّوَجَلَّ كلّمه فيه تكليمًا[1].

٦٠٣ واحدة بواحدة

قال معاوية للأحنف بن قيس: أخبرني عن قول الشاعر:

إذا ما ماتَ مَيتٌ مَنْ تميمٍ ... وسرَّكَ أنْ يعيشَ فجئْ بزادِ

بخبزٍ أو بلحمٍ أو بتمرٍ ... أو الشيءِ الملفَّفِ في البجادِ

(١) انظر: الكشكول، لبهاء الدين العاملي (٢/١٣٩).

تــراه يـطـوفُ فِي الآفــاقِ حـرصًـا ... لـيـأكـلَ رأسَــ لـقـمـانَ بــنِ عــادِ

مــا هذا الشيء الملفف في البجاد؟ قــال الأحنف: السخينة يا أمير المؤمنين. قال معاوية: واحدة بواحدة، والبادئ أظلم.

والسخينة طعام تسب به قريش، ومنه قول حسان:

زعـمـتْ سخينـةُ أن ستغلبُ ربَّـهـا ... ولـيــغـلـبنَّ مــغـالـبَ الـغـلابِ

٦٠٤ حال المسلمين اليوم

قــال حافظ إبراهيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف حــال المسلمين، وذلك منذ نصف قرن، ولا نملــك حــين نقرأ هذه الأبيات إلا أن نقول: «لا حــول ولا قوة إلا بالله» وصدقت يرحمك الله فيما قلت:

لم يبقَ شـيءٌ مـنَ الـدُّنـيا بأَيـدِينـا ... إلّا بـقـيـةَ دمـــع فِي مـآقِــيـنـا

كنّـا قـلادةَ جيـدِ الـدهـرِ فانفرطتْ ... وفِي يمــينِ الـعُـلاً كـنّـا رَيـاحـيـنـا

كـانـتْ مـنـازلُـنـا فِي الـعـزِّ شـامخـةً ... لا تـشـرقُ الـشـمـسُ إلّا فِي مغانِينا

وكـانَ أقصَـى مُـنـى نهـرِ المجـرّةِ لو ... مـن مـائـه مُـزِجـتْ أقــداحُ سـاقِينا

والـشـهـبُ لـو أنَّـهـا كـانـتْ مُـسـخّـرةً ... لـرَجـمِ مَـنْ كـانَ يـبـدُو مِـنْ أعَـادِيـنـا

٦٠٥ قال ففعل

قال قيس بن عاصم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يا رسول الله، ما المال الذي لا يكون علــيّ فيه تبعة ما تــرى في إمساكه لضيف إن طرقني وعيال إن كثروا عليّ؟ فقال: «نعم المال الأربعون، وإن كثر فستون، وويل لأصحاب المئين إلا من أدى حق الله في

رسليهـا وبجدتها، وأطرق فحلها، وأفقر ظهرها، ومنح غزيرتها، ونحر سمينتها، وأطعم القانع والمعتر». فقال قيس: يا رسول الله، ما أكرم هذه الأخلاق وأحسنها، إنه لا يحل في الوادي الذي أنا فيه في كثرتها، قال: فكيف تصنع بالأطرق؟ فقال: يغدو الناس، فمن شاء أن يأخذ برأس بعير ذهب به، قال: فكيف تصنع بالأفقار؟ قـال: إني لأفقر الناب المدبر والضرع الصغـير، فقال: فكيف بالمنيحة؟ قال: إني لأمنـح السنة المائة، فقال له: أمالـك أحب إليك أم مال مواليك، فقال: بل مالي، فقـال عليـه الصلاة والسلام: «فإنما لـك من مالك ما أكلـت فأفنيت، أو لبست فأبليـت، أو أعطيـت فأمضيت، وما بقي فلورثتك». فقال قيس: يا رسول الله، لئن بقيت لأدعن عددها قليلًا. قال الحسن البصري: ففعل[1].

أقول:

نص هذا الحديث حث لجميع أهل الأموال بالإنفاق في جميع وجوه البر وعدم اكتنازهـا لأنفسهـم؛ لأن عدم الإنفـاق يورث بين الناس التحاسـد، فإذا أعطاك الله مـالًا، وبخلت به على قومـك وأهلك كرهوك، وحسـدوك، فجلبت لهم الإثم ولـك الإثم وغضـب الله، والحديث ذكر الإبل هي الغالـب في تجارة عصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويدخل أنـواع التجارة اليوم مثل العقار والسيارات والطائرات والمصانع والمزارع والأسهم والقصور والحدائق وكل ما حُبّب وزيّن للناس، فيجب على المسلم الأخذ منه بقدر والإعطاء منه ومواساة قومه وإلا حل به قول الشاعر:

ومـنْ يكُ ذا فضلٍ فيبخلُ بفضلِه   علَى قومِه يستغنَ عنْه ويُـذممِ

(١) هـذا الحديـث أخرجه الحاكـم (٣/٦١٢ رقـم٦٥٦٦)، والبيهقي في شعـب الإيمـان (٥/٤٠ رقم٣٠٦٥)، والطـبراني في أكبر معاجمه (١٨/٣٣٩ رقم٨٧٠)، وأبو نعيـم في معرفة الصحابة (٤/٢٣٠٤)، وأبو يعلى في المفاريد (رقم١٠٨)، وابن حبان في الثقات (٦/٣٢٠-٣٢١ رقم٧٩١٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٢٨٠ رقم٤٥٩٧): رواه الطبراني في الكبير وفي الأوسط باختصار، وفيه زياد الخصاص وفيه كلام وقد وثـق. أمـا الجزء الأخير منه فقد صح من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عنـد مسلم (٤/٢٢٧٣ رقم٢٩٥٩)، ولفظـه: « يقـول العبد: مالي مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس».

٦٠٦ معاوية والأحنف

الأول أول ملك في الإسلام، والثاني سيد من سادات العرب يضرب به المثل في الحلم، وكلا الرجلين من عظماء الرجال، وممن اشتهروا بالحلم والصبر والأناة، وقد قيل للأحنف: ما هو الحلم؟ قال: هو الذل، وأنا لست حليمًا، ولكن أتحالم. وقيل له: من أحلم أنت أم معاوية؟ قال: تالله ما رأيت أجهل منكم إن معاوية يقدر على العقوبة، فيحلم، وأنا أحلم ولا أقدر، فكيف أقاس عليه أو أدانيه؟!

٦٠٧ اتباع المتشابه

كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة فيها مغالطة قال للسائل: أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس. وسأل عمر بن قيس مالك بن أنس عن المحرم إذا نزع نابي ثعلب، فلم يرد عليه شيئًا، وسئل علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أين كان ربنا قبل أن يخلق السماء والأرض؟ فقال: أين توجب المكان، وكان الله عَزَّوَجَلَّ ولا مكان؟ وقيل لابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: ما تقول في رجل طلّق امرأته عدد نجوم السماء؟ قال: يكفيه منها كوكب الجوزاء، والجوزاء نجم مكون من ثلاث مجمعات.

٦٠٨ ديك المسلم وكلب الكافر

وجد أحد الشيوخ من أهل نجد ممن بلغ سن التقاعد -وكان يسكن الرياض- خطابًا وكشفه وإذا هو استدعاء من قبل مركز الشرطة في الحي الذي يسكنه، تساءل ربما دين نسيته أو شهادة على عقار أو لعل الأسماء تشابهت، وصل المركز، واحترمه العسكري، وأخلى له الكرسي، وقال: الخواجة الجالس أمامك

تقـدم بشكوى ضدك، وتعجـب قائلًا: ما لي ولهذا النصراني؟ اقرؤوا الاسم لعله غـيري؟ ولما أعادوه عليه قـال: إنني لا أعرفه، فكيـف يشتكيني؟ يترجم المترجم جـواب الشيـخ المسلم بقوله: ما هو سبب الشكوى؟ فيقـول النصراني الكافر: إن هـذا الشيخ يسكن بجواري وعنده ديـك أزعجني بصياحه ليلًا؟ يضحك الرجل، ويقول: أهذا الجار الذي في الجهة الشرقية؟ أبلغه يا حضرة الضابط، أن الديك لأحد أحفادي، ويذكرني بحياة القرية، ويردّ المسؤول: نحن معك، ولكن ليس على حساب جارك، يردّ: وهل اشترط عليه المؤجر أن يقتل ديكي؟ يردّ: الحكم في ذلك عند حدوث السبب.

قال المحقق: هذا جارك والإسلام جعل له حقًّا، ولو كان كافرًا. يقفز الشيخ مـن كرسيه، ويقول مشـيرًا إلى الضابط بكلتا يديه: سأبعـد يا حضرة الضابط، الديـك، ولكـن بشرط، ويـردّ الضابط: ومـا هو الشـرط؟ يردّ الشيـخ: أن يبعد كلبـه الذي ضايقنـا بنباحه. ويكتـم الضابط الضحـك قائلًا: واحـدة بواحدة، والبادي أظلم.

٦٠٩ الكريم والبخيل

قال أحـد جلساء الخليفة هارون الرشيد: دخلت عليـه يومًا فالتفتّ، فقال: لله در عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، فلقد نطق بالحكمة حيث يقول:

يا أيُّها الزاجرُ عَنْ شِيمتي سفهًا ... عمدًا عصى مقامَ الزاجرِ النّاهي
أقصـرْ فإنَّك مِـنْ قـومٍ أرومتُهم ... في اللؤمِ فافخرْ بهم ما شئتَ أو باهي
يـزينُ الشعـرَ أفواهًـا إذا نطقتْ ... بالشعرِ يومًا وقد يُزرَى بأفواهِ
قد يُرزقُ المرءُ لا من فضلِ حيلتِه ... ويُصرفُ الرزقُ عنْ ذي الحيلةِ الداهي

لقد عجبتُ لقوم لا أصولَ لهمْ   أثرُوا وليسُوا إن أثرُوا بأشياءِ

ما نالَني مِنْ غنًى يومًا ولا عدمٌ   إلا وقولي عليه الحمدُ للهِ

الله أكبر!! إنها قيلت قبل ألف سنة، ولكنها تصور أقوامًا هم بيننا في زماننا هذا.

٦١٠ الشيطان والصلاة

كان الإمام الكريم والفقيه أبوحنيفة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ ممن اشتهر بالفتيا وحل المعضلات الفقهية المعقدة، حتى إن الكثير من الناس يلجأ إليه في مسائل ليست من الفقه، وجاءه يومًا رجل، فقال: يا شيخي- أطال الله عمرك- إن لي دراهم وضعتها في مكان، ونسيته فما ترى لي؟ فضحك الشيخ، وقال: يا بني، ليس ذلك من أمور الفقه، ولكن سأحتال لك، اذهب الليلة، وتوضأ، وتهجد حتى الصباح وعدْ إليَّ في الغد، فذهب الرجل، وتوضأ، وصفّ في مصلاه متهجدًا، وفي الركعة الثالثة أو الرابعة أتاه الشيطان، وقال له: لو قسمت المسافة بين كذا وكذا وبين بيتك والمكان الفلاني، وأخذ يذكره حتى تذكر، فلم يكمل صلاته، وانصرف إلى المال، وأخذه، وأخبر في الصباح أبا حنيفة، فقال: علمت أن الخبيث لا يتركك، فهلا أتممت تهجدك شكرًا لله؟!

٦١١ الغيبة

قال ابن سيرين رَحِمَهُٱللَّهُ لرجل اغتابه، وأراد أن يستحله: إني لا أحل ما حرم الله عليك، ولكن ما كان إليَّ فهو لك، وقال له رجل آخر: إنك نلت مني، فقال له: نفسي أعز من ذلك، وقدم العلاء بن الحضرمي على رسول الله عليه الصلاة

والســلام، فقــال له: «**هل تروي من الشعر شيئًا؟**» قــال: نعم، قال: «**فأنشدني**»، فأنشده:

تحببْ ذوي الأضغانِ تسبُ نفوسَهم ... تحبّبَك القربى فقد ترقعُ النـعلْ

وإن دحسُوا بالكرهِ فاعفُ تكرُّمًا ... وإنْ غيّبُوا عنكَ الحديثَ فلا تسلْ

فـإنَّ الـذي يُـؤذِيـكَ منه سمـاعُه ... وإنَّ الَّـذي قالُوا وراءَك لم يقـلْ

فقال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من الشعر لحكمة**»[1].

٦١٢ الأعمار بيد الله

في زلــزال اليمــن الذي وقع أواخر عــام ١٩٨٢م وأوائل عــام ١٤٠٣هـ حدث لبعضـ من لم يـرد الله هلاكه، ومما يزيد الإيمان واليقــين أن الأعمار بيد الله، وأن مــن كتــب الله له البقاء وفي أجلــه بقية لن يموت حتى يتمهــا، ومن أراد الله وفاتــه أتاه الأجل، وقد جاء من عجائــب قدرة الله أن أهل خمسة بيوت سلط الله عليهــم حيــة، فأخافت أهل البيوت، وأخرجت مــن في الأول، ثم دخلت إلى البيت الثاني، وأخرجت من فيه، وكلهم كذلك حتى البيت الخامس يخرجون إلى الشارع مرعوبــين من هذه الحية، وبعد لحظات حصــل الزلزال، وسلموا. وجاء في مجلة العربــي استطلاع في جمادى الأولى عام ١٤٠٣هـ قالت المجلة: إن رجلًا عاد ولده من القريــة بعد خمس سنوات، فأراد تزويجه، وجمــع أقاربه من مختلف مناطق اليمــن، واجتمع نحو ٤٠رجلًا من كبار أسرة المتــزوج، وقتلوا في الزلزال. وسقط بيــت على امرأة، وماتــت، ووجد طفلها البالغ ١٢ يومًا حيًّــا يرضع من ثديها بعد ثلاثــة أيام. وهنــاك امرأة سقط عليها بيتها، وهــي تملأ جرة ماء، وظلت خمسة

---

(١) ذكــره السيوطــي في جامــع الأحاديــث (٣٣/٧٢ رقــم٣٥٨١٢)، والهنــدي في كنز العمــال (٣/٨٥٦-٨٥٨ رقم٨٩٥١)، وعزوه إلى ابن النجار.

ولفظ: «**إن من الشعر لحكمة**» أخرجه البخاري (٨/٣٤ رقم٦١٤٥).

أيـام تحت الأنقاضـ تعيش على ماء الجـرة حتى تم إنقاذها. تبـارك الله الذي بيده كل شيء.

٦١٣ كل ذي نعمة محسود

مــرّ قيس بن زهـير ببلاد غطفــان، فرأى ثروة وعـددًا، فكـره ذلك، فقيل لــه: أيسوؤك ما يسر النـاسـ؟ قال: إنك لا تدري أن مع النعمــة والثروة التحاسد والتخــاذل، وأن مــع القلــة التحاشــد والتناصــر، وما أثــرى قــوم إلا تحاسدوا، وتجادلوا؟ وقد ورد في الحديث عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فوالله لا الفقر أخشى عليكم لكـن أخشـى عليكـم أن تبسـط عليكم الدنيا، كمـا بسطت على مـن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم**»[1]، أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وقد قيل: إن الغني يستطيع أن يبعد عنه الحسد بكثرة نفقته وصدقته على قومه.

٦١٤ ما الحب؟

سأل المأمون عبدالله بن طاهر ذا الرياستين عن الحب ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنــين إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة انبعثت منها لمحة نــور تستضيء بها بواطــن الأعضاء، فتتحرك لإشراقهــا طبائع الحياة، فيتصور من ذلك خلق حاضر للنفس متصل بخواطرها يسمى الحب. وسئل حماد الراوية عــن الحب؟ فقال: شجرة أصلهــا الفكر، وعروقها الذاكــرة، وأعضاؤها السهر، وأوراقها الأسقام، وثمرتها المنيـة.

(١) أخرجه البخاري (٤/٩٦-٩٧ رقم٣١٥٨)، ومسلم (٤/٢٢٧٣ رقم٢٩٦١).

٦١٥ الفساق من حملة القرآن وعبدة الأوثان

قال الحسن: حملة القرآن ثلاث: رجل اتخذه بضاعة ينقله من مصر إلى مصر يطلب ما عند الناس، ورجل حفظ حروفه، وضيّع حدوده، واستدر بعض الولاة، واستطال به على أهل بلده، ورجل قرأ القرآن، فوضع دواءه على داء قلبه، فسهر ليلته، وهملت عيناه، وتسربل الخشوع، وارتدى الوفاء. ووالله لهذا الضرب من حملة القرآن أقل من الكبريت الأحمر، وقد ورد في الأثر أن الزبانية لأسرع إلى فساق حملة القرآن منهم إلى عبدة الأوثان، فيشكون إلى ربهم، فيقول: ليس من علم كمن لا يعلم.

٦١٦ وزراء فرعون ووزراء الحجاج

أتى الحجاج بامرأة من الخوارج، فقال لأصحابه: ما تقولون في هذه؟ قالوا: هذه هي التي فعلت كذا، اقتلها أصلح الله الأمير، ونكل بها غيرها، فتبسمت، فقال لها الحجاج: لم تبسمت؟ فقالت: لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرًا من وزرائك يا حجاج، استشارهم في قتل موسى، فقالوا: أرجِه وأخاه، وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلي، فضحك الحجاج، وأمر بإطلاقها.

٦١٧ مال المسلمين

شتمت امرأة من بني كنانة أمير المؤمنين معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وامتدحت الإمام علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فوسعها بحلمه، وقال لها: هل لك من حاجة؟ قالت: أو تفعل إن سألتك؟ قال: نعم، قالت: تعطيني مئة ناقة حمراء، فيها فحلها وراعيها، قال: ما تصنعين بها؟ قالت: أكتسب بها المكارم، قال: إن فعلت فهل أحل بمنزلة علي ابن أبي طالب؟ قالت: مرعى ولا كالسعدان، يا سبحان الله، أو دونه قال: خذيها

هنيئًا، واذكري فعل ماجد جزاك على حرب العداوة بالسلم، أما والله لو كان علي حيًّا ما أعطاك منها شيئًا، قالت: لا، والله ولا وبرة واحدة من مال المسلمين.

٦١٨ هذا هو نظام الإسلام

قالت سودة بنت عمارة: أتيت يومًا الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أشكو إليه رجلًا ولاه صدقاتنا، فكان بيننا وبينه ما بين الغث والسمين، فوجدته قائمًا يصلي، فانفتل من صلاته، ثم قال برأفة وتعطف: ألك حاجة؟ فأخبرته خبر الرجل، فبكى، ورفع يديه إلى السماء، فقال: اللهم، إني لم آمرهم بظلم خلقك، ولا ترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعة من جراب، فكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ». إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك حتى يأتي من يقبضه منك والسلام.

أقول:

الله أكبر، هذا المسؤول الأول في الدولة الإسلامية يلاطف عجوزًا من عجائز المسلمين، ويأخذ حقها من أمير من أمراء دولته، بل يعزله تأديبًا له ولأمثاله، هذا والله الإسلام الذي تعجز عن الإتيان به الرأسمالية المؤلهة للفرد، والشيوعية المؤلهة للجماعة، نعم، إن الإنسانية في حاجة ماسة إلى نماذج من هؤلاء الحكام على منهج رب العباد.

٦١٩ سيفه على استه

دخل أبودلامة على أبي جعفر المنصور يومًا وعليه قلنسوة طويلة، وكان قد أخذ أصحابه بلبسها، وأمرهم بلبس دراريع مكتوب بين كتفي الرجل:

﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧] وأمرهم بتعليق السيوف على أوساطهم، فدخل عليه أبودلامة في ذلك الزي، فقال له: كيف أصبحت أبا دلامة؟ قال: بشرّ حال يا أمير المؤمنين، قال: كيف ذلك ويلَك؟ قال: وما ظنك يا أمير المؤمنين، بمن أصبح وجهه في وسطه وسيفه على استه، وقد نبذ كتاب الله وراء ظهره؟! فضحك أبوجعفر المنصور، وأمر بتغيير ذلك.

٦٢٠ كل خاطب كذاب

قال الحافظ البيهقي في تفسير قوله تعالى على لسان نبيه سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ﴾ [النمل: ١٦]. قال: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة، فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟ قالوا: وما يقول يا نبي الله؟ قال: يخطبها إلى نفسه، ويقول: تزوجيني أسكنك أي غرف دمشق إن شئت. قال سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد، ولكن كل خاطب كذاب[1].

٦٢١ خفّا حنين

حنين هو إسكافي من أهل العراق ساومه أعرابي بخفين، فاختلفا حتى أغضبه، فأراد غيظ الأعرابي، فلما ارتحل أخذ أحد الخفين، فرماه في طريق الأعرابي، ثم ألقى الخف الآخر بموضع آخر على الطريق، فلما مر الأعرابي بالخف الأول قال: ما أشبه هذا بخف حنين لو كان معه صاحبه لأخذته، فلما مر بالآخر ندم على ترك الأول، وأناخ الراحلة، وانصرف لأخذ الأول، وقد كمن له حنين، فوثب على الراحلة، وأخذها، وأقبل الأعرابي ليس معه غير الخفين، فصارت مثلًا.

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٢/٢٣٢)، وانظر: البداية والنهاية (٢/٢٢-٢٣).

٦٢٢ ما أكرهت النفوس عليه

كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن: اجمع لي أمر الدنيا، وصفْ لي أمر الآخرة، فكتب إليه: إنما الدنيا حلم، والآخرة يقظة، والموت متوسط، ونحن في أضغاث أحلام، من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر العواقب نجا، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهم، ومن فهم علم، ومن علم عمل، فإذا زللت فارجع، وإذا ندمت فأقلع، وإذا جهلت فاسأل، وإذا غضبت فأمسك، واعلم أن أفضل الأعمال ما أكرهت النفوس عليه.

٦٢٣ قالوا في وصف الدنيا

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الزهد في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك**»[١] وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين سئل من أزهد الناس في الدنيا؟ قال: «**من لم ينسَ المقابر والبلى، وترك أفضل زينة الدنيا، وآثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدًا من أيامه، وعد نفسه في الموتى**»[٢].

وقيل للزهري: ما الزهد؟ قال: صرف النفس عن الشهوة. وقال ابن واسع: أزهد الناس من لم يبالِ بيد من كانت. وقالوا: الدنيا والآخرة مثل رجل له امرأتان إن أرضى إحداهما أسخط الأخرى. وقال بكر المزني: ما مضى منها فحلم، والباقي منها أمانيّ. وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**سجن المؤمن وجنة الكافر**»[٣] وقالوا: الإنسان يحب الدنيا لأنه ابنها، وما كان الإنسان منه فهو يحبه وهي مجانسة الإنسان، فأحبها بكل جوارحه:

أراها وإنْ كانتْ تُحبُّ كأنَّها سحابةُ صيفٍ عنْ قليلٍ تقشعُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٧١ رقم٢٣٤٠)، وابن ماجه (٢/١٣٧٣ رقم٤١٠٠)، وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم٣١٩٤).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٣/٢٢٢ رقم٣٥٤٥٩).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٢٧٢ رقم٢٩٥٦).

٦٢٤ التوبة من الذنوب

قال بعض الفقهاء في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨] التوبة النصوح أن يتوب العبد عن الذنب، ولا ينوي العودة إليه. وقال ابن عباس في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ [النساء: ١٧] إن الرجل لا يركب ذنبًا، ولا يأتي فاحشة إلا وهو جاهل، وقوله: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ﴾ قال: كل من كان دون المعاينة فهو قريب، والمعاينة أن يؤخذ بكظم الإنسان، فذلك قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

وقال ابن شبرمة: إني لأعجب ممن يحتمي مخافة الضرر، ولا يدع الذنوب مخافة النار، وقال الشاعر:

بادرْ إلى التوبةِ الخلصاءِ مبتدئًا والموتُ ويحَكَ لم يمددْ إليكَ يدا
وارقبْ منَ الله وعدًا ليسَ يخلفُه لا بدَّ للهِ منْ إنجازِ ما وَعدا

٦٢٥ القار والزيت

كان أحمد بن أبي دؤاد من المقربين لبعض خلفاء بني العباس، وكان هو رأس الفتنة التي حلت بالإمام أحمد، ولولا هذه الفتنة لكان يُعدّ من البطانة الصالحة، وكان الوزير محمد بن عبد الملك الزيات أديبًا ووزيرًا وذا شأن، وكان جبارًا، وكان بين الرجلين منافسة شديدة، فقالوا يومًا لابن أبي دؤاد: إن ابن الزيات هجاك بتسعين بيتًا من الشعر، فقال:

أحسنُ من تسعينَ بيتًا سُدًى جمعُكَ معناهنَّ في بيتِ
ما أحوجَ الناسَ إلى مطرةٍ تزيلُ عنهمْ وضرَ الزيتِ

فبلغ قوله ابن الزيات، فردّ عليه قائلًا:

يا أيها المأفونُ رأيًا لقدْ عرّضتَ بي نفسَك للموتِ

قيّرتم الملكَ فلمْ ننقِّه حتى غسلْنا القارَ بالزّيتِ

الزيتُ لا يُزري بأحسابِنا أحسابُنا معروفةُ البيتِ

٦٢٦ لا تشكو إلا لله

اشتكى أحدهم إلى شريح القاضي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غمًّا وهمًّا ومرضًا أصابه، فأخذ شريح بيده، وقال: يا ابن أخي، إياك والشكوى إلى غير الله، فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقًا أو عدوًّا، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك، انظر إلى عيني هذه- وأشار إلى إحدى عينيه- فوالله ما أبصرت بها منذ خمس عشرة سنة، وما أخبرت بها أحدًا إلى هذه الغاية، أما سمعت قول العبد الصالح: ﴿إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٦] فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك، فإنه أكرم مسؤول وأقرب مدعوّ.

٦٢٧ الدعوة المستجابة

وساريةٍ لم تسرْ في الأرضِ تَبتغي محلًّا ولم يقطعْ بها البيدَ قاطعُ

سرتْ حيثُ لم تحدِ الركابُ ولم تنخْ لوردٍ ولم يقصرْ لها القيدَ مانعُ

تظلُّ وراءَ الليلِ والليلُ ساقطٌ بأوراقه فيه سميرٌ وهاجعُ

تفتحُ أبوابَ السماءِ لوفدِها إذا قرعَ الأبوابَ منهنَّ قارعُ

إذا سألتْ لم يردِدِ اللهُ سؤلَها على أهلِها واللهُ راءٍ وسامعُ

وإني لأرجو اللهَ حتّى كأنَّما أرى بجميلِ الظنِّ ما اللهُ صانعُ

٦٢٨ الملوك والموت

قال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين حضرته الوفاة:

ألا ليتَني لم أبـقَ في الملكِ ساعةً ... ولم أكُ في اللذاتِ أغشى النواظِر

وكنتُ كذي طمرينِ عاشَ ببُلْغَةٍ ... لـيـاليَ حــتى زارَ المقابِـر

وقال لمن حوله: خرجت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان إذا مضى لحاجته، وتوضأ أصب الماء على يديه، فنظر إلى قميص لي قد انخرق من عاتقي، فقال لي: يا معاوية، ألا أكسوك قميصًا؟ قلت: بلى، فكساني قميصًا لم ألبسه إلا لبسة واحدة، واجتز ذات يوم، وأخذت جزازة شعره وقلامة أظفاره، فجعلت ذلك الشعر والأظفار في عيني ومنخري وفمي، ثم اجعلوا قميص رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شعارًا من تحت كفني، إن نفع شيء بعد العمل الصالح نفع هذا[1].

٦٢٩ كفى هذا فخرًا لليمن

قال عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لبعض أهل اليمن: لكم من السماء نجمها يعني النجم اليماني، ومن الكعبة ركنها؛ يعني الركن المسمى الركن اليماني، وقد سأل الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أجود العرب؟ قالوا: حاتم طيء، قال: ومن فارسها؟ قالوا: عمرو بن معد الزبيدي، قال: فمن شاعرها؟ قالوا: امرؤ القيس بن حجر، قال: فأي سيوفها أقطع؟ قالوا: الصمصامة، قال: كفى بهذا فخرًا لليمن.

---

(١) انظر: تاريخ دمشق (٥٩/٢٢٧-٢٢٨).

٦٣٠ عمل الخائفين

قال الأصمعي: سمعت أعرابيًّا، وهو يقول في دعائه: اللهم، إني أسألك عمل الخائفين، وخوف العاملين، حتى أتنعم بترك النعيم طمعًا فيما وعدت، وخوفًا مما أوعدت، اللهم، أعذني من سطوتك، وأجرني من نقماتك، سبقت لي ذنوب وأنت تغفر لمن يتوب إليك، بك أتوسل ومنك إليك أفر. وقال: سمعت أعرابيًّا يقول في صلاته: الحمد لله حمدًا لا يبلى جديده، ولا يحصى عديده، ولا يبلغ حدوده، اللهم، اجعل الموت خير غائب ننتظره، واجعل القبر خير بيت نعمره، واجعل ما بعده خيرًا لنا منه، اللهم، إن عيني قد اغرورقت دموعًا من خشيتك، فاغفر الزلة وعدّ بحلمك على جهل من يرجو غيرك.

٦٣١ يتعصب للعرب

كان عيسى بن موسى شديد التعصب للعرب، وقد سأل مرة ابن أبي ليلى من كان فقيه البصرة؟ قال له: الحسن البصري، قال: ثم من؟ قال: ابن سيرين، قال: فما هما؟ قلت: موليان، قال: فمن فقيه مكة؟ قال: قلت: ابن أبي رباح ومجاهد وابن جبير، قال: فما هؤلاء؟ قلت موالي، فتغير لونه، ثم قال: من فقيه اليمن؟ قلت: طاوس وابنه، قال: ما هما؟ قلت: الموالي، فانتفخت أوداجه، وانتصب قاعدًا، ثم قال: وخراسان؟ قلت: عطاء الخرساني، قال: ما هو؟ قلت: مولى، واسودّ وجهه حتى خفته، ثم تنفس الصعداء، وقال: من فقيه الكوفة؟ قلت: الشعبي، قال: ما هو؟ قلت: عربي، قال: الله أكبر، وسكن غضبه.

٦٣٢ أقوال أعرابي

قال أعرابي لولده: لا تكن رأسًا ولا ذنبًا، فإن كنت رأسًا فتهيأ للنطاح، وإن كنت ذنبًا فتهيأ للنكاح.

وقال آخر: ما بقاء عُمْرٍ تقطعه الساعات وسلامةُ بدنٍ معرضٍ للآفات، ولقد عجبت من المؤمن كيف يكره الموت وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله، وأظمأ لـه نهـاره. وقيل لأعرابي: كيـف أنت في دينك؟ قـال: أخرقه بالمعاصـي، وأرقعه بالاستغفـار، وقال آخر: أحق النـاسـ بالرحمة الكريم يسلط عليه اللئيم، والعاقل يسلط عليه الجاهل.

٦٣٣ عزلته قصيدة

دخـل شاعـر على المساور بن هنـد، وهو أمير على الري مـن مدن خراسان (إيران اليوم) فمدحه، فلم يعطِه شيئًا، فخرج الشاعر، وهو يقول:

أتـيـتُ المـسـاورَ في حـاجـةٍ	فما زالَ يسعلُ حتّى ضرطْ
وحـكَّ قـفـاه بكرسـوعـه	ومسـحَ عثنونَه وامتخـطْ
فأمسكتُ عَنْ حاجتي خيفةً	لأخرى تقطعُ شبحَ السفطْ
فأقسـمُ لو عدتُ في حاجتي	للطخٍّ بالسلحِ وجهَ النمطْ
وقالَ غلطْنا حسابَ الخراجِ	فقلتُ منَ الضرطِ جاءَ الغلطْ

وانتشـرت القصيدة بين النـاس حتى إن الصبيـان إذا رأوه راكبًا صاحوا به قائلين: من الضرط جاء الغلط، حتى هرب من الإمارة.

٦٣٤ أيام الزوجتين

خطب رجل ثري من رجل آخر إحدى ابنتيه دون تعيين، وكان للخاطب امرأة، فشـاور ابنتيه، فقالـت الكبرى: لا أريده، قال أبوهـا: ولِمَ؟ قالت: يوم عتاب ويوم اكتئاب يبلى فيما بين ذلك الشباب. قالت الصغرى: زوجني يا أبي، قال لها: أوما

سمعتِ ما تقول شقيقتك؟ قالت: نعم، ولكني أرى غير رأيها، قال: ما ذاك؟ قالت: يوم تزين ويوم تسمن، وقد تقر فيما بين ذلك الأعين. وقد قيل: إن بعض الفقهاء يرى أن تعدد الزوجات سنة بالنسبة إلى القادر على العدل والنفقة لما في ذلك من إكثار المسلمين لمجاهدة أعدائهم وعمارة ديارهم، والله مدح الكثرة في القرآن وعدّها من النعمة لقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٦] وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة**»[(١)]. ولما لذلك من إقلال العوانس لكثرة النساء في بعض الأوقات.

٦٣٥ سلمى والأعرابي

قال الخليفة هارون الرشيد للأصمعي: يا أصمعي، إن حدثتني بحديث في العجز والكسل، فأضحكتني وهبتك هذه البدرة؛ كيس نقود، قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، ذهبت يومًا إلى الصحراء، وإذا بأعرابي قاعد على صخرة قد قذفت الريح بثوبه، فألقته بعيدًا عنه وهو عريان، فقلت له: ما أجلسك هنا على هذه الحالة؟ قال: جارية واعدتها يقال لها: سلمى أنا منتظر لها، فقلت له: هل قلت في سلمى شيئًا؟ قال: نعم، قلت: أسمعني، قال: لا أسمعك حتى تأخذ كسائي وتلقيه عليّ، فأخذته، فألقيته عليه، فأنشد:

لعلَّ اللهَ أنْ يأتي بسلمَى … فيبطحُها ويُلقيني عَليها

ويأتي بعدَ ذاكَ سحابُ مُزنٍ … تطهرُنا ولا نسعَى إليها

فضحك الخليفة ورمى لي بالدراهم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢١/١٩١ رقم١٣٥٦٩)، والبيهقي في سننه الكبرى (٧/٨١ رقم١٣٨٥٨)، وحسنه الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/٤٧٤ رقم٧٣٣٩)، والألباني في آداب الزفاف (ص١٦).

٦٣٦ إنها الحكمة

عدي بن حاتم الطائي، كان مع علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حروبه، ويقول: إن قتل عثمان لا ينتطح فيه عنزان، فقال له معاوية: ما تقول يا عدي، أتناطح في قتله عنزان؟ قال: بل قتل فيه التيس الأكبر يعني علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال معاوية: أما والله إنه بقي من دمه قطرة، ولا بد من أن أتبعها، قال له عدي: لا أبالك أغمد السيف، فإن سل السيف يسل سيوفًا، فالتفت معاوية إلى حبيب بن سلمة، وكان من الكتاب، وقال له: اجعلها في كتابك، فإنها حكمة، ووالله لا أسل السيف أبدًا ما استطعت.

٦٣٧ الأمراء الفجرة

سئل الإمام الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن الأمراء إذا كانوا فجرة، هل يجوز الخروج عليهم؟ فقال للسائل بعد أن سكت مليًّا: وما أن أقول فيهم وهم يلون من أمورنا خمسًا: الجمعة، والجماعة، والفيء، والثغور، والحدود؟ والله لا يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا وإن ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، والله إن طاعتهم لغبطة، وإن فرقتهم لكفر. فقال السائل: جزاك الله عن الدين وأهله خيرًا. وقد جاء في الأثر: عمالكم كأعمالكم، وكما تكونون يُولّى عليكم.

٦٣٨ بكأسهم شاربون

خطب أحد الصالحين، فقال: أيها اللاهي المغرور بنفسه، كأني بك وقد أتاك رسول ربك لا يقرع لك بابًا، ولا يهاب صحابًا، ولا يقبل منك بديلًا، ولا يأخذ منك كفيلًا، ولا يرحم لك صغيرًا، ولا يوقر فيك كبيرًا حتى يؤديك إلى قبر مظلمة أرجاؤه موحشة، كفعله بالأمم الخالية والقرون الماضية. أين من سعى

واجتهد وجمع وعدّد وبنى وشيد وزخرف ونجد، وبالقليل لم يقنع وبالكثير لم يمتع؟ أين من قاد الجنود، ونشر البنود؟ أضحوا رفاتًا تحت الثرى أمواتًا وأنتم بكأسهم شاربون ولسبيلهم سالكون.

٦٣٩ زواج

قال الأصمعي: زوج خالد بن صفوان عبده من أمته، فقال له العبد: لو دعوت الناس، وخطبت، قال ادعُهم أنت. فدعاهم العبد، فلما اجتمعوا تكلم خالد بن صفوان، فقال: إن الله أعظم وأجل من أن يذكر في نكاح هذين الكلبين، وأنا أشهدكم أنني زوجت هذه الزانية من هذا ابن الزانية. نعم، أوردتها للزجر عن الاحتقار لا للتفكه لأن كثيرًا من الناس فيهم جاهلية، وهذا كلام من الجاهلية، وإن الإنسان المسلم له عند الله حرمة أشد من حرمة الكعبة، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن العبيد والموالي: «**هم إخوانكم**»[1].

٦٤٠ لماذا لا نحسب أنفسنا حلقة من السلسلة؟!

قبل أن نأتي إلى الحياة الدنيا كم سبقتنا من عصور؟ وبعد أن نغادر هذه الحياة كم ستعقبنا من أجيال؟ وما نسبة هذا العمر المحدود بين السابق له واللاحق؟ إنه قليل قليل ومدة هذا العمر القليل تكون الحياة الدنيا في طريق الحياة الممتد، يجري جيل من البشر حتى إذا ناله الإعياء مات، وقبل خلو الطريق ينبت جيل آخر بمثل الدور نفسه، ويسحب المنهوك، فيلف في الأكفان ويوارى في التراب، وليسعى الجيل الجديد دواليك. هذه مواكب الحياة أعمار منقطعة وعمل متواصل، والعجيب أن هذا العمل الموصول يسخر القائمين به، فهم لا يحسبون

---

(١) أخرجه البخاري (١٦/ رقم٦٠٥٠)، ومسلم (٣/١٢٨٢ رقم١٦٦١).

أنفسهم حلقة من السلسلة المنقطعة المتراخية مع الأمس المتطاول مع الغد، بل يخدعهم الغرور، فما يفكر أنه جديد على الدنيا، وأنه سيختفي فجأة كما ظهر، كلا، إن الغرور يخدعه فإذا جاءه الموت دهش لمقدمه كأن الموت حدث غريب، غير أن الدهشة لا تدفع اليقين، ومن الخير للمرء وهو في صحته البدنية ويقظته الذهنية أن يعرف طبيعة الدار التي يعيش فيها، فلا يبني طباقًا عالية على دعائم منهارة، لكن ما معنى ذلك؟ أهذا حظ الإنسان من الوجود؟ كلا، لو كان العيش في هذه الدنيا هو كل شيء لكان الانتحار للناس أولى، إن الدار الآخرة هي الحيوان، والاستعداد لها هو وظيفة العقلاء في هذه المدة الضيقة من آجالهم.

خُلقَ الناسُ للبقاءِ فضلّتْ أمةٌ يحسبونَهم للنفادِ
إنَّما ينقلونَ منْ دارِ أعمالٍ إلى دارِ شقوةٍ أو رشادِ

فالحصيف العاقل الذي يوزع اهتمامه على كلتا الدارين بقدر ما تستحقانه، فيجعل عمله لهذه بقدر مقامه فيها وعمله للأخرى بقدر بقائه فيها.

(بتصرف من كتاب عقيدة المسلم للشيخ الجليل فضيلة الشيخ المجاهد محمد الغزالي رحمة الله عليه).

٦٤١ لا ريب في وجود الله

استفتت مجلة كوليرر الأمريكية عددًا كبيرًا من علماء الذرة والفلك وعلم الأحياء (البيولوجيا) فأكدوا أن لديهم أدلة وقرائن كثيرة تثبت وجود كائن أعظم ينظم هذا الوجود، ويرعاه بعنايته ورحمته وعلمه الذي لا حد له، ويقول الدكتور (راين): إنه ثبت من بحوثه في المعمل أن في الجسم البشري روحًا أو جسمًا غير منظور، وقال عالم آخر: إنه لا شك في وجود الكائن الأعظم، وهو ما تسميه الأديان السماوية (الله) وهو الذي يسيطر على الطاقة الذرية وغيرها من

الظواهــر والقوانين الخارقة في هذا الوجود. إلى من يظنون العلم طريق الإلحاد هــذه نتائج البحوث التي وصــل إليها سادتهم، أما نحن فالقرآن دليلنا منذ أربعة عشــر قرنًــا، حيــث يقــول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٦٣ قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٢- ٦٤].

٦٤٢ لقمان الحكيم كان أسود

قــال الأوزاعــي: جاء رجل أسود إلى سيد التابعين سعيــد بن المسيب يسأله، فقــال له سعيــد: لا تحزن من أجــل أنك أســود، فإنه كان من خــير الناس ثلاثة مــن السودان: بلال بــن رباح مؤذن رسول الله، ومهجــع مولى عمر بن الخطاب، ولقمان الحكيم كان أسود من النوبة ما بين مصر والسودان ذا مشافر؛ أي عظيم الشفتين.

وقيــل: وقف رجــل على لقمــان الحكيم، فقــال: أنت لقمان؟ أنــت عبد بني النحاســ؟ قــال: نعم، قــال: أنت راعي الغنــم الأسود؟ قال: أما ســوادي فظاهر فمــا الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء النــاس بساطك وغشيهم بابك ورضاهم بقولــك، قــال: يا ابن أخي، إن صنعت ما أقول لك كنــت كذلك، قال: ما هو؟ قال لقمــان: غضي بصري، وكفي لساني، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيّرني كما ترى.

٦٤٣ دعاء رسول الله

قــال الإمــام أحمد: حدثنــا وكيع حدثنا عبــادة بن مسلم الفــزاري حدثني جبــير بن أبي سليمان بن جبير بن مطعم قال: سمعت عبدالله بن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا يقــول: لم يكن رســول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يترك هذه الدعوات حــين يصبح وحين

يمســي: «**اللهم، إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة، اللهم، إني أسألك العفو والعافيــة في دينــي ودنيــاي وأهلي ومالي، اللهــم، استر عوراتــي وآمن روعاتي، اللهم، احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي**»[1]. قال وكيع: يعني الخسف.

٦٤٤ صحابي يمزح مع رسول الله

جــاء في كتاب (سيرة بطل) للكاتب الأديب محمــد حسين زيدان قوله: كان النعيمــان بن عمرو مــن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وشهــد المشاهد كلها، وكان مــترف النفس حاضر البديهة شابًّــا مضحاكًا مزاحًا، كان إذا نزل السوق، ووجد طعامًا طيبًا أعجبه اشتراه، وأرسله إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في صورة هدية منه، فيستطيبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويأكل منه وأهل بيته، ويأتي البائع إلى النعيمــان ليقبض الثمــن، فيقول له: اذهب إلى رســول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو له، أكلــه هو وأهله، فيذهب البائع إلى الرسول، ويسأل رسول الله النعيمان: ألم تهدِه لي؟ فيقــول: نعــم، شيء استطبته لــك وأحب أن تأكل منــه، فأهديته لك ما معي دراهــم أدفعها لبائعه، فادفع يا رسول الله، فيضحك النبي، ويضحك الصحابة، ويؤدي رسول الله قيمة الهدية الإجبارية من هذا الصحابي الحبيب، أحب رسول الله، فأحب له الطيبات، فأرسلها على هذه الصورة، فنال الحسنيين، أكل رسول الله، وأضحكــه بمــا لا يؤذي. وفي مرة أخرى وفرصة أخــرى جاء وافد إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وربــط ناقته عند بــاب المسجد، فرأى بعضــ الصحابة الناقة عليهــا سنام قد امتــلأ شحمًا، تلمظــوا يشتهون لحمًــا، فالتفتوا إلــى النعيمان، فقالــوا: هل لك في هذه، فقد قرمنا إلى اللحم، وسيعوضه رسول الله عنها، فقام النعيمــان، فنحرها لهم، وأكلــوا، وشبعوا من لحم الناقة، وخرج الأعرابي، فرأى

---

(١) أخرجــه أحمــد (٨/٤٠٣ رقــم٤٧٨٥)، وأبــو داود (٤/٤٧٩ رقــم٥٠٧٦)، وصححــه ابــن حبــان (٣/٢٤١ رقم٩٦١)، والألباني في صحيح الترغيب (١/١٦٠ رقم٦٥٩).

ناقتــه قد نحــرت والقوم يشــوون ويأكلون ويأخــذون، فصاح: واعقــراه واناقتاه، فخــرج الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل عن الخبر، فعلم مــن أصحابه، ونظر يفتش عــن النعيمان يجــري يخاف العتب والجزاء، وخرج الرســول ليتعقب أثره، فدلوه عليــه، كان مختبــأ في صخــرة في حائط ضباعة بنت الزبير بــن عبد المطلب بنت عم رســول الله، فسأل الرسول أين هو؟ فأشاروا إلى مكانه في الحفرة وألسنتهم تلعــن: لــن تجده يــا رســول الله، قد غطــى نفســه في السعف والجريــد، فأخرج والــتراب على وجهه ورأسه، ووقف بين يدي رســول الله، وأخذ رسول الله برأسه وهــو يضحك، ويزيل التراب عن وجه النعيمان بيده الطاهرة، ويمسح الغبار عن وجه صاحبه. أضحك الصحابة، وأشبعهم لحمًا هي من طبع النعيمان، جاز منه وجــازت له، ولكنها لا تجوز لغيره على إطلاقها، فإنها خاصة به وله، ودفع رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قيمة الناقة لصاحبها.

٦٤٥ أعدها يا فسيل

لما فتح هــارون الرشيد هرقلة، وأباحها ثلاثة أيــام، وكان بطريقها الخارج عليــه فسيل الرومــي، نظر إليه الرشيــد مقبلًا على جدار فيه كتــاب. وهو يطيل النظــر فيه، فدعا بــه، وقال له: لمَ تركــت النظر إلى الغنائــم، وأقبلت على هذا الجــدار تنظر فيه؟ فقال: يا أميرَ المؤمنين، قــرأت في هذا الجدار كتابًا هو أحب إليّ مــن هرقلــة وما فيها، قــال له الرشيد: مــا هو؟ قال: باســم الله الملك الحق المبــين، ابــن آدم غافص الفرصة عنــد إمكانها وكل الأمور إلــى وليها، ولا تحمل على قلبك هم يوم لم يأتِ بعد، إن يكن من أجلك يأتِك الله برزقك فيه، ولا تجعل سعيــك في طلب المال أســوة المغرورين، فربّ جامع لبعل حليلتــه، واعلم أن تقتير المــرء على نفسه هــو توفير منه على غيره، فالسعيد مــن اتعظ بهذه الكلمات ولم يضيّعها، قال له الرشيد: أعدها عليّ يا فسيل، فأعادها عليه حتى حفظها.

٦٤٦ من كلام ابن مسعود

قال الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أصدق الحديث كتاب الله، وأوثق العرى كلمة التقوى، وأكرم الملل ملة إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وخير السنن سنة محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وخير الأمور أوساطها، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى، نفس تحييها خير من إمارة لا تحصيها، خير الغنى غنى النفس، خير ما ألقي في القلب اليقين، الخمر جماع الآثام، النساء حبائل الشيطان، الشباب شعبة من الجنون، شر الناس من لا يأتي إلى الجماعة إلا دبرًا، ولا يذكر الله إلا هجرًا، مكتوب في ديوان المحسنين من عفا عفي عنه، الشقي شقي في بطن أمه، السعيد من وعظ بغيره، أشرف الموت الشهادة، من يعرف البلاء يصبر عليه، ومن لا يعرفه ينكره.

٦٤٧ من أقوال الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

«إن من الشعر لحكمة»[١]، **«إن من البيان لسحرًا»**[٢]، **«إن حسن العهد من الإيمان»**[٣]، **«إن أشكر الناس لله أشكرهم للناس»**[٤]، **«إن الله يحب الرفق في الأمر كله»**[٥]، **«إن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»**[٦]، **«إن الصدقة**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤/٨ رقم٦١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٩/٧ رقم٥١٤٦).

(٣) أخرجه الحاكم (١٥/١-١٦ رقم٤٠)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، فقد اتفقا على الاحتجاج برواته في أحاديث كثيرة، وليس له علة. وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢١٥/١ رقم٢١٦).

(٤) أخرجه أحمد (١٦٦/٢٦ رقم٢١٨٤٦)، والبيهقي في الكبرى (١٨٢/٦ رقم١٢٣٩١)، وابن أبي شيبة (١٤٢/٣ رقم٨٧٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم١٠٠٨).

(٥) أخرجه البخاري (١٢/٨ رقم٦٠٢٤)، ومسلم (١٧٠٦/٤ رقم٢١٦٥).

(٦) أخرجه الترمذي (٥٥٨/٤ رقم٢٣١٧)، وابن ماجه (١٣١٥/٢ رقم٣٩٧٦)، وحسنه النووي في رياض الصالحين (ص٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٥٩١١).

لا تزيد المال إلا كثرة»[1]، فتصدقوا يغنيكم الله. «**إن الناس لم يعطوا شيئًا أفضل من العفو والعافية، فاسألوهما الله**»[2]، «إن ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيهًا»[3]، «**إن الله يبغض الخصم الألد**»[4]، «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**»[5]، «**إن المؤمن إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت صدقة**»[6].

٦٤٨ سياسة الرجال

قالت الحكماء: أحسن الرؤساء من يخلط الوعد والعطاء بالمنع والحلم بالإيقاع، فإن الناس لا يصلحون إلا على الثواب والعقاب، والإطماع والإخافة، ومن أخاف ولم يوقع وعرف بذلك كان كمن أطمع ولم ينجز، فخير الخير ما كان ممزوجًا وشر الشر ما كان صرفًا، ولا يصلح الناس إلا بأمرين: الشدة واللين وعلى العفو والانتقام والبذل والمنع، قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة: ١٧٩] فأسوس الناس من قادهم بقلوبهم، ولم يقدهم بأجسامهم.

٦٤٩ نعمة من الله

قال أحدهم: كنت عند العالم العابد الفضيل بن عياض رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ دخل رجل، فسأله حاجة، وألح في السؤال عليه، فقلت: لا تؤذِ الشيخ، فقال لي الفضيل:

(١) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (رقم١٤٨٧).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٧٥/١ رقم٧٤)، والنسائي في الكبرى (٢٢١/٦ رقم١٠٦٥٦)، وحسنه محقق مسند أبي يعلى الأستاذ: حسين سليم أسد.

(٣) لم أجده.

(٤) أخرجه البخاري (١٣١/٣ رقم٢٤٥٧)، ومسلم (٢٠٥٤/٤ رقم٢٦٦٨).

(٥) أخرجه أبو داود (٤١١/٤ رقم٤٨٤٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم٢١٩٩).

(٦) أخرجه البخاري (٦٢/٧ رقم٥٣٥١)، ومسلم (٦٩٥/٢ رقم١٠٠٢).

اسكت، أما علمت أن حوائج الناس إليكم نعمة من الله عليكم، فاحذروا أن تملوا النعم، فتتحول نقمًا، ألا تحمد ربك أن جعلك تسأل؟!

٦٥٠ طلب المال

قال الحبر الفقيه مجاهد في تفسير هذه الآية: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب﴾ [الشرح: ٧-٨] أي: إذا فرغت من مؤنة الدنيا فانصب في العبادة. وقال لقمان الحكيم: خذ من الدنيا بلاغك، وأنفق فضول كسبك تقدمه لآخرتك، ولا ترفضها كل الرفض، فتكون على الناس عالة. وقال عمر: ليس خيركم من عمل للآخرة، وترك الدنيا، أو عمل للدنيا وترك الآخرة، ولكن خيركم من أخذ من هذه ومن هذه. من المستحب ترك الفضول، وترك الذنوب من الفرض.

٦٥١ شفيتني يا مالك

دخل هارون الرشيد مسجد الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فبعث إلى مالك بن أنس فقيه المدينة، فأتاه وهو واقف بين قبر رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمنبر، فلما قام بين يديه، وسلّم عليه بالخلافة قال: يا مالك، صف لي مكان أبي بكر الصديق وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا من رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحياة الدنيا؟ فقال: مكانهما منه يا أمير المؤمنين، كمكان قبريهما من قبره، فقال: شفيتني يا مالك.

٦٥٢ لا حق لكافر في الفيء

دخل هارون الرشيد المسجد، فركع، ثم أتى قبر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فسلّم عليه، ثم أتى مجلس الإمام مالك، فقال: السلام عليك ورحمه الله وبركاته، ثم

قال لمالك: هل لمن سب أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الفيء حق؟ قال: لا، ولا كرامة، قال: من أين قلت ذلك؟ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] فمن عابهم فهو كافر، ولا حق لكافر في الفيء.

٦٥٣ حاكم لا يخون

قال الخليفة الأول أبوبكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لابنته عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حين حضرته الوفاة: يا أمه، هذا يوم يخلي لي عن غطائي، وأشاهد جزائي إن فرحًا فدائم، وإن ترحًا فمقيم، إني اضطلعت بإمامة هؤلاء القوم حين كان النكوص إضاعة، فشهيدي الله ما كان بقلبي إلا إياه، فتعلقت بصفحتهم، وتعللت بدرة لقحتهم، وأقمت صلاتي معهم لا مختالًا أشرًا ولا مكاثرًا بطرًا، ولم أعدُ سد الجوعة وستر العورة وقوامة القوام، فإن أنا مت فردّي إليهم صحفتهم وعبدهم ولقحتهم ورحاهم ودثارة ما فوقي اتقيت بها من البرد ودثارة ما تحتي اتقيت بها أذى الأرض كان حشوها سعف النخيل[1].

٦٥٤ المظلوم

قال عبدالله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ليغلبنّ معاوية وأصحابه عليًّا وأصحابه؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وكان ثمامة الأنصاري عاملًا لعثمان، فلما أتاه قتله بكى، وقال: اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد، وصار الملك بالسيف، فمن غلب على شيء أكله. وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في إحدى خطبه: والله لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل عثمان ما دخلتها أبدًا، ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا دخلتها

(١) انظر: بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن طيفور (ص١٣-١٤).

أبـدًا، ونظـر ذات يوم إلى سفينة في دجلة، وقال: والذي أرسلها في بحره مسخرّة بأمـره ما بدأت في أمر عثمان بشيء، فبلغ ذلـك عبدالملك بن مروان، فقال: إني لأحسبه صادقًا.

٦٥٥ قتال النجوم

عـن عطـاء بن السائـب أن قاضيًا من قضـاة أهل الشام أتـى إلى عمر بن الخطاب، فقال: يا أمير المؤمنين، رأيت رؤيا أفزعتني قال: وما رأيت؟ قال: رأيت الشمسـ والقمـر يقتتلان والنجوم معهما نصفين، قال: فمـع أيها كنت؟ قال: مع القمـر على الشمسـ، قال عمر بن الخطـاب: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [الإسراء: ١٢] انطلـق فـوالله لا تعمـل لي عملًا أبدًا، قال: فبلغني أنه قتل مع معاوية بصفين.

٦٥٦ ها هنا أبواب الجنة

قال أحدهم: خرجنا مع عبدالله بن المبارك مرابطين إلى الشام، فلما نظر إلى ما فيه القوم من التعبد والغزو والسرايا كل يوم، التفت إليَّ، وقال: إنا لله وإنا إليـه راجعون علـى أعمار أفنيناها وليالٍ وأيام قطعناهـا في علم الخلية والبرية، وتركنـا هـا هنا أبـواب الجنة مفتوحة، قـال: فبينما هو يمشي وأنـا معه في أزقة المصيصة إذ لقي سكرانًا قد رفع عقيرته يتغنى، ويقول:

أَذلَّـنـي الـهَـوى فَـأنـا الـذلـيـلُ وليـسَ إلـى الَّـذي أهـوَى سبيلُ

قال: فأخرج قلمًا من كمه، فكتب البيت، فقلنا له: أتكتب بيت شعر سمعته من سكران؟ قال: أما سمعتم المثل: «رُبّ جوهرة في مزبلة؟» قالوا: نعم، قال: فهذه جوهرة في مزبلة.

٦٥٧ اكتب هارون

لقي العتابي منصورًا النميري، فسأله عن حاله؟ فقال: إني لمدهوش؛ وذلك أني تركت امرأتي، وقد عسر عليها ولادها، فقال له العتابي: ألا أدلك على ما يسهل عليها؟ قال: وما هو؟ قال: اكتب على رحمها هارون! قال: ما معناه في هذا؟ قال: ألست القائل فيه:

إنْ أخلفَ القطرُ لم تخلفْ مواهبُه ... أو ضاقَ أمرٌ ذكرْناه فيتسعُ

فقال: أبالخلفاء تعرض وفيهم تقع؟ فيقال: إنه دخل على هارون، فأعلمه ما كان من قول العتابي، فكتب إلى عبدالصمد عمه يأمر بقتله، فكتب إليه عبدالصمد يشفع له، فوهبه له.

٦٥٨ شعره بارد

كان رجل يدعي الشعر، ويستبرده قومه، فقال لهم: إنكم تعيبون شعري حسدًا من أنفسكم، فقالوا: نحكم الشاعر بشار بن برد، فذهبوا إليه، فقال للرجل المتشاعر: أنشدني، فأنشده، فلما فرغ قال له بشار: إني لأظنك من أهل بيت النبوة! قال له: وما ذلك؟ قال: إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩] فضحك القوم، وخرجوا عنه.

٦٥٩ منتن الريح

دعا الأعورُ بن بنان التغلبي الأخطلَ الشاعر إلى منزله، فأدخله بيتًا قد نجد بالفرش الشريفة والوطاء العجيب، وله امرأة تسمى برة في غاية الحسن

والجمال، فقال له: أبا مالك، إنك رجل تدخل على الملوك في مجالسهم، فهل ترى في بيتي عيبًا؟ فقال له: ما أرى في بيتك عيبًا غيرك، فقال: إنما أعجب من نفسي، إذ كنت أدخل مثلك بيتي، اخرج عليك لعنة الله، فخرج الأخطل، وهو يقول:

وكيفَ يُداويني الطبيبُ منَ الجَوى ... وبـــرّةُ عـنـدَ الأعـــورِ بــنِ بنـــانِ
ويلصقُ بطنًا منتنَ الريحِ مجزرًا ... إلــى بطــنِ خــودٍ دائــمِ الخفقــانِ

٦٦٠ الغناء والنساء

سمـع الخليفة سليمان بن عبد الملـك مغنيًا في عسكره، فقال: اطلبوه، فقال: أعـد ما تغنيت بـه ثانية، فأعاد، واحتفـل، وقال لأصحابـه: والله لكأنها جرجرة الفحل في الشول- يعني هدير الجمل في وسط الإبل- وما أحسب أنثى تسمع هذا إلا صبت إليه، ثم أمر به، فخُصي.

٦٦١ ألبسها لباسها

قـال أحدهم لمعاويـة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كيف وأنـت الخليفة ومن أعقـل الناس وقد غلبت عليـك امرأتك فاختة؟ فقال معاوية: إنهن يغلبن الكـرام، ويغلبهن اللئام.
وعن سفيان بن عيينة قال: شكا جرير بن عبد الله إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مـا يلقى من النســاء، فقال: لا عليك، فإن التي عنـدك ربما خرجت من عندها، فتقـول: إنما تريد أن تتصنع لقيان بني عدي، فسمع ابن مسعود كلامهما، فقال: لا عليكمـا، فـإن خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ شكا إلى ربه ما يلقى من رداءة خلق ســارة، فأوحى الله إليه: أن ألبسهـا لباسها ما لم ترَ في دينها وصمة، فقال عمر: إن بين جوانحك لعلمًا.

أقول:

هــذا درس مــن سلفنا الصالح، ولكـن أين الناس اليوم مــن ذلك؟ كم من البيوت تشرد أهلها، الزوج إلى جهة، والأم إلى جهة، والأطفال إلى جهة، والسبب في كثـير من الأحيان بسيط، فربما كلمة من هذا أو تلك؛ الزوج أو الزوجة، وربما خطأ صغير لو تنازل أحدهما، وتركه يمر لصلحت الحال.

٦٦٢ النعمـة

قال الحجاج لخريم الناعـم: ما النعمة؟ قال: الأمن، فإني رأيت الخائف لا يتمتـع بعيشـ، قال لـه: زدني، قال: فالصحــة، فإني رأيــت المريض لا ينتفع بعيشـ، قال له: زدني، قال لــه: الغني، فإني رأيت الفقــير لا ينتفع بعيش، قال لــه: زدني، قال: فالشباب، فإني رأيــت الشيخ لا ينتفع بعيش، قال: زدني، قال: لا أجد مزيدًا.

٦٦٣ جنة الدنيـا

قالــوا: لذة الطعام والشراب ساعة، ولذة الثوب يوم، ولذة المرأة شهر، ولذة البنيــان تــدوم وهو كلمــا نظرت إليه تجـددت لذته في قلبك وحسنــه في عينيك. وقالــوا: دار الرجـل جنته في الدنيا، وقالوا: اجعل الــدار أول ما يشترى، وآخر ما يبــاع. وقال أحدهم لابن جعفر: هي قميصك إن شئــت فضيق، وإن شئت فوسع. وقيل: من مات في دار ضيقه خرج من قبر إلى قبر.

٦٦٤ الأكل والصحـة

قيــل لأحد الأطباء: ما لك تقـل الأكل؟ قال: إنما آكل لأحيــا، وبعض الناس يحيــا ليأكل. وقيــل: إن رأس الداء إدخــال الطعام على الطعــام، وإدخال اللحم

علـى اللحـم ربما قتل السبـاع في الغابات. وفي الأثر عنـه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لا تكرهـوا مرضاكـم على الأكل، فإن الله يطعمهـم ويسقيهم**»[1]. وقيل لسمرة بن جنـدب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن ابنـك إذا أكل شبع حتى كاد يقتلـه الطعام، قال: لو مات ما صليـت عليه. وقال الأحنف بن قيس: جنبوا مجالسنا ذكر النساء والطعام، فإني أبغض الرجـل يكون همه بطنه وفرجـه. وقيل: ما طال عمر الضبـع إلا أنه يتبلع بالنسيـم. وقال أحدهم ينصـح ولده: أي بني، إن الداء كلـه من فضول الطعام، ولقـد بلغت تسعين عامًا ما سقـط لي سن، ولا انتشر لي عصب، ولا عرفت طنين الأذن، ولا سيـلان الأنـف، ولا سلس بول، وما ذلك إلا مـن الله ثم التخفيف من الزاد، فإن كنت تهوى الحياة فهذا سبيل الحياة.

٦٦٥ العجوز والبكر

قال طبيب العرب الحارث بن كلدة: إياك ونكاح العجوز؛ فإنها كالشيء البالي تسقم بدنك، وتجـذب قوتك، ماؤها سم قاتل، ونفسها موت عاجل تأخذ منك، ولا تعطيك، وعليك بالشابة فإن الشابة ماؤها عذب زلال، ومعانقتها غنج ودلال، فوها بارد، وريقها عذب، وريحها طيب تزيدك قوة إلى قوتك ونشاطًا إلى نشاطك.

٦٦٦ جارية ماجنة

قال إسحاق الموصلي: دخلت على الرشيد وعنده جارية قد أهديت له ماجنة شاعرة أديبة، وبين يديه طبق فيه ورد، فقال لي: ما ترى حسن هذا الورد ونضرة لونـه؟ قلـت: بـك والله حسن ذلك يا أمـير المؤمنين، قـال: قل فيه بيتًـا يشبهه، فأطرقت ساعة، ثم قلت:

---

(١) أخرجـه الترمذي (٣٨٤/٤ رقـم٢٠٤٠)، وابن ماجه (١١٤٠/٢ رقـم٣٤٤٤)، وفي الزوائد: إسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم٧٤٣٩).

كـأنـه خـدُ مـومـوقٍ يُقبّـلُـه فم الحبيبِ وقدْ أبدَى بِه خَجلا

فاعترضتني الجارية، فقالت:

كأنـه لـونُ خـدِّي حـينَ تدفعُني كفُّ الرشيدِ لأمرٍ يوجبُ الغُسلا

فقال الرشيد: قم يا إسحاق، فقد حركتني هذه الفاسقة.

أقول:

سجلتها لطرافتها، مع أن رأيي مع من يقول: إن الرشيد يصلي في الليلة مئة ركعة من النوافل، ويحج سنة، ويغزو سنة، فمن كان هذا دأبه، فأين وقت لهوه!؟

٦٦٧ تفاحة من تفاحة

أهدت جارية من جواري المهدي تفاحة إلى المهدي مطيبة كتبت فيها:

هـديـةٌ مـنّـي إلـى المَـهْـدي تـفـاحـةٌ تـقـطـفُ مِـنْ خـدّي

محـمـرةٌ مـصـفـرةٌ طـيـبـةٌ كـأنَّـهـا مـنْ جَـنّـةِ الخـلـدِ

فأجابها المهدي:

تـفـاحـةٌ مـنْ عـنـدِ تـفـاحـةٍ جـاءتْ فـمـاذا صنعتْ بالفُـؤادِ

واللهِ مـا أدري أأبـصـرتُـهـا يقظانَ أم أبصرتُها في الرقـادِ

٦٦٨ مدحه حتى في الضراط

خطب رجل من بني كلاب امرأة، فقالت أمها: دعني حتى اسأل عنك. فانصرف الرجل، فسأل الرجل عن أكرم الحي عليها، فدلّ على شيخ منهم كان

يحسن التوسط في الأمر، فأتاه يسأله أن يحسن عليه الثناء، وأهدى له صرة دراهم، وانتسب له فعرفه، ثم إن العجوز غدت عليه، فسألته عن الرجل؟ فقال: أنا أعرف الناس به، قالت: فكيف لسانه؟ قال: مدرة قومه وخطيبهم، قال: فكيف شجاعته؟ قال: منيع الجار حامي الذمار، قالت: فكيف سماحته؟ قال: ثمال قومه وربيعهم. وأقبل الفتى، فقال الشيخ، ما أحسن والله ما أقبل ما انثنى ولا انحنى، ودنا الفتى فسلم عليه، فقال: ما أحسن والله ما سلم ما جار ولا خار، ثم جلس فقال: ما أحسن والله ما جلس ما دنا ولا نأى، وذهب الفتى ليتحرك، فضرط، فقال الشيخ: ما أحسن والله ما ضرط ما ألحنها ولا أغنّها ولا بربرها ولا قرمزها، ونهض الفتى خجلًا، فقال: ما أحسن والله ما نهض ما انفتل ولا انخزل. وأسرع الفتى، فقال: ما أحسن والله ما خطا ما ازور ولا اخطوطى، فقالت العجوز: حسبك يا هذا، وجه إليه من يرده، فوالله لو سلح في ثيابه لزوجناه.

٦٦٩ من حفر البحر؟!

قال الأصمعي: كان الناضري من أحمق الناس، فقيل له: ما رأيت في حمقه؟ فسكت، فلما أكثر عليه قال: قال لي مرة: البحر من حفره وأين ترابه الذي خرج منــه وهل يقدر الأمــير أن يحفر مثله في ثلاثة أيام؟ ودخل رجل من الحمقى على الشيخ الشعبي، وهو جالس مع امرأته، فقال: أيكم الشعبي؟ فقال الشعبي: هذه، وأشــار إلــى امرأته. فقال: مــا تقول أصلحــك الله في رجل شتمنــي أول يوم من رمضان هل يؤجر؟ قال: إن كان قال لك: يا أحمق، فإني أرجو له.

٦٧٠ ضرر الكلاب

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**من اتخذ كلبًا ليس بكلب صيد ولا زرع ولا ضرع، فإنه ينقص من أجره كل يوم قيراطان**»[1]، **والقيراط مثل جبل أحد**. أرأيت أخي المسلم؟ ماذا يعمل الكلب في البيت المسلم؟ أرأيت كيف ينقص من أجره؟ أرأيت إلى هذا الحيوان النجس كيف وضعه بعض المسلمين وبالأخص المترفين منهم في بيوتهم بتقليدهم اليهود والنصارى؟ ولكن نقول: اللهم، اهدِ قومنا؛ فإنهم لا يعلمون.

٦٧١ توقيت الديك

ذكر الجاحظ في كتابه (الحيوان) أن الديك يعرف آناء الليل وعدد الساعات ومقادير الأوقات، ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطًا موزونًا لا يغادر منه شيئًا، ثم قد علمنا أن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة، فإن الديك يصوت أو يؤذن كل ساعة، يقسط أصواته المعروفة بالعدد عليها، كما يقسطها إذ قصر الليل إلى تسع ساعات، فيصوت تسعًا فقط. وجاء في الحديث أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إذا سمعتم صياح الديكة، فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكًا، وإذا سمعتم نهيق الحمار، فتعوذوا الله من الشيطان، فإنه رأى شيطانًا**»[2].

٦٧٢ طيبة الطيبة

المدينة المنورة هي طيبة الطيبة، ولطيبها قيل: تلفظ خبثها، وينضح طيبها وريح ترابها نسيم هوائها، وقد جعلها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حرمًا، ودعا لها

---

(١) أخرجه البخاري (٨٧/٧ رقم٥٤٨١)، ومسلم (١٢٠١/٣ رقم١٥٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٢٨/٤ رقم٣٣٠٣)، ومسلم (٢٠٩٢/٤ رقم٢٧٢٩).

بالبركة بمدّها وصاعها، وللعطر والبخور من الرائحة الطيبة في المدينة أضعاف ما يوجد له في غيرها من البلدان، وإن كان العطر والبخور أفخر، هذا من فضل الله عليها ببركة ساكنها أفضل خلق الله محمد بن عبد الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجمعنا معه في مستقر رحمته.

٦٧٣ أكثر من النظر إلى الخضرة

قيل لأحد الأطباء: ما بال أهل الزروع وسكان الأرياف مع أكلهم البسيط وشربهم المياه المالحة أقل الناس عميانًا وعمشانًا وعورًا؟ قال: إني فكرت في ذلك، فلم أجد له علة إلا طول نظرهم إلى الخضرة.

٦٧٤ لا تشتري كلما تشتهي

روى الطبراني والحاكم والبيهقي أن الرسول عليه الصلاة والسلام رأى رجلًا عظم البطن، فأشار بإصبعه إلى البطن، وقال: «**لو كان ما في هذا غير هذا المكان لكان خيرًا لك**»[1].

وكان عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: والله ما تعجز عن لذات الدنيا أن نأمر بصغار المعزى، فتبسط لنا، ونأمر بلباب البر، فيخبز لنا وبالزبيب، فينبذ لنا، فنأكل هذا، ونشرب هذا، ولكنا نريد أن نستبقي طيباتنا؛ لأننا سمعنا الله يقول في قوم فعلوا مثل ذلك: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠] وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يمر بسوق اللحم، فإذا رأى رجلًا قد اشترى بالأمس، ويريد أن يشتري

---

(١) أخرجه أحمد (٢٥/٢٠٣ رقم١٥٨٦٨)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٢/٢٩ رقم١٢٩٤).

اليوم زجره وردّه، وكان يقول: اتقوا هذه المجازر، فإن لها ضراوة كضراوة الخمر. ولقي مرة جابر بن عبدالله ومعه لحم اشتراه، فقال: ما هذه يا جابر؟ قال: لحم اشتهاه أهلي، فاشتريتها، فقال: أكلما اشتهيتم اشتريتم؟ أما يريد أحدكم أن يطوي بطنه لجاره وابن عمه؟ وأين تذهب عنكم الآية: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾.

أقول:

الله أكبر هذا الفقه في الإسلام، فإنه يجوز للحاكم أن يقنن تسويق اللحوم، وما شابهها من غير الضروريات، ولو أن المسلمين أخذوا بهذه الأخلاق لما اشتكوا الأزمات، ولا أهدروا الطاقات، فسبحان من خلق الإنسان، وأنزل له التشريع من السماء؛ القرآن والسنة!

فيا ليتنا نأخذ بها، وندرب أنفسنا على الالتزام، فنفوز ورب الكعبة بالدارين: الصحة والراحة في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٦٧٥ النعامة في الرؤيا

قال الأصمعي: أخبرني رجل من أهل البصرة قال: أرسل شيخ من ثقيف ابنه إلى ابن سيرين، فكلمه بكلام وأم ابنه هذا قاعدة، ولا يظن أنها تقطن، فقال له: يا بني، اذهب إلى ابن سيرين، فقل له: رجل رأى له نعامة تطحن، قال: فقلت له: هذا رجل اشترى جارية، فخبأها، قال: فجئت أبي، فأخبرته، فنافرته أمي، وما زالت به حتى اعترف أن له جارية في بني حنيفة.

٦٧٦ من شعر الجن

حرب بن أمية بن عبد شمس جد معاوية بن أبي سفيان الصحابي الجليل، وأول ملك في الإسلام، حرب هذا قتلته الجن، وقالت:

وقبرُ حرب بمكان قفر	وليسَ قرب قبر حرب قبر

قالوا: والدليل على أن هذا البيت من أشعار الجن أن أحدًا لا يستطيع أن ينشده ثلاث مرات متصلة لا يتتعتع فيها، ولو كان يستطيع أن ينشد أثقل شعر في الأرض وأشقه عشرات المرات، ولا يتتعتع، ولو كان المتنبي أو سحبان بن وائل، فجرب ذلك بورك فيك لعلك تنجح.

٦٧٧ الروح

قال الطبيب العربي ابن سينا وهو الفيلسوف، وقد كفره الإمام حجة الإسلام الغزالي، وردّ عليه في كتابه العظيم (تهافت الفلاسفة)، ويقال: إنه تاب عند الموت. يقول في وصف الروح:

هبطتْ إليكَ منَ المقامِ الأرفعِ	ورقاءُ ذاتُ تعزُّزٍ وتمنُّعِ
محجوبةٌ عنْ كلِّ مقلةِ عارفٍ	وهيَ التي سفرتْ ولنْ تتبرقَعِ
وصلتْ على كرهٍ إليكَ وربَّما	كرهتْ فراقَكَ وهيَ ذاتُ تفجُّعِ

وله قوله:

اجعلْ غذاءَك كلَّ يوم مرةً	واحذرْ طعامًا قبلَ هضمِ طعامِ
واحفظْ منيَّك ما استطعتَ فإنَّه	ماءُ الحياةِ يراقُ في الأرحامِ

٦٧٨ أصابها بعينه

قدم عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الشام في تجارة في الجاهلية، فرأى امرأة يقال لها: ليلى ابنة الجودي، فأعجبته، فقال فيها:

تـذكـرتُ لـيلـى والـسـمـاوةُ دونَـهـا	فما لابنـةِ الجـوديّ ليلى ومـا لِيا
وأنـــى تُـعـاطـي قـلـبَـه حـارثـيـةٌ	تـدمـنُ بُصـرى أو تحـلّ الجَوابِيـا
وأنـــى ألاقــيـهـا بـلـى ولـعـلَّـهـا	إنِ الـنـاسُ حجّوا قابلًا أن توافِيا

فلمـا جـاء الإسلام، وبعث عمر جيشه إلى الشام قـال للأمير على الجيش: إن ظفـرت بليلى الجودي عنوة فادفعها إلى عبدالرحمن بن أبي بكر، فظفر بها، ودفعهـا إليه، فأعجب بها، وآثرها علـى نسائه حتى شكونها على عائشة، فعاتبته علـى ذلك، فقال: والله كأني أرشف بأنيابها حب الرمان، فأصابها وجع سقط له قواهـا، فجفاها حتى شكتـه إلى عائشة، فقالت له عائشـة: يا عبدالرحمن، لقد أحببـت ليلى، فأفرطت، وأبغضتها، فأفرطت، فإما أن تنصفها، وإما أن تجهزها إلى أهلها.

٦٧٩ يوسف هذه الأمة

جريـر بن عبدالله البجلي الصحابي الجليـل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثبت في الصحيحين أنـه قال: ما حجبني رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أسلمت، ولا رآني إلا تبسم[(١)]. وكان عمـر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: جرير يوسف هذه الأمة. وقال ابن عمير: رأيت جريرًا كأن وجهه شقة قمر. وقال الشعبي: كان جرير هو وجماعة عند عمر في بيـت، فاشتم عمر من بعضهم ريحًا، فقال: عزمت على صاحب هذه الريح لما قـام فتوضأ، فلم يقم أحد، فقال جرير: أو نقـوم كلنا، فنتوضأ يا أمير المؤمنين؟ فقال عمر: نعم السيد كنت في الجاهلية ونعم السيد أنت في الإسلام!

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٦٥ رقم٣٠٣٥)، ومسلم (٤/ ١٩٢٥ رقم٢٤٧٥).

٦٨٠ لا تضحك ما بقي أعظم

بينما ابن أبي ليلى في مجلس القضاء، إذ تقدم إليه امرأتان عجوز وشابة، فقالت الشابة: أنا أصلح الله القاضي امرأة مبدنة، وقد بهرني النفس، فإن رأى القاضي أن يأذن لي، فأحسر عن وجهي فليفعل، فقالت العجوز: أصلح الله القاضي إنها من أحسن الناس وجهًا، وإنما تريد أن تخدع القاضي، لا أمتعها الله بما وهبها من الجمال، فقال لها ابن أبي ليلى: إذا أنت شددت قناعك فشأنك ووجهك. فحسرت الفتاة عن وجه جميل، ثم قالت: أصلح الله القاضي، إن هذه عمتي، وأسميها أمي لكبر سنها، وإن أبي مات، وخلف مالاً، وخلفني في حجرها، فجعلت تمونني، وتحسن التدبير في المال وتوفيره عليّ إلى أن بلغت مبلغ النساء، فخطبني ابن عم لي، فزوجتني منه، فكان بيني وبينه من الحب ما لا يوصف، ثم إن ابنة لعمتي أدركت، فجعلت هذه ترغب زوجي فيها، فتاقت نفسه إليها فخطبها، فقالت: لست أزوجها حتى تجعل أمر بنت أخي في يدي، فقال لها: قد فعلت، فلم أشعر حتى أتاني رسولها، فقال: عمتك تقرئك السلام، وتقول لك: إن زوجك خطب ابنتي، وإني أبيت أزوجها منه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل ذلك، فأنت طالق، فحمدت الله على ما بليت به، وإن زوج عمتي هذه قدم من السفر، فسألني عن قصتي؟ فأخبرته، فقال: تزوجيني نفسك؟ فقلت: نعم، على أن تجعل أمر عمتي في يدي، قال لي: فما تصنعين إذا قلت لك؟ قلت: إما أن أعفو، أو أن أقتص، قال: قد فعلت، فأرسلت إلى عمتي أن زوجك خطبني، وأني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل فأنت طالق، فضحك ابن أبي ليلى، فقالت العجوز: لا تضحك ما بقي أعظم وأكثر، فقالت الشابة: ثم إن زوج عمتي مات، فجعلت تخاصمني في ميراثه، فقلت لها: هو زوجي وأنا أحق بميراثه، فأغرت ابن عمي ووكلته بخصومتي ففعل، فقلت: يا ابن العم، إن الحق لا يُستحى منه، وقد حللت لك، إذ نكحت زوجًا غيرك، فهل لك في مراجعتي، فقال: كان ما

كان ولا ذنب لي فيه بل كلنا في أشد الرغبة أو تفعلين؟ قلت: على أن تجعل أمر بنت عمتي بيدي، قال: فعلت، فأرسلت إلى بنت عمتي أن زوجك قد خطبني، وأني أبيت عليه حتى يجعل أمرك في يدي، ففعل فأنت طالق، فقالت العجوز: أصلح الله القاضي أيحل هذا أطلق أنا وابنتي؟ فقال ابن أبي ليلى: نعم. ثم ركب إلى المنصور، وأخبره حتى ضحك، وفحص برجليه، وقال: غلبت البنت العجوز.

٦٨١ لا تضربها

تزوج عبدُالله بن عامر هندَ بنت معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما أدخلت عليه أرادها عن نفسها، فتمنعت عليه، وأبت أشد الإباء، فضربها، فصرخت، فلما سمعت الجواري صوتها صرخن وعلت أصواتهن، فسمع معاوية، فنهض إليهن، فاستعلمهن: ما الخبر؟ فقلن: سمعنا صوت سيدتنا فصحنا، فدخل فإذا بها تبكي من ضربه، فقال لابن عامر: ويحك مثل هذه تضرب في مثل هذه الليلة! ثم قال له: اخرج من هنا، فخرج ابن عامر، وخلا بها معاوية، فقال لها: يا بنية، إنه زوجك الذي أحله الله لك أوما سمعت قول الشاعر:

مِنَ الحفراتِ البيضِ أما حرامُها ... فصعبٌ وأما حلُّها فذلولُ

ثم خرج من عندها، وقال لزوجها: ادخل فقد مهدت لك خلقها ووطأته لك، فالرفق الرفق، فدخل ابن عامر، فوجدها قد طابت أخلاقها، فقضى حاجته منها، رحمهم الله تعالى.

٦٨٢ قصة سوق وردان بمصر

ذكر القيرواني في كتابه المخطوط عن الكنوز أنه كان في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي جزار يبيع اللحم اسمه وردان، كانت تأتيه كل يوم امرأة بارعة

الجمــال لتشــتري خروفًا بدينـاريــن، فتطلب إليه أن يشقه شقــين، فإذا فعل أتت بحمّال يحمله في قفص، وتنصرف به، كانت كل يوم تأتي وكل يوم تشتري الخروف بدينارين من الذهب، وفي ذات يوم أخذ وردان يحدق في الدنانير التي كان يجمعها مــن المرأة، فرآها كلهــا دنانير عتيقة ضربت منذ زمن، وحاول أن يقرأ ما عليها، فلــم يفهم، ففكر وفكر وهداه عقله إلــى أن المرأة واصلة؛ أي إنها وصلت إلى كنز قديم تأخذ من دنانيره كل يوم، فلقي الحمال الذي يحمل للمرأة الخروف، وسأله عنها؟ فقال: إني لأرى من هذه المرأة العجب، إنها تحملني الخروف، ثم تذهب إلى راهــب بقصر الشمع، فتعطيه دينـاريــن، فيعطيها مروقتين من الخمر، ثم تعطيه دينارًا، فيصرفه لها عشرين درهمًا، فتشتري فاكهة وخبزًا وحوائج طعام بعشرة دراهم، وتحملني هذا كله وتمضي، فأتبعها حتى تصل إلى بساتين الوزير (ناحية المقطم) هناك تشد عيني بعصابتين شدًّا محكمًا، وتقودني في أماكن وعرة حتى أصــل إلى مكان، فأضع أحمــالي على صخرة، ثم تعود بي وأنــا متعصب العينين إلــى حيث بدأنا، فتحل العصابة، وتعطيني العشرة دراهم الباقية، وتقول: احفظ لسانــك، ولا تقطــع رزقك، ودهش وردان لمــا سمع، وتحقق أنهــا واصلة إلى كنز، وقــال للحمــال بخبث: لقد صدقتك يا أخي، لا تقطــع رزقك بيدك، فنحن نكسب نهــارًا، ولا نخسر، فلا تتكلــم، وأقبلت المرأة صبيحة اليوم المقبل، وكان وردان قد تهيــأ للأمر، فأخذت الخروف ومضت ومضــى وردان وراءها يتبعها بحذر يخاف أن تــراه، وبلغت المرأة الصخرة التي تضع عندها الحاجات، فتوارى وردان خلف صخرة أخرى حتى إذا أوصلت الحمال، وعادت رآها تحمل ما اشترته، ثم تختفي فجأة كأنما ابتلعتها الأرض، ووثب وردان مسرعًا إلى تلك الصخرة، وإذا به يجد تحتهــا ثغرة مظلمة، وحرصــ ألا تفوته المرأة، فهبط ولمــح سردابًا طويلًا مظلمًا رطبًا يتراءى في آخره ضوء شاحب، فمشى على حذر حتى بلغ آخر الدهليز، وجد على يمينه باب قاعة فخمة نيرة لا يعلم من أين يأتيها النور، فجلس في حد الباب في الظلام ينظر إلى صدر القاعة، فرأى ما لم يرَه قط في حياته من أثاث وتحف وجوهر، ورأى دبًّا أسود ضخمًا كأنه الجبل يرعب مرآه يدور ويدور ويروح ويجيء،

ورأى المرأة قد أخذت شقة من ذلك اللحم، فقطعت أطايبها، ورمت بما بقي منها إلـى الدب، فبرك الدب يأكل اللحم بنهم، فكان يسمع للعظام وهي تتحطم تحت أسنانـه صوتًا مثيرًا، ثم رأى المرأة تشعل نارًا في جانب من القاعة، وتطبخ اللحم الـذي قطعتـه، ولم تنتظـر إلا دقائق حتى استـوى الطعام، فلم يـدرِ وردان كيف طبخته، ثم جعلته في زبادي من المينا النادرة لا يوجد عند الملوك، ثم أكلت بنهم أيضًا، ثم مدت الفاكهة، وأتت بأواني الخمر من البلور المجزع والجوهر، فملأتها من خمرهـا المروق، وسقت الدب وشربت، وما زالـت تشرب، وتسقي الدب حتى فرغـت الأواني، عند ذلك اقتربت منـه، وكانا لا يتكلمان، فأخـذ الدب يداعبها ويقبلها ويرقص لها، ثم كان بينهما ما يكون بين الرجل وزوجه مرات ومرات، ثم انقلـب لا يتحرك وقـد أخذه النوم من السكر والإعيـاء، وارتمت هي تغط في نوم عميـق. دهش وردان ممـا رأى، وجال ببصره في أنحاء القاعـة مرة ثانية، فطار لبـه، وقال لنفسه: ليس أن أنتظر حتى يفيق، لئن أفاق، ورآني سيقتلني شر قتلة، فجـذب سكينه من وسطـه، وكانت تبري العظم قبل اللحـم، دخل القاعة حذرًا، ومضـى إلى الـدب، فأمسك برأسه، وأجرى السكين في عنقـه، ففصل رأسه عن بدنـه، فسمع لـه شخير، وارتج المكان، وهبـت المرأة مذعورة، فـرأت وردان بيده السكين والدب يتخبط بدمه، فصرخت: كيف جئت هنا وكيف فعلت هذا؟ وصاح بها وردان: ما الذي حملك على ما تفعلين؟ أفرغت الدنيا من الرجال؟ وصاحت: اذبحنـي كما ذبحت الدب، فما بقـى لي حياة، قال لها: خافي الله، وتوبي إليه أنا أتزوجـك بالحلال، ونعيش بقية عمرنا من هذا الكنـز، قالت: اذبحني، ولا تطل الـكلام، الآن فهمـت. كان هـذا الكنز مرصـدًا على صورتك، ولـو أن غيرك من سائر خلق الله أراد الوصول إلى هنا ما استطاع، إن لم تفعل ما آمرك به أتلفتك، وإن فعلـت نجوت بنفسك وبجميع هـذا الكنز، وتحسس وردان سكينه، وقال: وما في قدرتـك إذن تفعلينـه بي؟ فنهضت إلـى طبق في وسط القاعـة فيه ماء قليل، فقـرأت عليه شيئًا، وإذا بالمـاء يتدفق من جوانب القاعة ويرتفـع، وبدأت الأنوار تخفـت، وينتشر الظلام، وقالـت: أدرك نفسك يـا وردان، واذبحني وإلا غرقت،

ثـم يقـول: لن أذبحك ما رأيت منـك شرًّا، لن أذبحـك، وإن مت من غيري فلك ذلك، عندئذ تكلمت المرأة على طبق الماء، فعاد إلى مكانه، وانحصر عن القاعة، وعاد النور، فاقتربت من الدب، واضطجعت إلى جانبه، وذرت على نفسها ذرورًا، فـإذا هي تحترق وإياه في طرفة عين، وتنقلب إلى رماد. قال وردان: فأخذت مما وجـدت في ذلك المـكان من الدرر والجوهـر طاقة ما أحمـل، وجعلته في القفص الذي كان فيه اللحم والفاكهة، وغطيته وعدت طريقي لأفرغه وأعود، فلما صرت ببـاب مصر وثب عليَّ عشرة من حراس الحاكـم بأمر الله، وقالوا: وردان، أجب أمير المؤمنين، فرعبت، ومضيت، وقال: وردان ذبحت الدب وأحرقت المرأة؟ قال: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: أرني قفصك. وقال: هذا نصيبك لا يعارضك فنظره ثـم غطاه فيه معارض. إنما عليـك الآن أن تأتي معي لتسلمني ما بقى من الكنز، وركـب حمـاره وتبعناه حتى إذا بلغنـا موضع الكنز، قلت: هذا هـو المكان يا أمير المؤمنين، انزل لتراه، وتنظر إلى هول خلقة الدب، قال: هيهات يا وردان، ما عدت تنظـر إلى المـرأة والدب، هما كانا قربان هذا الكنز حتى استطعت أن تأخذ منه، ولـن يستطيع أحد الدخـول إلى الكنز؛ لأن فتحه كان على صورتك، ولو دخل أحد غيرك لأطبقت الأرض عليه، انزل الآن، وأخرج جميع ما فيه، قال وردان: فنزلت فما وجدت دبًّا ولا امرأة ولا رمادًا ولا ماء، بل رأيت ما لم أرَه من قبل من جواهر وتحف وأموال، فما زلت أنقل والحاكم ومن حوله يملؤون الصناديق، ثم أعطاني القفص، فبنيت منه سوقي المعروف باسمي في مصر.

٦٨٣ دبابات الأطلسي

قال مصطفى أمين في جريدة الشرق الأوسط يوم الأحد ١٩٨٣/٧/١٧م:

مـن نتيجة حكم الفرد وتقييـد الحرية في أي بلد أن يـزداد عدد النصابين فيهـا، والأخبار التي تعلن من تلاميذي في خارج السجن تؤكد أن عدد النصابين في مصـر قـد ازداد بشكل ملحـوظ، ففي كل يـوم يفاجأ وزير بنصـاب عالمي أو

نصاب محلـي يزوره، ويعرض عليه صفقة أو قرضًـا أو مشروعًا، وبعض الوزراء السذج يسقطون في هذه الألاعيب، ويشترون الترام.

ولا أنسى حادثًا وقع قبل أن أدخل السجن، وهو أن أحد الملحقين العسكريين في الخـارج، وهو مـن الضباط الأحرار وصـل فجأة إلى القاهـرة، وطلب مقابلة المشـير عبدالحكيم عامـر على وجه الاستعجـال مقابلة سرية لا يعلـم بها أحد، وتمـت المقابلة وقال الملحـق العسكري: إنه استطـاع أن يحصل على صفقة شراء مئتـي دبابة من آخر طراز **بمليغ اثني عشر مليونًـا** من الجنيهات الإسترلينية، بشـرط أن تتم الصفقة سـرًّا، ولا يعرفها أحد، وحلف الأطلسي هو الذي يريد أن يبيـع لمصر هـذه الدبابات، ولكن لا يرغـب في أن يعلم أحد في العـالم بأمر هذه الصفقة لدقة الظروف الدولية.

وطلب الملحق العسكري المصري من المشير عامر أن تسافر معه إلى بروكسل بعثـة مـن أحسن الخبراء العسكريـين المصريين في سلاح الفرسـان لمعاينة هذه الدبابـات في معسكـر حلف الأطلسي في بلجيكا قبل دفـع الثمن، شرط أن تسافر البعثة العسكرية سرًّا، ولا يعلم أحد بمهمتها.

وسافـرت البعثـة العسكريـة إلـى بلجيـكا، وذهبت مـع الملحـق العسكري، وأعجبت بها، وعادت إلى مصر، وأوصت بشرائها فورًا، وقال الملحق العسكري: إن الدبابـات ستنقل سرًّا إلى المغرب، ويتسلمها المصريون من هناك في اليوم التالي لدفـع **الاثني عشر مليونًـا** من الجنيهات الإسترلينية، وطلبوا أن يحول المبلغ إلى بنك معين في مدينة طنجة بالمغرب، واتصل المشير عامر بوزير المالية، وطلب منه دفـع المبلغ فورًا للبنك المذكور، واتصل الوزير بمحافظ البنك الأهلي، وطلب منه تدبـير المبلغ فورًا، وتلـكأ البنك في التنفيذ ليبحث، ويتحـرى عن الصفقة، ولكن وزارة الحربية اتصلت تليفونيًّا بالبنك الأهلى، وشخطت فيه، وتهددت، وتوعدت، وأبلغتـه أن الصفقة سريـة، وأنها تتعلق بالأمن، وأن أي تأخير في تحويل المبلغ قد يؤدي إلى تسرب النبأ إلى الأعداء وضياع الصفقة.

وكتب البنــك الشيك بالمبلـغ، وتسلمه الملحق العسكـري، وسافر إلى طنجة ليسلمــه إلــى البنــك، وذهب الملحــق العسكــري ووفـد وزارة الحربيــة إلى بنك طنجــة، ووجــدوه يحتل شقة أنيقة واسعة في أكبر شــارع في المدينة والغرف مليئة بالسكرتـيرات تدق علــى الآلات الكاتبــة، والمكاتب الفخمة الأنيقــة تملأ الغرف والردهــات، وتسلــم مدير البنك الشيــك، وطلب من أعضاء الوفـد العسكري أن يمــروا في اليوم التالي ليناقشوا عملية تسلم الدبابــات، وقع مدير البنك إيصالًا بتسلم الشيك.

وفي اليــوم التــالي ذهــب أعضاء الوفـد العسكــري إلى البنــك، فلم يجدوا البنــك، دخلوا الشقــة، فلم يجدوا السكرتـيرات الفاتنــات ولا الآلات الكاتبة ولا المكاتــب، **والاثنــي عشــر مليــون جنيــه**، انشقــت الأرض، وبلعت البنــك الكبير، وأبلغوا البوليس.

وظهــر أن بعض الأفاكين استأجروا هذه الشقة مــدة أسبوع، ووضعوا عليها لافتــة لبنك وهمي، واستأجــروا السكرتيرات مدة أسبــوع والمكاتب والمقاعد مدة أسبــوع، وطلــب عبدالناصــر من النائب العــام علي نور الديــن التحقيق، وسافر النائب إلى طنجة، وعرف المأساة، وسافر إلى بروكسل، وسأل المسؤولين في حلف الأطلسي: كيف يشتركون في عملية النصب هذه؟ وأجابوا أنهم تلقوا خطابًا يقول: إن عــددًا مــن الضباط المصريين يريــدون التفرج على دبابــات الحلف، فرحبوا بذلــك، وسمحوا لهم بالتفرج علــى الدبابات، لم يقل أحد: إنهم يريدون الشراء، فــإن دبابات حلــف الأطلسي ليست للبيــع، وصدرت الأوامر للصحــف بألّا تشير مــن بعيد أو قريب إلى أن الحكومــة المصرية اشترت الترام **باثنــي عشر مليونًا** من الجنيهات.

٦٨٤ أقوال

جاء في أقوال لبعض فقهاء الصحابة ما قاله ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: الرخصة من الله صدقة، فلا تردوا صدقته، ولكل داخل هيبة فابدؤوه بالتحية، ولكل طاعم حشمة فابدؤوه باليمين.

ولابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الدنيا كلها هموم، فما كان منها في سرور فهو ربح، ولعمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله: من كثر إخوانه كثر غرماؤه، وأكرموا سفهاءكم، فإنهم يكفونكم النار والعار، وللمغيرة بن شعبة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قوله: في كل شيء سرف إلا في المعروف.

٦٨٥ ولاة الأمور في الإسلام

في بداية الفتنة الكبرى قبل مقتل الخليفة الراشد عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ كان هناك بضعة عشر رجلًا في الكوفة يذيعون أخبارًا كاذبة، ويشيعون بين الناس بذور الفتنة، فكتب أشراف أهل الكوفة بأمرهم إلى الخليفة عثمان، فكتب بإخراجهم إلى معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ بالشام، وكتب إليه الخليفة أن أهل الكوفة قد أخرجوا إليك نفرًا خلقوا للفتنة فرعهم وقم عليهم، فإن اكتشفت منهم رشدًا فاقبل منهم، وإن أعيوك فاردد عليهم: فلما قدموا عليه رحب بهم، وأكرمهم، وجادلهم في حق قريش وقادتها للناس، فغاضبوه، ثم قال لهم:

إني معيد عليكم أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان معصومًا، فولاني، وأدخلني أمره، ثم استخلف أبوبكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فولاني، ثم استخلف عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فولاني، ثم استخلف عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فولاني، فلم آلُ لأحد منهم، ولم يولّني إلا وهو راضٍ عني، وإنما طلب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأعمال أهل الجزاء عن المسلمين والغناء ولم يطلب لها أهل الاجتهاد والجهل والضعف عنها، وإن الله ذو سطوات

ونقمـات يمكر بمن يمر بـه، فلا تعرضوا لأمر وأنتم تعلمـون من أنفسكم غير ما تظهـرون للناس سرائركم، وقد قـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿الٓمٓ ① أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾[العنكبوت: ١-٢].

٦٨٦ ملائكة الله

كان الصحابـي الجليل عبدالله بـن سلام من صلحاء اليهـود قبل الإسلام، وكان مـن أحبارهم، فأسلم، وصدق، وقـال له الرسول صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**ثلاثة لهم أجـران: رجـل من أهل الكتاب آمن بنبيـه، وآمن بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حـق الله وحـق مواليه، ورجـل كانت له أمـة فأدبها، فأحسن تعليمهـا، ثم أعتقها فتزوجهـا، فلـه أجـران**»[1]. ابن سلام هذا أقبل على قتلـة عثمان يوم الدار، وقال لهـم: يـا قوم، لا تسلـوا سيف الله عليكم، فـوالله إن سللتموه لا تغمـدوه، ويلكم إن سلطانكـم اليوم يقوم بالدرة، فإن قتلتموه لا يقـوم إلا بالسيف، ويلكم إن مدينتكم محفوفة بملائكة الله، والله لئن قتلتموه لتتركنّها، فقالوا: يا ابن اليهودية، وما أنت وهذا؟ فرجع عنهم. ووقع القتل، وصار ما توقع، وحذر، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

٦٨٧ كف الله يد الفاجر

روى البخاري رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُ أن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قال: «**لم يكذب إبراهيم قـط إلا ثـلاث كذبـات: اثنتـين في ذات الله قولـه:** ﴿إِنِّي سَقِيمٞ﴾[الصافات: ٨٨] **وقولـه:** ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾[الأنبياء: ٦٣] **وواحـدة في شـأن سـارة، فإنـه قـدم أرض جبـار ومعه سـارة، وكانت مـن أحسن النـاس، فقال لهـا: إن الجبار إن يعلـم أنـك امرأتـي يغلبنـي عليـك، فـإن سألك فأخبريـه أنك أختـي، فإنك**

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٩٧) ومسلم (رقم ١٥٤).

أختي في الإسلام، فإني لا أعلم في الأرض مسلمًا غيري وغيرك. فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار، فأتاه، فقال: لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي أن تكون إلا لك، فأرسل إليها فأُتي بها، فقام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الصلاة، فلما دخلت عليه لم يتمالك أن بسط يده إليها، فقُبضت يده قبضة شديدة، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي، فلك الله ألا أضرك ففعلت، فعاد فقُبضت يده أشد من القبضة الأولى، فقال لها مثل ذلك، فعاد فقُبضت يده أشد من القبضتين الأوليين، فقال لها: ادعي الله أن يطلق يدي ولك والله ألا أضرك، ففعلت فأطلقت يده، ودعا الذي جاء بها، فقال له: إنما جئتني بشيطان، ولم تأتني بإنسان، فأخرجها من أرضي، وأعطاها هاجر، فأقبلت، فلما رآها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ انصرف، فقال لها: مهيم، قالت: خيرًا، كف الله يد الفاجر، وأخدم خادمًا»[(١)].

٦٨٨ الرفق في النقد

قال أبوالأعلى المودودي، وكان من أعظم دعاة وعلماء القرن الرابع عشر الهجري، قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه (تذكرة دعاة الإسلام) ننقله بتصرف: إن انتقاد بعضنا لبعض على الخطأ والضعف هو من أنفع الوسائل للإصلاح، وهذا الانتقاد إذا لم يحكم بآدابه صار ضارًّا أشد الضرر، ومن آداب النقد لأخيك تعليمه ستة شروط:

- لا تنقده في كل حين وكل مجلس.
- أن يحاسب نفسه أولًا بأن يكون النصح لوجه الله، وألا يخالف قوله فعله.
- ترقيق القول وتليينه بدرجة تشعر المنصوح أنك تريد الإصلاح لا التشهير.
- تدرس اعتراضك، وهل هو مطابق وصحيح السند، فإذا خالفت ذلك صار ضرره أكثر من نفعه، وظهر في الأرض الفساد.

---

(١) أخرجه البخاري (٤/١٤١ رقم٣٣٥٨)، ومسلم (٤/١٨٤٠ رقم٢٣٧١).

- ألا يتكبر المنقود، وأن يتحمل، ويسمع النقد بصبر وسكوت، ويعترف بالخطأ، وإن رد الناصح فهو متكبر مغتر بنفسه.
- لا يطل النصح، ويصبح جدلًا، فيورث الأحقاد.

٦٨٩ اتق الله

قال بعض السلف: ما احتاج تقي قط يقول: إن الله ضمن للمتقين أن يجعل لهم مخرجًا مما يضيق على الناس، وأن يرزقهم من حيث لا يحتسبون، فيدفع عنهم ما يضرهم، ويجلب لهم ما يحتاجون إليه، فإذا لم يحصل ذلك دلّ على أن في التقوى خللًا فليستغفر الله، وليتب إليه، ولهذا جاء في الحديث المرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي رواه الترمذي أنه قال: «**من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجًا، ومن كل ضيق مخرجًا، ورزقه من حيث لا يحتسب**»[١].

٦٩٠ اتخذ من كل شيء أحسنه

قال أبوزيد البلخي: مخارج العلوم أربعة: علم رافع، وعلم ساطع، وعلم نافع، وعلم واضع، فأما الرافع فهو العلم الشريف من الأحاديث والفقه، وأما العلم الساطع فهو الأدبيات والأخبار الرقيقة، وأما العلم الواضع فهو علم الطب والحساب، وأما العلم الواضع فهو علم الكهنة من السحر وما أشبهه، فخير العلوم ما ينتفع به صاحبه في الدنيا والآخرة، كما قيل:

ما حوى العلمَ جميعًا أحدٌ ... لا ولو مارسَه ألفَ سنةْ
إنَّما العلمُ كبحرٍ زاخرٍ ... فاتخذْ منْ كلِّ شيءٍ أحسنهْ

(١) أخرجه أبو داود (١/ ٥٦٠ رقم١٥٢٠)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٤ رقم٣٨١٩)، والبيهقي في الكبرى (٣٥١/ رقم٦٦٥١)، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٤٢/٢ رقم٧٠٥).

٦٩١ الآيات التسع

قال الله تعالى في شأن قوم فرعون ونبيهم موسى عليه وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والتسليم: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]، ذكر المفسرون التسع آيات فيما يلي:

الطوفان دام ثمانية أيام بلياليها، فكانوا لا يرون فيها شمسًا ولا قمرًا حتى امتلأت الدور والأسواق ماء، فأخذت الأرض في الخراب، فجاء القوم إلى فرعون، فقال لهم: انصرفوا أنا أكشفها عنكم، فدعا فرعون بموسى، وسأله أن يدعو برفع الطوفان، فدعا موسى الله تعالى، فرفع الله الطوفان، وكانت دعوة موسى رجاء أن يؤمن فرعون، فلما لم يؤمن أرسل الله عليهم الآية الثانية: الجراد، فأكل أشجارهم وزروعهم، ودام عليهم ثمانية أيام، ففزعوا إلى فرعون، فوعدهم بصرفه، فدعا فرعون بموسى، وقال: إن صرفت الجراد نؤمن بك، فدعا موسى ربه رجاء إيمانهم، فأرسل الله على الجراد ريحًا باردة، فهلك الجراد عن آخره، فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليهم الآية الثالثة: القمل، فأكل جميع ما في بيوتهم وجميع ما على الأرض، وقرض ثيابهم، وضجوا إلى فرعون، فصرفهم، ثم دعا بموسى، ووعده بالإيمان، فدعا موسى ربه، فصرفه عنهم فلم يؤمنوا، فأرسل الله عليه الآية الرابعة: الضفادع، فكانت أشد بلاء؛ لأنها كانت تقع في طعامهم وقدورهم، ففزعوا إلى فرعون فصرفهم، ودعا موسى، وطلب منه أن يدعو الله، فدعا الله وصرفها عنهم، فأرسل الله لها مطرًا، وجرها إلى البحر فلم يؤمنوا، فأوصى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك النيل، فضربه موسى بعصاه فصار دمًا، فيمضي الفرعوني إلى النيل، ويغرف فيكون دمًا والإسرائيلي يغرف ماء، والدم هو الآية الخامسة، فضمن فرعون لموسى إيمانهم، ودعا الله، فرفعه عنهم فلم يؤمنوا، ثم إن ذلك كان أربعين يومًا، كل آية ثمانية أيام، ثم إن موسى قال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا

﴿لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨] فكان الدعاء من موسى والتأمين من هارون، فطمس على كثير منهم، فأصبح بعض النساء والصبيان حجارة، وبقية الآيات التسع هي العصا حين صارت حية، واليد حين أخرجها بيضاء من غير برص، والطمس، والآية التاسعة: البحر حين صار يبسًا.

٦٩٢ قطعت أنفها

قال أبوالفرج الأصفهاني: إن رجلًا من العرب يقال له: هندبة بن خشرم أمر بقتله معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فلما تحقق الأعرابي من ذلك أرسل إلى زوجته تحت الليل، فأتت إليه في زينتها، وكانت ذات حسن وجمال، فلما اجتمعا جلسا يتحدثان، ثم إنهما تباكيا، ثم قام معها وكان بينهما ما يكون بين الرجل وزوجته، فلما أصبح الصباح أخرجوه من السجن، ومضوا به إلى القتل، فالتفت إلى زوجته، فتأملها، وأنشدها قائلًا:

أَقلّي عَليَّ اللَومَ يا أُمَّ بَوزَعا ... ولا تَجْزعي مما أصابَ فأَوجَعا
وَلا تَنكَحي إِنْ فَرَّقَ الدَهرُ بَينَنا بيننا ... أغمَّ القفا والوجهُ ليسَ بأنزعا

فلما سمعت زوجته ذلك مالت إلى جدار الحائط، وأخذت سكينًا، وقطعت به أنفها، ثم التفتت إليه، وقالت له: هل بقي بعد ذلك من الحسن شيء يوجب النكاح؟ فقال: الآن طاب الموت.

وقد فعلت نائلة بنت الفرافصة زوجة الخليفة الثالث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مثل ذلك، حيث هشمت أسنانها قائلة: والله لا يجلس مني أحد مجلس عثمان أبدًا.

٦٩٣ نبي الله سليمان

قـال بعض العلماء: كيف طلب سليمان ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، والأنبياء من شأنهم الزهد في الدنيا؟ الجواب هو أن سليمان عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ علم بذلك، فقال أولًا: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي﴾ [ص: ٣٥] ثـم طلب الملك بعد طلب المغفرة، فقال: ﴿وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ﴾ [ص: ٣٥] قـال الفقيـه السدي: سبب طلـب سليمان الدنيا أن جبرائيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ جاء إلى سليمان، وقال: إن الله يأمرك أن تمضي إلى مكان كذا وكذا، قال: هناك أرملة ولها عند الله منزلة فامضِ إليها، وارفع عنها حوائج الدنيا وجميـع ما تحتاج إليه من أكل وكسوة وغير ذلك، فقال سليمان لجبرائيل: إن شاء الله تعالـى يعلم أني عبد فقير لا أملك من الدنيا شيئًا، وأوحى الله إلى سليمان أن اطلـب مـا تريد، فلما رأى الإذن من الله في الطلـب طلب وما قصر، فطلب المغفرة والملك، فاستجاب الله دعاءه، وأعطاه الدنيا من مشرقها إلى مغربها.

أقول:

والدنيـا مع العبد الصالح محمودة؛ لأنهـا تكون بيده لا في قلبه، فإذا كانت في يده خدمته، وإذا كانت بقلبه خدمها، ونبي الله سليمان خدمته، ومن تولى من أمور المسلمين أمرًا، فأحسن النية، وأنصف المظلوم، وجاد على الفقراء، وتعفف عن المال الحرام، فقدوته نبي الله سليمان، ومن كان عكس ذلك فقدوته فرعون وهامان.

٦٩٤ مائدة عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ

قال سلمـان الفارسي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: إن الحواريين قالوا لعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ﴾ [المائدة: ١١٢] فقـال لهـم عيسـى:

﴿قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ١١٢] قالوا: لا بد لنا من ذلك، فخرج عيسى إلى الصحراء، ولبس المسوح، وطأطأ رأسه خاشعًا لله تعالى يبكي، ويتضرع، وقال: ﴿ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾[المائدة: ١١٤] فأوحى الله إليه: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٥]. قال الترمذي: أنزل الله عليهم سفرة حمراء مدورة بين غمامتين، غمامة من فوقها وغمامة من تحتها والناس ينظرون، فلما نظر إليها عيسى قال: اللهم، اجعلها رحمة، ولا تجعلها نقمة، فما زالت تنزل قليلًا حتى هبطت بين يدي عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وكان عليها منديل مغطى به السفرة، فعند ذلك خرّ عيسى ساجدًا لله تعالى، وسجد معه الحواريون، وقد قيل، والله أعلم بصحة ذلك، لأنه لم يفصل في القرآن ولا في الحديث الصحيح: إنها تتكون من سمكة مشوية وعند رأسها شيء من الخل والملح وعند ذنبها خمسة أرغفة كبار، كل رغيف عليه شيء من الزيتون والتمر وحول ذلك من سائر البقول، وقيل: كانت تنزل كل يومين مرة، كما كانت ناقة صالح تختفي يومًا، وتظهر يومًا، والحقيقة أننا لا نصدق هذه التفاصيل، ولا نكذبها؛ لأنها ليست مما يجب معرفته على المسلمين.

٦٩٥ كل شيء يدل على أنه الخالق

سألوا الإمام الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ما الدليل على وجود الله؟ فقال رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ورقة التوت، طعمها ولونها وريحها وطبعها عندكم واحد، قالوا: نعم، قال: تأكلها دودة القز، فيخرج منها الإبريسم الحرير، وتأكلها النحل، فيخرج منها العسل، وتأكلها الشاة، فيخرج منها البعر، وتأكلها الظباء فينعقد في نوافجها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء كذلك مع أن الطبع واحد؟ وأسلم السائل الجاحد

هو ومن معه.

٦٩٦ شرف الدنيا وكرامة الآخرة

قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أكثروا من ذكر هادم اللذات، فإنه ما ذكره أحد في ضيق إلا وسعه ولا ذكره في سعة إلا ضيقها عليه**»[1] رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه، فذكر الموت يزهد في الدنيا، ويعلمك القناعة والرضا، فالأجل قريب والموت قادم، عن بريدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هل تدرون ما مثل هذه وهذه؟**» ورمى بحصاتين، قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا الأمل وذاك الأجل**»[2] رواه الترمذي. ويروي ابن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: مر بي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنا أطين حائطًا لي أنا وأمي، فقال: «**ما هذا يا عبدالله؟** فقلت: يا رسول الله، وهي (أي تساقط) ونحن نصلحه، فقال: «**الأمر أسرع من ذلك**»[3] رواه أبو داود والترمذي. وروى البخاري قال: جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى ابن عمر، فأخذ بعض جسده، وقال له: «**كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، وعدَّ نفسك من أصحاب القبور**» وقال ابن عمر: قال لي: «**يا ابن عمر، إذا أصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء، وإذا أمسيت فلا تحدث نفسك بالصباح، وخذ من صحتك قبل سقمك، ومن حياتك قبل موتك، فإنك لا تدري يا عبدالله، ما اسمك غدًا**»[4].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/٢٦٠ رقم٢٩٩٣)، والترمذي (٤/٥٥٣ رقم٢٣٠٧)، والطبراني في الأوسط (٨/٢٥٦ رقم٨٥٦٠)، وقال الهيثمي في المجمع (١٠/٥٥٦ رقم١٨٢١٢): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم١٢١١). ويروى بالدال المهملة والذال والمعجمة

(٢) أخرجه الترمذي (٥/١٥٢ رقم٢٨٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترعيب (٣/١٦٦ رقم٣٣٤٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٤/٥٢٩ رقم٥٢٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترعيب (٣/١٦٥ رقم٣٣٤٣).

(٤) أخرجه البخاري (٨/٨٩ رقم٦٤١٦)، بلفظ قريب من هذا.

٦٩٧ من فيح جهنم

تحدثنا في مجلس أخينا في الله الأستاذ سليمان بن عبدالله العجاجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن فتنة ابن آدم في المال وشدة حبه له مع علمه بمحدودية عمره على هذا الكوكب، وثابت في الكتاب الكريم أن المال خير، ولكنه قد يكون بلوى وفتنة لبعض العباد، حيث يقول جل شأنه: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] قال الأخ العجاجي: إن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السليم رَحِمَهُ ٱللَّهُ حدثه أنه رأى رجلًا عجوزًا يعمل بخياطة البشوت الرجالية في الأحساء، ولاحظ عليه أنه كلما غرس الإبرة، ورفعها وضع أنامله في فمه، ونفث عليها كأنه يبردها، يقول: ثم إني دنوت من الرجل سألته على استحياء عن السر في هذا العمل؟ فقال: يا بني، إني أجد في أصابعي حرارة شديدة من عشرات السنين، فدهشت قائلًا: حساسية؟ قال: لا، نار، قلت بعجب شديد: نار منذ سنين؟ قال: يا بني، منذ كذا وكذا من السنين حضرت شيخًا من أقاربي عند موته، وكان الوقت وقت شدة وجوع، وقال لي في إحدى إفاقاته وهو في السياق: احضر لي تمرًا، فقلت: وهل بك قدرة على الأكل؟ قال: نعم، وأصر، ففرحت، وأحضرت قليلًا من التمر، فقال لي: أرجوك انصرف عني قليلًا، ودعني وحدي، فتواريت عنه خلف الباب لأنظر ما يصنع، فأخذ يتقلب، ويتحامل على نفسه، وإذا هو يحلّ هميانًا بوسطه، ويخرج منه جنيهات ذهبية عدة، ويخرج النوى من التمر، ويضع مكانه الجنيه، فيمضغه ويبلعه، وذلك بجهد شديد، ومات قبل استكمال الجنيهات، وأخذت الجنيهات الباقية القليلة، وفكرت في إخراج ما ابتلعه، وذلك لشدة الحاجة إليها، وأخذت سكينًا، وقددت بها بطنه، ورأيت الجنيهات، ومددت أصابعي لإخراجها، وإذا بحرارة تلفح يدي وأصابعي أشد حرارة من نار الدنيا بسبعين ضعفًا، وأصابني الهلع والخوف وكففت يدي، وإن الحرارة لم تفارق أصابعي يا بني، حتى هذا اليوم، سجلناها وبها عبرة ومحدثها

ثقـة، ونقلها عـن ثقة مثله، وصـدق الله عَزَّوَجَلَّ إذ يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ٣٤ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤-٣٥].

٦٩٨ لا يتعلق قلبك بغير الله

قال الإمام ابـن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورضي عنه: كل من علق قلبه بالمخلوقات أن ينصـروه، أو يرزقـوه، أو أن يهـدوه خضع قلبه لهم، وصار فيه مـن العبودية لهم بقـدر ذلـك، وإن كان في الظاهر أميرًا مدبرًا لهم متصرفًـا بهم، فالعاقل ينظر إلـى الحقائق لا إلى الظواهر، فالرجـل إذا تعلق قلبه بزوجته ولو كانت مباحة له يبقـى قلبـه أسيرًا لها تتحكم فيـه، وتتصرف بما تريد، وهـو في الظاهر سيدها لأنـه زوجهـا، وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، ولا سيمـا إذا درت بفقره إليها وعشقـه لها، وأنه لا يعتاض عنها بغيرها، فإنها حينئذ تحكـم فيه بحكم السيد القاهـر الظالم في عبده المقهـور الذي لا يستطيع الخلاص منـه، بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من استعباد البدن، فإن من استعبد بدنه، واسترق لا يبالي إذا كان قلبـه مستريحًا من ذلك مطمئنًا، بل يمكنـه الاحتيال في الخلاص، وأما إذا كان القلـب الـذي هو الملك رقيقًا مستعبدًا متيمًا لغـير الله فهذا هو الذل والأسر المحض والعبودية لما استعبد القلب.

٦٩٩ المؤمن في ثلاث جنات

قال بعض العلماء: لا تظن أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾ [الانفطار: ١٣- ١٤] يختص بيوم المعاد فقط، بل هؤلاء في نعيم

في دورهم الثلاثة، وهؤلاء في جحيم في دورهم الثلاثة، وأي لذة ونعيم في الدنيا أطيب من بر القلب وسلامة الصدر ومعرفة الرب تعالى ومحبته والعمل على موافقته؟! وهل عيش في الحقيقة إلا عيش القلب السليم؟ وقد أثنى الله تعالى على خليله عَلَيْهِ السَّلَامُ بسلامة القلب، فقال: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات: ٨٣-٨٤] والقلب السليم هو الذي سلم من الشرك والغل والحقد والحسد والشح والكبر وحب الدنيا والرياسة، فسلم من كل آفة تبعده عن الله، وسلم من كل شبهة تعارض خبر الله، ومن كل شهوة تعارض أمر ربه، وسلم من كل إرادة تزاحم مراده، وسلم من كل قاطع يقطعه عن الله، فهذا القلب السليم في جنة معجلة في الدنيا، وفي جنة البرزخ، وفي جنة يوم المعاد.

٧٠٠ عشقها فتركها لوجه الله

عشق الخليفة الصالح أمير المؤمنين عمر بن عبدالعزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جارية امرأته فاطمة بنت عبدالملك بن مروان، وكانت جارية بارعة الجمال، وكان معجبًا بها، وكان يطلبها من امرأته، ويحرص على أن تهبها له، فتأبى، ولم تزل الجارية في نفس عُمر، فلما استخلف أمرت فاطمة بالجارية، فأصلحت من شأنها، وكانت مثلًا في حسنها وجمالها، ثم دخلت على عمر، وقالت: يا أمير المؤمنين، إنك كنت معجبًا بجاريتي فلانة، فسألتني أن أهبها لك، فأبيت عليك، والآن فقد طابت نفسي لك بها، فلما قالت له ذلك استبان الفرح في وجهه، وقال: ادخلي بها عليّ، فلما دخلت بها عليه ازداد بها عجبًا، وقال لها: ألقي ثيابك، ففعلت، ثم قال لها: على رسلك، أخبريني لمن كنت، ومن أين صرت لفاطمة؟ فقالت: أغرم الحجاج عاملًا له بالكوفة، وكنت في رقيقه، قالت: فأخذني، وبعث بي إلى عبدالملك، فوهبني لفاطمة، قال: وما فعل ذلك العامل؟ قالت: هلك، قال: وهل ترك ولدًا؟ قالت: نعم، قال: فما حالهم؟ قالت: سيئة، قال: شدي عليك ثيابك، واذهبي إلى

مكانك. ثم كتب إلى عامله على العراق أن ابعث إلى فلان ابن فلان على البريد، فلما قدم قال له: ارفع إلى جميع من أغرمه الحجاج لأبيك. فلم يرفع إليه شيئًا إلا دفعه إليه، ثم أمر بالجارية، فدفعت إليه، ثم قال له: إياك وإياها، فلعل أباك قد وقع بها، فقال الغلام: هي لك يا أمير المؤمنين، قال: لا حاجة لي بها، قال: فابتعها مني، قال: لست إذًا ممن نهى نفسه عن الهوى، فلما عزم الفتى على الانصراف قالت: أين وجدُك بي يا أمير المؤمنين؟ قال: على حاله، ولقد زاد بي، ولم تزل الجارية في نفس عمر حتى مات رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٧٠١ أول حب في الإسلام

قال الزهري: أول حب في الإسلام حب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، وكان مسروق يسميها حبيبة رسول رب العالمين صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقال أبو القيس مولى عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أرسلني عبدالله بن عمرو إلى أم سلمة أسألها: أكان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبل أهله وهو صائم؟ فقالت أم سلمة: لا[(١)]، قال: إن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقبلها وهو صائم[(٢)]، فقالت أم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: إن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان إذا رأى عائشة لم يتمالك نفسه عنها.

٧٠٢ أحسن فيما بقي

قال بعض العلماء: كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره، وشهره يهدم سنته، وسنته تهدم عمره؟ كيف يفرح من يقوده عمره إلى أجله، وتقوده حياته

---

(١) ثبت في صحيح البخاري أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل أم سلمة وهو صائم، أخرج الحديث البخاري (١/ ٧١ رقم٣٢٢).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٧٧٨ رقم١١٠٦).

إلى موته؟ وقال الفضيل بن عياض لرجل: كم أتت عليك؟ قال: ستون سنة، قال: فأنت منذ ستين سنة تسير إلى ربك توشك أن تبلغ، فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل: أتعرف تفسيره تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فمن عرف أنه له عبد، وأنه إليه راجع فليعلم أنه موقوف، ومن علم أنه موقوف فليعلم أنه مسؤول، ومن علم أنه مسؤول فليعد للسؤال جوابًا، فقال الرجل: فما الحيلة؟ قال: يسيرة، قال: ما هي؟ قال: تحسن فيما بقي يغفر لك ما مضى، فإنك إن أسأت فيما بقي أخذت بما مضى وما بقي.

٧٠٣ لا تثقلوا على الناس

لم يكن للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقت معين يقص على أصحابه فيه غير خطبته الراتبة في الجمع والأعياد، وإنما كان يذكرهم أحيانًا أو عند حدوث أمر يحتاج إلى التذكير عنده، ثم إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعوا على تعيين وقت له، كما سبق عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه كان يذكر أصحابه كل يوم خميس، وفي صحيح البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه قال: حدث الناس في كل جمعة مرة، فإن أبيت فمرتين، فإن أكثرت فثلاثًا، ولا تمل الناس[1]. وفي المسند عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنها وصت قاضي أهل المدينة بمثل ذلك، وروى عنها أنها قالت لسعيد بن عمير: حدث الناس يومًا، ودع الناس يومًا، وروي عن عمر بن عبدالعزيز أنه أمر القاص أن يقص كل ثلاثة أيام مرة، وروي عنه أنه قال: روّح الناس، ولا تثقل عليهم.

٧٠٤ السكرات

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لكعب الأحبار: أخبرني عن الموت، قال: يا أمير المؤمنين، هو مثل شجرة كثيرة الشوك في جوف ابن آدم، فليس منه عرق ولا مفصل، وهو

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٧٤ رقم٦٣٣٧).

كرجل شديد الذراعين، فهو يعالجها ينتزعها، فبكى عمر. ولما احتضر عمرو ابن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سأله ابنه عن صفة الموت؟ فقال: والله لكأن جنبي في تخت، ولكأني أتنفس من سم إبرة، وكأن غصن شوك يجر به من قدمي إلى هامتي. وقالت عائشة: ما أغبط أحدًا يهون الله عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالت: وكان عنده قدح من ماء، فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء، ويقول: «**اللهم، أعني على سكرات الموت**» قالت: وجعل يقول: «**لا إله إلا الله إن للموت لسكرات**»[1] وروي عن عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ما أحب أن تهون علي سكرات الموت، إنه لآخر ما يُكّفر به عن المؤمن.

وفي الصحيحين عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان من الله وكرامة، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، وأحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه**»[2].

٧٠٥ علاج الغضب

يعالج الغضب عند هيجانه بالعلم والعمل، أما العلم فهو:

أولًا: أن يتفكر فيما ورد في فضل كظم الغيظ والحلم من القرآن والسنة.

ثانيًا: أن يخوف الإنسان نفسه بعقاب الله لو أمضى غضبه، إلا إذا كان الغضب من أجل أن حرمات الله انتهكت، فليمضِ غضبه، وينتقم لوجه الله.

ثالثًا: أن يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام، فيخوّف نفسه بعواقب الدنيا إن كان لا يخاف الآخرة.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/١٣ رقم٤٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (٨/١٠٦ رقم٦٥٠٧).

رابعًا: أن يتفكر في قبح صورته عند الغضب إذا قارنها بصورة غيره إذا رآه غاضبًا، حيث يشبه السبع الضاري، ويتذكر أن الحليم الهادي متشبه بالأنبياء، والعلماء والصالحين، فشتان بين الأراذل والصفوة!

٧٠٦ أعطِ كل أمر حقه

أثنى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الرفق، وبالغ فيه، فقال: «**من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة**»[1] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إذا أحب الله أهل بيت أدخل عليهم الرفق**»[2] وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعائشة: «**عليك بالرفق، فإنه لا يدخل في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[3] وإن السر في الترغيب في الرفق هو كون الطباع إلى الحدة والعنف مجبولة، والعنف في محله حسن، فإن الحاجة قد تدعو إليه، ولكن هذا في النادر، والعاقل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف، فيعطي كل أمر حقه.

٧٠٧ ممدوح ومذموم

المال سماه الله في كتابه الكريم خيرًا، فقال: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠]. وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»[4] محمود من حيث هو خير، ومذموم من حيث هو شر، فلا هو كله شر، ولا هو كله خير، ففوائده الدنيوية معروفة، وفوائده الدينية ثلاثة أنواع:

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٧/٤ رقم٢٠١٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٦٠٥٥).

(٢) أخرجه أحمد (٤٨٨/٤٠ رقم٢٤٤٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم٣٠٣).

(٣) أخرجه مسلم (٢٠٠٤/٤ رقم٢٥٩٤).

(٤) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم٢٩٩)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣٥٥/٢رقم٣٧٥٦).

- أن ينفقــه على نفسه في عبادة كسفـر للحج والعلم، وما يقويه على العبادة وعلى الضروريات المعيشية، وما لا يتوصل إلى العبادة إلا به.
- ما يصرفه إلى غيره كالصدقة والمروءة ووقاية العرض والاستخدام.
- مــا يصرفه على نوع معين كبنــاء المساجد، وتجهيــز المجاهدين، وإطعام الفقراء، وعلاج المرضى، وأوقاف الخير عامة، وأما مضار المال فهي دينية دنيويــة، أما الدينية فيجر إلــى المعاصي، فهو يحــرك الشهوة، ويجر على التنعــم والترف، فلا يصبر عن هذه الحالــة، فيقتحم الشبهات، ويخوض في الكــذب والنفاق، وأن يلهيه عــن ذكر الله وعن الصلوات في المساجد في وقتها، كما هو حاصل اليوم من جلوس التجار في مكاتبهم المكيفة الساعات الطوال، وكثيرًا ما يمر على بعضهم الوقت من دون صلاة.

والآفات الدنيوية منها الخــوف والحزن والهم والتعب وتجشم المصاعب في حفــظ المال وكسبه، وقد حدثني بعض الإخــوان بقوله: إن أخي التاجر فلانًا قدم ذات ليلة من المطار، ونام وعليه جواربه وخفاه لم ينزعهما من التعب، والخلاصة: إن أخذته من حلّه، وصرفته في حله فخير، وإلا فهو الشر كل الشر.

٧٠٨ ليس من المروءة

قالــوا في الأمثال: إذا أردت أن يكذب الرجل فاسأله عن عمره، وكان الإمام مالــك رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ يكــره أن يُسأل عــن سنه؛ لأنــه إن كان كبير السن اتهــم بالغفلة والنسيــان، وإن كان صغــير السن يُتهم بقلة التجربة وقلة العلم، وكان يقول: ليس مــن المروءة الإخبار بالسن. وقال الإمام الشافعــي: سألت مالكًا عن سنه، فقال: أقبل على شأنك ليس من المروءة للرجل أن يخبر عن سنه.

أقول:

ورد خلاف في أيهما خير للمسلم طول عمره أو قصره، فقال بعض الفقهاء: إن الطول على العمل الصالح أفضل، واستدلوا بحديث: «**خيركم من طال عمره، وحسن عمله**»[1] وذهب بعضهم إلى أن القصر أفضل لما روي عن عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أقسم إن الموت خير للبر والفاجر، قيل: كيف يا ابن مسعود؟ قال: اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى في شأن الفاجر: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. وقوله تعالى في حق البرّ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٨] والراجح والله أعلم القول الأول.

٧٠٩ الهدية ومنافعها

ورد عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قوله: «**تهادوا تحابوا**»[2] وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الهدية تسل السخيمة**»[3]؛ أي تذهب الغيظ والحسد من الصدور، وهي الهدية المقصود بها وجه الله، وإلا فكل هدية لغير وجه الله رشوة وربا، مثل الإهداء للمسؤولين في بعض المرافق العامة، وعلى المسلم القادر أن يوسع على نفسه أولاً، ثم على أهله، ثم الأقرب فالأقرب، فمن تحق له الزكاة يعطيه منها، وهناك الصدقة وهي غير الزكاة الواجبة، فإعطاؤها للقريب جائز، وإن كان في يسر أو بعض اليسر، وهناك الصنف الثالث، وهم الأغنياء من الناس أو متوسطو الحال، فالهدية هي الأنسب لهم، فهي تذهب البغضاء والحسد.

وهناك قصة مشهورة، وقد ذهبت مثلاً وهي «فرد حمزة ثائر ثائر» وهذا المثل يقال: إنه حصل بين قريب وقريبه، وهما رجلان من أعرق الأسر في نجد، وأراد أحدهما قتل الآخر، وقال لخادمه حمزة: إذا جلست معه في المسجد فاقتله

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥٦٥ رقم٢٣٢٩)، وقال: حديث حسن غريب. وصححه الألباني.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (رقم٥٩٤)، وحسنه الألباني.

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٢/٣٦٤ رقم٧٥٢٩)، ضعفه ابن حجر في بلوغ المرام (رقم٩٣٦).

بالفَــرد، فأتى إلى المسجد هو والخادم، وأدوا سنة تحية المسجد، وفي هذه الأثناء كان بيــد الرجــل المراد قتله عود من أراك؛ أي سواك، ثم نظر إلى قريبة بجانبه، وكســر السواك نصفين، وأعطــاه قريبة هدية، هذه الهدية الصغيرة في مقدارها الكبــيرة في قدرها سلت سخيمة ابن العم، وأذهبت غيظه على ابن عمه، وأثارت فيــه نخوة الشهامة والتفت إلى خادمه قائلًا: يا حمزة، لا تقتله. ولكن قضاء اللّه تــام والزنجي ثائرة أعصابه، ورفض أمر ابن عمه قائلًا: الفرد ثائر ثائر فاخترْ أبِك أم به، وفعلًا نفذ الإعدام الذي نرجو اللّه أن يرفع وزره عنه؛ لأنه عدل بنيته عن القتل، والأعمال بالنيات.

٧١٠ قصور الزخرف

دخــل القاضــي منذر بن سعيد علــى الخليفة الناصــر في قصر الزهراء في قرطبــة، وكان قــد أسرف في زخرفته، حتــى إنه اتخذ لسقــف القبب في القصر قرامــي مغشاة بالذهب والفضة، وما إن استقــر العالم الورع في مجلس الخليفة، ورأى كــثرة المهنئــين والمطبلين والمزمرين، ثم بعــد أن أخذ الزهو من الخليفة كل مأخــذ، التفت إلى الشيــخ، فسأله عن رأيه في السقف المذهــب؟ بكى الشيخ قبل الجــواب، ثــم قال بصوت متهدج: واللّه يــا أمير المؤمنين ما ظننــت أن الشيطان لعنــه اللّه يبلغ منك هذا المبلغ، ولا يتمكن منك هذا التمكين، كيف أن اللّه فضلك وأعطــاك الملك، والشيطان ينزلك منازل الكافرين، فغضب الخليفة قائلًا: كيف تقــول: أنــا مع الكافرين؟ فقال الشيــخ: نعم، أليس اللّه تعالــى يقول: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾[الزخرف: ٣٣] فبكــى الخليفة، ثم أقبل على الشيخ، وقال: جــزاك اللّه عنــا وعن نفســك وعن المسلمــين كل خير، فما قلت هــو الحق، وقام الخليفــة مــن مجلسه، وأمر بسقــف القبة وهــدم، وأعاد بنــاء القرميد بالتراب والطين.

أقول:

الرسـول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخلفاؤه من بعـده لم يفتحوا الدنيا بتزيين القصور، ولم يهتمـوا بزخـرف هـذه الدنيـا وبهارجهـا، وإنمـا اهتمـوا بما يصلـح حياة الإنسـان علـى هـذا الكوكب الأرضـي ووفق منهـاج الصانع والمدبر لهـذا الكون كلـه بإقامة العـدل والقسط بين النـاس. ولنترك الصحابـي الجليل عبدالله بن عمـر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يحدثنا عن البساطة التـي كان عليها هؤلاء العظام يقول: والله ما شمل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيته ولا خارج بيته ثلاثة أثواب، غير أني أرى كساءهم إذا أحرمـوا كان لـكل واحد منهـم مئزر مشمل لعـل كلها بثمـن درع أحدكم، لقد رأيت النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يرفع ثوبه، ورأيت أبا بكر تخلل العباءة جمع بين طرفيها بخلال من عود أو حديد، ورأيت عمر يرقع جبته برقاع من أدم، وهو أمير المؤمنين.

٧١١ من أسرار القرآن

قال العالم الفلكي م. بوانكاريه، وهو يبحث في دقة نظام الكائنات وما فيها من مظاهـر الكمال: ليس ذلك من الأمـور التي يمكن حملها على المصادفة، والاتفاق، وأحسـب أن القدرة التي لا أول لها ولا آخـر سنّت للكائنات هذا النظام في عهد ما على أن يستمر حكمه إلى الأبد، فأذعنت الكائنات لإرادتها راضية طائعة.

أقول:

إنـه الله سبحانـه، وليسـت القـدرة التي لا أول لهـا ولا آخـر، وصدق الله العظيـم، إذ يقـول: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

٧١٢ جنة الكافر

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**»[1] وأخرج رَحِمَهُ اللَّهُ حديثًا آخر رواه عن المستورد بن شداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم فلينظر بمَ يرجع**»[2]. وكذلك أخرج رَحِمَهُ اللَّهُ عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مر بالسوق والناس كنفتيه، فمر بجدي أسكّ (قصير الأذن صغيرها) ميت، فتناوله، فأخذه بأذنه، ثم قال: «**أيكم يحب أن هذا له بدرهم**»؟ فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء، وما نصنع به؟ قال: «**أتحبون أنه لكم**؟» قالوا: والله لو كان حيًّا كان عيبًا أنه أسكّ فكيف وهو ميت؟ قال: «**فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم**»[3] وورد في أحاديث أخرى: «**لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرًا منها شربة ماء**»[4].

أقول:

هذه الأحاديث صحيحة، وليس المقصود منها أن يترك المسلم الدنيا ومتاعها للكافر، كلا! ولكن ليأخذها وفق منهج الله وحسب تشريعه وتنظيمه، فلا يأخذها بالرشوة ولا بالسلب، ولا يأخذها بالبيع والشراء المحرم كالربا والغش، ولا يقطع بسببها الأرحام، ولا يحب، ويبغض من أجلها، فإذا تجنب المسلم أخذها بالحرام فطلبها حينذاك يصبح مع حسن النية عبادة؛ لأن المؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ومن أسباب القوة المال، وقد قال فضيلة الشيخ الطنطاوي في إحدى حلقاته التلفازية: كان في دمشق حارة معروف عن أهلها الصلاح والاستقامة على أمر الله، وفي ذات يوم فتح رجل من أعداء الله مطعمًا لتقديم

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٢٧٢ رقم٢٩٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٣ رقم٢٨٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢٢٧٢ رقم٢٩٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٤/٥٦٠ رقم٢٣٢٠)، وقال: حسن صحيح غريب. وصححه الألباني.

الخمـرة، وضجّ أهل الحي، وحـاروا في أمرهم، فالحكومة لا تمنع في الأحياء مثل ذلـك، وهذا منكر، وتجب إزالتـه قدر المستطيع، وإذا بأحد الأغنياء من المسلمين يتقـدم لصاحـب المطعم، ويشتريه بكاملـه، ويزيل هذا المنكر بـكل سهولة، ولولا المال ما استطاع.

أقول:

وهناك معجزة أخرى في الحديث، وهي أن الدنيا صغيرة وحقيرة في ميزان الله وكونه، حتى من الناحية الحسية وليس المعنوية، حيث ثبت في العصر الأخير اكتشاف أجرام سماوية ومخلوقات كونية إذا قيست عليها وبها دنيانا هذه فهي لا تساوي ولا جزءًا من جناح البعوضة، وصدق الله، إذ يقول: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ﴾[الواقعة: ٧٥-٧٦].

٧١٣ الحفظ والنسيان

قـال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تأمـل حكمة الله عَزَّوَجَلَّ في الحفظ والنسيان الذي خص به نوع الإنسان، وما له فيها من الحكم، وما للعبد فيها من المصالح، فإنـه لـولا القوة الحافظـة التي خُص بها لدخـل عليه الخلل في أمـوره كلها، ولم يعرف ما له وما عليه، ولا ما أخذ، ولا ما أعطى، ولا ما سمع ورأى، ولا ما قال، ولا ما قيل له، ولا ذكر من أحسن إليه، ولا من أساء إليه، ولا من عامله، ولا من نفعه، فيقـرب منـه، ولا من ضره فيبعد عنه، ثم كان لا يهتـدي إلى الطريق الذي سلكه أول مـرة ولـو سلكه مرارًا، ولا يعـرف علمًا، ولو درسه عمـره. ومن أعجب النعم نعمـة النسيـان، فإنه لولا النسيان لما سلا شيئًـا، ولا انقضت له حسرة، ولا تعزى عن مصيبة، ولا مات له حزن، ولا بطل له حق، ولا تمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات، ولا رجا غفلة عدو، ولا نقمة من حاسد، فتأمل حكمة الله في الغفلة والنسيان مع تضادهما وجعل المصلحة في كليهما.

٧١٤ أول طعام أهل الجنة وغدر اليهود

أخرج البخاري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ عن أنس بن مالك قال: سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهذه جبرائيل آنفًا**»، قال: جبريل؟! قال: «**نعم**»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [البقرة: ٩٧]، «**وأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت**»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، يا رسول، الله إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال لهم رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**أي رجل عبدالله ابن سلام فيكم؟**» قالوا: خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، قال: «**أرأيتم إن أسلم؟**» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فقالوا: هو شرنا وابن شرنا، وأنقصوه، فقال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله[1].

أقول:

الغدر متأصل في عروقهم، وهذا الذي يرويه أمير المؤمنين في حديث الإمام البخاري صفعة في وجوه علمانيي العرب الذين يطلبون الصلح مع أحفاد هؤلاء ممن اغتصبوا مقدسات المسلمين، حتى إن الجهاد اليوم واجب على كل مسلم، فنسأل الله أن يهيئ لهذا الأمر أهله.

---

(١) أخرجه البخاري (٥/٦٩ رقم٣٩٣٨).

٧١٥ صدق أبو عبدالرحمن

روى ابـن عساكـر عن محمد بـن إبراهيم بن أبـي سكينة قـال: أملى عليّ عبـدالله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وأنشدها إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومئة:

يـا عابـدَ الحرمـينِ لـو أبصرتَنا	لعلمـتَ أنَّـك في العبـادةِ تلعـبُ
مَـنْ كانَ يخضبُ خـدَّه بدموعِه	فنحورُنـا بدمائِنـا تتخضَّـبُ
أو كانَ يتعـبُ خيلَـه في باطـلٍ	فخيولُنـا يـومَ الصبيحـةِ تتعـبُ
ريـحُ العبـيرِ لكمْ ونحـنُ عبيرُنا	رهـجُ السنابـكِ والغبـارُ الأطيبُ
ولقـدْ أتانـا مِـنْ مقـالِ نبيِّنـا	قـولٌ صحيـحٌ صـادقٌ لا يكـذبُ
لا يستـوي غِبَّـارُ خيـلِ اللهِ في	أنـفِ امـرئٍ ودخـانُ نـارٍ تلهـبُ
هـذا كتـابُ اللهِ ينطـقُ بينَنـا	ليسَ الشهيـدُ بميـتٍ لا يكـذبُ

قـال: فلقيت الفضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذرفت عيناه، وقال: صدق أبوعبدالرحمن.

٧١٦ واعظ متهم

روي أن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ سمع واعظًا يعظ في مسجد البصرة، فوقف يستمع إليـه، والرجـل فصيح منطيـق، قد أجمع عليـه خلق كثير، فلما فـرغ الرجل من وعظـه، قال له الحسن: يا هـذا! بقلبك شيء أو بقلبـي؟! أي إن الحسن لم يتأثر بوعظه. وإذا كان الحسن معروفًا من هو في عباد الله المخلصين، فإنه لم يبقَ إذن إلا الرجل، هو الذي تشير إليه أصابع الاتهام في هذا المقام.

٧١٧ الغضب والعجلة

ذكر أن ذا القرنين لقي ملكًا، فقال: علمني علمًا أزداد به إيمانًا ويقينًا، قال: لا تغضب، فإن الشيطان أقدر ما يكون على ابن آدم حين يغضب، فَرُدَّ الغضب بالكظم، وسكّنه بالتؤدة، وإياك والعجلة، فإنك إذا عجلت أخطأت حظك، وكن سهلًا ليّنًا للقريب والبعيد، ولا تكن جبارًا عنيدًا.

٧١٨ ضعف افتخاره

أنشد حسان بن ثابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخنساء في سوق عكاظ:

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضحى ... وأسيافُنا يقطرنَ مِنْ نجدةٍ دَما

ولدنا بني العنقاء وابني محرقٍ ... فأكرمْ بنا خالًا وأكرمْ بنا عما

فقالت الخنساء: ضعف افتخارك، قال: بماذا؟ قالت: لثمانية، قلتَ: لنا الجفنات، والجفنات ما دون العشر، فقللت العدد، ولو قلت الجفان لكان أكثر، وقلت: الغرّ والغرّة البياض في الجبهة، ولو قلت البيض لكان أكثر اتساعًا، وقلت: يلمعن، واللمع شيء يأتي بعد الشيء، ولو قلت: يشرقن لكان أكثر؛ لأن الإشراق أدوم من اللمعان، وقلت: بالضحى، ولو قلت: بالعشية لكان أبلغ في المديح؛ لأن الضيف بالليل أكثر طروقًا، وقلت: أسيافنا، والأسياف دون العشر، ولو قلت: سيوفنا كان أكثر، وقلت: يقطرن، فدللت على قلة القتل، ولو قلت: يجرين لكان أكثر لانصباب الدم، وفخرت بمن ولدت، ولم تفتخر بمن ولدك.

٧١٩ خانت فهانت

ذكر أن أبا العلاء المعري لما قدم بغداد اشتهر عنه أنه أورد إشكالًا على الفقهاء في جعلهم نصاب السرقة ربع دينار، ونظم في ذلك ما دل على جهله، فقال:

يدٌ بخمسِ مئينَ عسجدٍ فُديتْ ... ما بالُها قطعتْ في ربعِ دينارِ

تناقض ما لنا إلا السكوت له ... وأنْ نعوذَ بمولانا منَ النارِ

وقد أجابه القاضي عبدالوهاب المالكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ بقوله: لما كانت أمينة كانت ثمينة، ولما خانت هانت. ومنهم من قال: هذا من تمام الحكمة، والمصلحة، وأسرار الشريعة العظيمة، فإنه في باب الجنايات ناسب أن تعظم قيمة اليد بخمس مئة دينار؛ لئلا يُجنى عليها، وفي باب السرقة ناسب أن يكون القدر الذي تقطع فيه ربع دينار؛ لئلا يسارع الناس في سرقة الأموال.

٧٢٠ الشح والبخل

قال المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾[الحشر: ٩] هو ألا يأخذ شيئًا مما نهاه الله عنه، ولا يمنع شيئًا أمره الله بأدائه، فالشح يأمر بخلاف أمر الله ورسوله، فإن الله ينهى عن الظلم، ويأمر بالإحسان، والشح يأمر بالظلم، وينهى عن الإحسان، وقد كان عبدالرحمن بن عوف يكثر في طوافه بالبيت وبالوقوف بعرفة أن يقول: اللهم، قني شح نفسي، فسئل عن ذلك؟ فقال: إذا وقيت شح نفسي وقيت الظلم والبخل والقطيعة، وفي رواية عنه قال: إني أخاف أن أكون قد هلكت، قيل له: وما ذاك؟ قال: أسمع الله يقول: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾[الحشر: ٩] وأنا رجل شحيح لا يكاد يخرج من يدي شيء، فقيل له: ليس

ذلـك بالشح الذي ذكره الله في القرآن، إنما الشح أن تأكل من مال أخيك ظلمًا، وإنما يكون بالبخل، وبئس الشيء البخل.

أقول:

اتهامه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نفسه بالبخل تواضع منه، وإلا فهو من المنفقين والمستغفرين بالأسحـار، وبالبيـت تجـار المسلمـين يقتدون به، فهـو الذي أطلـق في يوم واحد سبـع مئة شاحنة وأكـثر، والشاحنات في ذلك الوقت هي الإبـل. والمسلمون اليوم ممتحنـون، والقدس الشريف بيد اليهود، ويهود أمريكا وأوروبا يدفعون الملايين، وتجـار المسلمين مع الأسف الشديد لا يدفعون الملاليم إلا من رَحِمَهُ اللَّهُ، وهم القلة القليلة، والله المستعان، وسيُحاسَب المقصر أمام رب الأرباب.

٧٢١ وظيفة المسجد في الإسلام

لم يكـن المسجـد للعبـادة فحسب، بـل كان أيضًـا مركز الحيـاة السياسية والاجتماعيـة، فكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستقبل السفـراء، ويدير شؤون الدولة، ويخطب جماعة المسلمين على المنبر في الأمور السياسية والدينية، ومن فوق منبر المدينـة أعلن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تقهقر جيوش المسلمين في العـراق، واستحث الناس على السير إلى هذه البلاد، ومن فوق المنبر أيضًا وقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدافع عن نفسه، ومن فوق المنبر يلقي الخليفة بيانه الأول على الناس عند استخلافه وبيان سياستـه في الحكم، والمساجد اتخذها علمـاء الحديث والتفسير مقرًّا لهم للعلم وطلبه، فيا ليت دور المسجد يعود كما كان.

٧٢٢ جف القلم جف القلم

قـال الكاتـب البليـغ أكرم زعيـتر أكرمـه الله في مقال له بجريـدة الشرق الأوسـط يوم الأحـد ١٤٠٤/٢/١٦هـ عن فتنة النصيريين يـوم قتالهم للمسلمين

والفلسطينيين في طرابلس بلبنان: قدرة الله تعالى تتجلى في خلق الحكمة، ولكن من مخلوقاته من اختصوا بعبقرية الحماقة ونباغة المشاقة، وبهما يتكفلون بتدمير حضارة وتحطيم شعب ووأد نهضة وذبح قضية، وأقسم بالله لو أن العدو سخّر عباقرة الشر، وعبأ دهاقنة الأبالسة، وجند شياطين الإنس لرسم خطة تكفل له بالنصر والسبق ولنا بالهزيمة والمحق لما وفق لمثل ما أبدعته عبقرية عربية حققت له ما عجزت عن تحقيقه جيوشه وعدته وعتاده وأمواله وأمريكيته وشاميره وشارونه، ويستوي في ممارسة فضائل تلك العبقرية شريرون ارتكبوا الحنث العظيم، فأغاروا، واعتدوا، وفتكوا، أو صامتون تقاعسوا عن دفع الشر، وتعاجزوا عن قرع الفتنة لم ينكروا المنكر، ولم تزمهر عيونهم في وجه الفئة الباغية، ففزعنا إلى البابا لينقذنا منا، واستعطفنا السوفييت، واستنجدنا بفرنسا، وناشدنا الجن والإنس أن يدفعوا عنا ظلم الأقارب، قال: والمخرج؟ قلت: ومن يتقِ الله يجعل له مخرجًا، فهل يتقي الله كبراؤنا الصغراء؟ ولم أسترسل في القول، فقد جف القلم جف القلم.

أقول:

إن لهم في التاريخ أسلافًا، فاسأل التاريخ عن أسلافهم القرامطة والباطنيين ينبئك عن أعمالهم.

٧٢٣ سدّدوا وقاربوا

قال ابن جرير عن الحسن: إن أناسًا سألوا عبدالله بن عمرو بمصر، فقالوا: نرى أشياء في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ أمر أن يُعمل بها، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك، فقدم وقدموا معه، فلقى عمر رضى الله عنه فقال: متى قدمت؟ قال: من كذا وكذا، قال: أبإذن قدمت؟ قال: فلا أدري كيف رد عليه، فقال: يا أمير المؤمنين، إن ناسًا لقوني بمصر، فقالوا: إنا نرى أشياء في كتاب الله أمر أن يُعمل بها، فلا

يعمل بها، فأحبوا أن يلقوك في ذلك، قال: فاجمعهم لي، قال: فجمعتهم له، فأخذ أدناهم رجلًا، فقال: أنشدك الله وبحق الإسلام عليك أقرأت القرآن كله؟ قال: نعم، فهل أحصيته في نفسك؟ قال: اللهم، لا، قال: ولو قال: نعم، لخصمه، قال: فهل أحصيته في بصرك؟ فهل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرك؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم، فقال: ثكلت عمر أمه أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات، قال: وتلا: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]. ثم قال: هل علم أهل المدينة بما قدمتم؟ قالوا: لا، قال: «**لو علموا لوعظت بكم**»[1]. يريد تأديبهم وزجرهم عن التشدد والتنطع في الدين، وهذا من عظمة فقه الفاروق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

٧٢٤ دواء الوسواس

اشتكى أحد الصالحين إلى الفقيه الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الوسوسة، فقال للسائل: واظب على قول: اللهم، اجعل لي نفسًا مطمئنة توقن بلقائك، وتقتنع بعطائك، وترضى بقضائك، وتخشاك حق خشيتك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٧٢٥ الأنبياء من الرجال فقط

أجمع عامة الفقهاء أنه ليس في النساء نبية، والقرآن والسنة دلّا على ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾[النحل: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥] ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقة، وهي أقل من درجة النبوة.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (٨/٢٥٥)، ومعنى: لوعظت بكم، أي لأنزلت بكم العقوبة ما يكون عظة لغيركم.

٧٢٦ إن هذا سيبلغنا المقيل

بمثـل هؤلاء انتصر الإسلام أولًا وبمثلهم سينتصر أخيرًا، هم أفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل، هم أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قدم عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الشام، فتلقـاه وجـوه النـاس وأمـراء الأجناد، فقال عمـر: أين أخي؟ فقالـوا: من؟ قال: أبوعبيـدة، قالوا: يأتيك الآن، وجـاء أبوعبيدة على ناقـة مخطومة بحبل، فسلم عليـه، فقال عمـر للناس: انصرفوا عنا، وسـار مع أبي عبيدة حتـى أتى منزله، فنـزل عليه، فلم يرَ في بيته إلا سيفه وترسه، فقال عمر: لو اتخذت متاعًا، أو قال شيئًا؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلغنا المقيل، وفي رواية أخرى أنه لم يرَ في البيـت شيئًا، قال: أين متاعك لا أرى إلا صفحة وسقاء وأنت أمير أعندك طعام؟ فقـام أبوعبيدة إلى سلة، فأخذ منهـا كسيرات، فبكى عمر، فقال أبوعبيدة: قلت لـك يا أمير المؤمنين، يكفيك من الـزاد ما بلغك المحل، فقال عمر: غيّرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة.

أقول:

لا، والله لم تغـيرك يـا أبـا حفص، وأسـأل الله الذي أخـرج للمسلمين من سـار بسيرتك بعد رحيلك بقرابة قرن كامل، وهو حفيدك عمر بن عبدالعزيز أن يخرج للأمة بعد هذه القرون من يسير بهم على المنهج نفسه.

٧٢٧ ومن يطيق ما تطيق يا عمر

ذكـروا أن عبيـدالله بن عبدالمؤمن أخبرهم عن رجـاء بن حيوة: أنه لما حج سليمـان ابن عبدالملك ومعه عمر بـن عبدالعزيز، وذلك سنة ثمانٍ وتسعين، فلما انتهـى إلى عقبة عسفان نظر سليمان إلى السرادقات قد ضربت له ما بين أحمر وأخضر وأصفر، وكان يوسف بن عمر قد عمل له باليمن ثلاثة سرادقات، فكانت

تضـرب له، وكان الذي منها للناس من خـز أخضر والذي يليه من خز أصفر، ثم الذي يكون هو فيه من وشي أحمر محبر من حبرات اليمن مزرر بالذهب والفضة، وفي داخلـه فسطاط فيـه أربعة أفرشه من خـز أحمر مرافقها مـن وشي أصفر، وضربـت حجب نسائه من وراء فسطاطه وحجر بنيـه وكتابه وحشمه قرب ذلك، فلما استوى سليمان في قبة العقبة، ونظر إلى ما نصب له قال: يا عمر، كيف ترى ها هنـا؟ أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضًا أنت المسؤول عنها والمأخوذ بها، فبينما همـا كذلك إذ طار غراب من سرادق سليمان في منقـاره كسرة، فصاح الغراب، فقـال سليمـان: ما يقول هذا الغـراب يا عمر؟ قال عمر: مـا أدري ولكن إن شئت أخبرتـك بعلم، قـال سليمان: أخبرني، فقال عمر: هذا غـراب طار من سرادقك بكسـرة هو يأكلها وأنت المأخوذ بهـا والمسؤول عنها من أين دخلت، وأين خرجت؟ قال سليمان: إنك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص، فقال عمر: أفلا أخبرك بأعجب مـن هذا يا أمير المؤمنين، قـال: أخبرني، قال: من عرف الله تعالى كيف يعصيه، ومـن عرف الشيطان كيف يعطيـه، ومن أيقن بالموت كيف يهنيه العيش، ويسوغ له الطعام، ومن أيقن بالنار كيف يضحك؟! فقال سليمان: نغّصت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص، ومن يطيق ما تطيق أنت يا عمر؟ أنت والله الموفق المطيع.

٧٢٨ دين النظافة

في الصحيحـين عن عبدالله بن عمـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قـال: «**إذا جـاء أحدكم الجمعـة فليغتسل**»[1] وعن أبـي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**حـق الله علـى كل مسلـم أن يغتسـل في كل سبعـة أيـام يغسـل رأسـه وجسـده**»[2] رواه مسلـم. وعـن جابـر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قـال: قـال

(١) أخرجه البخاري (٢/٢ رقم٨٧٧)، ومسلم (٢/٥٧٩ رقم٨٤٤).

(٢) أخرجه البخاري (٢/٦ رقم٨٩٧)، ومسلم (٢/٥٨٢ رقم٨٤٩).

رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**على كل مسلم في كل سبعة أيام غسل يوم هو يوم الجمعة**»[1] رواه أحمد والنسائي.

أقول:

قرأنا في كتب الطب حث الأطباء على تنظيف البشرة على الأقل كل أسبوع مرة، ويحسبه بعضنا لم يأمر به الإسلام منذ أربعة عشر قرنًا، ولكن مع الأسف كثير من المسلمين يمر عليه الأسبوع والشهر لا يمس جلده الماء، على أن بعض الفقهاء يوجب الغسل في الأسبوع مرة.

٧٢٩ ظبية القلب

قال الشريف الرضى:

أنتِ النعيمُ لقلبي والعذابُ له ... فما أمرَّك في قلبي وأحلاكِ

يا ظبيةَ البان ترعى في خمائله ... ليهنَكِ اليومَ إنّ القلبَ مرعاكِ

الماءُ عندَكِ مبذولٌ لشاربِه ... وليسَ يرويكِ إلا مدمعي الباكي

حكتْ لحاظُكِ ما في الريمِ من ملح ... يومَ اللقاءِ وكانَ الفضل للحاكي

عندي رسائلُ شوقٍ لستُ أذكرها ... لولا الرقيبُ لقدْ بلغتُها فاكِ

٧٣٠ دعاء الوالدين

دعاء الوالد على ولده من أخطر الأمور، وقد حدثني أحد الأصحاب يقول محذرًا من الدعاء على الأولاد: أغضبني ابن ذات يوم، فقلت له: ادرس، قال: لا،

(١) أخرجه النسائي (٣/٩٣ رقم١٣٧٨)، وصححه ابن حبان (٤/٢١ رقم١٢١٩)، وابن خزيمة (٣/١٢٤ رقم١٧٤٦).

قلت: له اجلس في المتجر، قال: لا، قلت له: أين تذهب؟ قال: إلى مكان كذا وكذا، قلت: اذهب الله لا يرجعك سالمًا. وما هي إلا ساعات قلائل، وإذا خبره يأتيني بأنه هو وزملاؤه في السيارة حصل لهم حادث، وسلموا كلهم إلا هو أتاني غير سالم، وما زلت أعوله.

أقول:

إذا حدث أن غضب أحد الوالدين على ابنهما فليقولا: أهلك الله عدوك أو لعنة الله على شيطانك. وجاء عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه نظر إلى رجل ملوي اليد، فسأله: وما بال يدك ملوية؟ قال: إن أبي كان مشركًا، وكان كثير المال، فسألته شيئًا من ماله، فامتنع، فلويت يده، وانتزعت من ماله، فدعا علي في أبيات منها:

تهضمُني مالي كذا ولويَ يدي — لوى يدَه الله الذي هو غالبُه

فأصبحت يا أمير المؤمنين، ملوي اليد، فقال عمر: الله أكبر هذا دعاء آبائكم في الجاهلية، فكيف في الإسلام؟!

٧٣١ غلبها العبد الصالح

جاء في كتاب (التوابين) للمقدسي أن بعض القوم أمر امرأة ذات جمال بارع أن تتعرض للعبد الصالح الربيع بن خيثم أحد التابعين المشهورين بالورع من أصحاب عبد الله بن مسعود لعلها تفتنه، وجعلوا لها إن فعلت ذلك ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها، فراعه أمرها، فأقبلت عليه وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو نزلت الحمّى بجسمك، فغيرت ما أرى من لونك وبهجتك؟ أم كيف بك لو قد نزل بك ملك الموت، فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخة، وسقطت مغشيًّا عليها، فوالله لقد أفاقت، وبلغت من عبادة ربها، وأنها كانت يوم ماتت كأنها جذع محترق.

٧٣٢ وصية أمين الأمة

أمين الأمة هو الصحابي الجليل المجاهد أبوعبيدة عامر بن الجراح، ولا يجوز لأحد أن يحمل هذا اللقب، ولا أن يدعو به غيره من الناس؛ لأن رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ هو الذي قال عنه: «**لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبوعبيدة ابن الجراح**»[١]، أخرج ابن عساكر عن سعيد المقيري قال: لما طعن أبوعبيدة بالأردن وبها قبره دعا من حضره من المسلمين، فقال: إني موصيكم بوصية إن قبلتموها لم تزالوا بخير: أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا شهر رمضان، وتصدقوا وحجوا، واعتمروا وتواصلوا، وانصحوا لأمرائكم، ولا تغشوهم، ولا تهلككم الدنيا، فإن المرء لو عمّر ألف حول ما كان له بد من أن يصير إلى مصرعي هذا الذي ترون، إن الله كتب الموت على بني آدم، فهم ميتون وأكيسهم أطوعهم لربه وأعلمهم ليوم معاده، وسلام عليكم ورحمة من الله[٢].

٧٣٣ لفظ الجلالة على قلب إنسان

جاء في صفحة (أسبوعيات جريئة) للكاتب الغيور محمد الكثيري في جريدة الدعوة ما يلي: أصيب عدد كبير من مهرة الطب وأساتذته بذهول عجيب إثر اكتشاف علمي عجز عن تفسيره العلم حتى الساعة، وهو وجود اسم (الله) جل جلاله على جزء من قلب الإنسان، ويقول الخبر الذي نشرته (Realies) الحقيقة: إن الدكتور خلوق نور باقي قد توصل إلى اكتشاف مذهل، والدكتور خلوق طبيب تركي متخصص في القلب، وقد عثر خلال بحوثه على ظاهرة لم يتوصل إلى شرحها العلم حتى الآن، وهي أنه توصل إلى اكتشاف جزء من القلب خطت عليه وبأحرف عربية بديعة كلمة (الله) ويقول الدكتور: إنه في أحد الأيام،

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢/٥ رقم٤٣٨٢).

(٢) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٤٨٧/٢٥)، والدينوري في المجالسة (٢٣٢/٧-٢٣٣ رقم٣١٤٣).

وأنـا أتصفح كتابًـا علميًّا، أخذتني الدهشة لما رأيت، فقد وجدت في صورة القلب اسـم الله مكتـوب في وسطه، واعتقدت أنني تخيلت ذلـك، واقتربت من الصورة أكـثر، فتبين لي أن اسم الله مكتوب وكأنه خط بأنامل خطاط ماهر، ولقد بحثت سنوات عدة حتى آمنت بأن توقيع اسم الله الموجود في قلب الإنسان حقيقة واقعة، وقـد وجدتـه أيضًا في أطلس طبـي وضعه العلماء الغربيون بشـكل واضح، ويتابع الدكتور قوله: وليس التوقيع الإلهي على هذا الكنز الغامض مصادفة.

جريدة (الدعوة) ١٥ ربيع الأول ١٤٠٤ هـ.

٧٣٤ لغتنا الجميلة.. أين هي؟!

ألقـى الداعية الكبـير الأستاذ محمد الغـزالي رَحِمَهُ اللَّهُ محاضرة في الندوة العالميـة للشبـاب الإسلامي عام ١٣٩٦هـ عـن (النظرية الإسلاميـة في الإعلام والعلاقـات الإنسانيـة) وتطرق إلى الحديث عن اللغة العربيـة، فقال: إن الجهل باللغة العربية يشيع بين ٨٠ أو ٨٥٪ من المسلمين. وأما الجهل بها في أرجاء العالم فشـيء مفـزع، ولا يمكن عدّهـا لغة عالمية مع أنهـا الوعاء الفـذ للرسالة العالمية الوحيـدة التي طرقت أبـواب العالم، وشاء الحـي القيوم أن تبقى فيـه إلى يومه الأخير.

ونحن نطلب ثلاثة أشياء محددة لإحياء اللغة العربية والحفاظ على مكانتها:

أولًا: تأليـف بعثـات وجماعات لتعليم اللغـة وحدها دون ربط هـذا التعليم بالبلاغ الديني؛ أي تهيئة معرفة اللغة وإتقانها لأي إنسان يطلب المزيد من الثقافة، وسوف يجني الإسلام على المدى البعيد ثمرة هذا الازدهار اللغوي المجرد.

ثانيًـا: الجـد في محاربة اللهجـات العامية داخـل الوطن العربـي وتضييق الخناق عليها، ومنع البرامج التي تقدم الأحاديث باللغات العامية، ومنع الأزجال والمواويل والشعر الفوضوي المبتدع أخيرًا، والذي يسمونه الشعر المرسل.

ثالثًا: إحياء الأدب العربي الخالص وتقريبه من طبيعة العصر؛ أي تجريده من التكلف وافتعال المحسنات اللفظية، وتشجيع الشعراء المجيدين بشتى الوسائل.

وقبل ذلك لا بد أن تقوم مجامع اللغة العربية بجهد محترم في نشر ألفاظ الحضارة وجعل العربية لغة العلوم الحديثة.

إن العناية باللغة العربية جزء حقيقي من عمل الإعلام الإسلامي، وخطوة مقصودة ليعرف العالم أجمع من نحن، وما رسالتنا؟ وتلك هي الوظيفة العتيدة لأجهزة الإعلام، ومنها تبدو النظرية الإسلامية للدعاية الإسلامية والعلاقات الإنسانية.

٧٣٥ جار جني مسلم

قال ابن أبي الدنيا: حدثنا محمد بن الحسين قال: سمعت أبا خليفة العبيدي قال: مات ابن لي صغير، فوجدت عليه وجدًا شديدًا، وارتفع عني النوم، فوالله إني ذات ليلة لفي بيتي على سريري، وليس في البيت أحد، وإني لمفكر في ابني، إذ ناداني منادٍ من ناحية البيت: السلام عليكم ورحمة الله يا خليفة، قلت: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، قال: فرعبت رعبًا شديدًا، ثم قرأ آيات من آخر سورة آل عمران حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ﴾[آل عمران: ١٩٨] ثم قال: يا خليفة، قلت: لبيك، قال: ماذا تريد؟ تريد أن تخص بالحياة في ولدك دون الناس، أفأنت أكرم على الله أم محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ قد مات ابنه إبراهيم؟ فقال: «**تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول ما يسخط الرب**»[1] أم تريد أن تدفع الموت عن ولدك، وقد كُتب على جميع الخلق، أم تريد أن تسخط على الله، وترد في تدبيره خلقه، والله لولا الموت ما وسعتهم الأرض، ولولا الأسى

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣/٢ رقم١٣٠٣)، ومسلم (١٨٠٧/٤ رقم٢٣١٥).

مـا انتفع المخلـوق بعيش، ثم قال: ألك حاجة؟ قلت: مـن أنت يرحمك الله؟ قال: امرؤ من جيرانك الجن[1].

٧٣٦ الرزق نوعـان

سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الرزق هل يزيد أو ينقص؟ فأجاب: الرزق نوعان: أحدهما ما علمه الله أنه يرزقه، فهذا لا يتغير، والثاني ما كتبه، وأعلم به الملائكة أن تكتب له رزقًا. هذا وقد ثبت في الصحيح عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال: «**من سرّه أن يبسط له في رزقه، وينسأ في أثره فليصل رحمه**»[2] وكذلك عُمر داود عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ زاد ستين سنة، فجعله الله مئة بعد أن كان أربعين.

٧٣٧ من عجائب القرآن

﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٨-٦٩].

ثبـت علميًّا أن العسل غذاء وعلاج معجز للالتهاب الشعبي والربو وأمراض الرئة، ويخفف من الالتهابـات، ويسكن نوبات الكحة المؤلمة. وللعسل تأثير مميت علـى الجراثيـم، فإنه يمتص الرطوبة منها، فتذبـل وتموت، وبـذا يقتل أخطر البكتريـات التي يمكـن تصورها بنفسـ قوة البنسلـين الفعالـة، ونتائجه مثيرة للعجـب، حتى إن رجلًا وقع مريضًا فاستشار الأطباء، فقرروا أنه مصاب بمرض

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في الهواتف (رقم٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣/٥٦ رقم٢٠٦٧)، ومسلم (٤/١٩٨٢ رقم٢٥٥٧).

السـل النشـط، وأنه غير قابـل للشفاء، وأنه لـن يبقى على قيد الحيـاة طويلًا، فبـدأ باستعمال العسل يوميًّا، وبعد مدة رجع إلى الأطباء أنفسهم، ففحصوه ولم يصدقـوا النتيجـة، وذهلوا حيث وجـدوا رئته سليمة وعليها بعض النقط فقط، ورفضوا أن يصدقوا على الإطلاق أنه هو نفس الشخص السابق.

نقـول: الحمد لله الذي جعل هذا القرآن وسنة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا تنقضي عجائبه طريقنا إلى الله.

٧٣٨ اقرؤوا القرآن

أخـرج البخـاري ومسلـم واللفظ له عـن أبي سعيـد الخـدري أن أسيد بن حضـير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بينمـا هـو في ليلة يقـرأ في مربـده، إذ جالت فرسـه، فقرأ ثم جالـت أخـرى، فقرأ ثم جالت أخـرى أيضًا، قال أسيد: فخشيـت أن تطأ يحيى، فقمـت إليهـا، فإذا مثـل الظلة فـوق رأسي فيهـا أمثال السـرج عرجت في الجو حتـى ما أراهـا، قال: فغدوت على رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقلت: يا رسول الله، بينمـا أنـا البارحة في جوف الليل أقرأ في مربـدي، إذ جالت فرسي، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقـرأ ابـن حضـير**» قـال: فقرأت حتـى جالت أيضًـا، فقال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقرأ ابـن حضير**» قال: فقرأت، ثـم جالت أيضًا، ثم قال رسـول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اقرأ ابـن حضيـر**» قال: فانصـرف، وكان يحيى قريبًا منها خشيت أن تطأه، فرأيت مثل الظلة فيها أمثال السرج عرجت في الجو مـا أراها، فقـال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تلك الملائكة تستمـع لك، ولو قرأت لأصبحت يراها الناس ما تستتـر منهم**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم (١/٥٤٨ رقم٧٩٦).

تنويه وشكر

«تحيــة خاصــة» وشكــر خاصــ لهــؤلاء الفضلاء: محمــد عبــدالله الفريح مدير إدارة النشر والترجمة في شركة العبيكان للتعليم.

وكذلــك الأخ الأستاذ خالد آل إبراهيم الذي يقول: كتابك رفيقي في السفر، والذي دعانا لزيارته الأستاذ محمد الفريح، وأكرمنا غاية الإكرام، وأهدانا كتبًا مــن مكتبته العامرة، وحين ودّعنا وركبنــا السيارة وانصرفنا، التفت الأخ الفريح إلي وقــال: يا أبا عبدالله، ألا تلاحظ أن بعض وجهاء الناس عندنا ألطف معشرًا وأخف أنفسًا من بعض الفقراء؟

قلــت له: تقصد هذا النبيل وأهله؟ قال: نعــم. قلت: هؤلاء القوم؛ السماحة والكرم سجية وطبع طبعوا عليه وليس تصنعًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وكذلك نشكر جليسنــا المحامي الشيخ فهد بن محمد بن صالح الخضيري، لاهتمامه وتشجيعه، وتزويدي ببعض الكتب الثمينة مع رفضه أخذ الثمن.

والعلامــة الشيخ محمد بن ناصــر العبودي، الذي قــال لي: استمر فكتابك مهم، ولقد أخذت منه أكثر من ١٥ صفحة.

والشيــخ الأديب سليمــان العبدالعزيز التويجري، وحفيــده طالب الدكتوراه سليمان المحمد لكثرة مدحهم للكتاب.

وكذلــك الأديب الشيخ المحامي محمد الصالح العيد، وأخاه الكريم عبدالله -شفــاه الله، وجعل مــا أصابه من عارض صحي في ميــزان حسناته- الذي قال: سأشتري من العبيكان كمية من الكتاب، وأوزعها على أصدقائي.

وكذلك لا أنسى قول الأمير مقبل المحمد المقبل: إنني يا أخ صالح أكرر قراءة بعض النوادر، وأدعي لك بظهر الغيب. وقد قلت: «الأمير لأنه عمل عدة سنوات في عدد من المناطق: في جازان أميرًا بالنيابة ووكيلًا للأمير بالقصيم وحايل وتبوك. وكان كفؤًا يجمع بين اللين والشدة».

وممن نشكره ابنتي الفاضليتين: لطيفة، ونوره لاهتمامهما وملاحظاتهما الجيدة، وترتيبهما لمكتبتي وبعض أوراقي.

وأشكر كذلك كل من شجع وأثنى ونظر بعين الرضى له مني الشكر، وأشركه معي بالأجر، نسأل الله أن يكون علمًا ينتفع به.

وأكرر أن الفضل بهذا الطبع الجيد والإخراج الجيد والاهتمام بالكتاب لله أولاً، ثم للأخ محمد الفريح الذي يقول: لا تستغرب اهتمامي بهذا الكتاب لأنني أحبه، وكنت أقرأ بالأجزاء الأولى عندما كنت في المرحلة المتوسطة والثانوية منذ ثلاثين سنة. الله يفرحه بالجنة، وجزى الله الفريح وشركة العبيكان وأهلها جميعًا عنا وعن أهل العلم والأدب خير الجزاء.





*****